

موسوعة

التحقيق المتكامل في

﴿ مناقب وقِيم وتقاليد وتراث ونسب أولاد سيدي نايل ﴾
وَمَنْ جاورهم من العروش والرفق والقبائل

﴿ الجزء الثاني ﴾

تأليف

راجي عفوره
الم. ميلود قويسم بن الهدار
﴿ إمام أستاذ بعين الإبل. الجلفة. الجزائر ﴾

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم
شكر وثناء
أشكر مساعي جنود الخفاء
أهل الغيرة والوفاء . والمبرة والإصطفاء . السادة الأبرار . والصفوة الأخيار
المشايخ النبلاء . والعظماء الكرماء . الساسة الأوفياء .
الذين ساهموا في طبع وتوزيع ومراجعة هذا الكتاب
نشرًا للثقافة الهادفة . واحتسابًا للأجر والمثوبة
حقق الله قصدهم وبارك سعيهم

✱

﴿ ملاحظة ﴾
﴿ طبع الكتاب بأجزائه الأربعة ﴾
﴿ على نفقة المحسن الكبير الحاج بلقاسم العمراوي ﴾
نقيب الأحياء القادرية والرحمانية بالجلفة
أجزل الله له المثوبة والشفاء والعافية

✱

الطبعة التجريبية الأولى
1427هـ / 2006م

ملاحظة

قد تكون هناك تصحيحات مطبعية لا بد من إصلاحها

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بقلم مؤلفه / الميلود قويسم بن الهدار

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . وأشهد أن لا إله إلا الله رب جميع المخلوقات . وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد السادات وأشرف الكائنات . صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وذوي المناقب والخصوصيات . ومن تبعهم بحسن الأقوال والأفعال والنيات . وبعد : فإني لما انتهيت من تحرير كتابة (الجزء الأول) من كتابي (التحقيق المتكامل) وما تضمنه من ملخص بعض البحوث الهامة وبعض الأنساب العليا ها أنا ذا أبدأ في تحرير كتابة (الجزء الثاني) وسيتضمن بإذن الله تعالى ذكر الحقيقة المحمدية وما يتبع ذلك من أنساب , جعل الله العمل خالصا لوجهه الكريم . إنه على ما يشاء قدير . وبالإجابة جدير . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله . والحمد لله رب العالمين . وبه مؤلفه راجي عفوره / الميلود قويسم إمام أستاذ بعين الإبل . ولاية الجلفة . الجزائر .

الكتاب الحادي عشر

ويتضمن الفصول التالية : الفصل الأول في ذكر عينات من الكون المشاهد . الفصل الثاني في ذكر نشأة آدم وحواء وعقبهما . الفصل الثالث في ذكر عصر نوح وذريته . الفصل الرابع في ذكر سيدنا إبراهيم وذريته . الفصل الخامس في ذكر سيدنا إسماعيل وذريته . الفصل السادس في ذكر النسب العدناني الوارد .

*

الفصل الأول

قبي ذكر عينات من الكون المشاهد

الكون المشاهد

تمهيد

إن دراسة ما توصل إليه العقل البشري من معالم بدا الخليفة المشاهدة اعتمادا على ما ذكره الوحي المبارك وما استنتجته البحوث المعاصرة يفتح ذهن المتابع على بحوث علمية تدل بجيئاتها على معجزة الخالق جل شأنه وتدعوا الثقيلين كافة إلى عبادته التي من أجلها خلقوا ولها هيئوا ونكفني في هذه النقول على ما يتعلق بكتابي هذا الذي جعلته لنفسي ولن هو قاصر مثلي وعليه فأقول:

الكون

الكون اصطلاحاً كما قالت (موسوعة الحاسوب) هو اللفظ المستخدم للدلالة على كل ما حولنا من النجوم التي نراها ليلاً في السماء والتي تتجمع في مجموعات تعرف بالمجرات إلى الفضاء الواقع بين هذه المجرات وما يوجد به من غازات وغبار كوني، بالإضافة إلى أي شيء يقدر له الوجود وراء حدود ما نراه. ولم يشعر الإنسان شعوراً حقيقياً بوجود الكون إلا في نهاية القرن الثامن عشر، عندما اكتشف أنه يسكن على سطح كوكب صغير، في مجموعة شمسية تمثل جزءاً من مجرة تحتوي على ألوف الملايين من النجوم، وأن هناك مجرات مشابهة تقع في الفضاء، الذي يمتد وراء هذه المجرة، والتي عرفت في ذلك الحين باسم "الجزر الكونية". ويعرف علماء الفلك اليوم ما يزيد على مائة ألف مليون مجرة، تفصل كل مجرة عن الأخرى مساحة هائلة، وأقرب المجرات إلينا مجرة "المرأة المسلسلة" أو "الأندروميديا" وتفصلنا عنها مسافة تقدر بمليون سنة ضوئية، بمعنى: أن الشعاع الصادر منها والمنطلق بسرعة 300,000 كيلومتر في الثانية لا يصل إلينا إلا بعد مليون سنة، مما يدل على أننا لانعرف شيئاً عن هذه المجرة حتى الآن، فنحن نراها كما كانت في الماضي، وربما تكون قد انفجرت، أو اختفت في

الفضاء . وهذه الحقيقة محيرة إلى حد كبير، فنحن عندما ننظر إلى ماحولنا من نجوم أو مجرات إنما نراها كما كانت فى الزمن الماضى، كذلك أقرب نجم إلى مجموعتنا الشمسية ويدعى "ألفاسنتورى" تفصلنا عنه نحو 3، 4 سنة ضوئية، أى تفصلنا عنه ملايين من الكيلومترات ويذكرنا ذلك بالآية الكريمة ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ وتقدم العلم والمعرفة توصل الإنسان بفكره إلى نظرية خاصة بنشأة هذا الكون، وهى تنص على أن كل ما يحويه هذا الكون من مجرات وغازات وسحب الغبار الكونى كانت ملتحمة معا فى زمن مغرق فى القدم على هيئة كتلة مركزية شديدة التماسك والانضغاط، ثم انفجرت هذه الكتلة، وتناثرت شظاياها فى جميع الاتجاهات، ثم تحولت بمرور الزمن إلى المجرات الحالية التى يتكون كل منها من ملايين النجوم، وتعرف هذه النظرية باسم "الانفجار العظيم" وهى تتمشى مع المعنى المفهوم من الآية الكريمة ﴿أَوَلَمْ يَرِ الدِّينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ وتدل هذه النظرية على أن هذا الانفجار العظيم قد حدث منذ نحو (خمسة عشر ألف مليون سنة) على وجه التقريب، وأن هذه المجرات ما زالت تندفع فى الفضاء بسرعات كبيرة جدا، مما يدل على أن الكون يتمدد ويتسع بمرور الزمن، وهذا المعنى نفسه الذى ورد فى الآية الكريمة ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ ولكن هل يمتد ويستمر هذا الاتساع الى الأبد، أم هل يتوقف هذا التمدد فى المستقبل عندما تبطئ سرعة المجرات وتبدأ عملية التجاذب بينها، فينكمش الكون مرة أخرى، ويوصف عندئذ بأنه كون مغلق. ويعتقد بعض العلماء أن الكون يحتوى على قدر كبير من المادة، سواء منها المادة المضيفة التى توجد على هيئة سحب من الغازات والغبار الكونى، وهو ما يكفى لحدوث التجاذب بين مكوناته وانكماشه مرة أخرى، وسيستمر هذا الانكماش مدة طويلة، وتقترب المجرات بعضها من بعض لتندمج معا فى نهاية الأمر فى كتلة مركزية واحدة ثم تعود إلى الانفجار مرة أخرى لتكون كونا جديدا، ويذكر ذلك بقوله تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكَتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ وقد وضع عالمان هما: "إدوارد نايرون" و"الكساندر فيلينكين" نظرية تفترض أن الكون عندما ينكمش سيصل إلى حجم متناه فى الصغر لا يزيد على حجم البرتون، ثم يخفى فجأة فى العدم، وطبقا لنظرية "ميكانيك الكم" سيظهر الكون من العدم "Out of

nothingness" مرة أخرى لتمدّد بشكل نهائي مدة من الزمن ، ويصعب تصور هذه النظرية، ولكنها تتمشى مع قوله تعالى ﴿بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾¹.

كيفية منشأ وحجم الكون

لا يزال ولن يزال التساؤل قائماً حول كيفية نشأة الكون الذي يقود إلى لغز كبير، مع أن كثيراً من العلماء اليوم يقبلون نظرية "الانفجار العظيم" والتي توحي بأن الكون قد بدأ بانفجار هائل تم فيه خلق المادة وتناثرت في الفضاء . وقد نتج عن ذلك جزيئات ذرية تحولت إلى ذرات هيدروجين والتي تشكل الآن 90% من الكون . تمددت سحابة الهيدروجين ثم تفتت إلى سحائب منفصلة مكونة مجرات النجوم مثل مجرتنا المعروفة باسم "درب اللبّانة" . وأثبتت البحوث أن الكون لا زال يتمدّد، وربما سيظل يتمدّد إلى الأبد ، أو ينكمش في النهاية للداخل ويعتقد الفلكيون أن الكون له من العمر ما بين 13000 مليون إلى 20000 مليون عام . ولا أحد يعرف حجم الكون، إلا أن هناك بعض الطرق التي تفق عنها الذهن البشري لقياس المسافة والفضاء . وعلى سبيل المثال القياس على أساس مدار الأرض تعتبر السنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء بسرعة 186282 ميلاً في الثانية خلال الفضاء كل سنة الخ.

أحداث مدار تاريخ الأرض

الأحداث الرئيسية التي وقعت على مدار تاريخ الأرض . تظهر في الرسومات العلمية كما لو كانت على ميناء مقسمة إلى 12 ساعة تمثل ملايين السنين . وقد تكونت الأرض منذ 4.6 بليون سنة أي 12 ساعة على الميناء وبدأت أول حياة على الأرض منذ 3.5 بليون سنة على شكل كائنات أحادية الخلية وظهرت النباتات والحيوانات منذ بليون عام . وتكونت معظم الحفريات منذ 590 مليون سنة وتاريخ أول ظهور للحيوان والنبات على سطح الأرض مُقدّراً بملايين السنين وكأنه حدث منذ ساعتين فقط وإن المخلوقات الموجودة الآن تطورت من أنواع بدائية وظهر بعضها في صورته الحالية في وقت باكر عن الآخرين وقد كانت القشريات من أوائل الحيوانات ظهوراً وقد ظهرت منذ حوالي 650 مليون سنة قبل البشر وفي منتصف الحقبة بين أول ظهور لها وظهور البشر،

¹ أ.د/أحمد مدحت إسلام

طورت الحشرات خصائصها منذ 380 مليون سنة وأول ظهور (منذ ملايين السنين) القشريات وعددها 650 ثم الأسماك وعددها 510 ثم النباتات البرية وعددها 420 ثم الحشرات وعددها 380 ثم نباتات البذور وعددها 360 ثم البرمائيات وعددها 360 ثم الزواحف وعددها 340 ثم الثدييات وعددها 213 ثم الطيور وعددها 150 ثم النباتات المزهرة وعددها 140 ثم بعد ملايين السنين جاء البشر مبادئا بآدم وحواء عليهما السلام وهما أصل جنس البشر الحالي ولا عبرة بما قاله المهلوسون من أمثال (داروين) ومن على شاكلته إذ يكفيننا قناعة وحجة وإيماننا كلام ربنا الذي لا (يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) .

الفصل الثاني

في

ذكر آدم وحواء

آدم وحواء هما أصل البشر الحالي

كما جاء في القرآن . وكما هو واضح للعيان . أن سيدنا آدم وسيدتنا حواء عليهما السلام هما أصل البشرية جمعاء ومن قال غير ذلك خسى وخاب . ولقد تصدى علماء العصر قديما وحديثا له بما فيه الكفاية . ولو أن قوله لا يعابأ به إذ هو مجرد هذيان وسوست به نفوس الأشقياء (قلت) ومن بين المتصدين لذلك الرادين بالإفحام (الشيخ عطية صقر المصري) حيث قال رحمه الله (إنه) في القرن التاسع عشر الميلادي الذي ظهرت فيه نزعة الثورة على الكنيسة والأفكار والآراء الدينية السائدة برز جماعة منهم "لامارك" الفرنسي المتوفى سنة 1829 م "واغوست ايرينوس" المتوفى سنة 1927 م و "تشارلس دارون" الإنجليزي المتوفى سنة 1882 م والذي أثار ضجة في العالم عندما ظهر كتابه "أصل الأنواع" سنة 1859 م و كتابه "تسلسل الأنواع" سنة 1871 م ، وهويشتمل على ثلاث مسائل : (أ) - أن طريق حدوث تنوعات العالم هو النشوء أي أن أجزاء الأثير تكون منها السديم ثم الشمس ثم انفصلت عنها الكواكب ومنه أرضنا ثم تكونت العناصر ثم المعادن ثم المكون الأول الحى "البروتوبلازم" الذى أخذ فى التوالد والترقى حتى بلغ أدنى نبات أو حيوان ولم يزل هذان يترقيان بالنواميس الأربعة (التباينات ، الوراثة ، تنازع البقاء ، الانتخاب الطبيعي) ويشق من الأنواع

أنواع حتى تكونت جميع الأنواع التي نراها اليوم. (ب) - أن الإنسان ما هو إلا حيوان من جملة الحيوانات حادث بطريق النشوء والارتقاء وأنه لمشابهته القرد لا يمنع أن يكون قد اشتق هو وإياه من أصل واحد. (ج) - أن الحياة وعقل الإنسان ما هما إلا ظاهرتان من ظواهر تفاعل أجزاء المادة وإن يكن أصل المادة خاليا من الحياة والإدراك، وأن عقل الإنسان لا يختلف عن عقول الحيوانات إلا بالكم، ولا يخالفها في الذات والحقيقة. ومع هذه الدعاوى لم يستطع "دارون" ومن ساروا في ركابه أن يبرهنوا عليها بالأدلة الكافية، فهي مجرد افتراضات، وأكثر اعتمادهم في ذلك على تطوير نوع من الزهور والنباتات غيروا شكلها ولم يغيروا جوهرها ولم ينجحوا في شيء من عالم الحيوان ولكنهم قالوا يجوز أن يكون الإنسان متطورا عن حيوان قبله وهو القرد (أخزاهم الله وخيبهم) ويشرح "لا مارك" ذلك بقوله: إن الكائن الحي يشعر من تغير الأحوال عليه بضرورة حدوث عضو جديد له فيفعل للحصول على ذلك فيحدث في أحاده سيرا سيرا كالزرافة، فقد كانت في زعمه كسائر الحيوانات - ذات عنق قصير، ولكنها لما احتاجت إلى أكل الأشجار العالية صارت تتفعل لذلك وتشرب لتنال الورق العالى فطالت عنقها سيرا سيرا حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن فالحاجة هي التي تنشئ الأعضاء الجديدة عند لا مارك ولكن دارون يقول إن الصدفة أو الاتفاق هو الذي ينشئها. لقد قام جماعة من المفكرين بالرد على نظرية دارون فقال "س. فان هوفنسفيلت" إن النتائج التي وصل إليها الباحثون في الأحياء المتحجرة لم تساعد على إقامة أى دليل على التسلسل أو التطور التدريجي بل ثبت على عكس ذلك أن الفروق الدقيقة بين صفوف الأجناس التي نعرفها بقيت على الدوام فاغرة ولم تتلاش أو تقرب من ذلك. وقال "جوستاف جوليه" الأستاذ في السوربون: إن العقبات التي يرتطم بها مذهب النشوء والارتقاء تنحصر في خمسة أمور: أ- أن العوامل التي يقوم عليها هذا المذهب قد ظهر عجزها في تعليل أصل الأنواع. ب- تبين عدم كفايتها لتعليل وجود الحشرات. ج- تبين عدم غنائها في تفسير التحولات الفجائية المولدة لأنواع جديدة. د- اتضح قصورها عن تعليل تولد طبائع الأنواع الجديدة وثبوتها نهائيا، وقد ثبت أنها متى تولدت فيها بسرعة تبقى ثابتة لا تتغير. هـ- ثبت عجزها عن تفسير عوامل التطور الذي تدخل فيه الكائنات فتحولها من

حالة ساذجة إلى حالة مركبة وتدفعها من النقص إلى الكمال. هذه هي نظرية دارون الافتراضية وذلك بعض ما ردّها به علماءهم أما رأى الدين فيها فيتضح مما يلي :

رأى الدين في النظرية الدروينية

قال الشيخ عطية صقر أما رأى الدين فيتضح مما يلي : قولهم إن المخلوقات خلقت عشوائيا بغير تدبير سابق وعلم محكم يرده قول الله سبحانه ﴿إنا كل شىء خلقناه بقدر﴾ وقوله ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون﴾ وقولهم إن الإنسان ليس له خالق ، يرده قول الله تعالى : ﴿خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ وقوله ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ وقوله ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾ وغير ذلك من الآيات الكثيرة. وقولهم إن البقاء للأقوى والكوارث هي سبب هلاك المخلوقات الضيفة مردود بأن الله يهلك الأقوياء كما يهلك الضعفاء ﴿إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا﴾ ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد﴾ وادّعاؤهم معرفة كيف نشأت الأحياء على الأرض يرده قول الله تعالى : ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ وادّعاؤهم أن الطيور والحشرات لا تفهم يرده قول الله سبحانه ﴿وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾ وادّعاؤهم أن الطير أقل تطورا من الثدييات والإنسان يرده قول الله تعالى ﴿فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه﴾ وزعمهم أن الإنسان متطور عن كائنات حية سابقة يرده قول الله تعالى ﴿الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان﴾ وقوله ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ وحديث (إن الله خلق آدم على صورته) رواه البخارى ومسلم . وادّعاؤهم أن القرآن يقر نظرية التطور كقوله تعالى ﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ مردود بأن الأطوار فى الآية ليست التطور الذى يزعمون فالمعنى أن الإنسان خلق على النحو الذى قال فيه رب العزة ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة . فخلقنا العلقة مضغة . فخلقنا المضغة عظاما . فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ وقولهم إن الموت يأتى صدفة للضعيف ويترك القوى ليتطور ، يرده قول الله تعالى ﴿خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ وقوله ﴿كيف

تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴿ هذا بعض ما تفند به نظرية دارون ، ويمكن (للمزيد من البحث) الرجوع إلى مجلة الأزهر "المجلد الثاني ص 749" ودراسات إسلامية لأهم القضايا المعاصرة . ومجلة الهداية التي تصدر في البحرين عدد مارس 1993 ، ومراجع أخرى .

هل الأول آدم أم حواء

ورد سؤال على الأزهر يقول إن هناك كتاب ظهر حديثاً في إندونيسيا بعنوان (القرآن وتاريخ الإنسانية) قرر فيه مؤلفه ياسهاب أن أول الإنسان هو أنثى لا رجل وأن أهل الأديان جميعاً أخطأوا في قولهم إن أول البشر آدم ، واستدل بأدلة عقلية وعملية ، مستأنساً بقوله ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به ﴾ ويسأل (1) - هل يجب الاعتقاد بأن أول البشر هو آدم عليه السلام ، وما حكم من قال : إن أول البشر على الإطلاق أنثى لا رجل (2) - هل يوجد من علماء المسلمين سلفاً وخلفاً من يقول بأن أول البشر على الإطلاق أنثى لا رجل . وأجاب الشيخ عطية صقر المصري بقوله : اعلم أن القرآن لم ينزل ليعلم الناس حقائق علمية في المجالات المختلفة ، ولكنه نزل للإعجاز والهداية ، يحدد ما يجب تحديده كالعقائد والعبادات ويضع أصولاً كلية وأوامر عامة فيما يختلف باختلاف البيئات والعصور ، غير أنه إذا وردت فيه مسائل علمية بقصد الإعجاز والهداية فإنها حق لا شك فيه حتى لو لم يفهمها الناس ، فإن جهلها لا يضر ، وأن الزمن كهيل ببيان المراد منها عندما تكتمل أدوات المعرفة . وقد نصح العلماء بعدم الإسراع لربط المكتشفات الحديثة بالقرآن ، فقد تكون هذه المكتشفات ما تزال في طور النظرية القابلة للتغيير ، فلا ينبغي أن تحمل عليها آيات القرآن حملاً قد يكون فيه تعسف ، وقد يضر بتقدير الناس للقرآن عندما يتبين أن هذه النظريات خطأ . وتاريخ الإنسانية الذي يشير إليه عنوان الكتاب ومحاولة معرفته عن طريق القرآن ليس من المسائل الجوهرية في الدين ، فلم يكلفنا الله بمعرفته ولم يوجب علينا اعتقاد ما ليس فيه نص عنه في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة . ومهما يكن من شيء فالإيك ما يأتي خاصاً بهذا الموضوع (1) سيدنا آدم هو الخليفة في الأرض قال تعالى ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس

لك ﴿ فالملائكة لم تكن تعرفه من قبل ، وكانوا يظنون أنه سيفسد كما أفسد من قبله ولن يكون على مثالهم هم من الطهر ودوام الطاعة لله ، فهو خلق جديد عليهم . (2) - خلق آدم من تراب مبلل بالماء فصار طينا ولما أمر الله الملائكة بالسجود له امتنع إبليس ، قال تعالى ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ﴾ وقد برر إبليس امتناعه عن السجود بقوله ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ فأدم خلق غير معروف من قبل للملائكة ولإبليس ، فهو جديد عليهم ليس له مثال سابق . (3) - إن البشر جميعاً منسوبون لأصلهم الأول وهو آدم ، قال تعالى ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾ فأدم أول المخلوقات البشرية (4) - إن الله خلق من نفس آدم - أي مادته وهي التراب أو من جسده بعد أن سواه ونفخ فيه الروح وهذا لم يدل عليه دليل قاطع - خلق من نفس آدم زوجها ليسكن إليها ويأنس بها وهي حواء ، قال تعالى ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ والنفس المذكورة هي آدم ، ولفظ النفس مؤنث وإن كان معناه قد يكون مذكراً ، فهو يطلق على الذكر والأنثى ، مثل لفظ شخص يصلح لإطلاقه على كلا النوعين ، ولفظ الزوج يطلق على الرجل والمرأة فيقال : علي زوج فاطمة وفاطمة زوج علي ، وهما زوجان ، والمراد بالزوج في هذه الآية حواء الأنثى قال تعالى ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ فالخطاب لبني آدم الذكور ، والمنة عليهم بأن جعل الله لهم من أنفسهم زوجات نساء ومن هؤلاء الزوجات يأتي البنون والحفدة فالرجال هم الأصل والنساء تبع لهم . (5) - خلق الله آدم أولاً ثم خلق حواء ، قال تعالى ﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ﴾ فالتعبير بلفظ "ثم" يفيد الترتيب في الزمن أو الرتبة ، وهو على كل حال يفيد سبق آدم لحواء ، ووجه الله الخطاب في القرآن لآدم وجعل حواء زوجة تبعاً له ، وهو يشعر بتقدم آدم عليها . قال تعالى ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ وكما تشير إليه آية سورة النحل السابقة " وضمير الخطاب والغيبة في الآيات المذكورة كلها مذكر وليس مؤنثاً فأدم ذكر وليس أنثى ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ كما في قوله ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ ونخلص من هذا إلى حقيقتين . أولاً أن آدم هو أول البشر على الإطلاق

وثانيهما أنه ذكر لا أنثى ، واللغة العربية التي نزل بها القرآن هي التي أوصلتنا إلى هذا الاستنتاج ولم نجد فيما اطلعنا عليه أن أحدا من العلماء المسلمين قال غير ذلك فصار إجماعاً مستنداً إلى ما ذكر من الأدلة .

محاولة التشكيك في أول البشر

قال الشيخ صقر وفي الختام أقول : إن محاولة التشكيك في أن أول البشر ذكر هو آدم ممهدة للقول بنظرية "داروين" في أصل الأنواع وفي النشوء والارتقاء التي تجوز أن آدم جاء نتيجة لتطورات خلقية سابقة، قد يكون مبدؤها أصلاً أنثوياً وجدت فيه الروح ، فكان الكائن الحي الذي تطور إلى آدم البشر السوي ومعروف أن نظرية "داروين" لم تسلم من النقد ، ورفضها أكثر العلماء المحققين ، لأنها تقوم على افتراضات غير ثابتة يقيناً . ومع ذلك فقد قلت فيما سبق : إن المسألة ليست اعتقادية ولا توقف صحة الإيمان عليها ، غير أن من خالف مواضع اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم كان معرضاً للانزلاق إلى استنباطات واهية ونتائج غير صحيحة قد تمس حقائق الدين المتفق عليها فيفضل ويشقى وهذا الحاد في التفكير يخشى أن يندرج تحت قوله تعالى ﴿ إن الذين يلحدون في آياتنا لا ينفقون علينا ﴾ .

آدم وحواء

قد تكلم العلماء على آدم ومتعلقات قصته في التفسير ولنذكر ههنا مضمون ما دلت عليه الآيات الكريمات وما يتعلق بها من الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه فقد أخبر سبحانه وتعالى أنه خاطب الملائكة قائلاً لهم (إني جاعل في الأرض خليفة) وأعلمهم بما يريد أن يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضاً كما قال (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) وأخبرهم بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه فقالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة لا على وجه الاعتراض والتنقص لبني آدم والحسد لهم كما قد يتوهمه بعض الجهلة قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) قال قتادة علموا أن ذلك كائن منهم بما رأوا من كان قبل آدم من الجن والحيوان . وقال عبد الله بن عمر كانت الجن قبل آدم بألفي عام ففسكوا الدماء فبعث الله إليهم جنداً

من الملائكة فطردوهم إلى جزائر البحور وعن الحسن ألهمو ذلك وقيل لما اطلعوا عليه من اللوح المحفوظ أطلعهم عليه هاروت وماروت عن ملك فوقهما يقال له الشجل رواه ابن أبي حاتم عن أبي جعفر الباقر . وقيل لأنهم علموا أن الأرض لا يخلق منها إلا من يكون بهذه المثابة غالبا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك أي نعبدك دائما لا يعصيك منا أحد فإن كان المراد بخلق هؤلاء أن يعبدون فما نحن لا نفتري لا ولا نهارا . قال: إني أعلم ما لا تعلمون أي أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هؤلاء ما لا تعلمون أي سيوجد منهم الأنبياء والمرسلون والصديقون والشهداء ثم بين لهم شرف آدم عليهم في العلم فقال (وعلم آدم الأسماء كلها) .

الاسماء التي علمها آدم

قال ابن عباس الاسماء التي علمها آدم هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس من مثل :إنسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وجمل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها وفي رواية علمه اسم الصحيفة والقدر حتى الفسوة والفسية . وقال مجاهد علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء . وكذا قال سعيد ابن جبير وقتادة وغير واحد . وقال الربيع علمه أسماء الملائكة . وقال عبد الرحمن بن زيد علمه أسماء ذريته . والصحيح أنه علمه أسماء الذوات وأفعالها مكبرها ومصغرها كما أشار إليه ابن عباس رضي الله عنهما . وذكر البخاري هنا ما رواه هو ومسلم عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكة وعلمك أسماء كل شيء وذكر تمام الحديث . ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قال الحسن البصري لما أراد الله خلق آدم قالت الملائكة لا يخلق ربنا خلقا إلا كما أعلم منه فابتلوا بهذا وذلك قوله إن كنتم صادقين وقيل غير ذلك كما هو مبسوط في التفسير قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم أي سبحانك أن يحيط أحد بشيء من علمك من غير تعليمك كما قال ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون أي أعلم السر كما أعلم العلانية وقيل إن المراد بقوله وأعلم ما تبدون ما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها بقوله وما كنتم تكتمون المراد بهذا الكلام

إبليس حين أسر الكبر على آدم عليه السلام قاله سعيد بن جبير ومجاهد والسدي والضحاك والثوري واختاره ابن جرير وقال أبو العالية والربيع والحسن وقتادة وما كنتم تكتمون قولهم لن يخلق ربنا خلقا إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه . (فائدة) جاء عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى : (ومن الأرض مثلهن) ، قال : سبع أرضين ، في كل أرض نبي كبيكم ، وآدم كآدم ، ونوح كنوح ، وإبراهيم كإبراهيم ، وعيسى كعيسى ؛ وهذه الألفاظ : فيها تقديم وتأخير في بعض الطرق . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد . قال البدر الشبلي في (آكام المرجان ، في أحكام الجان) قال شيخنا الذهبي : إسناده حسن .

سجود الملائكة لآدم

قال الله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر) وهذا إكرام عظيم من الله تعالى لآدم حين خلقه بيده ونفخ فيه من روحه كما قال فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فهذه أربع تشریفات : خلقه له بيده الكريمة ونفخه فيه من روحه وأمره الملائكة بالسجود له وتعليمه أسماء الأشياء ولهذا قال له موسى الكليم حين اجتمع هو وإياه في الملأ الأعلى وتناظرا كما سيأتي أنت آدم أبو البشر الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء وهكذا يقول أهل المحشر يوم القيامة كما تقدم .

الملائكة المأمرون بالسجود

قد اختلف المفسرون في الملائكة المأمورين بالسجود لآدم أهم جميع الملائكة كما دل عليه عموم الآيات وهو قول الجمهور أو المراد بهم ملائكة الأرض كما رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس وفيه انقطاع وفي السياق نكارة وإن كان بعض المتأخرين قد رجحه ولكن الاظهر من السياقات الأولى ويدل عليه الحديث وأسجد له ملائكته وهذا عموم أيضا والله أعلم

امتناع إبليس عن السجود

لما أمر الله جل جلاله الملائكة بالسجود امتنع إبليس من السجود وقال مما قاله أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فغضب الله عليه ولعنه .

جنس إبليس

قال الحسن البصري لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين قط وقال شهر بن حوشب كان من الجن فلما أفسدوا في الأرض بعث الله إليهم جندا من الملائكة فقتلوهم وأجلوهم إلى جزائر البحار وكان إبليس ممن أسرف فأخذه معهم إلى السماء فكان هناك فلما أمرت الملائكة بالسجود امتنع إبليس منه وقال ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة وسعيد بن المسيب وآخرون كان إبليس رئيس الملائكة بالسماء الدنيا قال ابن عباس وكان اسمه عزازيل وفي رواية عن الحارث قال النقاش وكنيته أبو كردوس قال ابن عباس وكان من حي من الملائكة يقال لهم الجن كانوا خزان الجنان وكان من أشرفهم وأكثرهم علما وعبادة وكان من أولى الأجنحة الأربعة فمسخه الله شيطانا رجيمًا .

اهباط إبليس

في قوله تعالى لإبليس اهبط منها وأخرج منها دليل على أنه كان في السماء فأمر بالهبوط منها والخروج من المنزل والمكانة التي كان قد نالها بعبادته وتشبهه بالملائكة في الطاعة والعبادة ثم سلب ذلك بكبره وحسده ومخالفته لربه فأهبط إلى الأرض مذؤوما مدحورا

اسكان آدم وزوجه الجنة

أمر الله آدم عليه السلام أن يسكن هو وزوجه الجنة فقال وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقال في الأعراف قال سبحانه ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقال تعالى فقلنا يا آدم إن هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظلم فيها ولا تضحي

متى خلقت حواء

(قال المفسر) سياق الآيات يقتضي أن خلق حواء كان قبل دخول آدم الجنة لقوله ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وهذا قد صرح به إسحاق ابن بشر وهو ظاهر هذه الآيات ولكن حكى السدي عن ابن عباس عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أنهم قالوا أخرج إبليس من الجنة واسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحشيا ليس له فيها زوج يسكن إليها فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة

خلقها الله من ضلعه فسأها من أنت قالت امرأة قال ولما خلقت قالت لتسكن إلي فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه ما اسمها يا آدم قال حواء قالوا ولم كانت حواء قال لأنها خلقت من شيء حي وذكر محمد ابن إسحاق عن ابن عباس أنها خلقت من ضلعه الأقصر الأيسر وهونائم ولأم مكانه لحما ومصداق هذا في قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء الآية وفي قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به الآية وفي الصحيحين من حديث زائدة عن ميسرة الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركه لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا انتهى واللفظ البخاري .

ما خلقت منه حواء وزوجات ابنائها

يلاحظ أن حواء عليها السلام وهي أم البشرية جمعاء خلقها الله جلّت قدرته قيل من ضلع آدم وهذا هو المنصوص عليه في النصوص السابقة قبل هذا الباب وقيل بل خلقت من بقية طينته ، وقيل بل خلقت من خلق آخر كالجن أو غيره ويلاحظ أيضا أن زوجات انجال آدم هن الاخريات جرى الخلا ف فيهن ومن تكوينهن . حكى ذلك الشيخ العاملي الشيعي في كتابه القصص القرآني .

الشجرة المنهي عن الأكل منها

اختلف المفسرون في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة فقليل هي الكرم وروى عن ابن عباس وسعيد ابن جبيرة والشعبي وجعدة ابن هبيرة ومحمد بن قيس والسدي في رواية عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة قال وتزعم يهود أنها الحنطة وهذا مروى عن ابن عباس والحسن البصري ووهب ابن منبه وعطية العوفي وأبي مالك ومحارب بن دثار وعبد الرحمن ابن أبي ليلى قال وهب والحبة منه ألين من الزبد وأحلى من العسل وقال الثوري عن أبي حصين عن أبي مالك ولا تقربا هذه الشجرة هي النخلة وقال ابن جريج عن مجاهد هي التينة وبه قال قتادة وابن جريج وقال أبو العالية كانت شجرة من أكل منها أحدث ولا ينبغي في الجنة حدث وهذا الخلاف قريب وقد أبهم الله ذكرها وتعيينها ولو كان في ذكرها مصلحة تعود إلينا لعينها لنا كما في غيرها من الحال التي أبهمت في القرآن .

حول وسوسة إبليس لآدم

أورد أصحاب القول الذي يقول (أن تلك الجنة توجد في الأرض لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها دون غيرها من الثمار) سؤالاً يحتاج مثله إلى جواب فقالوا لا شك أن الله سبحانه وتعالى طرد إبليس حين امتنع من السجود عن الحضرة الإلهية وأمره بالخروج عنها والهبوط منها وهذا الأمر ليس من الأوامر الشرعية بحيث يمكن مخالفته وإنما هو أمر قدري لا يخالف ولا يمانع ولهذا قال اخرج منها مذهباً مدحوراً وقال اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها وقال اخرج منها فإنك رجيم والضمير عائد إلى الجنة أو السماء أو المنزلة وأياً ما كان فمعلوم أنه ليس له الكون قدراً في المكان الذي طرد عنه وأبعد منه لا على سبيل الاستقرار ولا على سبيل المرور والاجتياز قالوا ومعلوم من ظاهر سياقات القرآن أنه وسوس لآدم وخاطبه بقوله له هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ويقول ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلّاهما بغرور الآية وهذا ظاهر في اجتماعه معهما في جنتهما وقد أجبوا عن هذا بأنه لا يمتنع أن يجتمع بهما في الجنة على سبيل المرور فيها لا على سبيل الاستقرار بها وأنه وسوس لهما وهو على باب الجنة أو من تحت السماء وفي الثلاثة نظر

مضمون وسوسة الشيطان

قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها أي عن الجنة فأخرجهما مما كانا فيه أي من النعيم والنصرة والسرور إلى دار التعب والكد والنكد وذلك بما وسوس لهما وزينه في صدورهما كما قال تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبيدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . قال يقول ما نهاكما عن أكل هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين أي ولو أكلتما منها لصرتما كذلك وقاسمهما أي حلف لهما على ذلك إني لكما لمن الناصحين كما قال في الآية الأخرى فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى أي هل أدلك على الشجرة التي إذا أكلت منها حصل لك الخلد فيما أنت فيه من النعيم واستمرت في ملك لا يبيد ولا يتقضي وهذا من التغرير والتزوير والإخبار بخلاف الواقع . والمقصود أن قوله شجرة الخلد التي إذا أكلت منها خلدت وقد تكون هي الشجرة التي قال الإمام أحمد عن أبي

الضحاك سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها شجرة الخلد ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن شعبة أيضا به قال غندر قلت لشعبة هي شجرة الخلد قال ليس فيها هي تفرد به الإمام أحمد وقوله فدلهاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة كما قال في طه أكلا منها فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة

البادئ بالاكل من الشجرة

كانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم وهي التي حدثه على أكلها والله أعلم وعليه يحمل الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه لولا بنوا إسرائيل لم يخنز اللحم ولولا حواء لم تكن أنثى زوجها وفي كتاب التوراة التي بين أيدي أهل الكتاب أن الذي دل حواء على الأكل من الشجرة هي الحية وكانت من أحسن الأشكال وأعظمها فأكلت حواء عن قولها وأطعمت آدم عليه السلام وليس فيها ذكر لابلis فعند ذلك انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فوصلا من ورق التين وعملا ميازر وفيها أنهما كانا عريانين وكذا قال وهب بن منبه كان لباسهما نورا على فرجه وفرجها وهذا الذي في هذه التوراة التي بأيديهم غلط منهم وتحريف وخطأ في التعريب فإن نقل الكلام من لغة إلى لغة لا يكاد يتيسر لكل أحد ولا سيما ممن لا يعرف كلام العرب جيدا ولا يحيط علما بفهم كتابهم أيضا فلماذا وقع في تعريبهم لها خطأ كثير لفظا ومعنى وقد دل القرآن العظيم على أنه كان عليهما لباس في قوله ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما فهذا لا يرد لغيره من الكلام والله تعالى أعلم

الاختلاف في الجنة التي أهبط منها آدم

اختلف العلماء في أن الجنة التي دخلها آدم هل هي في السماء أو في الأرض والجمهور على أنها هي التي في السماء وهي جنة المأوى لظاهر الآيات والأحاديث كقوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة والألف واللام ليست للعموم ولا للمعهود لفظي وإنما تعود على معهود ذهني وهو المستقر شرعا من جنة المأوى وكقول موسى عليه السلام لآدم عليه السلام علام أخرجتنا ونفسك من الجنة وروى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حين تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة

أيكم وذكر الحديث بطوله وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة في الدلالة على أنها جنة المأوى وليست تخلو عن نظر وقال آخرون بل الجنة التي أسكنها آدم لم تكن جنة الخلد لأنه كلف فيها أن لا يأكل من تلك الشجرة ولأنه نام فيها وأخرج منها ودخل عليه إبليس فيها وهذا مما ينافي أن تكون جنة المأوى وهذا القول محكي عن أبي بن كعب وعبد الله بن عباس ووهب بن منبه وسفيان بن عيينة واختاره ابن قتيبة في المعارف والقاضي منذر بن سعيد البلوطي في تفسيره وأفرد له مصنفنا على حدة وحكاه عن أبي حنيفة الإمام وأصحابه رحمهم الله ونقله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي ابن خطيب الري في تفسيره عن أبي القاسم البلخي وأبي مسلم الأصبهاني ونقله القرطبي في تفسيره عن المعتزلة والقدرية وهذا القول هو نص التوراة التي بأيدي أهل الكتاب ومن حكى الخلاف في هذه المسألة أبو محمد بن حزم في الملل والنحل وأبو محمد بن عطية في تفسيره وأبو عيسى الرمانى في تفسيره وحكى عن الجمهور الأول وأبو القاسم الراغب قال القاضي الماوردي في تفسيره واختلف في الجنة التي أسكنها يعني آدم وحواء على قولين أحدهما أنها جنة الخلد الثاني أنها جنة أعداها الله لهما وجعلها دار ابتلاء وليست جنة الخلد التي جعلها دار جزاء ومن قالوا بهذا اختلفوا على قولين أحدهما أنها في السماء لأنه أهبطهما منها وهذا قول الحسن والثاني أنها في الأرض لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهاها عنها دون غيرها من الثمار وهكذا قول ابن يحيى وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم والله أعلم بالصواب. هذا كلام الماوردي وقد تضمن حكاية أقوال ثلاثة وأشعر كلامه أنه متوقف في المسألة ولقد حكى أبو عبد الله الرازي في تفسيره في هذه المسألة أربعة أقوال هذه الثلاثة التي أوردتها الماوردي ورابعها الوقف وحكى القول بأنها في السماء وليست جنة المأوى عن أبي علي الجبائي .

تكرير الإهباط

تكريره الإهباط في سورة البقرة في قوله وقلنا اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . قال فيه بعض المفسرين: المراد بالإهباط الأول الهبوط من الجنة إلى السماء الدنيا والثاني من السماء الدنيا إلى الأرض وهذا ضعيف لقوله في الأول قلنا

اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين فدل على أنهم أهبطوا إلى الأرض بالإهباط الأول والله أعلم والصحيح أنه كرره لفظا وإن كان واحدا وناطع كل مرة حكما فناط بالاول عداوتهم فيما بينهم وبالثاني الاشتراط عليهم أن من تبع هداه الذي ينزله عليهم بعد ذلك هو السعيد ومن خالفه فهو الشقي وهذا الأسلوب في الكلام له نظائر في القرآن الكريم وروى الحافظ بن عساكر عن مجاهد قال أمر الله ملكين أن يخرجوا آدم وحواء من جواره فنزع جبريل التاج عن رأسه وحل ميكائيل الاكليل عن جبينه وتعلق به غصن فظن آدم أنه قد عوجل بالعقوبة فنكس رأسه يقول العفو العفو فقال الله فرارا مني قال بل حياء منك يا سيدي .

مُدّد آدم

قال الامام الأوزاعي عن ابن عطية مكث آدم في الجنة مائة عام وفي رواية ستين عاما وبكى على الجنة سبعين عاما وعلى خطيئته سبعين عاما وعلى ولده هابيل حين قتل أربعين عاما رواه ابن عساكر وقال الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال ما أسكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفي الصحيح من وجه آخر وفيه تقوم الساعة وقال أحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة على شرط مسلم

أين اهبط آدم وحواء ومن معهما

قال ابن أبي حاتم قال ابن عباس أهبط آدم عليه السلام إلى أرض يقال له دحنا بين مكة والطائف وعن الحسن قال اهبط آدم بالهند وحواء بجدة وإبليس بدستميسان من البصرة على أميال وأهبطت الحية بأصبهان رواه ابن أبي حاتم أيضا وقال السدي نزل آدم بالهند ونزل معه بالحجر الأسود وبقبضة من ورق الجنة فبثه في الهند فنبتت شجرة الطيب هناك وعن ابن عمر قال اهبط آدم بالصفاء وحواء بالمروة رواه ابن أبي حاتم أيضا (فائدة) قال المفسرون في قوله تعالى : اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين وهذا خطاب لآدم وحواء وإبليس قيل والحية معهم أمروا أن يهبطوا من الجنة في حال كونهم متعادين متحاربين وقد يستشهد لذكر الحية معهما بما ثبت في الحديث

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أمر بقتل الحيات وقال ما سألناهن منذ حاربناهن وقوله في سورة طه قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو وهو أمر لآدم وإبليس واستتبع آدم حواء وإبليس الحية وقيل هو أمر لهم بصيغة التثنية كما في قوله تعالى وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين والصحيح أن هذا لما كان الحاكم لا يحكم إلا بين اثنين مدع ومدعى عليه قال وكنا لحكمهم شاهدين .

تعليم آدم الصنائع

قال عبد الرزاق عن أبي موسى الأشعري قال إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض علمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير (فائدة) الحديث الذي رواه ابن عساکر عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هبط آدم وحواء عريانين جميعا عليهما ورق الجنة فأصابه الحر حتى قعد يبكي ويقول لها يا حواء قد أذاني الحر قال فجاءه جبريل بقطن وأمرها أن تغزل وعلمها وأمر آدم بالحياكة وعلمه أن ينسج وقال كان آدم لم يجامع امرأته في الجنة حتى هبط منها للخطيئة التي أصابتهما بأكلهما من الشجرة قال وكان كل واحد منهما ينام على حدة ينام أحدهما في البطحاء والآخر من ناحية أخرى حتى أتاه جبريل فأمره أن يأتي أهله قال وعلمه كيف يأتيها فلما أتاها جاءه جبريل فقال كيف وجدت امرأتك قال صالحة فإنه حديث غريب ورفعه منكر جدا وقد يكون من كلام بعض السلف .

خلقة آدم

قال ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم رجلا طولا لا كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر إلى عورته جعل يشتد في الجنة فأخذت شعره شجرة فنارزعها فناداه الرحمن عز وجل يا آدم مني نفر فلما سمع كلام الرحمن قال يا رب لا ولكن استحياء (فائدة) روى الحافظ بن عساکر عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أباكم آدم كان كالنخلة السحوق ستين ذراعا كثير الشعر مواري العورة فلما أصاب الخطيئة في الجنة بدت له سوءاته فخرج من الجنة فلقيته شجرة فأخذت بناصيته فناداه ربه أفرارا مني يا آدم قال بل حياء منك والله يا رب مما جئت به .

توبة آدم وحواء

قال الله تعالى (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قال ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وهذا فيه اعتراف ورجوع إلى الإنابة وتذلل وخضوع واستكانة واقتدار إليه سبحانه في الساعة الراهنة وهذا السر ما سرى في أحد من ذريته الا كانت عاقبته إلى خير في دنياه وأخراه (فائدة) قوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم قيل هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين روى هذا عن جمع كثير وقال ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آدم عليه السلام أرايت يا رب إن تبت ورجعت أعائدي إلى الجنة قال نعم فذلك قوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهذا غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الكلمات اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الراحمين اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فتاب علي إنك أنت التواب الرحيم وروى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه قال قال آدم يا رب ألم تخلقني بيدك قيل له بلى ونفخت في من روحك قيل له بلى وعطست فقلت يرحمك الله وسبقت رحمتك غضبك قيل له بلى وكنت علي أن أعمل هذا قيل له بلى قال أفرأيت إن تبت هل أنت راجعي إلى الجنة قال نعم ثم روى الحاكم أيضا والبيهقي وابن عساكر عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد أن غفرت لي فقال الله فكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه بعد فقال يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك وهذه الآية كقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى .

وفاة آدم

لما توفي آدم عليه السلام وكان ذلك يوم الجمعة جاءت الملائكة بجنوط وكفن من عند الله عز وجل من الجنة وعزوا فيه ابنه ووصيه شيئا عليه السلام قال ابن إسحاق وكسفت الشمس والقمر سبعة أيام بلياليهن وقال عبد الله بن الإمام أحمد عن ابن ضمرة السعدي قال رأيت شيئا بالمدينة تكلم فسألت عنه فقالوا هذا أبي بن كعب فقال إن آدم لما حضره الموت قال لبنيه أي بني إني أشتهي من ثمار الجنة قال فذهبوا يطلبون له فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه ومعهم الفوس والمساحي والمكاتل فقالوا لهم يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون أو ما تريدون وأين تطلبون قالوا أبونا مريض واشتهي من ثمار الجنة فقالوا لهم ارجعوا فقد قضى أبوكم فجاءوا فلما رأتهم حواء عرفتهم فلاذت بآدم فقال إليك عني فإني إنما أتيت من قبلك فخلني بيني وبين ملائكة ربي عز وجل فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه وحفروا له ولحدوه وصلوا عليه ثم أدخلوه قبره فوضعه في قبره ثم حثوا عليه التراب ثم قالوا يا بني آدم هذه سنتكم. أقول هذه الرواية تخالف نص القرآن حيث أن القرآن ذكر أن قابيل لما قتل أخاه هابيل لم يدر ما يفعل به حتى بعث الله غرابا يبحث في الأرض قال الله تعالى (ليريه كيف يواري سواء أخيه) وتحرر المسألة (قلت) ولعل واقعة قابيل كانت قبل وفاة آدم.

موضع دفن آدم وحواء وعمرهما

اختلفوا في موضع دفن آدم فالمشهور أنه دفن عند الجبل الذي أهبط منه في الهند وقيل بجبل أبي قبيس بمكة ويقال إن نوحا عليه السلام لما كان زمن الطوفان حمله هو وحواء في تابوت فدفنهما بيت المقدس حكى ذلك ابن جرير وروى ابن عساكر عن بعضهم أنه قال رأسه عند مسجد إبراهيم ورجلاه عند صخرة بيت المقدس وقد ماتت حواء بعده بسنة واحدة واختلف في مقدار عمره عليه السلام فقد منا في الحديث عن ابن عباس وأبي هريرة مرفوعا أن عمره أكتب في اللوح المحفوظ ألف سنة وهذا لا يعارضه ما في التوراة من أنه عاش تسعمائة وثلاثين سنة لأن قولهم هذا مطعون فيه مردود إذ خالف الحق الذي بأيدينا مما هو المحفوظ عن المعصوم وأيضا فإن قولهم هذا يمكن الجمع بينه وبين ما في الحديث فإن ما في التوراة إن كان محفوظا محمول على مدة مقامه في الأرض بعد الإهباط وذلك تسعمائة وثلاثون سنة شمسية وهي بالقمريّة تسعمائة وسبع وخمسون سنة ويضاف إلى ذلك ثلاث وأربعون سنة مدة

مقامه في الجنة قبل الاهباط على ما ذكره ابن جرير وغيره فيكون الجميع الف سنة وقال عطاء الخراساني لما مات آدم بكت الخلائق عليه سبعة أيام رواه ابن عساكر قال محمد بن إسحاق ولما حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعلمه عبادات تلك الساعات وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك .

أبناء آدم

ولدت حواء لآدم أربعين ولداً من ذكر وأنثى في عشرين بطناً قالوا : وكانت لا تلد إلا توأمين ذكراً وأنثى . وأول الأولاد (قابيل وتوأمته قليما) ويقال قيثما وآخرهم (عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث) وعد منهم ابن اسحاق (قين وتوأمته) ثم (هابيل وليوذا) ثم (آشوث وتوأمها) ثم (شيث وتوأمته) ثم (حزورة وتوأمها) ثم (إياذ وتوأمته) ثم (بالغ .) ويقال باتح و (توأمته) ثم (أثاثي وتوأمته) ثم (توبة وتوأمته) ثم (بنان وتوأمته) ثم (شبوبة وتوأمته) ثم (حيان وتوأمته) ثم (ضرايبس وتوأمته) ثم (هدز وتوأمته) ثم (نجود وتوأمته) ثم (سندل وتوأمته) ثم (بارق وتوأمته) (قال) وكان الرجل منهم ينكح أي اخواته شاء إلا التي ولدت معه فإنها لا تحل له . (قلت) وينبغي أن يتحقق من هذا القول (قال) وقد روي عن ابن عباس : أن أول ولد ولدت له حواء سمته عبد الرحمن ثم سميت الثاني صالحاً ثم الثالث عبد الحارث . قال أبو جعفر الطبري : ولد لآدم بعد قتل هابيل بخمس سنين نبي الله شيث .

التحقق من جيومرت

زعم أكثر علماء الفرس أن جيومرت هو آدم . وزعم بعضهم أنه ابن آدم لصلبه من حواء . وقال آخرون : هو حام بن يافث بن نوح . وأكثر العلماء على أن جيومرت هو أبو الفرس من العجم وإنما اختلفوا هل هو آدم أم غيره . وقال قوم : أنه ملك وتجبر وتزوج ثلاثين امرأة وكثر نسله وتسمى بآدم وما زال ملكه وملك أولاده منتظماً بأرض المشرق إلى أن قتل يزدجرد بن شهريار أيام عثمان بن عفان وقد ذكر أبو الحسن بن البراء : أن جيومرت ملك ثلاثين سنة ثم كان من سوى الملك هوشنك من أولاد أولاده وقد ملك أربعين سنة ثم ملك طهمورث من أولاد أولاد هوشنك ودان بدین الصابئين ثلاثين سنة ثم ملك أخوه جمشيد ستمائة وست عشرة سنة ثم ملك هوار سب ألف سنة ومن قبله كان

نمرود صاحب ابراهيم ثم ملك فريدون مائتي سنة . وقسم الملك بين أولاده في حياته ثم ملك ابنه ايرج ست سنين ثم انتقل الملك إلى منوشهر ثمانين سنة إلى أن غلبه التركي اثنتي عشرة سنة ثم غلبه منوشهر فملك ثمانيا وعشرين سنة . (قال) وقد حكينا أنفاً عن أبي الحسين بن المنادي أن جيومرث وطهمورث من أولاد الجان والله أعلم .

(قال) وقد روى ابن اسحاق عن بعض أهل الكتاب : ان حواء حملت بقين بن آدم وهو الذي يقال له : قابيل في الجنة وتوأمته فلم تجد وحماً ولا وصباً وولدتها ولم تر معها دماً لطهر الجنة فلما نزلت إلى الأرض حملت بهابيل وتوأمته . وفي هذا بعد وليس مما يوثق بنقله .

سيدنا شيث بن آدم

زعم أهل التوراة أنه لم يولد معه توأم . وقال أبو صالح عن ابن عباس : ولد شيث وأخته عزورا وهو بالعربية شث وبالسريانية شاث وبالعبرانية شيث وإليه أوصى آدم وكان آدم يوم ولد له شيث ابن ثلاثين ومائة سنة (قلت) ومعنى شيث هبة الله وسمياه بذلك لأنهما رزقا بعد أن قتل هابيل قال أبو ذر في حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف أنزل منها على شيث خمسين صحيفة قال محمد بن إسحاق ولما حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعلمه عبادات تلك الساعات وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك قال ويقال إن اتساب بني آدم اليوم كلها تنتهي إلى شيث وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبادوا والله أعلم .

ذرية شيث ووصيته لأولاده

كما سبق أن معنى شيث هبة الله وسماه (آدم وحواء) بذلك لأنهما رزقا بعد أن قتل هابيل . قال أبو ذر في حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف أنزل منها على شيث خمسين صحيفة (فائدة) يقال إن اتساب بني آدم اليوم كلها تنتهي إلى شيث وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبادوا والله أعلم (قالوا) فلما مات آدم عليه السلام قام بأعباء الأمر بعده ولده شيث عليه السلام وكان نبيا بنص الحديث السابق ونص الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر مرفوعاً أنه أنزل عليه خمسون صحيفة فلما حانت وفاته أوصى إلى ابنه (أنوش) فقام

بالأمر بعده . ثم بعده قام بعد أنوش ولده (قنين) ثم قام من بعد قنين ابنه (مهلايل) وهو الذي يزعم الأعاجم من الفرس أنه ملك الأقاليم السبعة وأنه أول من قطع الأشجار وبنى المدائن والحصون الكبار وأنه هو الذي بنى مدينة بابل ومدينة السوس الأقصى وأنه قهر إبليس وجنوده وشردهم عن الأرض إلى أطرافها وشعاب جبالها وأنه قتل خلقا من مردة الجن والغيلان وكان له تاج عظيم وكان يخطب الناس ودامت دولته أربعين سنة فلما مات قام بالأمر بعده ولده (يرد) فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ولده (خنوخ) وهو إدريس عليه السلام على المشهور .

سيدنا إدريس عليه السلام

قال الله تعالى (واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا) فإدريس عليه السلام قد أثنى الله عليه ووصفه بالنبوة والصدقية وهو خنوخ وهو في عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره غير واحد من علماء النسب وكان أول بني آدم أعطى النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام (فائدة) ذكر ابن إسحاق أنه أول من خط بالقلم وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثمانين سنين وقد قال طائفة من الناس إنه المشار إليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخط بالرمل فقال إنه كان نبي يخط به فمن وافق خطه فذاك ويزعم كثير من علماء التفسير والأحكام أنه أول من تكلم في ذلك ويسمونه هرمس الهرامسة ويكذبون عليه أشياء كثيرة كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء .

رفع إدريس مكانا عليا

قوله تعالى (ورفعناه مكانا عليا) هو كما ثبت في الصحيحين في حديث الإسراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو في السماء الرابعة وقد روى ابن جرير قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر فقال له ما قول الله تعالى لإدريس ورفعناه مكانا عليا فقال كعب أما إدريس فإن الله أوحى إليه أني أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بني آدم لعله من أهل زمانه فأحب أن يزداد عملا فأتاه خليل له من الملائكة فقال له إن الله أوحى إلي كذا وكذا فكلم ملك الموت حتى ازداد عملا فحمله بين جناحيه ثم صعد به إلى السماء فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدرا فكلم ذلك الملك ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس فقال وأين إدريس قال هو ذا على ظهري فقال ملك الموت فاعجب بعثت

وقيل لي أقبض روح إدريس في السماء الرابعة فجعلت أقول كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض فقبض روحه هناك فذلك قول الله عز وجل ورفعناه مكانا عليا ورواه ابن أبي حاتم عند تفسيرها وعنده فقال لذلك الملك سل لي ملك الموت كم بقي من عمري فسأله وهو معه كم بقي من عمره فقال لا أدري حتى أنظر فنظر فقال إنك لتسألني عن رجل ما بقي من عمره الا طرفة عين فنظر الملك إلى تحت جناحه إلى إدريس فإذا هو قد قبض وهو لا يشعر (قال) وهذا من الإسرائيليات وفي بعضه نكارة وقول ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ورفعناه مكانا عليا قال إدريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى .

أقول إن أراد أنه لم يمت إلى الآن ففي هذا نظر وإن أراد أنه رفع حيا إلى السماء ثم قبض هناك فلا ينافي ما تقدم عن كعب الأخبار والله أعلم وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ورفعناه مكانا عليا رفع إلى السماء السادسة فمات بها وهكذا قال الضحاك والحديث المتفق عليه من أنه في السماء الرابعة أصبح وهو قول مجاهد وغير واحد وقال الحسن البصري ورفعناه مكانا عليا قال إلى الجنة وقال قائلون رفع في حياة أبيه يرد بن مهلايل والله أعلم .

(قلت) وحكاية الحياة المستمرة هذه تعددت في أشخاص كثيرين قديما وحديثا مثل إدريس وإلياس والخضر وعيسى والمهدي وحتى عندنا يقول البعض أن سي عبد الرحمن بن الطاهر الجلفاوي حي وفي كل ذلك لا يسعنا إلا قول : الله أعلم .

عصر إدريس وأولاده

زعم بعضهم أن إدريس لم يكن قبل نوح بل في زمان بني إسرائيل قال البخاري ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس واستأنسوا في ذلك بما جاء في حديث الزهري عن أنس في الإسراء أنه لما مر به عليه السلام قال له مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ولم يقل كما قال آدم وإبراهيم مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قالوا فلو كان في عمود نسبه لقال له كما قال له وهذا لا يدل لأنه قد لا يكون الراوي حفظه جيدا أولعله قاله له على سبيل الهضم والتواضع ولم ينتصب له في مقام الأبوة كما انتصب لآدم أبي البشر وإبراهيم الذي هو خليل الرحمن وأكبر أولي العزم بعد محمد صلوات الله عليهم

أجمعين (قال المفسر) ولإدريس أولاد منهم (متوشلخ) ومتوشخ بن إدريس هذا خلف أولاداً منهم
(لامك) ولامك بن متوشلخ هذا خلف أولاداً منهم (نوح) و(صائب) كما سيأتي .

الفصل الثالث

في

ذكر عصر نوح وذريته

سيدنا نوح عليه السلام

هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو إدريس بن يرد بن مهلايل بن قين بن أنوش بن شيث بن آدم
أبي البشر عليه السلام وهذا على القول الأول الوارد في نسب إدريس . وكان مولده بعد وفاة آدم بمائة
سنة وست وعشرين سنة فيما ذكره ابن جرير وغيره وعلى تاريخ أهل الكتاب المتقدم يكون بين مولد
نوح وموت آدم مائة وست وأربعون سنة وكان بينهما عشرة قرون كما قال الحافظ أبو حاتم بن حبان في
صحيحه عن زيد بن سلام سمعت أبا سلام سمعت أبا أمامة أن رجلاً قال يا رسول الله أنبي كان آدم
قال نعم مكلم قال فكم كان بينه وبين نوح قال عشرة قرون قلت وهذا على شرط مسلم ولم يخرجه وفي
صحيح البخاري عن ابن عباس قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام فإن كان المراد
بالقرن مائة سنة كما هو المتبادر عند كثير من الناس فبينهما ألف سنة لا محالة لكن لا ينفي أن يكون
أكثر باعتبار ما قيد به ابن عباس بالإسلام إذ قد يكون بينهما قرون آخر متأخرة لم يكونوا على الإسلام
لكن حديث أبي أمامة يدل على الحصر في عشرة قرون وزادنا ابن عباس أنهم كلهم كانوا على الإسلام
وهذا يرد قول من زعم من أهل التواريخ وغيرهم من أهل الكتاب أن قابيل وبنيه عبدوا النار والله
أعلم . وإن كان المراد بالقرن الجيل من الناس كما في قوله تعالى وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وقوله
ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين وقال تعالى وقرونا بين ذلك كثيراً وقال وكم أهلكنا قبلهم من قرن
وكقوله عليه السلام خير القرون قرني الحديث فقد كان الجيل قبل نوح يعمررون الدهور الطويلة فعلى
هذا يكون بين آدم ونوح ألف من السنين والله أعلم وبالجملة فنوح عليه السلام إنما بعثه الله تعالى لما

عُبدت الأصنام والطواغيت وشرع الناس في الضلالة والكفر فبعثه الله رحمة للعباد فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض كما يقول له أهل الموقف يوم القيامة وكان قومه يقال لهم بنو راسب فيما ذكره ابن جبير وغيره واختلفوا في مقدار سنه يوم بعث ف قيل كان ابن خمسين سنة وقيل ابن ثلاثمائة وخمسين سنة وقيل ابن أربعمائة وثمانين سنة حكاه ابن جرير وعزا الثالثة منها إلى ابن عباس .

مدة بقاء نوح ودعوته

قد تطاول الزمان والمجادلة بين نوح وبين قومه كما قال تعالى فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون أي ومع هذه المدة الطويلة فما آمن به إلا القليل منهم وكان كلما انقرض جيل وصوا من بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربه ومخالفته وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه وصاه فيما بينه وبينه أن لا يؤمن بنوح أبدا ما عاش ودائما ما بقي وكانت سجاياهم تأبى الإيمان واتباع الحق ولهذا قال ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ولهذا قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين أي إنما يقدر على ذلك الله عز وجل فإنه الذي لا يعجزه شيء ولا يكثره أمر بل هو الذي يقول للشيء كن فيكون ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون أي من يرد الله فتنه فلو يملك أحد هدايته اذ هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الفعال لما يريد وهو العزيز الحكيم العليم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الغواية وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن تسليية له عما كان منهم إليه فلا تبتسب بما كانوا يفعلون وهذه تعزية لنوح عليه السلام في قومه أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن أي لا يسوأنك ما جرى فإن النصر قريب والنبأ عجيب .

عادات قوم نوح

قد كانت عادات قوم نوح الكفر الغليظ والعناد البالغ في الدنيا وهكذا في الآخرة فإنهم يحددون أيضا أن يكون جاءهم رسول كما قال البخاري عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء نوح عليه السلام وأمه فيقول الله عز وجل هل بلغت فيقول نعم أي رب فيقول لأمته هل بلغكم فيقولون لا ما جاءنا من نبي فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمه فتشهد أنه قد بلغ وهو قوله

وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا والوسط العدل فهذه الأمة تشهد على شهادة نبيها الصادق المصدوق بأن الله قد بعث نوحا بالحق وأنزل عليه الحق وأمره به وأنه بلغه إلى أمته على أكمل الوجوه وأتمها ولم يدع شيئا مما ينفعهم في دينهم إلا وقد أمرهم به ولا شيئا مما قد يضرهم إلا وقد نهاهم عنه وحذرهم منه .

الأمر بصنع السفينة

بعد إباء قومه من الإيمان قال الله له : (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون) وذلك أن نوحا عليه السلام لما يئس من صلاحهم وفلاحهم ورأى أنهم لا خير فيهم وتوصلوا إلى أذيته ومخالفته وتكذيبه بكل طريق من فعال ومقال دعا عليهم دعوة غضب قلبى الله دعوته وأجاب طلبته قال الله تعالى ولقد نادانا نوح فلنعم الجيبون ونجيناها وأهله من الكرب العظيم وقال تعالى ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناها وأهله من الكرب العظيم وقال تعالى قال رب إن قومى كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين وقال تعالى فدعا ربه أني مغلوب فانتصر وقال تعالى قال رب انصرني بما كذبون وقال تعالى مما خطيأتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا . فاجتمع عليهم خطاياهم من كفرهم وفجورهم ودعوة نبيهم عليهم فعند ذلك أمره الله تعالى أن يصنع الفلك وهي السفينة العظيمة التي لم يكن لها نظير قبلها ولا يكون بعدها مثلها وقدم الله تعالى إليه أنه إذا جاء أمره وحل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم الجرمين أنه لا يعاوده فيهم ولا يراجعه فإنه لعله قد تدركه رقة على قومه عند معاينة العذاب النازل بهم فإنه ليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه أي يستهزئون به استبعادا لوقوع ما توعدهم به قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون أي نحن الذين نسخر منكم وتتعجب منكم في استمراركم على كفركم وعنادكم الذي يقتضي وقوع العذاب بكم وحلوله عليكم فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم .

صنع السفينة

قال بعض علماء السلف لما استجاب الله له . أمره أن يغرس شجرا ليعمل منه السفينة فغرسه وانتظره مائة سنة ثم نجره في مائة أخرى وقيل في أربعين سنة فالتفت إليه قال محمد بن إسحق عن الثوري وكان من خشب الساج وقيل من الصنوبر وهو نص التوراة قال الثوري وأمره أن يجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وأن يطلّى ظاهرها وباطنها بالقار وأن يجعل لها جَوْجُؤًا أزور يشق الماء وقال قتادة كان طولها ثلثمائة ذراع في عرض خمسين ذراعا وهذا الذي في التوراة على ما رأيته وقال الحسن البصري ستمائة في عرض ثلثمائة وعن ابن عباس ألف ومائتا ذراع في عرض ستمائة ذراع وقيل كان طولها ألفي ذراع وعرضها مائة ذراع قالوا كلهم وكان ارتفاعها ثلاثين ذراعا وكانت ثلاث طبقات كل واحدة عشر أذرع فالسفلى للدواب والوحوش . والوسطى للناس والعليا للطيور والأخير كذلك . وكان بابها في عرضها ولها غطاء من فوقها مطبق عليها قال الله تعالى قال رب انصرني بما كذبون فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا أي بأمرنا لك وعرأى منا لصنعتك لها ومشاهدتنا لذلك لنرشدك إلى الصواب في صنعها فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون . فتقدم إليه بأمره العظيم العاللي أنه إذا جاء أمره وحل بأسه أن يحمل في هذه السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات وسائر ما فيه روح ومن المأكولات وغيرها لبقاء نسلها وأن يحمل معه أهله أي أهل بيته إلا من سبق عليه القول منهم أي إلا من كان كافرا فإنه قد نفذت فيه الدعوة التي لا ترد ووجب عليه حلول البأس الذي لا يرد وأمر أنه لا يراجعهم إذا حل بهم ما يعاينه من العذاب العظيم الذي قد حتمه عليهم الفعال لما يريد كما قدمنا بيانه قبل .

المراد بالتنور

المراد بالتنور عند الجمهور وجه الأرض أي نبتت الأرض من سائر أرجائها حتى نبتت التناير التي هي محال النار وعن ابن عباس التنور عين في الهند وعن الشعبي بالكوفة وعن قتادة بالجزيرة وقال علي بن أبي طالب المراد بالتنور فلق الصبح وتنوير الفجر أي إشراقه وضياؤه أي عند ذلك فاحمل فيها من كل زوجين اثنين وهذا قول غريب . وقوله تعالى حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل

زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل . هذا أمر بأن عند حلول النعمة بهم أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين وفي كتاب أهل الكتاب أنه أمر أن يحمل من كل ما يؤكل سبعة أزواج وما لا يؤكل زوجين ذكرًا وأنثى وهذا الذي قالوه مغاير لمفهوم قوله تعالى في كتابه الحق إثنين . إن جعلنا ذلك مفعولا به وأما إن جعلناه تأكيداً للزوجين والمفعول به محذوف فلا ينافي والله أعلم (فائدة) سئل شيخ مشايخنا سيدي عطية مسعودي عن التور الوارد في الآية فأجاب بما نصه : التور عند ابن عباس رضي الله عنهما وغيره هو الذي يوقد فيه وروى أنه كان تور ادم عليه السلام وهو على هذا محمول مع نوح وقيل التور وجه الأرض . مراجع إسعاف الأفهام .

عدد المحمولين في السفينة

ذكر بعضهم ويروى عن ابن عباس أن أول ما دخل من الطيور الدرة وآخر ما دخل من الحيوانات الحمار ودخل إبليس متعلقاً بذنب الحمار وقال ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال أصحابه وكيف نطمئن أو كيف نطمئن المواشي ومعنا الأسد فسلط الله عليه الحمى فكانت أول حمى نزلت في الأرض ثم شكوا الفأرة فقالوا الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا فأوحى الله إلى الأسد فغطس فخرجت الهرة منه فتخبأت الفأرة منها هذا مرسل . وقوله وأهلك إلا من سبق عليه القول أي من استجيبت فيهم الدعوة النافذة ممن كفر فكان منهم ابنه (يأم) الذي غرق كما سيأتي بيانه . وقوله : ومن آمن أي واحمل فيها من آمن بك من أمتك قال الله تعالى وما آمن معه إلا قليل هذا مع طول المدة والمقام بين أظهرهم ودعوتهم الأكيدة ليلاً ونهاراً بضروب المقال وفنون التلطفات والتهديد والوعيد تارة والترغيب والوعد تارة أخرى .

عدة الذين كانوا في السفينة

اختلف العلماء في عدة من كان معه في السفينة فعن ابن عباس كانوا ثمانين نفساً معهم نساءؤهم وعن كعب الأحبار كانوا اثنين وسبعين نفساً وقيل كانوا عشرة وقيل إنما كانوا نوحاً وبنيه الثلاثة وكنائنه الأربع بامرأة ابنه يام الذي انخزل وانعزل وسلل عن طريق النجاة فما عدل إذ عدل وهذا القول فيه

² الآية هي قوله سبحانه وتعالى ﴿ حتى إذا جاء امرنا وفار التور ﴾

مخالفة لظاهر الآية بل هي نص في أنه قد ركب معه غير أهله طائفة ممن آمن به كما قال ونجني ومن معي من المؤمنين وقيل كانوا سبعة وأما امرأة نوح وهي أم أولاده كلهم وهم (حام وسام ويافث وياهم وعابر) قيل إنها غرقت مع من غرق وكانت ممن سبق عليه القول لكفرها وعند أهل الكتاب أنها كانت في السفينة فيحتمل أنها كفرت بعد ذلك أو أنها انظرت ليوم القيامة والظاهر الأول لقوله لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . أقول وابنه (يام) بالياء يسميه أهل الكتاب كنعان وهو الذي قد غرق في الطوفان . وابنته عابر قد ماتت قبل الطوفان .

ثم قال الله تعالى فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين . أمره أن يحمد ربه على ما سخر له من هذه السفينة فنجاه بها وفتح بينه وبين قومه واقر عينه ممن خالفه وكذبه كما قال تعالى الذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون .

(فائدة) هكذا يؤمر بالدعاء في ابتداء الأمور أن يكون على الخير والبركة وأن تكون عاقبتها محمودة كما قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم حين هاجر وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا .

(قال) وقد امثل نوح عليه السلام هذه الوصية وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم أي على اسم الله ابتداء سيرها وانتهاءه إن ربي لغفور رحيم أي وذو عقاب اليم مع كونه غفورا رحيم لا يرد بأسه عن القوم المجرمين كما أحل بأهل الأرض الذين كفروا به وعبدوا غيره قال الله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال وذلك أن الله تعالى أرسل من السماء مطرا لم تعهده الأرض قبله ولا تمطره بعده كان كأفواه القرب وأمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها وسائر أرجائها كما قال تعالى فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر والدر السائر تجري بأعيننا أي بحفظنا وكلائنا وحراستنا ومشاهدتنا لها جزاء لمن كان كفرا وقد ذكر ابن جرير وغيره أن الطوفان كان في ثالث عشر

شهرآب في حساب القبط . وقال تعالى إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية أي السفينة لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية .

ماء الطوفان

قال جماعة من المفسرين ارتفع الماء على أعلى جبل بالأرض خمسة عشر ذراعاً وهو الذي عند أهل الكتاب وقيل ثمانين ذراعاً وعم جميع الأرض طولها وعرضها سهلها وحزنها وجبالها وقفارها ورمالها ولم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف ولا صغير ولا كبير قال الإمام مالك عن زيد بن أسلم كان أهل ذلك الزمان قد ملئوا السهل والجبل وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لم تكن بقعة في الأرض إلا ولها مالك وحائز رواهما ابن أبي حاتم .

(قال) وقيل يا أرض ابلي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين أي لما فرغ من أهل الأرض ولم يبق منها أحد من عبد غير الله عز وجل أمر الله الأرض أن تبلع ماءها وأمر السماء أن تفلع أي تمسك عن المطر وغيض الماء أي نقص عما كان وقضى الأمر أي وقع بهم الذي كان قد سبق في علمه وقدره من إحلاله بهم ما حل بهم وقيل بعدا للقوم الظالمين أي نودي عليهم بلسان القدرة بعدا لهم من الرحمة والمغفرة كما قال تعالى فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا أنهم كانوا قوماً عمين وقال تعالى فكذبوه فأنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلافاً وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا أنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين وقال تعالى فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقي إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك هو العزيز الرحيم وقال تعالى فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وقال تعالى ثم أغرقنا الآخرين وقال ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وقال تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً وقد استجاب الله تعالى دعوته فلم يبق منهم عين تطرف .

أم الصبي

قد روى الإمامان أبو جعفر بن جرير وأبو محمد بن أبي حاتم في تفسيريهما أن عائشة أم المؤمنين أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلو رحم الله من قوم نوح أحدا لرحم أم الصبي . وقصتها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مكث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة يعني إلا خمسين عاما وغرس مائة سنة الشجر فعظمت وزهبت كل مذهب ثم قطعها ثم جعلها سفينة وكان الناس يمشون عليه ويسخرون منه ويقولون تعمل سفينة في البر كيف تجري قال سوف تعلمون فلما فرغ ونبع الماء وصار في السكك خشيت أم الصبي عليه وكانت تحبه حبا شديدا خرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها فغرقا فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبي وهذا حديث غريب وقد روى عن كعب الأحبار ومجاهد وغير واحد شبيه لهذه القصة وأخرى بهذا الحديث أن يكونا موقوفا متلقى عن مثل كعب الأحبار والله أعلم .

هلاك كل الكفرة وخرافة عوج بن عنق

(قال) بما أن الله لم يبق من الكافرين ديارا فكيف يزعم بعض المفسرين أن عوج بن عنق ويقال ابن عناق كان موجودا من قبل نوح إلى زمان موسى ويقولون كان كافرا متمردا جبارا عنيدا ويقولون كان لغير رشدة بل ولدت أمه عنق بنت آدم من زنا وأنه كان يأخذ من طوله السمك من قرار البحار ويشويه في عين الشمس وأنه كان يقول لنوح وهو في السفينة ما هذه القصيدة التي لك ويستهزئ به ويذكرون أنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاث مائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلاثا إلى غير ذلك من الهذيان التي لولا أنها مسطرة في كثير من كتب التفسير وغيرها من التواريخ وأيام الناس لما تعرضنا لحكايتها لسقاطتها وركاكتها ثم إنها مخالفة للمعقول والمنقول . أما المعقول فكيف يسوغ فيه أن يهلك الله ولد نوح لكفره وأبوه نبي الأمة وزعيم أهل الإيمان ولا يهلك عوج بن عنق ويقال عناق وهو أظلم وأطغى على ما ذكروا وكيف لا يرحم الله منهم أحدا ولا أم الصبي ولا الصبي نفسه ويترك هذا الدعي الجبار العنيد الفاجر الشديد الكافر الشيطان المرید على ما ذكروا . وأما المنقول فقد قال الله تعالى ثم أغرقنا الآخرين وقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ثم هذا الطول الذي ذكره مخالف لما في الصحيحين

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن . فهذا نص الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى أنه لم يزل الخلق ينقص حتى الآن أي لم يزل الناس في نقصان في طولهم من آدم إلى يومهم هذا وهلم جر إلى يوم القيامة وهذا يقتضي أنه لم يوجد من ذرية آدم من كان أطول منه فكيف يترك هذا ويذهل عنه ويصار إلى أقوال الكذبة الكفرة من أهل الكتاب (قال) فما ظنك بما هم يستقلون بنقله أو يؤتمنون عليه وما أظن أن هذا الخبر عن عوج بن عناق إلا اختلافاً من بعض زنادقتهم وفجارهم الذين كانوا أعداء الأنبياء والله أعلم .

غرق ابن نوح

قال : وقوله تعالى (ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال ساوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) وهذا الابن هو (يام) بالياء أخو سام وحام ويافث وعابر وقيل اسمه كنعان وكان كافراً عمل عملاً غير صالح فخالف أباه في دينه ومذهبه فهلك مع من هلك هذا وقد نجا مع أبيه الأجانب في النسب لما كانوا موافقين في الدين والمذهب . (قال) وبعد ما سبق . ذكر الله تعالى مناشدة نوح ربه في ولده وسؤاله له عن غرقه على وجه الاستعلام والاستكشاف ووجه السؤال أنك وعدتني بنجاة أهلي معي وهو منهم وقد غرق فأجيب بأنه ليس من أهلك أي الذين وعدت بنجاتهم أي أما قلنا لك وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم فكان هذا من سبق عليه القول منهم بأنه سيغرق بكفره ولهذا ساقته الأقدار إلى أن انحاز عن حوزة أهل الإيمان فغرق مع حزبه أهل الكفر والطغيان

هبوط نوح ومن معه من السفينة

قال تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم هذا أمر لنوح عليه السلام لما نضب الماء عن وجه الأرض وأمكن السعي فيها والاستقرار عليها أن يهبط من السفينة التي كانت قد استقرت بعد سيرها العظيم على ظهر جبل الجودي وهو جبل بأرض الجزيرة مشهور .

الطوفان والعناية بالتوراة وصحتها لفظيا لا تأويلا

قال ابن خلدون : اعلم أن الفرس والهند لا يعرفون الطوفان، وبعضُ الفرس يقولون كان بابل فقط . وقالوا إن آدم هو كيومرث وهو نهاية نسبهم فيما يزعمون، وأن أفريدون الملك في آبائهم هونوح، وأنه بعث لازدهاق وهو الضحّاك فلبسه الملك وقبله كما يذكر بعد في أخبارهم . وقد ترجّح صحة هذه الأنساب من التوراة، وكذلك قصص الأنبياء الأقدمين إذ أخذت عن مسلمي يهودا، ومن نسخ صحيحة من التوراة، يغلب على الظن صحتها . وقد وقعت العناية في التوراة بنسب موسى عليه السلام وإسرائيل وشعوب الأسباط، ونسب ما بينهم وبين آدم صلوات الله عليه . والنسب والقصص أمر لا يدخله النسخ، فلم يبق إلا تحري النسخ الصحيحة والنقل المعتمد . وأما ما يقال من أن علماءهم بدّلوا مواضع من التوراة، بحسب أغراضهم في دياتهم . فقد قال ابن عباس، على ما نقل عنه البخاري في صحيحه: أن ذلك بعيد، وقال معاذ الله أن تُعتمد أمة من الأمم إلى كتابها المنزل على نبيها فتبدله أو ما في معناه، قال وإنما بدّلوه وحرفوه بالتأويل . ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ وعندهم التوراة فيها حكم الله ﴾ ولو بدّلوا من التوراة ألفاظها لم يكن عندهم التوراة التي فيها حكم الله . وما وقع في القرآن الكريم من نسبة التحريف والتبديل فيها إليهم، فإنما المعنى به التأويل، اللهم إلا أن يطرقها التبديل في الكلمات على طريق الغفلة وعدم الضبط . وتحريف من لا يحسن الكتابة بنسخها فذلك يمكن في العادة، لا سيما وملكهم قد ذهب، وجماعتهم انتشرت في الآفاق، واستوى الضابط منهم وغير الضابط، والعالم والجاهل، ولم يكن وازع يحفظ لهم ذلك لذهاب القدرة بذهاب الملك، فطرق من أجل ذلك إلى صحف التوراة في الغالب تبديل وتحريف، غير متعمد من علمائهم وأخبارهم . ويمكن مع ذلك الوقوف على الصحيح منها إذا تحرى القاصد لذلك بالبحث عنه .

ذرية نوح

كما سبق أن أشرت قال الإمام الطبري بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين إنهم (سام وحام ويافث) وقال عن عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول إن سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم . وإن حام أبو السودان . وأن يافث أبو الترك

³ راجع كتاب العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون

ويأجوج ومأجوج . ويقال انه لما ضاقت بولد نوح بلدة (سوق ثمانين) تحولوا إلى بابل فبنوها وهي بين الفرات والصرّة وكانت اثني عشر فرسخا في اثني عشر فرسخا وكان بابها موضع دوران اليوم فوق جسر الكوفة يسرة إذا عبرت فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف وهم على الإسلام .

يافث وأولاده

يقال أن يافث بن نوح تزوج إحدى بنات خنوخ أي ادريس بن قين بن آدم عليه السلام وهي التي ولدت له الأولاد الذين منهم (حي ووائل وترس وشبكة)

حام وأولاده

يقال إن حام بن نوح تزوج تحلب بنت مارب بن خنوخ أي ادريس ابن قين بن آدم وهي التي ولدت له الأولاد الثلاثة وهم (كوش وقوط وكنعان) كوش بن حام بن نوح تزوج لبنى ابنة بتاويل بن ترس بن يافث فولدت له الحبشة والسند والهند فيما يزعمون . وتزوج قوط بن حام بن نوح بخت ابنة بتاويل بن ترس بن يافث بن نوح فولدت له القبط قبط مصر فيما يزعمون . وتزوج كنعان بن حازم بن نوح هذوة ابنة بتاويل بن ترس بن يافث بن نوح فولدت له الأساود والنوبة والزنج والزغاوة وأجناس السودان كلها . وهنا نكتفي بالإشارة إلى ما سبق ونذكر الآن بعض فروع أنساب سام بن نوح وهي الموضوع الذي نحن بصدده لتقرير نسب أولاد سيدي نایل ومن جاورهم .

الفصل الرابع

في

ذكر سام وأولاده

قال أن سام بن نوح تزوج بنت بتاويل بن خنوخ بن قين بن آدم فولدت له (لاوذ) و (إرم) و (عابر) و (عليم) و (أشوذ) و (أرفخشد) . هذا ويقال إن سام بن نوح كان له جمال ورواء ومنظر وكان يصيّف بالقرية التي ابتناها نوح عليه السلام بترض بازدي وسماها ثمانين ويشتي بأرض جوخي وكان يمرّه من أرض جوخي إلى بازدي على شاطئ دجلة من الجانب الشرقي ويسمى ذلك المكان الآن (سامراه) يعني طريق .

مدينة سامراء

قال إبراهيم الجنيدي سمعتهم يقولون إن سامراء بناها سام بن نوح عليه السلام ودعا أن لا يصيب أهلها سوء فأراد السفاح أن يبنها فبنى مدينة الأنبار مجذاتها وأراد المنصور بعدما أسس بغداد بناءها وسمع في الرواية بركة هذه المدينة فابتدأ بالبناء في البردان ثم بدا له أمر وبنى بغداد وأراد الرشيد أيضا بناءها فبنى مجذاتها قصرا وهو يازاء أثر عظيم قديم كان للأكاسرة ثم بناها المعتصم ونزلها . وذكر محمد بن أحمد البشاري نكتة حسنة فيها قال لما عمرت سامراء وكملت واتسق خيرها واحتفلت سميت (سرور من رأى) ثم اختصرت فقييل (سر من رأى) فلما خربت وتشوهت خلقتها واستوحشت سميت (ساء من رأى) ثم اختصرت فقييل (سامراء) ويقال أن (سام) وُلد بعد أن مضى من عمر أبيه نوح خمسمائة سنة .

ذرية لاوذ بن سام

تزوج لاوذ بن سام بن نوح شبكة ابنة يافث بن نوح فولدت له فارس وجرجان وأجناس فارس وولد مع الفرس طسم وعمليق ولا أدري أهو لأم الفرس أم لا وهو أبو العماليق كلهم وهم أمم تفرقت في البلاد وكان أهل المشرق وأهل عمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم (قال) ومنهم كانت الجبابة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون ومنهم كانت الفراعنة بمصر وكان منهم أمة يسمون جاسم منهم بنوهف وسعد بن هزان وبنو مطر وبنو الأزرق وبيدل وراجل وغفار وأهل تيماء قال وكان بنو أميم بن لاوذ بن سام بن نوح أهل (وبار) بأرض الرمل رمل عاج وكانوا قد كثروا بها وربلوا فأصابهم من الله عز وجل نقمة من معصية أصابوها فهلكوا وبقيت منهم بقية وهم الذين يقال لهم النسناس . قال وكان طسم بن لاوذ ساكن اليمامة وما حولها وقد كثر نسله بها وربلوا إلى البحرين فكانت طسم والعماليق وأميم وجاسم قوما عربا لسانهم الذي جبلوا عليه لسان عربي وكانت فارس من أهل المشرق ببلاد فارس يتكلمون بهذا .

ذرية إرم بن سام

قال وولد إرم بن سام بن نوح (عوص بن إرم وحويل بن إرم) فولد عوص بن إرم (إرم بن عوص وعاد بن عوص وعبيل بن عوص) وولد حويل بن إرم (ثمود بن حويل وجديس بن حويل) وكانوا قوما عربا يتكلمون بهذا اللسان المضري فكانت العرب تقول لهذه الأمم (العرب العاربة

(لأنه لسانهم الذي جبلوا عليه . ويقولون لبني إسماعيل بن إبراهيم العرب المتعربة لأنهم إنما تكلموا بلسان هذه الأمم حين سكنوا بين أظهرهم . فعاد وثمود والعماليق وأميم وجاسم وجديس وطسم هم العرب فكانت عاد بهذه الرمل إلى حضرموت واليمن كله وكانت ثمود بالحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله ولحقت جديس بطسم فكانوا معهم باليمامة وما حولها إلى البحرين واسم اليمامة إذ ذاك جو وسكنت جاسم عمان فكانوا بها .

ذرية ارفخشذ بن سام

أرفخشذ بن سام بن نوح من أغلب أعقابه (الأنبياء والرسل وخيار الناس والعرب كلها) وقد ولد (أرفخشذ) بعد أن مضى من عمر أبيه سام مائة سنة وستين . وقد أنجب ارفخشذ أولادا منهم (شالخ) . (شالخ بن ارفخشذ) ولد بعد أن مضى من عمر أبيه (ارفخشذ) اربعمئة وثمان وثلاثون سنة . وأنجب (شالخ بن ارفخشذ) أولادا منهم (عابر) وقد ولد بعد أن مضى من عمر أبيه (شالخ) ثلاثون سنة وكان عمر (شالخ) كله اربعمئة سنة وثلاثا وثلاثين سنة ثم ولد لشاخ أبناء منهم (قحطان) وأخوه (فالغ) أما (قحطان) فسيأتي الكلام عليه فيما بعد . وأما (فالغ) فقد كان مولده بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة وقد بلغ فالغ مائتين وتسعا وثلاثين سنة وأنجب (فالغ) أولادا منهم (عابر) ولما كثر الناس بعد ذلك مع قرب عهدهم بالطوفان هموا ببناء مدينة تجمعهم فلايتفرقون أو صرح عال يحرزهم من الطوفان إن كان مرة أخرى فلايغرقون فأراد الله عز وجل أن يوهن أمرهم ويخلف ظنهم ويعلمهم أن الحول والقوة له فبدد شملهم وشنت جمعهم وفرق ألسنتهم وكان أبوهم (عابر) قد بلغ اربعمئة سنة وأربعا وسبعين سنة وقد أنجب (عابر) أولادا منهم (أرغو) وكان عمر أرغو مائتين وتسعا وثلاثين سنة وأنجب (أرغو) أولادا منهم (ساروغ) وأنجب (لساروغ) أولادا منهم (تاروح) وكان عمر ناحور كله مائتين وثمانيا وأربعين سنة وأنجب (تاروح) أولادا منهم (تارخ) وكان هذا الاسم (تارخ) اسمه الذي سماه أبوه به فلما صار مع نمرود قيما على خزانة آلهته سماه آزر وقيل إن آزر لقب لاحد أعمامه ويقال إن اسم آزر عيب عيب به ذلك الشخص ومعناه معوج (قال) وأنجب (تارخ بن ناحور) أولادا منهم (ناحور وهاران وإبراهيم) فأما ناحور بن تارخ فقد أنجب أولادا منهم بتويل . وبتويل هذا أنجب لابان وريقا وليا وراحيل فأما ريقه فهي امرأة

إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب . وأما هاران بن تارح فقد أنجب أولاداً منهم سيدنا لوط وسارة ثم توفي في حياة أبيه تارح في الأرض التي وُكِدَ فيها وهي بابل أرض الكنعانيين ويقال أن هاران هو الذي بنى حران .

المدد والأعوام

وكان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة وتسع وسبعون سنة وكان بعض أهل الكتاب يقول كان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف ومائتان وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف وثلثمائة وسبع وثلاثين سنة .

الكتاب الثاني عشر

ويتضمن الفصول الآتية : الفصل الأول في ذكر سيدنا إبراهيم وذريته . الفصل الثاني في ذكر سيدنا إسماعيل وذريته .

✱

الفصل الأول

في

ذكر سيدنا إبراهيم وذريته

سيدنا إبراهيم الخليل

سيدنا إبراهيم بن تارح بن ناحور بن ساروخ بن راعو بن عابر بن فالغ بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام واسم أم إبراهيم (أميلة) وقد وردت عنها حكاية طويلة وقال الكلبي اسمها (بونا) بنت كربنا بن كرتي من بني أرفخشذ بن سام بن نوح . وروى ابن عساكر من غير وجه عن عكرمة أنه قال كان إبراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان قالوا ولما كان عمر أبيه (تارخ) خمسا وسبعين سنة ولد له (ناحور) و (إبراهيم) و (هاران) وولد لـ (هاران) نبي الله (لوط) وعندهم أن إبراهيم عليه السلام هو الأوسط وأن هاران مات في حياة أبيه في أرضه التي ولد فيها وهي أرض الكلدانيين يعنون أرض بابل وولد إبراهيم بغوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل يقال له قاسيون

والصحيح أنه ولد ببابل وإنما نسب إليه هذا المقام لأنه صلى فيه إذ جاء معينا للوط عليه السلام قالوا وتزوج إبراهيم (سارة) وتزوج أخوه ناحور (ملكا) قالوا وكانت سارة عاقرا لا تلد . قالوا وانطلق تارخ بابنه إبراهيم وامرأته سارة وحفيده لوط بن هاران فخرج بهم من أرض الكلدانيين إلى أرض الكنعانيين فنزلوا حران فمات فيها الأب تارخ وله مائتان وخمسون سنة وهذا يدل على أنه لم يولد بجران وإنما مولده بأرض الكلدانيين وهي أرض بابل وما والاها ثم ارتحلوا قاصدين أرض الكنعانيين وهي بلاد بيت المقدس فأقاموا بجران وهي أرض الكشدانيين في ذلك الزمان وكذلك أرض الجزيرة والشام أيضا وكان هذا القوم يعبدون الكواكب السبعة قال والذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هذا الدين يستقبلون القطب الشمالي ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الفعال والمقال ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل بكوكب منها ويعملون لها أعيادا وقرابين وهكذا كان أهل حران يعبدون الكواكب والأصنام وكل من كان على وجه الأرض كانوا كفارا سوى إبراهيم الخليل وامرأته وابن أخيه لوط عليهم السلام وكان الخليل عليه السلام هو الذي أزال الله به تلك الشرور وأبطل به ذلك الضلال لأن الله سبحانه وتعالى أتاه رشده في صغره وابتعثه رسولا واتخذة خليلا في كبره .

ثقب الأذنين والحفاض

ذكر الشيخ أبو محمد بن أبي زيد القيرواني رحمه الله في كتاب النوادر أن سارة لما غضبت على هاجر حلفت لتقطعن ثلاثة أعضاء منها فأمرها الخليل أن تثقب أذنيها وأن تحفضها فتبر قسمها قال السهيلي فكانت أول من اختتن من النساء وأول من تثقت أذنها منهن وأول من طولت ذيلها .
(قال) وتعد تلك الغيبة وُلد لأبراهيم من زوجته سارة بنت عمه توبيل بن تاحور (إسحاق) الذي أنجب يعقوب جد بني إسرائيل

سنن الفطرة

بمناسبة ذكر ثقب الأذنين في الباب السابق تجدر بنا هنا الإشارة إلى ذكر حكم الختان والحفاض وسنن الفطرة جمعاء فنقول جاء في فتوى فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق قوله : جاء في القرآن الكريم قول الله سبحانه وتعالى ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من

المشركين ﴿ وجاء في الحديث الشريف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الفطرة خمس أو خمس من الفطرة الختان والإستحداد وتنف الإبط وقص الشارب وتقليم الأظافر) وقد تحدث الإمام النووي الشافعي في المجموع في تفسير الفطرة بأن أصلها الخلقة قال الله تعالى ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ واختلف في تفسيرها في الحديث قال الشيرازي والماوردي وغيرهما هي الدين وقال الإمام أبو سليمان الخطابي . فسرهما أكثر العلماء في الحديث بالسنة، ثم عقب النووي بعد سرد هذه الأقوال وغيرها بقوله قلت تفسير الفطرة هنا بالسنة هو الصواب . ففي صحيح البخاري عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من السنة قص الشارب وتنف الإبط وتقليم الأظافر) وأصح ما فسر به غريب الحديث تفسيره بما جاء في رواية أخرى، لا سيما في صحيح البخاري . وقد اختلف أئمة المذاهب وفقهاؤها في حكم الختان قال ابن القيم في كتابه (تحفة المودود) اختلف الفقهاء في ذلك . فقال الشعبي وربيعة والأوزاعي ويحيى بن سعيد الأنصاري ومالك والشافعي وأحمد هو واجب وشدد فيه مالك حتى قال من لم يحتن لم تجز إمامته ولم تقبل شهادته، ونقل كثير من الفقهاء عن مالك، أنه سنة حتى قال القاضي عياض الاختان عند مالك وعامة العلماء سنة ولكن السنة عندهم يأثم تاركها، فهم يطلقونها على مرتبة بين الفرض والندب، وقال الحسن البصري وأبو حنيفة لا يجب بل هو سنة . وفي فقه الإمام أبي حنيفة إن الختان للرجال سنة، وهو من الفطرة، وللنساء مكروهة، فلو اجتمع أهل مصر (بلد) على ترك الختان قاتلهم الإمام، لأنه من شعائر الإسلام وخصائصه . والمشهور في فقه الإمام مالك في حكم الختان للرجال والنساء كحكمه في فقه الإمام أبي حنيفة . وفقه الإمام الشافعي إن الختان واجب على الرجال والنساء . وفقه الإمام أحمد بن حنبل إن الختان واجب على الرجال ومكروهة في حق النساء وليس بواجب عليهن، وفي رواية أخرى عنه أنه واجب على الرجال والنساء . كمذهب الإمام الشافعي وخلاصة هذه الأقوال إن الفقهاء اتفقوا على أن الختان في حق الرجال والحفاض في حق الإناث مشروع . ثم اختلفوا في وجوبه فقال الإمامان أبو حنيفة ومالك هو مسنون في حقهما وليس بواجب وجوب فرض ولكن يأثم بتركه تاركه، وقال الإمام الشافعي هو فرض على الذكور والإناث، وقال الإمام أحمد هو واجب في حق الرجال . وفي النساء عنه روايتان أظهرهما الوجوب . انتهى .

أولاد إبراهيم

يقال أن إبراهيم عليه السلام سأل الله ذرية طيبة وأن الله بشره بذلك وأنه لما كان لإبراهيم ببلاد بيت المقدس عشرون سنة قالت سارة لإبراهيم عليه السلام إن الرب قد أحرمني الولد فادخل على أمتي هاجر هذه لعل الله يرزقني منها ولدا فلما وهبتها له دخل بها إبراهيم عليه السلام فحين دخل بها حملت منه فلما حملت ارتفعت نفسها وتعاظمت على سيدتها فغارت منها سارة فشكت ذلك إلى إبراهيم فقال لها افعلي بها ما شئت فخافت هاجر فهربت فنزلت عند عين هناك فقال لها ملك من الملائكة لا تخافي فإن الله جاعل من هذا الغلام الذي حملت خيرا وأمرها بالرجوع وبشرها أنها ستلد ابنا وتسميه اسماعيل ويكون يده على الكل ويد الكل به ويملك جميع بلاد إخوته فشكرت الله عز وجل على ذلك ولما رجعت هاجر وضعت اسماعيل عليه السلام قالوا وولده لإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة قبل مولد إسحق بثلاث عشرة سنة ولما ولد اسماعيل أوحى الله إلى إبراهيم يبشره بإسحق من سارة فخر الله ساجدا وقال له قد استجبت لك في اسماعيل وباركت عليه وكثرته ونيته جدا كثيرا ويولد له اثنا عشر عظيما وأجعله رئيسا لشعب عظيم هذا وبما أن هاجر عليها السلام لما ولد لها اسماعيل اشتدت غيرة سارة منها وطلبت من الخليل أن يغيب وجهها عنها فذهب بها وبولدها فسار بهما حتى وضعهما حيث مكة اليوم ويقال إن ولدها كان إذ ذاك رضيعا فلما تركهما هناك وولى ظهره عنهما قامت إليه هاجر وتعلقت بثيابه وقالت يا إبراهيم أين تذهب وتدعنا هنا وليس معنا ما يكفيننا فلم يجبها فلما ألحت عليه وهو لا يجيبها قالت له الله أمرك بهذا قال نعم قالت فإذا لا يضيعنا (تعقيب) هذه الرواية الأخيرة التي فيها (الله أمرك بهذا) تفند حكاية: أن سارة هي التي أمرت إبراهيم بإبعاد (هاجر)

(قلت) أما (سارة) فقد أنجبت بعد ذلك إسحاق. وبشر الله تبارك وتعالى سيدنا إبراهيم بأن إسحاق سينجب ابنا يسمى يعقوب (قال الله تعالى) فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب (قلت) ويعقوب هو إسرائيل الذي تنتسب إليه بنو إسرائيل قاطبة (قلت) ومن باب الإفادة وعلى ذكر إسرائيل يجدر بنا إلى أن (بني إسرائيل) من ولد إسحاق بن إبراهيم ولمعرفة مسار الأجناس في

الحياة وكيف كان مصير كل ينبغي مراجع تاريخ الأمم والشعوب في غير هذا الكتاب . ونرجع الآن إلى ما نحن بصدده فأقول :

بناء البيت ومراحله

أمر الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يبني له بيتا يكون لأهل الأرض كذلك المعابد للملائكة السماء وأرشده الله إلى مكان البيت المهيأ له المعين لذلك منذ خلق السموات والأرض كما ثبت في الصحيحين أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بجرمة الله إلى يوم القيامة ولم يجيء في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام ومن تمسك في هذا بقوله مكان البيت يناهض ولا ظاهر لأن المراد مكانه المقدر في علم الله المقري قدرته المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم وقد ذكرنا أن آدم نصب عليه قبة وأن الملائكة قالوا له قد طفنا بهذا البيت وأن السفينة طافت به أربعين يوما أو نحو ذلك ولكن كل هذه الأخبار عن بني إسرائيل وقد قررنا أنها لا تصدق ولا تكذب فلا يحتج بها فأما إن ردها الحق فهي مردودة وقد قال الله إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك وهدي للعالمين أي أول بيت وضع لعموم الناس للبركة والهدى البيت الذي ببكة (وبكة قيل مكة وقيل محل الكعبة) فيه آيات بينات أي على أنه بناء الخليل والد الأنبياء من بعده وإمام الحنفاء من ولده الذين يقتدون به ويتمسكون بسنته ولهذا قال مقام إبراهيم أي الحجر الذي كان يقف عليه قائما لما ارتفع البناء عن قامته فوضع له ولده هذا الحجر المشهور ليرتفع عليه لما تعالى البناء وعظم الفناء كما تقدم في حديث ابن عباس الطويل وقد كان هذا الحجر ملصقا بجائط الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان إلى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فآخره عن البيت قليلا لئلا يشغل المصلين عنده الطائفتين بالبيت وقد كانت آثار قدمي الخليل باقية في الصخرة إلى أول الإسلام (قلت) بل هي إلى الآن (أي سنة 2007م) قال الله تعالى وإذ رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل أي في حال قولهما ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم فهما في غاية الإخلاص والطاعة لله عز وجل وهما يسألان من الله السميع العليم أن يتقبل منهما ما هما فيه من الطاعة العظيمة والسعي المشكور ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم والمقصود أن الخليل بنى أشرف المساجد في أشرف البقاع في واد غير ذي زرع ودعا لأهلها بالبركة

وأن يرزقوا من الثمرات مع قلة المياه وعدم الأشجار والزروع والثمار وأن يجعله حرماً محرماً وآمناً محتماً فاستجاب الله له مسأله ولبى دعوته وأتاه طلبته فقال تعالى أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم وقال تعالى أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجي إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا وسأل الله أن يبعث فيهم رسولا منهم أي من جنسهم وعلى لغتهم الفصيحة البليغة النصيحة لتمام عليهم النعمتان الدنيوية والدينية سعادة والاولى والاخرى وقد استجاب الله له فبعث فيهم رسولا وأي رسول ختم به أنبياء ورسله وأكمل له من الدين ما لم يؤت أحدا قبله وعم بدعوته أهل الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم في سائر الأقطار والأمصار والأعصار إلى يوم القيامة كان هذا من خصائصه من بين سائر الأنبياء لشرفه في نفسه وكمال ما أرسل به وشرف بقعته وفصاحة لغته وكمال شفقتة على أمته ولطفه ورحمته وكريم محته وعظيم مولده وطيب مصدره ومورده ولهذا استحق إبراهيم الخليل عليه السلام إذ كان باني الكعبة لأهل الأرض أن يكون منصبه ومحله وموضعه في منازل السموات ورفيع الدرجات عند البيت المعمور الذي هو كعبة اهل السماء السابعة المبارك المبرور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون إليه إلى يوم البعث والنشور

تجديد بناء البيت والمسجد الحرام

من باب الإفادة إنه لما جاء عهد قصي⁴ أمر قريشاً أن يبنوا بيوتهم داخل الحرم حول البيت وقال لهم إن فعلتم ذلك ها بتكم العرب ولم تستحل قتالكم، فبنوا حول البيت من جهاته الأربع وجعلوا أبواب بيوتهم جهة لكل بطن منهم باب ينسب الآن إليه، كباب بني شيبه، وباب بني سهم، وباب بني مخزوم، وباب بني جمع، وتركوا قدر الطواف بالبيت، فبنى قصي دار الندوة وهي أول دار بنيت بمكة (قالوا) ولخمس وثلاثين سنة من مولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قامت قريش ببناء الكعبة وذلك لأن الكعبة كانت عبارة عن حجارة مرصوفة ارتفاعها تسعة أذرع من عهد إسماعيل ولم يكن لها سقف فسرق بعض اللصوص كنزها الذي كان في جوفها وكانت مع ذلك قد تعرضت باعتبارها أثراً قديماً للعوامل الجوية التي أضعفت بنيانها وصعدت جدرانها (قالوا) وقبّل مبعثه صلى الله عليه

⁴ راجع كتاب إنسان العيون المعروف بالسيرة الحلبية

وسلم بن خمس سنين جرف مكة سيل عرم انحدر إلى البيت الحرام فأوشكت الكعبة منه على الانهيار فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصاً على مكاتها واتفقوا على أن لا يدخلوا في بنائها إلا طيباً فلا يدخلوا فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس وكانوا يهايون هدمها فابتدأ بها الوليد بن المغيرة المخزومي وتبعه الناس لما رأوا أنه لم يصبه شيء ولم يزالوا في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم، ثم أرادوا الأخذ في البناء فجزأوا الكعبة وخصصوا لكل قبيلة جزءاً منها فجمعت كل قبيلة حجارة على حدة وأخذوا يبنونها وتولى البناء بناء رومي اسمه باقوم ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه واستمر النزاع أربع ليالٍ أو خمساً واشتد حتى كاد يتحول إلى حرب ضروس في أرض الحرم إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضوه وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأوه هتفوا: هذا الأمين رضينا، هذا محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر طلب رداء فوضع الحجر وسطه وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعاً بأطراف الرداء وأمرهم أن يرفعوه حتى إذا وصلوه إلى موضعه أخذه بيده فوضعه في مكانه وكان هذا حلاً حصيفاً رضى به القوم ولم تكف النفقة الطيبة التي أخرجتها قريش تكاليف البناء، فأخرجوا من الجهة الشمالية نحواً من ستة أذرع وهي التي تسمى بالحجر والحطيم ورفعوا بابها من الأرض لتلايد خلها إلا من أرادوا ولما بلغ البناء خمسة عشر ذراعاً سقّفوه على ستة أعمدة

(قالوا) وفي حادثة تجديد بناء الكعبة تجد كمال الحفظ الإلهي، وكمال التوفيق في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أنك تجد كيف أن الله أكرم رسوله بهذه القدرة الهائلة على حل المشكلات بأقرب طريق وأسهله، وذلك ما تراه في حياته كلها، وذلك معلم من معالم رسالته فرسالته إيصال للحقائق بأقرب طريق، وحل للمشكلات بأسهل أسلوب وأكمله

(قال الحلبي) ولما كان زمن ولاية عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها ثم لما كان زمن ولاية عثمان رضي الله عنه اشترى دوراً آخر وغالى في ثمنها وهدمها وزاد في سعة المسجد، ثم إن ابن الزبير رضي الله عنهما زاد في المسجد زيادة كثيرة ثم إن عبد الملك بن مروان رفع جداره وسقّفه بالساج وعمره عمارة حسنة ولم يزد فيه شيئاً ثم إن الوليد بن

عبد الملك وسع المسجد وحمل إليه أعمدة الرخام، ثم زاد فيه المهدي والد الرشيد مرتين، واستقر بناؤه على ذلك إلى الآن. (قلت) وقوله إلى الآن أي أن زمن الحلي أما بعده فقد أنجزت أعمال أخرى راجعها في تاريخ مكة (قلت) ومن ذلك قول الموسوعة: وقد شهدت مكة المكرمة توسعاً كبيراً في السنوات الأخيرة الماضية حيث تضاعفت مساحتها وسكانها ليصل إلى أكثر من مليوني نسمة وتعتبر مكة المكرمة إحدى مراكز الإشعاع العلمي الإسلامي حيث توجد فيها جامعة أم القرى التي تضم كليات متخصصة في العلوم الإسلامية. كما يوجد في مكة المكرمة مقر رابطة العالم الإسلامي ونظراً لاستقطاب العاصمة المقدسة لملايين المسلمين فقد أولت الحكومة السعودية عناية واهتماماً بالحرم المكي الشريف. ومنذ 1955م وإلى 1994م جرت وتجري عمليات توسعة عمرانية فريدة بلغت مشروعات التوسعة والتحسين ذروتها في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حيث تعتبر توسعته أكبر توسعة تمت في التاريخ بحيث ضاعفت أعداد المصلين في المسجد الحرام لتصل إلى أكثر من مليوني مصل

(فائدة) جاء في الحديث الصحيح أن آدم عليه الصلاة والسلام لما قضى مناسكة لقيته الملائكة فقالوا يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام وقال مجاهد أن الحجاج إذا قدموا مكة لحقهم الملائكة فسلموا على ركبهم الإبل وصافحوا ركبهم الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقاً وكان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشيعوا الغزاة ويستقبلوا الحجاج ويقبلوهم بين أعينهم ويسألوهم الدعاء لهم ويبادروا ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام.

(قلت) ولا زال عندنا في الجلفة وضواحيها هذه السنة الحميدة وهي استقبال وفود الحجاج وإقامة حفلات لاستقبالهم ونعتبر أيام رجوع الحجاج أيام فرحة ومودة لاتماثلها أيام أخرى ونسمي مؤدي فريضة الحج حاجاً وحاجة

(قال) وعن النبي أن الله قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فإن نقصوا كملهم الله تعالى من الملائكة وإن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة فكل من حجها يعلق بأستارها ويسعى حولها حتى تدخل الجنة فيدخل معها

(قال) وحكي أن جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبي محمد بن حمدان حجت سنة ست وثمانين وثلاثمائة فصارت تاريخاً مذكوراً قيل إنها سقت أهل الموسم كلهم السوق بالطبرزد والثلج واستصحبت البقول المزروعة في المراكب على الجمال وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونشرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح فيها وعندها إلا بشموع العنبر وأعتقت ثلاثمائة عبد ومائتي جارية وأغنت الفقراء والمجاورين .

(قال) هذا وعلى القول الآخر أن آدم عليه الصلاة والسلام لما بنى البيت وقال يا رب إن لكل عامل أجراً فما أجر عملي قال إذا طفت به غفرت لك ذنوبك قال زدني قال جعلته قبلة لك ولأولادك قال يا رب زدني قال أغفر لكل من استغفرني من الطائفين به من أهل التوحيد من أولادك قال يا رب حسبي (قال) وفي الحديث الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة وقيل للحسن ما الحج المبرور قال أن ترجع زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة قال الحسن بن علي رضي الله عنهما إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أَمْشِ إلى بيته فمَشَى من المدينة إلى مكة عشرين مرة . ومن لطيف ما أنشد عمرو بن حبان الضير حين لم يهد إليه الحجاج شيئاً .

كَانَ الْحَجَّاجُ الْآنَ لَمْ يَقْرَبُوا مِنِّي وَلَمْ يَحْمِلُوا مِنْهَا سِوَاكَ وَلَا نَعْلَا
أَتُونَا فَمَا جَادُوا بِعُودِ أَرَاكَةِ وَلَا وَضَعُوا فِي كَفِّ طِفْلِ لَنَا نَعْلَا
قلت وإلى عهد قريب كان (طلبتنا) إذا جاء الحاج من البقاع المقدمة خطبوا له خطبة الحاج المعلومة المدونة في الكتب القديمة وكان يحصر على قراءتها شيخني سي محمد جعلاب بن الغويني البريكي الجلفاوي .

صفة البيت

وأما صفة الكعبة فإنها في وسط المسجد مربع الشكل بابه مرتفع على الأرض قدر قامة عليه مصرعان ملبسان بصفائح الفضة طليت بالذهب وطول الكعبة أربع وعشرون ذراعاً وشبر وعرضها ثلاثة وعشرون ذراعاً وشبر وذراع الحجر خمسة وعشرون ذراعاً وارتفاع الكعبة سبعة وعشرون ذراعاً . والحجر من جهة الشام يصب فيه الميزاب وقد ألبيت حيطان الحجر مع

⁵ راجع آراء البلاد وأخبار العباد للقرظي

أرضه الرخام وارتفاعه حقو وحول البيت شاذروان محصص ارتفاعه ذراع في عرض مثله وقاية للبيت من السيل . والباب في وجهها الشرقي على قدر قامة من الأرض طوله ستة أذرع وعشر أصابع وعرضه ثلاثة أذرع وثمانية أصابع . والحجر الأسود على رأس صخرتين وقد نحت من الصخر مقدار ما دخل فيه الحجر والحجر الأسود حالك على الركن الشرقي عند الباب في الزاوية وهو على مقدار رأس إنسان وذكر بعض المكيين حديثاً رفعوا على مشايخهم أنهم نظروا إلى الحجر الأسود عند عمارة ابن الزبير البيت فقدروا طوله ثلاثة أذرع وهو ناصع البياض إلا وجهه الظاهر وارتفاع الحجر من الأرض ذراعان وثلاث ذراع وما بين الحجر والباب الملتز سمي بذلك لالتزامه الدعاء . كانت العرب في الجاهلية تتحالف هناك فمن دعا على ظالم هناك أو حلف اثماً عجلت عقوبته وداخل البيت في الحائط الغربي الجرعة على ستة أذرع من قاع البيت وهي سوداء مخططة ببياض طولها اثنا عشر في مثل ذلك وحولها طوق من ذهب عرضه ثلاث أصابع ذكر أن النبي عليه السلام جعلها على حاجبه الأيمن والميزاب متوسط على جدار الكعبة بارز عنه قدر أربعة أذرع وسعته وارتفاعه حيطانه كل واحد ثمانية أصابع وباطنه صفائح الذهب والبيت مستر بالديباج ظاهره وباطنه ويجدد لباسه كل سنة عند الموسم .

مناسك الحج

بمناسبة ذكر البيت يلزمني أن أدرج هنا قصيدة المناسك التي أفادني بها الأستاذ المستشار التربوي الشيخ أحمد السراج بن محمد الشعني الجزائري والتي يقول فيها لافض فوه :

قصيدة المناسك

ابتدئ القول بيسم الله	مصليا على رسول الله
وءاله وصحبه الأبرار	والتابعين لهم الأخيار
يا من يريد حج بيت الله	هالك نسكك بالتناهي
معتمدا فيها على مياره	شرح المعين مرشد الحثارة
(اركانه) أربعة لاتـ جبر	بما من الانعام ثم ينحر

اولها الاحرام والسعي يلي
ثم الوقوف برحاب عرفه
والواجبات قولة الخطاب
قسمها ثلاثة الاقسام
عشرة وبعده اربعة
تجاوز الميقات دون احرام
ترك الركوع ترك رميك الجمار
ترك المبيت ليلا كمل
ترك الافاضة او السعي الى
وترك بدتك من الاسود في
والدفع من عرفة قبل الغروب
وفصلهم بالطول من بعد الطواف
والسعي من بعد طواف لم يجب
والسعي ان فرقته بالطول
والباقي مما بالخلاف يدعى
احرم بنسكك من الميقات
حتى اذا وصلت للبيوت
وياسر البيت امامك الحجر
وبعد ان تركع سر للسعي
ويومك الثامن سر الى منى
ويومك التاسع سر لعرفه
 واجمع عشائك على حال النزول
وسر الى العقبة المعلومه

طواف فرض ليس بالمعجل
ليلة الاضحى والطواف ردفه
جيم واربعون بالحساب
حسب الاهم فافهم كلامي
متفق على دماؤها مشرعة
وترك لبك جميعا بالتمام
ولو حصة فاعرفنه باختصار
ترك الحلاق للبلاد او يطول
محرم كما مع حكم جلا
الطواف بالبيت محل فاعرف
مع وجودك بها بعد الغروب
وقبل سعيك تحذ وانحراف
الا اذا اعدته كما طلب
ولم تعد فليس بالمعقول
فاعمل بما يسر تلق نفعا
ملييا بأجمل الصفات
فالزم فراغك مع السكوت
سبعة اشواط به بلا ضجر
بدءا من الصفا بذاك الوعي
وبت بها ليلك ندبا معلنا
وبعد جزء الليل للمزدلفه
وبت هناك الى الصبح اقول
فارم باحجار بقدر الثومه

سر للافاضة مع الاياب
من الليالي كمل اللبانا
من يوم عيدك السعيد فاتبه
خذ عمرة في اشرف الديار
وسر لقبر المصطفى الاواه
ما بين قبره ومنبر الهداة
اشرفها من زمزم منيا
مصليا على نبيه الامين

واخلق ثم البس اجمل الثياب
ثم المبيت بمنى ثلاثا
وارم الجمار ثانيا وما يله
بعد فراغك من الجمار
وطف مودعا لبيت الله
وامكث هناك ما استطعت للصلاة
وعد الى اهلك بالهدايا
انهيها بحمد رب العالمين

رحلة الحج للحاج علي اخضري

في رحلة الحج الى بيت الله الحرام انشدني الحاج علي اخضري بن محمد السعيد الجزائري قصيدة
وفيها فعلا تبين سير الحج وكيفية المناسك ومنها هذه الايات :

وقفني يا خالق في مبداهها
محمد لمين نابينا طاهها
وادموعي علكم سالت مقواها
زورتو عن طول العمر ما ننساها
رفقا متحدثين صحه ونباها
سهل عنا كل بقعه زرناها
ذهاب وايا ببلده مبداهها
الوطيا واجبال يبقاوا وراها
واحببتهم بالنبي بدلناها
قوانين امنظمه طبقتها
الجزائر زايخه بان اشناها

نبدأ باسم الله في ما نتامل
صلاتي عليه سيد الرسل
قلبي شوق للنبي راه اتخالخل
ريح الحب اصعب في الكبد يشعل
اقدمنافي وفد رجالات امعدل
نادانا اذان مولانا كمل
امن الشلاله السيره لاتغفل
سيارات احمام في الشبه انمثل
خلفنا لولاد والخيلاوا ولهل
في المعرض نباو عالدوسي ان كمل
يا حجاج اتوجدو حان الاجل

الطياره في الهوى بنا تعجل
خمس اسوايع سيرها ما يتبدل
في قصر الحجاج راحه واتمهل
احمي مالك ييه ثاني وتحمل
رافق ناس الخير واصحاب الفضل
لا تصحب لردال غزلك يتخبل
شريكت مـ غريب بنا تتحمل
ثم اسوايع يا الخوبنا تغزل
في حرم الرسول اطلب واتوسل
استقبل قبرو وقللونا سايل
واعقب للصدى بوبكر البطل
والفروقي قوم عندو وابتهل
من زار البقيع مقصا دو يسهل
العباس مع الحسن بيهم فول
واحليمه من راضعت سيد الرسل
وهل احوذ سكا ان الجبل
والمساجد ليس نخصي وانمثل
مسجد قوبا موضع الايه تنزل
هو العاشر غير بسماء انقول
نختصر علفايدا للي عاقل
وادعنا الرسول بدموع ان تنهل
للمولى الكريم بك نتوسل
ولوالدين عنهم يتفضل

تسكن في جوال سما شوفت راها
مقر الوفاء ود جده بتناها
بدل صرفك كل دوله تلقاها
واتحذر من شوفت اللات رضاها
واجتنب عال رادين السفاها
واللي حاسد خلطتو لاترضاها
للمدينه قاصدين لهواها
اتسينا طيبه ايرىح من جاها
بين المنبر والقبر لاتنساها
جيتك جاني من اذنوب اندرناها
من صدق برسالـتو ووفاهها
اتفوز اجسنا ربي يرضاها
ايحصل علفايدا يستوفاهها
وازواج الرسول عتره مـ بهاها
اولاد وبنات في الرب امـها
حمزه عمو والشهاده مقواها
نختصر عال بعض نعلن بسمهاها
جبريل الامين عنوتـلاها
سول القرات يعطـوك اسمهاها
خمس وربعين صالـا جـبناها
الشفـاعا ليك ونت مولاها
يغفر للاموات جمله بسواها
واهل الوصيات ثم اذكرناها

واشياخ الطريق حازو للفضل
حال الزوره ياخاواراه اكمل
عولنا للبيت والمولى سهل
في بير اعلي كون حارم واغتسل
عمره . والافراد . بالقارن يكمل
داوم عنها ياخو بالك تغفل
ابطواف القدوم بادر بالعمل
امقام ابراهيم صل وابتهل
في حجر اسماعيل والحجر قبل
بادر با لصلاة للفرض او نفل
يوم الترويا ال عرفه عول
صبت خلق الله اتحاذي في الجبل
جبل الرحمه فيه لسلام اتكبل
اغفر بالله للامه كامل
من بعد الغروب عربانو ترحل
اجمعنا لوقات واحطوط الرحل
تسعا واربعين حجره لا اقل
ابسعا نرموه في اليوم الاول
واثنين وربعين كملهم وارحل
وارجعنا للبيت طفنا بالمحل
الصفاء المروى يمكن تستقبل
مازارات اكثر غارامع الجبل
في المعلى وتنعيم اطلب واستقبل

قراوا اليه وشرحو معناها
تجالو مفهموم عند الفقاه
واقصدنا الكعبا المشهور اسمها
واعقد ثم نيتك وين اهواها
صل ركعتين لبي وابداها
كي تنظر للبيت غير معناها
صفا والمروه اختتم بادعاها
ايميات الف اصلاات فيما سواها
اطلب الدعوات صباحا ومساها
من ما زمزم زيد شربه محلاها
ايميات منى سنه تبمعناها
كلء اخر يكي اذنويو مقواها
تطلب في الغفران يرحم مولاها
بجاه من طاف بالبيت او جاها
لمزدلفا اقصدنا مهواها
وانوجهنا للحصى لقطنهاها
محصيا باعداد نص الفقاه
يوم الاضحيا انفيدك باسمهاها
واجمع ثم احسابهم كيما راها
الافاضه ركن بيه اختمنهاها
والمناسك تاما ادينهاها
من اتعبد فيه سيد النزاها
احفظ نفسك لا تزيغش باهواها

بالحججه ربي اكرمنا واتفضل
ابطواف الوداع للركن اقبل
عولنا للوطن والتيجال اكمل
في قصر الحجاج لسلام انتهل
برنا معلوم والعنوان ايدل
تعلّى في الجواب موانع تعجل
خمس اسوايع سيرها ذاك الاجل
اوجدنا لحباب ولولاد اقبل

واجب عني نشكروكي وفاها
يغفر لي ربي اذنوب ان درناها
صبحنا المرصى . الجده . جيناها
ياسبحان اللي اخلقها وانشاها
ارفعنا الجواز واتقدا هواها
للجزائر قلصدين ال مرصاها
اقدمنّا في لمان رب نجاها
اطراشين اطراف قفزه . وانباهها

المدينة المنورة

على ذكر مكة المكرمة لا بد هنا من التعرّيج على المدينة المنورة وبیت المقدس لما لذلك من ترابط تاريخي وديني حيث المساجد الثلاثة التي لاتشد الرحال إلّا لها هي موجودة بهذه الأراضي وقد كانت تعجبني كلمة المرحوم الرئيس ياسر عرفات الفلسطيني حينما يقول في جل خطابه عن القدس (أولى القبلتين وثالث الحرمين) وعليه فالمدينة المنورة إحدى مدن المملكة العربية السعودية ولها خمسة وتسعون اسماً وذلك لتمييز مكانتها بين سائر المدن الإسلامية . تقع في الشمال الغربي من المملكة وتبعد عن البحر الأحمر 520 كلم ومساحتها خمسون كيلومتر مربع . ويزيد عدد السكان عن نصف مليون نسمة . وهي المدينة التي هاجر إليها الرسول والمسلمون من مكة فأصبحت بعد ذلك عاصمة الدولة الإسلامية حتى نقل علي بن أبي طالب العاصمة إلى الكوفة أيام خلافته واستمرت المدينة المنورة مقصد طلاب العلم ففيها التجمع الكبير لعلماء الأمة الإسلامية وفيها اليوم الجامعة الإسلامية التي أنشئت عام 1962 وفيها آلاف الطلاب ذوي الجنسيات المختلفة . ووضعت في هذا القرن خطط لتطوير المدينة المنورة على اعتبار الحرم النبوي الشريف قلب المدينة ومنطلق التخطيط التنظيمي لها ، وبدى بتوسعة الحرم نظراً لتزايد أعداد المصلين وضيق المسجد وقرر الملك فهد اجراء توسعة كبيرة للحرم المدني بما يعادل عشرة أضعاف مساحته الأولى لترتفع

طاقته الاستيعابية من 28,000 مصل إلى 255,000 مصل . وقد انتهت وأكملت التوسعة خلال عام 1994 وتحفظ المدينة المنورة بمكآة خاصة عند المسلمين لوجود قبر رسول الله فيها كما يوجد فيها مسجد قباء ومجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف . والذي يطبع سنويا ملايين النسخ لتوزيعها على المسلمين .

زيارة النبي صلى الله عليه وسلم

أجمعت الأمة الإسلامية سلفا وخلفا على مشروعية زيارة النبي صلى الله عليه وسلم . وقد ذهب جمهور العلماء من أهل الفتوى في المذهب إلى أنها سنة مستحبة ، وقالت طائفة من المحققين : هي سنة مؤكدة ، تقرب من درجة الواجبات ، وهو المفتى به عند طائفة من الحنفية . وذهب الفقيه المالكي أبو عمران موسى بن عيسى الفاسي إلى أنها واجبة ومن أدلة مشروعيتها زيارته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ فإنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره بعد موته ، كما أن الشهداء أحياء بنص القرآن . وقد صح قوله صلى الله عليه وسلم : « الأنبياء أحياء في قبورهم » ، وإنما قال هم أحياء أي لأنهم كالشهداء بل أفضل والشهداء أحياء عند ربهم ، وفائدة التقييد بالعندية الإشارة إلى أن حياتهم ليست بظاهرة عندنا وهي كحياة الملائكة وفي صحيح مسلم في حديث الإسراء « قال صلى الله عليه وسلم : مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكتيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره » وقوله صلى الله عليه وسلم : « فزوروا القبور ، فإنها تذكركم الموت » فهو دليل على مشروعيتها زيارة القبور عامة ، وزيارته صلى الله عليه وسلم أولى ما يمثل به هذا الأمر ، فتكون زيارته داخلية في هذا الأمر النبوي الكريم وقوله صلى الله عليه وسلم « من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث : « من زار قبري وجبت له شفاعتي » . فاستدل بعض الفقهاء بهذه الأدلة على وجوب زيارته صلى الله عليه وسلم لما في الأحاديث الأخرى من الحض أيضا وحملها الجمهور على الاستحباب ، ولعل ملحظهم في ذلك أن هذه الأدلة ترغب بتحصيل ثواب أو مغفرة أو فضيلة ، وذلك يحصل بوسائل آخر ، فلا تفيد هذه الأدلة الوجوب قال القاضي عياض في كتاب الشفاء : وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام سنة من سنن المسلمين مجمع عليها ، وفضيلة مرغوب فيها

ودلت الدلائل السابقة على عظمة فضل زيارة النبي صلى الله عليه وسلم وجزيل ثبوتهما فإنها من أهم المطالب العالية والقربات النافعة المقبولة عند الله تعالى ، فيها يرجو المؤمن مغفرة الله تعالى ورحمته وتوبته عليه من ذنوبه ، وبها يحصل الزائر على شفاعته خاصة من النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وما أعظمه من فوز وعلى ذلك انعقد إجماع المسلمين في كافة العصور كما صرح به عياض والنووي والسندي وابن الهمام . قال الحافظ ابن حجر إنها من أفضل الأعمال وأجل القربات الموصلة إلى ذي الجلال ، وإن مشروعيتها محل إجماع بلانزع . وقال القسطلاني : اعلم أن زيارة قبره الشريف من أعظم القربات وأرجى الطاعات ، والسبيل إلى أعلى الدرجات . ومن آداب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم :

أ - أن ينوي زيارة المسجد النبوي أيضاً لتحصيل سنة زيارة المسجد وثوابها لما في الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، ومسجد الحرام ومسجد الأقصى »

ب - الاغتسال لدخول المدينة المنورة ولبس أنظف الثياب ، واستشعار شرف المدينة لتشرقها به صلى الله عليه وسلم .

ج - المواظبة على صلاة الجماعة في المسجد النبوي مدة الإقامة في المدينة عملاً بالحديث الثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » .

د - أن يتبع زيارته صلى الله عليه وسلم بزيارة صاحبيه شيخي الصحابة رضي الله عنهما وعنهم جميعاً ، أبي بكر الصديق ، وقبره إلى اليمين قدر ذراع ، وعمر لي قبر أبي بكر إلى اليمين أيضاً .

وما يقع لكثير من الناس أمور مكروهة في زيارتهم لقبر النبي صلى الله عليه وسلم نشير إلى أهمها منها أ - التزاحم عند الزيارة وذلك أمر لا موجب له ، بل هو خلاف الأدب ، لا سيما إذا أدى إلى زحام النساء فإن الأمر شديد .

ب - رفع الأصوات بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم أو بالدعاء عند زيارته صلى الله عليه وسلم .

ج - التمسح بقبره الشريف صلى الله عليه وسلم أو بشباك حجرته أو إصااق الظهر أو البطن بجدار القبر قال ابن قدامة : ولا يستحب التمسح بجائط قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا تقبيله ، قال أحمد ما أعرف هذا . قال الأثرم : رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبي صلى الله عليه وسلم يقومون من ناحية فيسلمون . قال أبو عبد الله : وهكذا كان ابن عمر يفعل . وقال النووي منبها محذرا ولا يجوز أن يطاف بقبره صلى الله عليه وسلم ، ويكره إصااق الظهر والبطن بجدار القبر . قالوا : ويكره مسحه باليد وتقبيله ، بل الأدب أن يبعد منه ، كما يبعد منه لو حضره في حياته صلى الله عليه وسلم هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه ، ولا يغتر بمخالفة كثيرين من العوام وفعلهم ذلك فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء ، ولا يلتفت إلى محدثات العوام وغيرهم وجهالاتهم . قال صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم » معنى الحديث لا تعطّلوا البيوت من الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور ، فأمر بتحريّ العبادة بالبيوت ونهى عن تحريها عند القبور عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبّه بهم من هذه الأمة . والعيد اسم ما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائداً ما يعود السنة أو يعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك . قال في عون المعبود : قال ابن القيم : العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمن ومكان مأخوذ من المعاودة والاعتباد فإذا كان اسماً للمكان فهو المكان الذي يقصد فيه الاجتماع والالتياح بالعبادة وبغيرها كما أنّ المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله تعالى عيداً للحنفاء ومثابة للناس ، كما جعل أيام العيد منها عيداً . وكان للمشركين أعياد زمائية ومكانية فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوّض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر ، كما عوّضهم عن أعياد المشركين المكائبة بكعبة ومنى ومزدلفة وسائر المشاعر . قال المناوي في فيض القدير : معناه النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد ، إمّا لدفع المشقة أو كراهة أن يتجاوزوا حدّ التعظيم . وقيل : العيد ما يعاد إليه أي لا تجعلوا قبري عيداً تعودون إليه متى أردتم أن تصلوا عليّ ، فظاهره منهي عن المعاودة والمراد المنع عما يوجب به وهو ظنهم بأنّ دعاء الغائب لا يصل إليه ، ويؤيده قوله « وصلوا عليّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم » أي لا تكلفوا المعاودة إليّ فقد استغنيتكم بالصلاة عليّ .

قال المناوي: ويؤخذ منه أن اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو شهر مخصوص من السنة ويقولون: هذا يوم مولد الشيخ، ويأكلون ويشربون وربما يرقصون فيه منهياً عنه شرعاً، وعلى ولي الشرع ردعهم على ذلك، وإنكاره عليهم وإبطاله.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الحديث (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم) يشير إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم عنه، فلا حاجة بكم إلى اتخاذ عيداً.

(قال) وصفة زيارته صلى الله عليه وسلم هي انه إذا أراد الزائر زيارته صلى الله عليه وسلم فليؤد زيارة مسجده الشريف أيضاً، لتحصيل سنة زيارة المسجد وثوابها. وإذا عاين بساكن المدينة صلى الله عليه وسلم وقال: اللهم هذا حرم نبيك فاجعله وقاية لي من النار وأماناً من العذاب وسوء الحساب. وإذا وصل باب المسجد النبوي دخل وهو يقول الذكر المعروف عند دخول المساجد « اللهم صل على محمد رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك » وعند الخروج يقول ذلك، لكن بلفظ " وافتح لي أبواب فضلك » ويصلي ركعتي تحية المسجد، ثم يقصد الحجرة الشريفة التي فيها قبره عليه الصلاة والسلام فيستدبر القبلة ويستقبل القبر ويقف أمام النافذة الدائرية اليسرى مبتعداً عنها قدر أربعة أذرع إجلالاً وتأدباً مع المصطفى صلى الله عليه وسلم فهو أمام وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم عليه دون أن يرفع صوته، بأي صيغة تحضره من صيغة التسليم على النبي صلى الله عليه وسلم ويردف ذلك بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بما يحضره أيضاً وقد أورد العلماء عبارات كثيرة صاغوها لتعليم الناس، ضمنوها ثناءً على النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو الإنسان بدعاء زيارة القبور ويصلي ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو بما يفتح الله عليه وإن كان أحد قد أوصاه بالسلام عليه صلى الله عليه وسلم فليقل السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان، أو فلان بن فلان يسلم عليك يا رسول الله، أو ما شابه ذلك. ثم يتأخر إلى صوب اليمين قدر ذراع اليد للسّلام على الصّدّيق الأكبر سيّدنا أبي بكر رضي الله عنه، لأن رأسه عند كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسلم عليه بما يحضره من الألفاظ التي تليق بمقام الصّدّيق رضي الله عنه. ثم يتنحى صوب اليمين قدر ذراع للسّلام على الفاروق الذي أعز الله به الإسلام سيّدنا عمر بن

الخطاب رضي الله عنه ، ويسلم عليه بما يحضره من الألفاظ التي تليق بمقامه رضي الله عنه . ثم يرجع ليقف قبالة رسول الله صلى الله عليه وسلم كالأول ، ويدعو متشفعا به بما شاء من الخيرات له ولمن يحب والمسلمين . ويراعي في كل ذلك أحوال الرّاحم بحيث لا يؤذي مسلما .

تحية مباركة

أقول : هنا وأنا أكتب هذه الفقرات أشارك على الشيخ على معيلي بن سالم المايدي الجلفاوي بإدراج هذه الابيات وقد قرأ لي منها اشطارا لما لها من اهمية ومعاني جد جميلة اقول وقد سمعت انشادها في مجلس شيخنا سيدي محمد بلقائد بتلمسان . وهي :

لا اله الا الله محمد رسول الله	لا اله الا الله . لا اله الا الله
سلامي على طيبه سلامي على الحرم	سلامي على طيبه سلامي على الحرم
وافضل مبعوث من للرسول قد ختم	سلامي على المختار من اخير الامم
فقات له طوعا على الراس والقدم	سلامي على من قال للنخلة اسجدي
الا فانقسم لنصفين يا بدر فانقسم	سلامي على من قال للبدر في السما
ولم يشك من وجع صعب ولا الم	سلامي على من شق جبريل صدره
فقال رسول الله للعرب والعجم	سلامي على من قال للضب من أنا
باني رسول الله ارسلت من قدم	سلامي على من قال للناقة فاشهدي
سلامي على الممدوح في نون والقلم	سلامي على طه وياسين والضحي
أجرها من النيران قال له نعم	سلامي على من قال للباري امي
ومن هبة المولى العظيم قد احتشم	سلامي على من خر ساجدا
سلامي على المخصوص بالجود والكرم	سلامي على الهادي البشير محمد

⁶ هنا وأنا أراجع هذا البحث رأيت في المنام ليلة الإثنين . ليلة عرفة سنة 1426 هـ . رأيت الشيخ سيدي محمد بلقائد والشيخ سيدي عطية مسعودي وشيخ ثالث معهم والشيخ بوبكر بن أمليك والشيخ عبد الهادي الصحراء وقد سمعت الشيخ بلقائد يدعو كما أن أحدهم أعطاني مائة ألف سنتيما . قلت وقد استبشرت بهذه الرؤيا خير . آمين .

القدس

القدس هي مدينة في فلسطين وهي قائمة بين الجبال. فيها من الآثار الإسلامية المسجد الأقصى وهذه المدينة مقدسة عند المسلمين وعند اليهود والنصارى يحج إليها منهم سنويا عدد عظيم لزيارة أماكنها المقدسة ويقصدها المسلمون أيضا لزيارة المسجد الأقصى وللمكانة السامية. وترتفع القدس عن سطح البحر 750 مترا، وهي قسمان، داخلي مسور وهي القدس الشرقية ومساحتها حوالي كيلومتر مربع واحد، وقسم خارج السور وهو القدس الغربية، ويبلغ طول سورها 4200 وارتفاعه عشرة أمتار، وله سبعة أبواب هي: باب العمود. باب الساهرة. باب النبي داود. باب المغاربة. باب الأسباط. باب الخليل. الباب الجديد. وداخل هذا السور يقع المسجد الأقصى. ومسجد قبة الصخرة. وتعتبر القدس اليوم مدينة سياحية صناعية، يؤمها السياح والحجاج من مختلف بقاع الأرض للتبرك ببقعتها، وزيارة معالمها الدينية ومزاراتها المشرفة. مهد الأنبياء وتسمى القدس أوييت المقدس، أي المنزهة، وإلياء أيضا وهي من أقدس المدن وأقدمها وأعرقها، وفضائلها كثيرة ومحاسنها متعددة يكفي أنها هي المعنية بقوله تعالى ﴿ وَنَجِّنَاهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ ويكفيها فخرا وشرفا أن يكون فيها المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين قال تعالى ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ فهي مهبط الملائكة ومسرى النبي صلى الله عليه وسلم وملتقى الأنبياء. وفي القدس أوصى آدم ومن بعده اسحق وإبراهيم أن يدفنوا فيها، وحمل يعقوب من مصر حتى دفن فيها، وأوصى يوسف أن يدفن فيها، وإليها هاجر إبراهيم وبها تاب الله تعالى على داود وكلم عيسى الناس بالمهد صبيا. قيل إن أول من بناها داود ثم سليمان عليهم السلام (ويقال أنها من قبلهما وما بناؤهما إلا كبناء إبراهيم للكعبة) (قال) وبعد بناء داود وسليمان بقرون خربته الجبابرة. ثم بناء ملك من ملوك فارس يقال له كوشك. ووصفها الرحالة القدامى والمؤرخون فقالوا إنها قائمة على أرض وطيدة في وسط الجبال وفيها أسواق كثيرة. ويدخل إلى المسجد الأقصى من ثلاثة عشر موضعا بعشرين بابا منها: باب الحطة. باب النبي صلى الله عليه وسلم. باب محراب مريم. باب الرحمة. باب بركة بني اسرائيل. باب الأسباط. باب الهاشمية. باب الوليد. باب إبراهيم (قالت الموسوعة) وهذه نبذة

تاريخية عن المدينة المؤسسة سنة 975 قبل الميلاد وقد بنى سليمان فيها هيكله المشهور، وأضحى اسمها المدينة المقدسة. وفي سنة 70 دمرها تيطس القائد الروماني ثم أعاد بناءها هادريانوس امبراطور الرومان عام 135 وسمّاها آيليا كاييتولينا، وفي سنة 335 شيد فيها قسطنطين كنيسة القبة على أنقاض الكايتول. ثم أتم عمله يوستينيانوس في القرن السادس للميلاد. وفي سنة 614 أحرقتها الفرس، ثم عادت لسيطرة الرومان حتى مجيء الإسلام ففتحها الخليفة عمر بن الخطاب سلماً عقب معركة اليرموك الشهيرة التي كانت مفتاح الدخول لبلاد الشام بقيادة خالد بن الوليد. وبقيت المدينة بأيدي المسلمين حتى سقطت بأيدي الصليبيين سنة 492 هـ. وفي عام 583 أسترجمها القائد صلاح الدين الأيوبي سنة 853 هـ إثر معركة حطين الخالدة. وبعد خروج العثمانيين من فلسطين دخلها الإنكليز وعملوا على تقوية نفوذ اليهود فيها وكان وعد بلفور لليهود عام 1917 يمنحهم فلسطين وطناً قومياً لهم. وبعد حرب 1948 سقط جزء من مدينة القدس تحت الاحتلال الاسرائيلي، وعقب نكسة 1967 سقطت القدس بأكملها تحت الاحتلال، وعانى الشعب الفلسطيني شتى أنواع القهر والتعذيب بغية ترك المدينة المقدسة. واليوم وعقب اتفاقية أوسلو التي أجريت بين اليهود والفلسطينيين تعتبر قضية القدس من أصعب نقاط المفاوضات إذ يصر اليهود على أنها عاصمتهم بينما يصر الفلسطينيون ومن وراءهم العرب والمسلمون على أن القدس عاصمة أبدية لفلسطين.

(قلت) وبعد هذه الفذلكة نعود إلى مانحن بصدده فأقول :

الفصل الثاني

في

ذكر سيدنا إسماعيل وذريته

--

إسماعيل هو الذي يح على قول

كما سبق ان ذكرت قد كان للخليل بنون وأشهرهم الأخوان النبيان العظيمان الرسولان (إسماعيل واسحق) وأسنتهما وأجلهما الذبيح وهو على الصحيح إسماعيل (بكر إبراهيم الخليل من هاجر القبطية المصرية) ومن قال إن الذبيح هو إسحق فإنما تلقاه من نقله بني إسرائيل الذين بدلوا وحرفوا

وأولوا التوراة والإنجيل وخالفوا ما بأيديهم في هذا من التنزيل فإن إبراهيم أمر بذبح ولده البكر وفي رواية الوحيد وأيا ما كان فهو إسماعيل بنص الدليل ففي نص كتابهم إن إسماعيل ولد لإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة وإنما ولد إسحق بعد مضي مائة سنة من عمر الخليل فإسماعيل هو البكر لا محالة وهو الوحيد صورة ومعنى على كل حالة . أما في الصورة فلأنه كان وحده ولده أزيد من ثلاثة عشر سنة وأما أنه وحيد في المعنى فإنه هو الذي هاجر به أبوه ومعه أمه هاجر وكان صغيرا رضيعا فيما قيل فوضعهما في وهاد جبال فاران وهي الجبال التي حول مكة وتركهما هنالك ليس معهما من الزاد والماء إلا القليل وذلك ثقة بالله وتوكلا عليه فحاطهما الله تعالى بعنايته وكفأته فنعم الحسيب والكافي والوكيل والكفيل فهذا هو الولد الوحيد في الصورة والمعنى ولكن أين من يتفطن لهذا السر . وابن من يحل بهذا الحل والمعنى مما لا يدركه ويحيط بعلمه إلا كل نبيه نبيل وقد أشنى الله تعالى عليه ووصفه بالحلم والصبر وصدق الوعد والحفاظ على الصلاة والأمر بها لأهله ليقبهم العذاب مع ما كان يدعو إليه من عبادة رب الأرباب قال تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فطاع أباه على ما إليه دعاه ووعد به بأنه سيصبر ووفى بذلك وصبر وقال تعالى واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا وقال تعالى واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار واذكر إسماعيل وإليسع وذا الكفل وكل من الأخيار وقال تعالى وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين وقال تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط الآية ونظيرتها من السورة الأخرى وقال تعالى أم يقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله . الآية فذكر الله عنه كل صفة جميلة وجعله نبيه ورسوله وبراه من كل ما نسب إليه الجاهلون وأمر بان يؤمن بما أنزل عليه عباده المؤمنون

من خلال سيدنا إسماعيل

ذكر علماء النسب أن إسماعيل هو أول من ركب الخيل وكانت قبل ذلك وحوشا فانسها وركبها قال سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتخذوا الخيل واعتبقوها فإنها مراث أبيكم إسماعيل وكانت هذه العرب وحشا فدعا لها بدعوتها التي كان أعطى فأجابته وإنه أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة وكان قد تعلمها من العرب العاربة الذين نزلوا عندهم بمكة من جرهم والعماليق وأهل اليمن من الأمم المتقدمين من العرب قبل الخليل قال الأموي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من فلق لسانه بالعربية البينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة وقد قدمنا أنه لما شب قال الأموي هي تزوج بعمار بنت سعد بن أسامة بن أكيل العماليقي وأن أباه أمره بفراقها ففارقها ثم نكح السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وأمره أبوه أن يستمر بها فاستمر بها وقيل هذه ثلاثة فولدت له اثني عشر ولدا ذكرا وقد سماهم محمد بن إسحق رحمه الله كما سبق بيانه وهم (نابت . وقيدر . وازيل . وميشى . ومسمع . وماش . ودوصا . وارر . ويطور . ونبش . وطليما . وقذما) وهكذا ذكرهم أهل الكتاب في كتابهم .

وكان إسماعيل عليه السلام رسولا إلى أهل تلك الناحية وما والاها من قبائل جرهم والعماليق وأهل اليمن ولما حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحق وزوج ابنته نسمة من ابن أخيه العيص بن إسحق فولدت له الروم ويقال لهم بنو الأصفر لصفرة كانت في العيص وولدت له اليونان في أحد الأقوال ومن ولد العيص والأشبان قيل منها أيضا . ودفن إسماعيل نبي الله بالحجر مع أمه هاجر وكان عمره يوم مات مائة وسبعا وثلاثين سنة وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال شكى إسماعيل عليه السلام إلى ربه عز وجل حر مكة فأوحى الله إليه أني سأفتح لك بابا إلى الجنة إلى الموضع الذي تدفن فيه تجري عليك روحها إلى يوم القيامة وعرب الحجاز كلهم ينتسبون إلى ولديه (نابت وقيدار) وسيأتي المزيد .

سيدنا إسماعيل وأولاده واصهاره

ذكر في قصص الانبياء أن إسماعيل عليه السلام كان من أمره كما سبق أن أباه إبراهيم عليه السلام قد احتمله مع أمه هاجر فأسكنها بوادي مكة بين جبال فاران حيث لأنيس به ولا حسييس وكان إسماعيل رضيعا ثم ذهب وتركهما هنالك عن أمر الله له بذلك ليس عند أمه سوى جراب فيه تمر ووكاء فيه ماء فلما نفذ ذلك أنبع الله لها جر زمزم التي هي طعام طعم وشفاء سقم ثم نزلت جرهم

وهي طائفة من العرب العاربة من أمم العرب الأقدمين عند هاجر بمكة على أن ليس لهم في الماء شيء إلا ما يشربون منه وينتفعون به فاستأنست هاجر بهم وجعل الخليل عليه السلام يطالع أمرهم في كل حين ويقال إنه كان يركب البراق من بلاد بيت المقدس في ذهابه وإيابه ثم لما ترعرع الغلام وشب وبلغ مع أبيه السعي كانت قصة الذبح (أقول) ولما توفي إسماعيل دفن بارض الحرم جوار البيت العتيق بعد أن خلف من زوجته السيدة بنت المضاط بن عمر الجرهمي اثني عشرة ولدا وهم كما سبق (القيدر وادبل . ومنشا . ومسمع . وماشى . ودمى . واذر . وطيمى . ويطورى . ونبش . وقيدمى ونسمه) وقد تقدم ذكرهم في الفصول الماضية وقلنا هناك أن (نابت) بن إسماعيل خلف أولادا منهم (يشجب) ، ويشجب بن نابت خلف أولادا منهم (يعرب) ، ويعرب بن يشجب خلف أولادا منهم (تيرح) وتيرح بن يعرب خلف أولادا منهم (ناحور) ، وناحور بن تيرح خلف أولادا منهم (مقوم) ومقوم بن ناحور خلف أولادا منهم (أدد) ، وأدد بن مقوم خلف أولادا منهم (اد) . واد بن ادد خلف أولادا منهم (عدنان . ونبت . وعمر)

فائدة

قال الامام المقرئ في نفح الطيب : (لما كان) الشيء بالشيء يذكر . أنه لما قفل السلطان الناصر أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي سلطان المغرب والأندلس من إفريقية سنة ثلاث وستمئة هجري بعد فتح المهديّة هناك الشعراء بذلك ثم اجتمع أبو عبد الله بن مرج الكحل بالشعراء والكتاب فتذكروا الفتح وعظمه فأنشدهم ابن مرج الكحل في الوقت لنفسه

ولما تولى الفتح من كل وجهة ولم تبلغ الأوهام في الوصف حده
تركنا أمير المؤمنين لشكره بما أودع السر الإلهي عنده
فلا نعمة إلا تؤدى حقوقها علامته بالحمد لله وحده
قال المؤلف رحمه الله تعالى فاستحسن الكتاب له ذلك ووقع أحسن موقع .

استراحة في الأوائل

الأوائل كما ذكرتهم بعض المصادر هم على النحو التالي: أول من قرى الضيف إبراهيم الخليل عليه السلام حتى كني أبا الضيفان لكثرة قراه لهم. أول من سن للضيف صدر المجلس بهرام جور أحد ملوك الفرس. أول من هشم الثريد للقري في زمن الحل هاشم بن عبد مناف وبذلك سمي هاشما وكان اسمه قبل عمرا. أول من فطر جيرانه في شهر رمضان عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهو أول من حمل الطعام على رؤوس الناس لكثرتهم وأول من أنهبه وجوه البر. أول من اتخذ البيمارستان بالشام للمرضى الوليد بن عبد الملك. أول من اتخذ البيمارستان بمصر أحمد بن طولون بناه بالفسطاط وهو موجود إلى الآن. أول من فوض إلى الناس إخراج زكاتهم بأنفسهم عثمان بن عفان رضي الله عنه أول من اتخذ النيروز من الفرس جما الملك وهو الذي بنى مدينة طوس يقال إنه كان في زمن هود عليه السلام كان الدين قبله قد تغير وظهر الجور فلما ملك جدد الدين وأظهر العدل فسمي اليوم الذي ملك فيه نوروز أي يوم جديد عربته العرب فقلبوا الواو فقلبوا نيروز. أول من افتتح المكتبة بتهنة النيروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى إلى المأمون سفت ذهب فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه وكتب معه هذا يوم جرت فيه العادة بإلطف العبيد السادة. أول من قال أما بعد داود عليه السلام ويقال إنها فصل الخطاب المشار إليه بقوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب بوقيل أول من قالها قس بن ساعدة أو غيره. أول من قال مرحبا سيف بن ذي يزن قال ذلك لعبد المطلب جد النبي حين وفد عليه ليهنئه برجوع الملك إليه فقال له مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومناخا سهلا وملكا رجلا يعطي عطاء جزلا الخ

الكتاب الثالث عشر

في بيان النسب العدناني الوارد في الحديث النبوي الشريف *

الفصل الأول

في

النسب العدناني الوارد

عدنان وفروعه

لا خلاف أن عدنان بن أد بن أدد بن مقوم بن تاحور بن تيرج من سلالة اسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام واختلفوا في عدة الآباء بينه وبين اسماعيل على أقوال كثيرة فأكثر ما قيل أربعون أباً وهو الموجود عند أهل الكتاب كما سبق أن ذكرت . ثم أهل الكتاب أخذوه من كتاب رخيا كاتب أرميا ابن حلقيا على ما سذكروه وقيل بينهما ثلاثون وقيل عشرون وقيل خمسة عشر وقيل عشرة وقيل تسعة وقيل سبعة وقيل إن أقل ما قيل في ذلك أربعة . قال الحافظ أبو القاسم السهيلي وغيره من الأئمة مدة ما بين عدنان إلى زمن اسماعيل أكثر من أن يكون بينهما أربعة آباء أو عشرة أو عشرون وذلك أن معد بن عدنان كان عمره زمن نجت نصر ثنتي عشرة سنة (قلت) وعلى بعض الأقول أن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرج بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام كما سيأتي قريباً .

تربية عدنان ونسبه وتزوجه وعودته

ذكر أبو جعفر الطبري وغيره أن الله تعالى أوحى في ذلك الزمان إلى أرمياء بن حلقيا أن اذهب إلى نجت نصر فأعلمه أنني قد سلطته على العرب وأمر الله أرميا أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا تصيبه النعمة فيهم فإني مستخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل ففعل أرميا ذلك واحتمل معدا على البراق إلى أرض الشام فنشأ مع بني اسرائيل ممن بقي منهم بعد خراب بيت المقدس وتزوج هناك امرأة معانة بنت جوشن من بني دب بن جرهم قبل أن يرجع إلى بلاده ثم عاد بعد أن هدأت الفتن وتمحضت جزيرة العرب وكان رخيا كاتب أرمياء قد كتب نسبه في كتاب عنده ليكون في خزانة أرمياء فيحفظ نسب معد كذلك والله أعلم

رفع النسب إلى ما فوق عدنان

لما ورد من خلاف في عدد الآباء بين عدنان وإسماعيل كره مالك رحمه الله رفع النسب إلى ما بعد عدنان قال السهيلي وإنما تكلمنا في رفع هذه الأنساب على مذهب من يرى ذلك ولم يكرهه كابن اسحاق والبخاري والزيبر بن بكار والطبري وغيرهم من العلماء وأما مالك رحمه الله فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك وقال له من أين له علم ذلك فقل له فإلى اسماعيل فأنكر ذلك أيضا

وقال ومن يخبره به وكره أيضا أن يرفع في نسب الأنبياء مثل أن يقال ابراهيم بن فلان بن فلان هكذا ذكره المعيطي في كتابه قال وقول مالك هذا نحو ما روى عن عروة بن الزبير أنه قال ما وجدنا أحدا يعرف ما بين عدنان واسماعيل وعن ابن عباس أنه قال بين عدنان واسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وروى عن ابن عباس أيضا أنه كان إذا بلغ عدنان يقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثا والأصح عن ابن مسعود مثله وقال عمر بن الخطاب إنما تنسب إلى عدنان وقال أبو عمر بن عبد البر في كتابه الانباه في معرفة قبائل الرواه روى ابن لهيعة عن أبي الأسود أنه سمع عروة بن الزبير يقول ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء عدنان ولا ما وراء قحطان الا تخرصا وقال أبو الأسود سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وكان من أعلم قريش بأشعارهم وأنسابهم يقول ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء معد بن عدنان في شعر شاعر ولا علم عالم قال أبو عمر وكان قوم من السلف منهم عبد الله بن مسعود وعمر بن ميمون الأزدي ومحمد بن كعب القرظي إذا تلووا والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله قالوا كذب النسابون

رفع نسب العرب لا مشاحة فيه

قال ابن عبد البر رحمه الله والمعنى عندنا في ما ذهبوا إليه في قوله تعالى (والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) هو أن من ادعى احصاء بني آدم فإنهم لا يعلمهم إلا الله الذي خلقهم وأما أنساب العرب فإن أهل العلم بأيامها وأنسابها قد وعوا وحفظوا جماهيرها وأمهاات قبائلها واختلفوا في بعض فروع ذلك قال أبو عمر والذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان انه عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرج بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام وهكذا ذكره محمد بن اسحاق في السيرة قال ابن هشام ويقال عدنان بن أد يعني عدنان بن أد بن أدد ثم ساق أبو عمر بقية النسب إلى آدم كما قدمناه في قصة الخليل عليه السلام وأما الأنساب إلى عدنان من سائر قبائل العرب فمحافظة شهيرة جدا لا يمارى فيها اثنان والنسب النبوي إليه أظهر وأوضح من فلق الصبح

عدنان وذريته

عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرج بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام .خلف أولاداهم (معد .وعك . والحارث . والمذهب . والضحاك . وعدن واين) ويقال ان الضحاك ابن لمعد لا ابن عدنان ويقال إن عدن هو الذي تعرف به مدينة عدن باليمن

(قالوا) وتزوج عك في الأشعرين وسكن في بلادهم من اليمن فصارت لغتهم واحدة فزعم بعض أهل اليمن أنهم منهم فيقولون عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد بن يغوث ويقال عك بن عدنان بن الذيب ابن عبد الله ابن الأسد والصحيح ما ذكرنا من أنهم من عدنان بن أد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام قال عباس بن مرداس :

وعك بن عدنان الذين تلعبوا بغسان حتى طردوا كل مطرد

ذكر اسم عدنان

قال اهل التاريخ واللغة انه لم يرد ذكر عدنان بن أد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن عدنان بن أد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام في اشعار العرب قبل الاسلام الا في بيت واحد فقط من قصيدة للبيد بن ربيعة ونصه :

فان لم تجد من دون عدنان والدا ودون معد فلتزعك العواذل

معد وذريته

معد بن عدنان بن أد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام خلف من زوجته سفانة اولادا منهم (قضاة . ونزار . وجسم . وسلمهم وجنادة . وقناصة . وقنص . وسنام . وعوف . وجبدان . واود . وايداد) وكان قضاة بكره وبه كان يكنى وذريته قضاة تيامنت إلى حمير بن سبأ . وكان اسم سبأ عبد شمس وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبى في العرب وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الخ وقد قدمنا الخلاف في قضاة ولكن هذا هو الصحيح عند ابن اسحاق وغيره والله أعلم وأما قنص فيقال إنهم هلكوا ولم يبق لهم بقية إلا أن النعمان بن المنذر الذي كان نائباً لكسرى على الحيرة كان من سلالة على قول طائفة من السلف وقيل بل كان من حمير كما تقدم والله أعلم قالوا وقيل لمعد (معد) لأنه كان صاحب حروب وغارات على بني إسرائيل، ولم يحارب أحداً إلا رجع بالنصر والظفر .

نزار وذريته

نزار بن معد بن عدنان بن أد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . ولد له أربعة أولاد وهم (إياد . ومضر . وربيعة . وأنمار) وام

إياد ومضر سودة بنت عك بن عدنان عدنان بن أد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . وأم ربيعة وأنمار شقيقة بنت عك بن عدنان عدنان بن أد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام ويقال جمعة بنت عك بن عدنان قال ابن اسحاق فأما أنمار فهو والد خثعم ومجيلة قبيلة جرير بن عبد الله البجلي قال وقد تيامنت فلحقت باليمن قال ابن هشام وأهل اليمن يقولون أنمار بن أراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ (قال) والحديث المتقدم في ذكر سبأ يدل على هذا والله أعلم قالوا وكان مضر أول من حدا وذلك لأنه كان حسن الصوت فسقط يوما عن بعيره فوثبت يده فجعل يقول وايدياه وايدياه فأعنت الإبل لذلك قال في الحلبية (ونزار) بكسر النون كان يرى نور النبي بين عينيه . وهو أول من كتب الكتاب العربي على الصحيح ،

العدنانية والمعدية والنزارية

يقال أنه من (عدنان) وابنه (معد) حفظت العدنانية انسابها ويقال لبطن هذا الشعب العدنانيون نسبة (لعدنان) ويقال لهم (المعدية) نسبة (لمعد بن عدنان) ويقال لهم أيضا (النزارية) نسبة (لنزار بن معد) ونزار بن معد هذا كان منه (إياد . وربيعة . ومضر) ومن الأخيرتين كثرت البطون . فمن (ربيعة) (عبد قيس وبكر وتغلب) أبناء وائل ، ومن (بكر) (حنيفة وعجل) ابنا لجيم وتفرعت قبائل مضر الى فرعين هما (قيس عيلان) بن مضر وبنوه (الياس بن مضر) وبنوه وسيأتي مزيد من البيان في ذلك .

مضر وذريته

مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . خلف من زوجته ربيعة اولادا منهم (الياس . وعيلان) قالوا ومما جاء في فضل مضر قوله عليه السلام (لا تسبوا ربيعة ولا مضر فإنهما كانا مؤمنين) وفي رواية (لا تسبوا مضر فإنه كان على ملة ابراهيم) وفي حديث غريب (لا تسبوا مضر فإنه كان على دين اسماعيل) ومما حفظ عن مضر قوله : من يزرع شرا يحصد ندامة . (قلت) وراجع ما يتعلق بمضر في

⁷ راجع هذا البحث في كتب السيرة النبوية وتاريخ ابن خلدون وراجع هذا البحث وما عليه في التاريخ للامام الطبري وسير اعلام النبلاء للامام الذهبي والتذكرة للامام ابن الجوزي وتاريخ الخلفاء للامام السيوطي والبدية والنهاية للامام ابن كثير والروض الافق للامام السهيلي

الفصول المتقدمة . ويقال لمضر مضر الحمراء ، قيل لأنه لما اقتسم هو وأخوه ربيعة مال والدهما أعني نزاراً أخذ مضر الذهب فقليل له مضر الحمراء ، وأخذ ربيعة الخيل ومن ثم قيل له ربيعة الفرس .

إلياس وذريته

إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام وُلد له ثلاثة وهم (مدركة . وطابخة . وقمعة) وأُمهم خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاة قال ابن اسحاق وكان اسم مدركة عامراً واسم طابخة عمراً ولكن اصطاد صيدا فيبيناهما يطبخانه إذ فرت الإبل فذهب عامر في طلبها حتى أدركها وجلس الآخر يطبخ فلما راحا على أبيهما ذكرا له ذلك فقال لعامر أنت مدركة وقال لعمرو أنت طابخة قال وأما قمعة فيزعم نساب مضر أن خزاعة من ولد عمرو بن لحي بن قمعة بن إلياس قلت والأظهر أنه منهم لا والدهم وأنهم من حمير كما تقدم والله أعلم . قال في الحلبية قيل سمي إلياس بإلياس لأن أباه مضر كان قد كبر سنه ولم يولد له ولد فولد له هذا الولد فسماه إلياس ، وعظم أمره عند العرب حتى كانت تدعوه بكبير قومه وسيد عشيرته ، وكانت لا تقضي أمراً دونه . وهو أول من أهدى البدن إلى البيت ، وأول من ظفر بمقام إبراهيم لما غرق البيت في زمن نوح عليه السلام فوضعه في زاوية البيت كذا في حياة الحيوان فليتأمل ، وجاء في حديث «لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمناً» وقيل إنه جماع قریش: أي فلا يقال لأولاد من فوقه قرشي . وكان إلياس يسمع من صلبه تلبية النبي المعروفة في الحج قيل وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه وهو أول من مات بعلقة السل ، ولما مات حزنت عليه زوجته خندف حزناً شديداً ، لم يظلمها سقف بعد موته حتى ماتت . ومن ثم قيل: أحزن من خندف .

مدركة وذريته

مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام خلف من زوجته سلمى بنت سعد القيسية من قضاة أولاداً كثيرين منهم (خزيمة . وهذيل)

خزيمه وذريته

خزيمه بن مدركه بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام خلف من زوجته عوانة اولادا منهم (كثانة . وأسدا . وأسدة . والهون . وعامرا . والحارث . والنضير . وغنما . وسعدا . وعوفا وجرولا . والحدال . وغزوان) .

كثانة وذريته

كثانة بن خزيمه بن مدركه بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام انجب اولادا وهم (النضر . ومالك . وملكان . وعبد مناة) وأم النضر ومالك وملكان هي برة بنت مر . وأم عبد مناة هي هالة بنت سويد بن الغطريف من أزد شنوءة . وشنوءة هو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نضر بن الأسد بن الغوث وإنما سموا شنوءة لشنآن كان بينهم والشنآن هو البغض . قالوا قيل له كثانة ، لأنه لم ينزل في كن من قومه . وقيل لستره على قومه وحفظه لأسرارهم ، وكان شيخا حسنا عظيم القدر تحج إليه العرب لعلمه وفضله . وكان يقول : قد آن خروج نبي من مكة يدعى أحمد يدعو إلى الله وإلى البر والإحسان ومكارم الأخلاق ، فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا إلى عزكم ، ولا تعتدوا أي تكذبوا ما جاء به فهو الحق . قال ابن دحية رحمه الله : كان كثانة يأنف أن يأكل وحده ، فإذا لم يجد أحدا أكل لقمة ورمى لقمة إلى صخرة ينصبها بين يديه أنفا من أن يأكل وحده . ومما يؤثر عنه : رب صورة تخالف المخبرة ، قد غرت بجماها ، واختبر قبح فعالها فاحذر الصور واطلب الخبر

النضر بن كثانة وذريته

النضر بن كثانة بن خزيمه بن مدركه بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام له ثلاثة ابناء وهم (مالك . ويخلد . والصلت) فيما قال أبو عمرو والمدني وأمهم جميعا بنت سعد بن ظرب العدائوني قال ابن هشام والنضر هو قریش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي . قال ويقال فهر بن مالك هو قریش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس

بقرشي وهذان القولان قد حكاهما غير واحد من أئمة النسب كالشيخ أبي عمر بن عبد البر والزيبر ابن بكار ومصعب وغير واحد قال أبو عبيد وابن عبد البر والذي عليه الأكثر أنه النضر بن كنانة الحديث الأسعد بن قيس قلت وهو الذي نص عليه هشام بن محمد بن السائب الكلبي وأبو عبيدة معمر بن المثنى وهو جادة مذهب الشافعي رضي الله عنه اقول وقد سبق الخلاف في الفصول السابقة فراجع ان شئت . قالوا واسم النضر قيس ولقب بالنضر لنضارته وحسنه وجماله ،

مالك بن النضر وذريته

مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام خلف من زوجته جندلة بنت الحارث بن مضاض الجرهمي اولادا كثيرين منهم فهر بن مالك

فهر بن مالك وذريته

فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام هذا على قول ثان هو قریش لكونه كان يقرش أي يفتش عن خلة الناس وحاجتهم فيسدها بماله وكان بنوه يقرشون اهل الموسم من الحجيج . وفهر بن مالك هذا خلف من زوجته عاتكة الهذلية اولادا منهم (غالب ومحارب والحارث واسد) قالوا ومما يؤثر عن فهر قوله لولده غالب : قليل ما في يدك أغنى لك من كثير ما أخلق وجهك وإن صار إليك

غالب بن فهر وذريته

غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . خلف من زوجته سلمى بنت عمر الكنانية اولادا منهم (لؤي . وتيم) قال ابن إسحاق وتيم بن غالب هم الذين يقال لهم بنو الأدرم .

لؤي بن غالب وذريته

لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . خلف من زوجته سلمى بنت محارب المعارف اولادا منهم (كعب . وعامر وسلمة . وعوف . والحارث . وسعد) .

كعب بن لؤي وذريته

كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام خلف من زوجته وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر أولادا منهم (مرة بن كعب . وعدي بن كعب . وهصيص بن كعب) (قالوا) وكان كعب يجمع قومه يوم العروبة : أي يوم الرحمة الذي هو يوم الجمعة ، ويقال إنه أول من سماه يوم الجمعة لاجتماع قريش فيه إليه ، لكن في الحديث كان أهل الجاهلية يسمون يوم الجمعة يوم العروبة ، واسمه عند الله تعالى يوم الجمعة . قال ابن دحية : ولم تسم العروبة الجمعة إلا منذ جاء الاسلام ، فكانت قريش تجتمع إلى كعب ثم يعظهم ويذكرهم بمبعث النبي ، وقيل إن كعباً أول من قال «أما بعد» فكان يقول : أما بعد فاسمعوا وافهموا ، وقيل له كعب لعلوه وارتفاعه ، لأن كل شيء علا وارتفع فهو كعب ، ولعلوه وارتفاع شأنه أرخوا بموته حتى كان عام الفيل أرخوا به ثم أرخوا بعد عام الفيل بموت عبد المطلب وكان بين كعب وبين مبعث الرسول عليه السلام خمسمائة سنة وستون سنة .

خطبة لكعب

خطب كعب بن لؤي وهو الجد السابع للنبي فقال اسمعوا وعوا وتعلموا تعلموا وتفهموا تفهموا ليل ساج ونهار صاج والأرض مهاد والجبال أوتاد والأولون كالآخرين كل ذلك إلى بلاء فصلوا أرحامكم وأصلحوا أحوالكم فهل رأيتم من هلك رجع أو ميتا نشر . الدار أمامكم والظن خلاف ما تقولون زينوا حرمكم وعظموه وتمسكوا به ولا تفارقوه فسيأتي له نبا عظيم وسيخرج منه نبي كريم ثم قال :
نهار وليل واختلاف حوادث سواء علينا حلوها ومريرها

يؤيان بالأحداث حتى تأوبا وبالنعم الضافي علينا ستورها
صروف وأنباء تقلب أهلها لها عـقد ما يستحيل مريـها
على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر أخبارا صدوقا خيرها
يا ليتني شاهد فحواء دعوته حين العشيرة تبغي الحق خذلانا
مرة بن كعب وذريته

مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس
بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن
اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام خلف اولادا منهم (كلاب . وتيم . ويقظة) قالوا وأم كلاب
هي هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة . وأم يقظة هي
البارقية امرأة من بارق من الأسد من اليمن . ويقال : هي أم تيم أيضا ويقال إن تيم لهند بنت سرير أم
كلاب .

كلاب بن مرة وذريته

كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة
بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن
نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام خلف من زوجته فاطمة بنت سعد بن سيل أحد
بنى الجدره من جعثمة الأزد . اولادهم (قصي . وزهرة) قال في الحلبية ولقب كلاب بكلاب لأنه
كان يحب الصيد وأكثر صيده كان بالكلاب وهو الجد الثالث لآمنة أم النبي عليه السلام كما سيأتي ،
وفي كلاب يجتمع نسب أبيه وأمه .

قصي بن كلاب وذريته

قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن
مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن
يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام لما مات أبوه كلاب تزوجت أمه بربيعه
ابن حرام من بني عذرة وخرج بها وبه إلى بلاده ثم قدم قصي مكة وهو شاب فتزوج (حبي ابنة رئيس

خزاعة خليل ابن حبشية) وزعمت قبيلة خزاعة هناك حليلاً أوصى إلى قصي بولاية البيت لما رأى من كثرة نسله من ابنته وقال أنت أحق بذلك مني قال ابن اسحاق ولم نسمع ذلك إلا منهم وأما غير خزاعة فيزعمون أنه أي قصي هو الذي استغاث بإخوته من أمه وكان رئيسهم (رزاح) بن ربيعة وإخوته وبني كنانة وقضاة ومن حول مكة من قريش وغيرهم فأجلاهم عن البيت واستقل هو بولاية البيت لأن إجازة الحجيج كانت إلى صوفة وهم بنو الغوث ابن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر فكان الناس لا يرمون الجمار حتى يرموا ولا ينفرون من منى حتى ينفروا فلم يزل كذلك فيهم حتى انقرضوا فورثهم ذلك بـ (القعد) بنو سعد بن زيد مناة بن تميم فكان أولهم صفوان بن الحارث بن شجاعة بن عطار بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وكان ذلك في بيته حتى قام على آخرهم الإسلام وكانت الإجازة من المزدلفة في عدوان حتى قام الإسلام على آخرهم

(نكتة) قالوا وكان الأعزل العدواني يميز بالناس على أتان له عوراء مكث يدفع عليها في الموقف أربعين سنة وهو أول من جعل الدية مائة وأول من كان يقول أشرك ثبير كيما نغير حكاة السهيلي وكان عامر بن الظرب العدواني لا يكون بين العرب نائرة إلا تحاكموا إليه فيرضون بما يقضي به فتحاكموا إليه مرة في ميراث خنثى فبات ليلته ساهرا يتروى ماذا يحكم به فرأته جارية له كانت ترعى عليه غنمه اسمها سخيلة فقالت له مالك لا أبالك الليلة ساهرا فذكر لها ما هو مفكر فيه وقال لعلها يكون عندها في ذلك شيء فقالت اتبع القضاء المبال فقال فرجتها والله يا سخيلة وحكم بذلك

قال السهيلي وهذا الحكم من باب الاستدلال بالإمارات والعلامات وله أصل في الشرع قال الله تعالى وجاءوا على قميصه بدم كذب حيث لا أثر لأنياب الذئب فيه وقال تعالى إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين وفي الحديث أنظروها فإن جاءت به أوراق جعدا جماليا فهو الذي رميت به

(قال) ابن اسحاق وكان النسبي في بني فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر قال ابن اسحاق وكان أول من نسا الشهور على العرب القلمس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي ثم قام بعده ابنه عباد ثم قلع بن عباد ثم أمية بن قلع ثم عوف بن أمية ثم كان آخرهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن قلع بن عباد بن حذيفة وهو القلمس وعلى أبي ثمامة

هذا اقام الإسلام وكانت العرب إذا فرغت من حجبها اجتمعت إليه فخطبهم فحرم الأشهر الحرم فإذا أراد أن يحل منها شيئاً أحل الحرم وجعل مكانه صفراً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيقول اللهم إني أحلت أحد الصفرين الصفراً الأول وأنسأت الآخر للعام المقبل فتبعه العرب فيه)

هذا وقد كان قصي في قومه سيداً رئيساً مطاعاً معظماً والمقصود أنه جمع قريشاً من متفرقات مواضعهم من جزيرة العرب واستعان بمن أطاعه من أحياء العرب على حرب خزاعة واجلاّتهم عن البيت وتسليمه إلى قصي فكان بينهم قتال كثيرة ودماء غزيرة ثم تداعوا إلى التحكيم فتحاكموا إلى يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فحكم بأن قصياً أولى بالبيت من خزاعة وإن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر موضوع بشدخه تحت قدميه وأن ما أصابه خزاعة وبني بكر من قريش وكنانة وقضاة ففيه الدية مؤداة وأن يخلّى بين قصي وبين مكة والكعبة فسمي يعمر يومئذ الشداخ قال ابن اسحاق فولي قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم إلى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه إلا أنه أقر العرب على ما كانوا عليه لأنه يرى ذلك ديناً في نفسه لا ينبغي تغييره فأقر آل صفوان وعدوان والنسأة ومرة بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الإسلام فهدم الله به ذلك كله قال فكان قصي أول بني كعب أصاب ملكاً أطاع له به قومه وكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف مكة كله وقطع مكة رباعاً بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة (قالوا) وبذلك رجع الحق إلى نصابه ورد شارذ العدل بعد إيا به واستقرت بقريش الدار وقضت من خزاعة المراد والأوطار وتسلمت بيّتهم العتيق القديم بما أحدثت خزاعة من عبادة الأوثان ونصبها إياها حول الكعبة ونحرم لها وتضرعهم عندها واستنصارهم بها وطلبهم الرزق منها وأنزل قصي قبائل قريش أباطح مكة وأنزل طائفة منهم ظواهرها فكان يقال قريش البطاح وقريش الظواهر فكانت لقصي بن كلاب جميع الرئاسة من حجابة البيت وسداته واللواء وبني دار الإزاحة الظلمات وفصل الخصومات سماها (دار الندوة) إذا أعضلت قضية اجتمع الرؤساء من كل قبيلة فاشتوروا فيها وفصلوها ولا يعقد عقد لواء ولا عقد نكاح إلا بها ولا تبلغ جارية أن تدرع فتدرع إلا بها وكان باب هذه الدار إلى المسجد الحرام ثم صارت هذه الدار فيما بعد إلى حكيم بن حزام بعد بني عبد الدار فباعها في زمن معاوية بمائة ألف درهم فلامه على بيعها معاوية

وقال بعت شرف قومك بمائة ألف فقال إنما الشرف اليوم بالتقوى والله لقد ابتعتها في الجاهلية بزق خمر
وها أنا قد بعتها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها صدقة في سبيل الله فأينا المغبون ذكره الدارقطني في
أسماء رجال الموطأ (قال) وكان لقصي سقاية الحجيج فلا يشربون إلا من ماء حياضه وكانت زمزم
إذ ذاك مطموسة من زمن جرهم قد تناسوا أمرها من تقادم عهدها ولا يهتدون إلى موضعها قال
الواقدي وكان قصي أول من أحدث وقيد النار بالمزدلفة ليهتدي إليها من يأتي من عرفات والرفادة
وهي إطعام الحجيج أيام الموسم إلى أن يخرجوا راجعين إلى بلادهم قال ابن إسحاق وذلك أن قصيا
فرضه عليهم فقال لهم يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل مكة وأهل الحرم وأن الحجاج ضيف الله
وزوار بيته وهم أحق بالضيافة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدروا عنكم ففعلوا
فكانوا يخرجون لذلك في كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه إليه فيصنعه طعاما للناس أيام منى
فجرى ذلك من أمره في الجاهلية حتى قام الإسلام (قال) ابن إسحاق ثم جرى في الإسلام إلى يومك
هذا فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضي الحج (قلت) ثم انقطع هذا
بعد ابن إسحاق .

(قلت) أما اليوم أي سنة 2007م فإن الحجاج يطعمون وقد أطعمنا ليلة المزدلفة سنة 1984م
(قال) ثم أمر قصي بإخراج طائفة من بيت المال فيصرف في حمل زاد وماء لأبناء السبيل القاصدين
إلى الحج وهذا صنيع حسن من وجوه يطول ذكرها ولكن الواجب أن يكون ذلك من خالص بيت المال
من أحل ما فيه والأولى أن يكون من جوالي الذمة لأنهم لا يحجون البيت العتيق وقال قائلهم في مدح
قصي وشرفه في قومه :

قصي لعمرى كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

قال وقصي بن كلاب هذا اسمه زيد ولقب بقصي تصغير قصي أي بعيد لأنه بعد عن عشيرته في بلاد
قضاة بارض الشام حين احتملته أمه فاطمة مع رابه ربيعة بن حرام وقد سبقت الإشارة إلى
ذلك . قالوا ومما يؤثر عن قصي أنه قال: من أكرم ليما أشركه في لؤمه . ومن استحسن قبيحا نزل إلى
قبيحه . ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان . ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان . والحسود
العدو الخفي . ولما احتضر قال لأولاده: اجنبوا الخمرة، فإنها تصلح الأبدان وتفسد الأذهان .

الإختلاف في تولي الوظائف والإنقسام

لما كبر قصي فوض أمر هذه الوظائف التي كانت إليه من رئاسات قريش وشرفها من الرفادة والسقاية والحجابه واللواء والندوة إلى ابنه عبد الدار وكان أكبر ولده وإنما خصصه بها كلها لأن بقية أخوته عبد مناف وعبد الشمس وعبدان كانوا قد شرفوا في زمن أبيهم وبلغوا في قوتهم شرفاً كبيراً فأحب قصي أن يلحق بهم عبد الدار في السؤدد فخصصه بذلك فكان أخوته لا ينازعونه في ذلك فلما انقرضوا تشاجر أبناؤهم في ذلك وقالوا إنما خصص قصي عبد الدار بذلك ليلحقه بإخوته فنحن نستحق ما كان آباءنا يستحقونه وقال بنو عبد الدار هذا أمر جعله لنا قصي فنحن أحق به واختلفوا اختلافاً كثيراً وانقسمت بطون قريش فرقتين فرقة بايعت عبد الدار وحالفتهم . وفرقة بايعت بني عبد مناف وحالفتهم على ذلك ووضعوا أيديهم عند الحلف في جفنة فيها طيب ثم لما قاموا مسحوا أيديهم بأركان الكعبة فسموا حلف المطيبين وكان منهم من قبائل قريش بنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو زهرة وبنو تميم وبنو الحارث بن فهر وكان مع بني عبد الدار بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جهم وبنو عدي واعتزلت بنو عامر بن لؤي ومحارب بن فهر الجميع فلم يكونوا مع واحد منهما ثم اصطالحوا واتفقوا على أن تكون الرفادة والسقاية لبني عبد مناف وأن تستقر الحجابه واللواء والندوة في بني عبد الدار فأنبرم الأمر على ذلك واستمر . وأقر الإجازة من مزدلفة في بني عدوان وأقر النسيء في فقيم وأقر الإجازة وهو النفر في صوفة

قصي وذريته

قصي أنجب له زوجته (حبي) بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو والخزاعي أربعة نفر وامرأتين وهم (عبد مناف . وعبد الدار . وعبد العزى . وعبداد . وتخمر . وبرة) .

عبد مناف وذريته

اسم عبد مناف المغيرة بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام . وأولاده كما سبق أن ذكرتُهم (هاشم . وعبد شمس . والمطلب . وأبو عمرو . وتماضر . وقلابة . وحية

وريطه . وأم الأخشم . وأم سفيان . ونوفل) فأم هاشم وعبد شمس والمطلب وأبو عمرو وتماضر وقلابة وحية وريطه وأم الأخشم وأم سفيان هي : عاتكة بنت مرة بن هلال . وأم نوفل هي واقدة بنت عمرو المازنية . وكان أول بني عبد مناف موتا : هاشم مات بغزة من أرض الشام ، ثم عبد شمس مات بمكة ؛ ثم المطلب مات بردمان من أرض اليمن ثم نوفل مات بسلمان من ناحية العراق . والآخر من مختلف في أماكن موتهم قال ابن خلدون : وأما عبد مناف وهو صاحب الشوكة في قريش وسنام الشرف وهو في عمود النسب الكريم .

محكمة هند بنت عتبة وقصة النجابه معاوية

كان الفاكه بن المغيرة المخزومي أحد فتيان قريش وكان قد تزوج هند بن عتبة وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه بلا إذن فقال يوما في ذلك البيت (قال بمعنى القيلولة في منتصف النهار) وكانت هند معه ثم خرج عنها وتركها نائمة فجاء بعض من كان يغشى البيت فلما وجد المرأة نائمة ولى عنها فاستقبله الفاكه بن المغيرة فدخل على هند وأنها وقال من هذا الخارج من عندك قالت والله ما انتهت حتى أنبهتني وما رأيت أحدا قط قال الحقبي بأبيك وخاض الناس في أمرهم فقال لها أبوها (عتبة بن ربيعة) يا بنية العار وإن كان كذبا بشني شأنك فإن كان الرجل صادقا دسست عليه من يقتله فيقطع عنك العار وإن كان كاذبا حاكمته إلى بعض كهان اليمن قالت والله يا أبت إنه لكاذب فخرج عتبة فقال إنك رميت ابنتي بشيء عظيم فإما أن تبين ما قلت وإلا فحاكمني إلى بعض كهان اليمن قال ذلك لك فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ونسوة من بني مخزوم وخرج عتبة في رجال ونسوة من بني عبد مناف فلما شارفوا بلاد الكاهن تغير وجه هند وكسف بالها فقال لها أبوها أي بنية ألا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا قالت يا أبت والله ما ذلك لمكروه قبلي ولكنكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولعله أن يسمني بسمة تبقى على السنة العرب فقال لها أبوها صدقت ولكني سأخبره لك فصفر بفرسه فلما أدلى عمد إلى (حبة بر) فأدخلها في إحليله (أي ذكره) ثم أوكى عليها وسار فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم فقال له عتبة إنا أتيناك في أمر وقد خباناً لك خبيئة فما هي قال (برة في كمره) قال أريد أئين من هذا قال (حبة بر في إحليل مهر) قال صدقت فانظر في أمر هؤلاء النسوة فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ويقول قومي لشأنك حتى إذا بلغ إلى

هند مسح يده على رأسها وقال انهضني غير ررقحاء ولا زانية وستلدين ملكا يسمى معاوية فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها فنشرت يده من يدها وقالت إليك عنى والله لأحرصن أن يكون ذلك الولد من غيرك فتزوجها أبو سفيان فولدت له معاوية .

الكتاب الرابع عشر

ويتضمن الفصول الآتية : الفصل الأول في ذكر هاشم وذريته . والفصل الثاني في ذكر عبد المطلب وذريته . والفصل الثالث في ذكر عبد الله وآمنة . والفصل الرابع في ذكر مدح الهاشميين . والفصل الخامس في حكم تكليف أهل الفترة بالإيمان . والفصل السادس في ذكر تحديد الفترة بين الرسل .

الفصل الأول

في

هاشم وذريته وأمهاتهم

هاشم بن عبد مناف المغيرة بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . كما قال في الحلبية . هو عمرو والعلاء لعلو مرتبته ، وهو أخو عبد شمس وكانا توأمين ، وكانت رجل هاشم أي أصبعها ملصقة بجبهة عبد شمس ، ولم يكن نزعها إلا بسيلان دم ، فكانوا يقولون سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما أي بين بني العباس وبين بني أمية سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة ، ووقعت العداوة بين هاشم وبين ابن أخيه أمية بن عبد شمس ، لأن هاشما لما ساد قومه بعد أبيه عبد مناف حسده أمية بن أخيه فتكلف أن يصنع كما يصنع هاشم فعجز ، فغيرته قريش وقالوه أئتشبه بهاشم ، ثم دعا هاشما للمناقرة فأبى هاشم ذلك لسنه وعلوقه ، فلم تدعه قريش ، فقال هاشم لأمية : أنا فرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة ، والجلاء عن مكة عشر سنين ، فرضي أمية بذلك ، وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وكان بعسفان ، فخرج كل منهما في نفر ، فنزلوا على الكاهن ، فقال قبل أن يخبروه خبرهم : والقمر الباهر والكوكب الزاهر ، والغمام الماطر ، وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر ، من منجد وغائر ، لقد سبق هاشم أمية إلى المفاخر . فنصر هاشم على أمية ، فعاد هاشم

إلى مكة ونحر الإبل، وأطعم الناس، وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأميه، وتوارث ذلك بنوهما، وكان يقال لهاشم وإخوته عبد شمس والمطلب ونوفل أقداح النضار: أي الذهب، ويقال لهم المجيرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على سائر العرب. قال بعضهم: ولا يعرف بنو أب تباينوا في محال موتهم مثلهم، فإن هاشما مات بغزة: أي كما سيأتي، وعبد شمس مات بمكة، وقبره بأجياد، ونوفلاً مات بالعراق، والمطلب مات يرعاء من أرض اليمن: (قال) وقيل لهاشم هاشم، لأنه أول من هشم الثريد بعد جده إبراهيم، فإن إبراهيم أول من فعل ذلك: أي ثرد الثريد وأطعمه المساكين (قال) وفيه أن أول من ثرد الثريد، وأطعمه بمكة بعد إبراهيم قال وكان هاشم بعد أبيه عبد مناف على السقاية والرفادة، فكان يعمل الطعام للحجاج يأكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد، ويقال لذلك الرفادة. قال واتفق أنه أصاب الناس سنة جذب شديد فخرج هاشم إلى الشام، وقيل بلغه ذلك وهو بغزة من الشام، فاشترى دقيقاً وكعكاً وقدم به مكة في الموسم، فهشم الخبز والكعك ونحر الجزر وجعله ثريداً، وأطعم الناس حتى أشبعهم، فسمي بذلك هاشماً. وكان يقال له أبو البطحاء وسيد البطحاء. قال بعضهم: لم تنزل مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء. (قال) وقد ذكر أنه كان إذا هل هلال ذي الحجة قام صبيحته وأسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول في خطبته: يا معشر قريش إنكم سادة العرب، أحسنها وجوهاً، وأعظمها أحلاماً أي عقولاً، وأوسط العرب: أي أشرفها أنساباً، وأقرب العرب بالعرب أرحاماً. يا معشر قريش إنكم جيران بيت الله تعالى، أكرمكم الله تعالى بولايته، وخصكم بجواره دون بني إسماعيل، وإنه يأتاكم زوار الله يعظمون بيته فهم أضيافه وأحق من أكرم أضياف الله أنتم فأكرموا ضيفه وزواره، فإنهم يأتون شعناً غبراً من كل بلد على ضواير كالقداح فأكرموا ضيفه وزوار بيته فو رب هذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتكموه، وأنا مخرج من طيب مالي وحلاله ما لم يقطع فيه رحم، ولم يؤخذ بظلم، ولم يدخل فيه حرام. فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل، وأسألكم بجرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم إلا طيباً، لم يؤخذ ظلماً، ولم يقطع فيه رحم، ولم يؤخذ غصباً، فكانوا يجتهدون في ذلك، ويخرجونه من أموالهم فيضعونه في دار الندوة

(قالوا) وكان هاشم بن عبد مناف فيما يزعمون أول من سن الرحلتين لقريش : رحلتي الشتاء والصيف وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكة وكان اسمه عمرا وماسمي هاشما إلا بهشمه الخزرج بمكة لقومه وقد أنجب هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمسة نسوة وهم (عبد المطلب . وأسد . وأبا صيفي . ونضلة . والشفاء . وخالدة . وضعيفة . ورقية . وحية) قال وأم عبد المطلب ورقية هي سلمى بنت عمرو بن زيد بن ليبيد بن حرام بن خدأش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر وأما عميرة بنت صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار . وأم عميرة : سلمى بنت عبد الأشهل التجارية . وأم أسد قيلة بنت عامر بن مالك الخزاعي وأم أبي صيفي وحية : هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية . . وأم نضلة والشفاء : امرأة من قضاة . وأم خالدة وضعيفة : واقدة بنت أبي عدي المازنية . قال العلامة ابن خلدون وبنو هاشم بن عبد مناف سيدهم عبد المطلب بن هاشم ولم يذكر من عقبه إلا عقب عبد المطلب وكان بنوه عشرة كما سيأتي بعد .

بنو هاشم وبنو عبد شمس وأحلافهم

كان بنو هاشم وبنو عبد شمس متقاسمين رئاسة بني عبد مناف والبقية أحلاف لهم . فبنو المطلب أحلاف لبني هاشم ، وبنو نوفل أحلاف لبني عبد شمس . فأما بنو عبد شمس فمنهم العيلات وهم بنو أمية الأصغر وبنته الثريا صاحبة عمر بن أبي ربيعة ، وهي سيدة القريض المغني ، وبنو ربيعة بن عبد شمس : منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة . ومن عتبة ابنه الوليد وقتل يوم بدر كافرا ، وأبو حذيفة صحابي وهو مولى سالم قتل يوم اليمامة . وهند بنت عتبة أم معاوية رضي الله عنها . وبنو عبد العزى صهر النبي ، وكانت له منها أمامة تزوجها علي بعد فاطمة رضي الله عنهما . وبنو أمية الأكبر بن عبد شمس : منهم سعيد بن أبي أحيحة العاصي بن أمية مات كافرا ، وابنه خالد بن سعيد قتل يوم اليرموك وسعيد بن العاصي بن سعيد قديم الإسلام ولي صنعاء واستشهد في فتح الشام ، وابنه سعيد قتل يوم اليرموك وسعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أمية ولي الكوفة لعثمان . وابنه عمرو الأشدق القائم على عبد الملك وقتله . وأمير المؤمنين عثمان بن عفان بن العاصي بن أمية . ومروان بن الحكم ابن أبي العاصي وأعقاب الخلفاء الأولون في الإسلام ، والملوك بالأندلس معروفون

خطبة لهاشم

هذه خطبة أخرى من خطب هاشم يحث فيها قريشا على إكرام زوار بيت الله الحرام وكان هاشم بن عبد مناف يقوم أول نهار اليوم الأول من ذي الحجة فيسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها كما سبق أن ذكرنا ويخطب قريشا فيقول يا معشر قريش أنتم سادة العرب أحسنها وجوها وأعظمها أحلاما وأوسطها أنسابا وأقربها أرحاما يا معشر قريش أنتم جيران بيت الله أكرمكم بولايته وخصكم بجواره دون بني إسماعيل وحفظ منكم أحسن ما حفظ جار من جاره فأكرموا ضيفه وزوار بيته فإنهم يأتونكم شعثا غبرا من كل بلد فرب هذه البنية لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتكموه ألا وإنني مخرج من طيب مالي وحلاله ما لم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فواضعه فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل وأسألكم مجرمة هذا البيت ألا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله ومعونتهم إلا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم يقطع فيه رحم ولم يغتصب بمكارم الأخلاق فإنها رفعة وإياكم والأخلاق الدنية فإنها تضع الشرف وتهدم الجدد وإن نهضة الجاهل أهون من جريرته ورأس العشيرة يحمل أثقالها ومقام الحليم عظة لمن انتفع به فقالت قريش رضينا بك أبا نضلة وهي كنيته .

قصة عبد المطلب

يقال ان هاشم بن عبد مناف بن المغيرة بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ابن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . لما قدم المدينة تزوج سلمى بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار ، وكانت قبله عند أحيحة ابن الجلاح بن الحريش بن جَحْجَبِي بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس فولدت له عمرو بن أحيحة ، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشتروا لها أن أمرها بيدها إذا كرهت رجلا فارقه فولدت لهاشم رقية وعبد المطلب وسمته شيبه فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفا أو فوق ذلك ، ثم خرج إليه عمه المطلب ليقبضه فيلحقه ببلده وقومه فقالت له سلمى : لست بمرسلته معك ؛ فقال لها المطلب : إني غير منصرف حتى أخرج به معي ، إن ابن أخي قد بلغ ، وهو غريب في غير قومه ، ونحن أهل بيت شرف في قومنا ، نلي كثير من أمورهم ، وقومه وبلده وعشيرته

خير له من الإقامة في غيرهم، أو كما قال . وقال شيبه لعمه المطلب فيما يزعمون : لست بمفارقها إلا أن تأذن لي ، فأذنت له ،

الفصل الثاني

في

ذكر عبد المطلب وذريته

عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المغيرة بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . يدعى شيبه الحمد لكثرة حمد الناس له : أي لأنه كان مفرع قريش في النوائب وملجأهم في الأمور ، فكان شريف قريش وسيدها كملاً وفعلاً من غير مدافع . وقيل : قيل له شيبه الحمد ، لأنه ولد وفي رأسه شيبه : أي وفي لفظ كان وسط رأسه أبيض ، أو سمي بذلك تفاقلاً بأنه سيبلغ سن الشيب وقيل اسمه عامر ، وعاش مائة وأربعين سنة : أي وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وكان مجاب الدعوة ، وكان يقال له الفياض لجوده ، ومطعم طير السماء لأنه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال . قال : وكان من حلماة قريش وحكائها ، وكان نديمه حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف والد أبي سفيان ، وكان في جوار عبد المطلب يهودي فأغلظ ذلك اليهودي القول على حرب في سوق من أسواق تهامة ، فأغرى عليه حرب من قتله ، فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب ، ولم يفارقه حتى أخذ منه مائة ناقة دفعها لابن عم اليهودي حفظاً لجواره ، ثم نادى عبد الله بن جدعان وقيل له عبد المطلب ، لأن عمه المطلب لما جاء به صغيراً من المدينة أردفه خلفه : أي وكان بهيئة رثة : أي ثياب خلقة ، فصار كل من يسأل عنه ويقول من هذا ؟ يقول عبدي أي حياء أن يقول ابن أخي ، فلما دخل مكة أحسن من حاله وأظهر أنه ابن أخيه وصار يقول لمن يقول له عبد المطلب : ويحكم إنما هو شيبه بن أخي هاشم لكن غلب عليه الوصف المذكور فقليل له عبد المطلب : أي وقيل لأنه تربى في حجر عمه المطلب ، وكان عادة العرب أن تقول لليتيم الذي يتربى في حجر أحد هو عبده وكان عبد المطلب يأمر أولاده : بترك الظلم والبغي ، ويحثهم على مكارم

الأخلاق، وينهاهم عن دنياات الأمور . والله إن وراء هذه الدار داراً يجزى فيها الحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته: أي فالمظلوم شأنه في الدنيا ذلك، حتى إذا خرج من الدنيا ولم تصبه العقوبة فهي معدة له في الآخرة، ورفض في آخر عمره عبادة الأصنام، ووجد الله سبحانه وتعالى . وتؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها، وجاءت السنة بها: منها الوفاء بالندى، والمنع من نكاح المحارم، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموءودة، وتحريم الخمر والزنا، وأن لا يطوف بالبيت عريان . وكان يقول: لن يخرج من الدنيا ظلم حتى ينتقم منه . قال العلامة ابن خلدون وبنو هاشم بن عبد مناف سيدهم عبد المطلب بن هاشم ولم يذكر من عقبه إلا عقب عبد المطلب قال ابن هشام وأولاد عبد المطلب عشرة نفروست نسوة وهم: (الحارث . والعباس . وحمزة . وعبد الله . وأبو طالب . وأبو لهب . وعمران . والزيبر . والمقوم . وضرار . وصفية . وأم حكيم . وعاتكة . وأميمة . وأروى . وبرة) قال وكان الحارث بكر أبيه وبه كان يكنى . وجعل ويقال جعل كان يلقب بالغيداق لكثرة خيره . وأم حكيم تسمى البيضاء . وأبو لهب اسمه عبد العزى ومن عقبه ابنه عتبة صحابي .

(قلت) ثم ذكر (المصنف) أمهاتهم فقال أم الحارث بن عبد المطلب هي سمراء بنت جندب بن جحير بن رئاب بن حبيب بن سواء بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن بن منصور بن عكرمة . وأم العباس وضرار هي تيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم اللات بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار . وأم حمزة والمقوم وصفية وحجل هي هالة بنت وهيب بن عبد مناة بن زهرة ابن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي . وأم عبد الله وأبي طالب والزيبر وأم حكيم وعاتكة وأميمة وأروى وبرة هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر . وأم أبي لهب هي لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي . (قال) وعبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم هو أصغرهم قال ابن خلدون : وقثم والزيبر لا عقب لهما، وعقب حمزة انقرض فيما قال ابن حزم . وأما عقب العباس وأبي طالب فأكثر من أن يحصر، والبيت والشرف من بني العباس في عبد الله بن العباس . ومن بني أبي طالب في علي أمير المؤمنين وبعده أخوه جعفر رضي الله عنهم أجمعين .

تجديد حفر زمزم

تجديد حفر زمزم على يدي عبد المطلب بن هاشم التي كان قد درس رسمها بعد طم جرهم لها إلى زمانه وكان أول ما ابتدئ به عبد المطلب من حفرها أنه قال إني لنائم في الحجر إذ أتاني أت فقال لي احفر طيبة قال قلت وما طيبة . قال ثم ذهب عني قال فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فجاءني فقال احفري قال قلت وما برة . قال ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فجاءني فقال احفر المصنونة قال قلت وما المصنونة . قال ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني قال احفر زمزم قال قلت وما زمزم قال لا تنزف أبدا ولا تزم تسقي الحجيج الأعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل قال فلما بين لي شأنها ودل على موضعها . قال (سيدنا علي) فلما عرف أنه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنة الحارث بن عبد المطلب وليس له يومئذ ولد غيره فحفز فلما بدا لعبد المطلب الطمي كبر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته فقاموا إليه فقالوا يا عبد المطلب إنها برأينا اسماعيل وإن لنا فيها حقا فأشركنا معك فيها قال ما أنا بفاعل إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فأنصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيم قال نعم وكانت يأشرف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أمية وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا والأرض إذ ذاك مفاوز حتى إذا كانوا ببعضها نقد ماء عبد المطلب وأصحابه فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم فأبوا عليهم وقالوا إنا بمفازة وإنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فقال عبد المطلب إني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما لكم الآن من القوة فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم واروه حتى يكون آخرهم رجلا واحدا فضيعة رجل واحد أسير من ضيعة ركب جميعه فقالوا نعم ما أمرت به فحفر كل رجل لنفسه حفرة ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشى ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه ألقينا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض لا نبتغي لأنفسنا العجز فعسى أن يرزقنا ماء ببعض البلاد فارتحلوا حتى إذا بعث عبد المطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستسقوا حتى ملئوا أسقيتهم ثم دعا قبائل قريش وهم ينتظرون إليهم في

جميع هذه الأحوال فقال هلموا إلى الماء فقد سقانا الله فجاءوا فشربوا واستقوا كلهم ثم قالوا قد والله قضى لك علينا والله ما نخاصمك في زمزم أبداً إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم فارجع إلى سقائك راشداً فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبين زمزم ب قال فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث وليس له يومئذ ولد غيره

(زاد الأموي في كتابه حكاية أخرى وهي) بل معه مولاه أصرم (وقال) فلم يحفر إلا سيرا حتى بدا له الطمي فكبر وعرف أنه قد صدق فلما تمالى به الحفر وجد فيها غزالتين من ذهب اللتين كانت جرهم قد دفنتهم ووجد فيها أسيافا قلعية وأدراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق قال لا ولكن هلم إلى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف نصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قد حاه على شيء كان له ومن تخلف قد حاه فلا شيء له قالوا أنصفت فجعل للكعبة قدحين أصفرين وله أسودين ولهم أبيضين ثم أعطوا القداح للذي يضرب عند هبل وهبل أكبر أصنامهم وقام عبد المطلب يدعوا الله قال وضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالتين للكعبة وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب وتخلف قدحاً قريش فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة وضرب في الباب الغزالتين من ذهب فكان أول ذهب حلية للكعبة فيما يزعمون ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحاج وذكر ابن اسحاق وغيره أن مكة كان فيها أبار كثيرة قبل ظهور زمزم في زمن عبد المطلب ثم عددها ابن اسحاق وسماها وذكر أماكنها من مكة وحافريها إلى أن قال فعفت زمزم على البئر كلها وانصرف الناس كلهم إليها لمكانها من المسجد الحرام ولفضلها على ما سواها من المياه ولأنها بئر اسماعيل بن إبراهيم واقتحرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب

ماء زمزم

قد ثبت في صحيح مسلم في حديث إسلام أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في زمزم إنها لطعام طعم وشفاء سقم وقال الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب منه وقد تكلموا فيه ولفظه ماء زمزم لما شرب له وعن ابن عباس أنه قال لرجل إذا شربت من زمزم فاستقبل الكعبة واذكر اسم الله وتنفس ثلاثاً وتصلع منها فإذا فرغت

فاحمد الله فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن آية ما بيننا وبين المنافقين لا يتصلعون من ماء زمزم وقد ذكر عن عبد المطلب أنه قال اللهم إني لأحلمها لمغتسل وهي لشارب حل وبل وقد ذكره بعض الفقهاء عن العباس بن عبد المطلب والصحيح أن هذا النص هو لعبد المطلب نفسه فإنه هو الذي جدد حفر زمزم كما قدمنا والله أعلم

(قال) وقد كانت السقاية إلى عبد المطلب أيام حياته ثم صارت إلى ابنه أبي طالب مدة ثم اتفق أنه املق في بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف إلى الموسم الآخر وصرفها أبو طالب في الحجيج في عامه فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب شيء فقال لأخيه العباس اسلفني أربعة عشر ألفا أيضا إلى العام المقبل أعطيك جميع مالك فقال له العباس بشرطان لم تعطني ترك السقاية لي أكفكها فقال نعم فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يعطي العباس فترك له السقاية فصارت إليه ثم من بعده صارت إلى عبد الله ولده ثم إلى علي بن عبد الله بن عباس ثم إلى داود بن علي ثم إلى سليمان بن علي ثم إلى عيسى بن علي ثم أخذها المنصور واستتاب عليها مولاه أبا رزين ذكره الأموي .

خطبة لعبد المطلب

لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها تهنئه وتمدحه ومنهم وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم فاستأذنه في الكلام فأذن له فقال : إن الله تعالى أيها الملك أحلك محلا رفيعا صعبا منيعا باذخا شاححا وأنبك منبتا طابت أرومته وعزت جرتومته وثبت أصله وبسق فرعه في أكرم معدن وأطيب موطن فأنت - أبيت اللعن - رأس العرب وربيعها الذي به تخصب وملكها الذي به تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد سلفك خير سلف وأنت لنا بعدهم خير خلف ولن يهلك من أنت خلفه ولن يخمل من أنت سلفه نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته وسدنة بيته أشخصنا إليك الذي أبهجت بكشف الكرب الذي فدحنا فنحن وفد التهئة لا وفد المرزئة .

نحاة عبد الله من الذبح

كان عبد المطلب قد نذر إن أكرمه بعشر من الولد ليذبحن أحدهم ولو كان الأعز . فلما أنجب عشرة من الولد (قال المؤلف) وكان عند هبل قداح سبعة، كل قدح منها فيه كتاب، قدح فيه العقل . أي الدية. إذا اختلفوا في العقل من يحملة منهم، ضربوا بالقداح السبعة؛ فإن خرج العقل فعلى من خرج حملة، وقدح فيها "نعم" للأمر إذا أرادوه، يضرب به في القداح، وقدح فيه "لا" إذا أرادوا أمرا ضربوا به في القداح، فإن خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر وقدح فيه "منكم"، وقدح فيه "ملصق"، وقدح فيه "من غيركم"، وقدح فيه "المياه" إذا أرادوا أن يحفروا الماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح، فحيثما خرج عملوا به . وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما أو ينكحوا منكحا أو يدفنوا ميتا أو شكوا في نسب أحدهم، ذهبوا به إلى هبل، ومائة درهم وجزور فأعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها، ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون، ثم قالوا: يا إلهنا، هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا، فأخرج الحق فيه . ثم يقولون لصاحب القداح: اضرب، فإن خرج عليه "منكم" كان منهم وسيطا، وإن خرج عليه "من غيركم" كان حليفا؛ وإن خرج عليه "ملصق" كان على منزلته فيهم، لا نسب له ولا حلف؛ وإن خرج فيه شيء مما سوى هذا مما يعملون به "نعم" عملوا به؛ وإن خرج "لا" أخروه عامه ذلك حتى يأتوه به مرة أخرى ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح . (قال) فقال عبد المطلب ذات يوم لصاحب القداح: اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه . وأخبره بنذره الذي نذره، فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه وكان عبد الله أصغر بني أبيه وكان أحب ولد عبد المطلب إليه، فكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأ فقد أشوى . فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب قام عبد المطلب عند هبل يدعوا الله ثم ضرب صاحب القداح، فخرج القدح على عبد الله، فأخذه عبد المطلب بيده، وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أديتها فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال أذبحه . فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس على هذا، وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان ابن أخت القوم: والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه، وقالت له قريش وبنوه لا تفعل وانطلق به إلى الحجاز؛ فإن به عرافة لها

تابع، فسلمها ثم أنت على رأس أمرك، إن أمرك بذبحه ذبحته، وإن أمرك بأمر لك وله فيه فرج قبلته . فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوها بخير، فركبوا حتى جاءوها فسألوها، وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه، وما أراد به، ونذره فيه، فقالت لهم: ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله، فرجعوا من عندها، فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله، ثم غدوا عليها فقالت لهم: قد جاءني الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا: عشرة من الإبل، قالت: فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرا من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقدح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم. فخرجوا حتى قدموا مكة، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قدموا عبد الله وعشرا من الإبل، وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو الله عز وجل، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل عشرين، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل ثلاثين، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل أربعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل خمسين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل ستين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل سبعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل ثمانين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل تسعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل مائة، وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على "الإبل". فقالت قريش ومن حضر: قد انتهى رضى ربك يا عبد المطلب (قال) وزعموا أن عبد المطلب قال: لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات. فضربوا على عبد الله وعلى الإبل، وقام عبد المطلب يدعو فخرج القدح على الإبل؛ ثم عادوا الثانية وعبد المطلب قائم يدعو

الله، فضرّبوا فخرج القدح على الإبل؛ ثم عادوا الثالثة وعبد المطلب قائم يدعو الله، فضرّبوا فخرج القدح على الإبل. فتحرّت ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا يمنع.

الفصل الثالث

في

ذكر عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب

عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن (كلاب) بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام (تزوج) بآمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن (كلاب) بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام. وأنجبا سيد ولد آدم (محمد رسول الله) فهو أشرف ولد آدم حسبا وأفضلهم نسبا من قبل أبيه وأمه صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين وقد تقدم حديث الأوزاعي عن شداد أبي عمار عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشما من قريش واصطفاني من بني هاشم) رواه مسلم وسيأتي بيان مولده الكريم.

كيفية زواج عبد الله بآمنة

بعد أن ذبح عبد المطلب الإبل المائة عن ولده عبد الله حيث أنه كان نذر ذبحه فسلمه الله تعالى لما كان قد قدر في الأزل من ظهور النبي المصطفى عليه السلام من صلبه وذهب كما تقدم فزوجه أشرف عقيلة في قريش وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة الزهرية وحين دخل بها وأفضى إليها حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كانت (أم قتال) رقيقة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل توسمت ما كان بين عيني عبد الله قبل أن يجامع آمنة من النور فودت أن يكون ذلك متصلا بها لما كانت تسمع من أخيها (ورقة) من البشارات بوجود نبي وأنه قد أزف زمانه فعرضت نفسها عليه قال

بعضهم ليتزوجها وهو أظهر فامتنع عليها فلما انتقل ذلك النور الباهر إلى آمنة بمواقعة إياها كأنه تندم على ما كانت عرضت عليه أم قتال فتعرض لها لتعاوده فقالت لا حاجة لي فيك وتأسفت على ما فاتها من ذلك وأنشدت في ذلك الشعر الفصيح البليغ وهذه الصيانة لعبد الله ليست له وإنما هي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) وقد جاء في الحديث المروي من طريق جيد أنه عليه الصلاة والسلام قال (ولدت من نكاح لا من سفاح) .

وفاة عبد الله بن عبد المطلب

قال ابن سعد خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غزة في غير من غيران قريش يحملون تجارات ففرغوا من تجارتهم ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله يومئذ مريض فقال أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار فأقام عندهم مريضا شهرا ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله فقالوا خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار وهو مريض فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده وهو الحارث فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة فرجع إلى أبيه فأخبره فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجدا شديدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حمل ولعبد الله ابن عبد المطلب يوم توفي خمس وعشرون سنة قال الواقدي هذا هو أثبت الأقاويل في وفاة عبد الله وسنه عندنا وقال الواقدي عن الزهري بل أن عبد المطلب بعث عبد الله إلى المدينة يمتار لهم ترفعات قال وعن عوانة بن الحكم قال توفي عبد الله بن عبد المطلب بعد ما أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أشهر وقيل ثمانية وعشرون شهرا وقال بن سعد والأول أثبت وهو أنه توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل وقال ابن خربوذ توفي عبد الله بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن شهرين .

الفصل الرابع

في

ذكر مدح الهاشميين

للشاعر الكميث بن زيد الاسدي الكوفي

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا مني وذو الشيب لا يلعب

ولم يلهمني دار ولا رسم منزل
ولكن الى اهل الفضائل والنهي
بني هاشم رهط النبي فاني
خفصت لهم مني الجناح مودة
ومالي الاءال احمد شيعة
بأي كتاب ام باية سنة

ولم يطربني بنان مخضب
وخير بني حواء والخير يطلب
بهم ولهم ارضى مرارا واغضب
على كف عطفاء اهل ومرحب
ومالي الامذهب الحق مذهب
يرى حبهم عارا علي ويحسب

قوم النبي

لسيدنا حسان ابن ثابت الانصاري رضي الله عنه :

إِنَّ الذَّوَابَّ مِنْ فَهْرٍ وَأَخْوَتَهُمْ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِيرَتُهُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ
سَجِيَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدِّثَةٍ،
لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ،
وَلَا يَضْتَوْنَ عَنْ مَوْلَى بَفَضْلِهِمْ،
لَا يَجْهَلُونَ، وَإِنْ حَاوَلْتَ جَهْلَهُمْ،
أَعْفَا ذَكَرْتُ فِي الْوَحْيِ عَفْوَهُمْ
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لَهُمْ نَالُوا كَرَامَتَهُ،
أَعْطَوْا نَبِيَّ الْهُدَى وَالْبِرِّ طَاعَتَهُمْ،
إِنْ قَالَ سَيُورُوا أَجْدُوا السَّيْرَ جُهْدَهُمْ،
مَا زَالَ سَيْرُهُمْ حَتَّى اسْتَقَادَ لَهُمْ
خُذَ مِنْهُمْ مَا أَتَى عَفْوًا، إِذَا غَضِبُوا،

قَدْ بَيَّنَّا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تَبَعُ
تَقْوَى إِلَهِهِ بِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا
أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاءِهِمْ نَفَعُوا
إِنَّ الْخَلَائِقَ، فَاَعْلَمْ، شَرُّهَا الْبَدْعُ
عِنْدَ الدِّفَاعِ، وَلَا يُوْهَوْنَ مَا رَقَعُوا
فَكُلُّ سَبْقٍ لَأَذْنَى سَبْقَتِهِمْ تَبَعُ
وَلَا يَصِيبُهُمْ فِي مَطْمَعٍ طَبَعُ
فِي فَضْلِ أَحْلَامِهِمْ عَنْ ذَاكَ مُتَسَعُ
لَا يَطْمَعُونَ، وَلَا يُرْدِيهِمُ الطَّمَعُ
وَمَنْ عَدُوٌّ عَلَيْهِمْ جَاهِدْ جَدْعُوا
فَمَا وَبَى نَصْرُهُمْ عَنْهُ وَمَا نَزَعُوا
أَوْ قَالَ عَوْجُوا عَلَيْنَا سَاعَةً، رَبُّعُوا
أَهْلُ الصَّلِيبِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ الْبَيْعُ
وَلَا يَكُنْ هُمُكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا

فَلِإِنْ فِي حَرْبِهِمْ، فَأَتْرَكَ عَدَاوَتَهُمْ،
نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنا مَخَالِبَهَا
لَا فَخْرَ إِنْ هُمْ أَصَابُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ
كَأَنَّهُمْ فِي الْوَعْيِ، وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ
إِذَا نَصَبْنَا لِقَوْمٍ لَا نَدْبَ لَهُمْ
أَكْرَمُ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ شَيْعَتُهُمْ،
أَهْدَى لَهُمْ مَدْحِي قَوْمٌ يُؤَازِرُهُ
فَبِإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ،
أَرَقْتُ لَتَوْمَاضِ الْبُرُوقِ اللَّوَامِعِ،
أَرَقْتُ لَهُ، حَتَّى عَلِمْتُ مَكَانَهُ
طَوَى أَبْرَقَ الْعَزَافِ يَرْعُدُ مِنْهُ،

شَرَّأَيْخَاضُ عَلَيْهِ الصَّابُ وَالسَّلْعُ
إِذَا الرِّعَافُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا
وَإِنْ أَصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا جُرْعُ
أَسْدٌ بِيَشَّةٍ فِي أَرْسَاغِهَا فِدْعُ
كَمَا يَدْبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ
إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
فِيمَا يُحِبُّ لِسَانُ حَائِكٍ صَنَعَ
إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جَدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا
وَنَحْنُ نَشَاوِي بَيْنَ سِلْعٍ وَفَارِعٍ
بِأَكْغَافِ سَلْعٍ، وَالتَّلَاعِ الدَّوَاعِ
حَنِينُ الْمَتَالِي، نَحْوَصَوْتُ الْمُشَايِعِ

فانعم بها من منقبة عظيمة . وسلالة فخيمة قديمة . تباشرت بها الاوائل والاواخر . وشهدت بها
الحواضر والدواثر . وعلم بها الامصار والدواشر .

حكم أهل الفترة

قال فضيلة الشيخ محمد مجتهد المصري : نفيد أنه جاء في شرح مسلم الثبوت ما نصه (وأما الواقع
فالمقارن من لدن آدم أبي البشر إلى نبينا ومولانا أفضل الرسل وأشرف الخلق محمد رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه لم يبعث نبي قط أشرك بالله طرفه عين) وعليه نص الإمام أبو حنيفة في الفقه الأكبر
وفى بعض المعبرات أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن حقيقة الكفر وعن حكمه بتبعية آبائهم
وعلى هذا فلا بد من أن يكون تولد الأنبياء بين أبوين مسلمين أو يكون موتهما قبل تولدهم لكن الشق
الثاني قلما يوجد في الآباء ولا يمكن في الأمهات . ومن ههنا بطل ما نسب به بعضهم من الكفر في أم
سيد العالم مفخرة بنى آدم صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم وذلك لأنه حينئذ يلزم نسبة الكفر
بالتبع وهو خلاف الإجماع، بل الحق الراجح هو الأول (قال) وأما الأحاديث الواردة في أبوى سيد

العالم صلوات الله وسلامه عليه وآله وأصحابه فمتعارضة مروية أحادا فلا تعويل عليها فى الاعتقادات . وأما آزر فالصحيح أنه لم يكن أبا إبراهيم عليه السلام بل أبوه تارح كذا صحح فى بعض التواريخ وإنما كان آزر عم إبراهيم فى حجره والعرب تسمى العم الذى ولى تربية ابن أخيه أبا له وعلى هذا التأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾ وهو المراد بما روى فى بعض الصحاح أنه نزل فى أب سيد العالم صلى الله عليه وآله وأصحابه ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قَرَبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ فإن المراد بالأب العم كيف لا وقد وقع صريحا فى صحيح البخارى أنه نزل فى أبى طالب . هذا وينبغى أن يعتقد أن آباء سيد العالم صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم من لدن أبيه إلى آدم كلهم مؤمنون وقد بينه السيوطى بوجه أتم وفى الفتاوى الحامدية أنه قد وردت أحاديث دالة على طهارة نسبه الشريف عليه الصلاة والسلام من دنس الشرك وشين الكفر ومن ذلك يعلم أنه لا شك ولا شبهة فى موت أبوى النبى صلى الله عليه وسلم على الإيمان، وأنه لا حاجة إلى التمسك بالحديث الضعيف من أن الله سبحانه وتعالى أحيا أبويه وآمنا به وأن محل كون أن الإيمان لا ينفع بعد الموت فى غير الخصوصية لأن ذلك يرجع إلى تخصيص القواعد العقلية القاضية بانتهاء التكليف بالموت، وأنه لا تكليف بعده ولا إلى ما تكلفه بعض العلماء فى ذلك، ومن هذا يعلم أن القائل بأن أبوى النبى صلى الله عليه وسلم ناجيان هو الذى على الصواب لا لما قالوه من أن أهل الفترة ناجون ولا لقوله تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مَعْذِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ بل نجائهما لأنهما كانا على الإيمان وماتا عليه وأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون عن حقيقة الكفر وعن حكم تبعية آبائهم إلى آخر ما تقدم .

الفصل الخامس

في

حكم تكليف أهل الفترة بالإيمان

قال وأما أهل الفترة فالحق أنهم جميعا مكلفون بالإيمان وجميع ما اتفقت عليه الشرائع وكان معلوما مشهورا لما قرره المحققون من الأصوليين من أن لا حكم قبل الشرع أى قبل البعثة لأحد من الرسل فالأحكام موجودة فكل من بلغته الأحكام فيما يتعلق بالإيمان أو غيره كان مكلفا به ولم تختلف الشرائع

فى وجوب الإيمان والتوحيد فالخطاب به معلوم لكل من بلغته دعوة أى رسول كان فان جميع المكلفين من لدن بعثة آدم الذى هو أول الرسل بعثا إلى أن تنتهى دار التكليف مخاطبين شرعا بوجوب الإيمان والتوحيد وأما بعد البعثة ولولو واحد من الرسل فلا خلاف فى وجود الأحكام ووجوب العمل بها على من بلغته . وأما أهل الفترة الذين هم قوم كانوا بين رسولين فلم يدركوا الأول ولا أدركوا الثانى ، فاختلاف العلماء فيهم إنما هو فيما اندرس من الشرائع وخفيت فيه الأحكام على هؤلاء القوم ، فذهب فريق إلى أن الأصل فيما اندرست أحكامه هو الإباحة ، وقال فريق هو الحظر ، وقال فريق بالوقف وهذا الخلاف بين أئمتنا أهل السنة فى حكم هؤلاء بعد البعثة وكل فريق من هذه الفرق يستند فى قوله إلى الدليل الشرعى وهذا الخلاف غير الخلاف الذى وقع بين المعتزلة أنفسهم فى الأفعال التى خفيت فيها المصلحة والمفسدة أو اتفأوهما ولم تكن ضرورية للعباد واختلفوا فيها على ثلاثة أقوال أيضا الإباحة والحظر والوقف ، فإن هذا الخلاف الذى هو بين المعتزلة موضوعه فيما قبل البعثة لأحد من الرسل وفيمن لم تبلغه دعوة أحد من الرسل أصلا . وأهل السنة ينفون الحكم أصلا قبل البعثة لأحد من الرسل فليس عند أهل السنة قبل البعثة لأحد من الرسل شىء من الأحكام لا حظر ولا إباحة ولا غيرها وأما خلافهم فى أهل الفترة على الأقوال الثلاثة المقدمة فإنما هو بعد ورود الشرع ، وخاص بمن درس فيه الشرائع ، وأما ما اتفقت عليه الشرائع كالإيمان والتوحيد والزنا والقتل فلا خلاف فى التكليف به لكل من اجتمعت فيه صفات التكليف بلا فرق بين أهل الفترة وغيرهم ، كما فصلنا ذلك على الوجه الحق فى كتاب البدر الساطع على جمع الجوامع . ومن ذلك يعلم أن أهل الفترة الذين ولدوا بعد عيسى عليه الصلاة والسلام وقبل بعثة سيد الخلق جميعا ومنهم أبوا المصطفى عليه الصلاة والسلام مكلفون بالإيمان والتوحيد بمجرد بعثة آدم خصوصا وأن رسالة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام كانت عامة ولم تنسخ إلا فيما خالفها مما يتعلق ببنى إسرائيل فى شريعتهم فمن كان منهم مؤمنا بالله وحده كان ناجيا ومن لم يكن مؤمنا أو ارتكب قتل النفس بغير حق كان عاصيا مخلدا فى النار إن كان كافرا وإلا فلا ، وأما ما يتعلق بالاعتقاد فقد قال فى الفتاوى الحامدية سئل القاضى أبوبكر بن العربى أحد أئمة المالكية رحمه الله تعالى عن رجل قال إن آباء النبى صلى الله عليه وسلم فى النار فأجاب بأنه ملعون لأن الله تعالى يقول ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة ﴾ ، قال ولا

أذى أعظم من أن يقال عن أبيه أنه فى النار وقال الإمام السهيلي رحمه الله تعالى فى الروض الأنف (وليس لنا نحن أن نقول ذلك فى أبيه عليه الصلاة والسلام لقوله عليه الصلاة والسلام لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات والله تعالى يقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا﴾ وقد أمرنا أن نمسك اللسان إذا ذكر أصحابه رضى الله عنهم بشىء يرجع إلى العيب والنقص فيهم . فلأن نمسك ونكف عن أبيه أحق وأحرى إذا تكرر ذلك فحق المسلم أن يمسك لسانه عما يخل بشرف نسب نبيه عليه الصلاة والسلام بوجه من الوجوه ولا خفاء فى أن إثبات الشرك فى أبيه إخلال ظاهر بشرف نسب نبيه الطاهر ، وجملة هذه المسائل ليست من الاعتقادات فلاحظ للقلب فيها ، وأما اللسان فحقه الإمساك عما يتبادر منه النقصان خصوصا عند العامة لأنهم لا يقدرّون على دفعه وتداركه) ومن ذلك يعلم أن من قال بموت أبوى النّبى صلى الله عليه وسلم على الكفر قد أخطأ خطأ يثام ويدخل به فيمن آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لا يحكم عليه بالكفر لأن المسألة ليست من ضروريات الدين التي يجب على المكلف تفصيلها هذا هو الحق الذى تقتضيه النصوص وعليه المحققون من العلماء والله أعلم .

الفصل السادس

في

تحديد الفترة بين الرسل

في تحديد الفترة بين الرسل قال فضيلة الشيخ عطية صقر المصري لم يرد تحديد الزمن الذى بين كل رسولين ، لا فى القرآن ولا فى السنة ، مع العلم بأن عدد الرسل كبير ، والذين جاء ذكرهم فى القرآن خمسة وعشرون فقط ، قال تعالى : ﴿وَرَسُولًا قَدْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ وقال ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِسَالًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ وحاول بعض المؤرخين تحديد الفترات التى بين الرسل ، مثل محمد بن سعد فى كتابه "الطبقات" فذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : كان بين موسى بن عمران وعيسى بن مريم عليهما السلام ألف سنة وسبعمائة سنة ، ولم يكن بينهما فترة ، وأنه أرسل بينهما ألف نبى من بنى إسرائيل سوى من أرسل من غيرهم ، وكان بين ميلاد عيسى والنّبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة

وتسعون وستون سنة، بعث في أولها ثلاثة أنبياء، وهم في قوله تعالى ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث﴾ والذي عزز به "شمعون" وكان من الحواريين، وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولا أربع مائة سنة وأربعاً وثلاثين سنة. وذكر الكلبي أن بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمس مائة سنة وتسعين سنة، وبينهما أربعة أنبياء، واحد من العرب من بني عبس، وهو خالد بن سنان. قال القشيري: ومثل هذا لا يعلم إلا بخبر صادق. وقال قتادة: كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة سنة، وقاله مقاتل والضحاك ووهب بن منبه، إلا أن وهبا زاد عشرين سنة، وعن الضحاك أيضا أربع مائة وبضع وثلاثون سنة. وذكر ابن سعد عن عكرمة قال: بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام، قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمرو بن واقد الأسلمي عن غير واحد قالوا: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، والقرن مائة سنة، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون، والقرن مائة سنة، وبين إبراهيم وموسى ابن عمران عشرة قرون، والقرن مائة سنة، فهذا ما بين آدم ومحمد عليهما السلام من القرون والسنين انتهى من تفسير القرطبي وهي كلها أخبار لا يسند لها دليل معتبر.

فائدة في فعل المأمورات وترك المنهيات بعد البعثة

قال الامام ابن القيم رحمه الله تعالى: ان من فعل المأمورات والمنهيات فهو اما ناج مطلقا ان غلبت حسناته سيئاته وإما ناج بعد أن يؤخذ منه الحق ويعاقب على سيئاته فمآله الى النجاة وذلك بفعل المأمور. ومن ترك المأمورات والمنهيات فهو هالك غير ناج ولا ينجو إلا بفعل المأمور وهو التوحيد فان قيل فهو انما هلك بارتكاب المحذور وهو الشرك قيل يكفي في الهلاك ترك نفس التوحيد المأمور به وان لم يأت بضد وجودي من الشرك بل متي خلا قلبه من التوحيد رأسا فلم يوحد الله فهو هالك وان لم يعبد معه غيره فاذا انضاف اليه عبادة غيره عذب على ترك التوحيد المأمور به وفعل الشرك المنهى عنه. ان المدعو الي الايمان إذا قال لا أصدق ولا أكذب ولا أحب ولا أبغض ولا أعبد ولا أعبد غيره كان كافرا بمجرد الترك والاعراض بخلاف ما اذا قال أنا أصدق الرسول وأحبه وأؤمن به وأفعل ما أمرني ولكن شهوتي وارادتي وطبعي حاكمة على لا تدعني أترك ما نهاني عنه وانا أعلم أنه قد نهاني وكره لي فعل المنهى ولكن لا صبر لي عنه فهذا لا يعد كافرا بذلك ولا حكمه حكم الأول فان هذا مطيع من وجه وتارك المأمور جملة لا يعد مطيعا. إن الطاعة والمعصية انما تتعلقان بالأمر أصلا وبالنهى تبعا

فالمطيع ممثّل المأمور والعاصي تارك المأمور قال تعالى لا يعصون الله ما أمرهم وقال موسى لأخيه ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعني أف عصيت أمرى وقال عمرو بن العاص عند موته أنا الذى أمرتني فعصيت ولكن لا إله الا أنت وقال الشاعر : (أمرتك أمرا جازما فعصيتني) قال والمقصود من إرسال الرسل طاعة المرسل ولا تحصل الا بامثال أوامره واجتناب المناهي من تمام امتثال الأوامر ولوازمه ولهذا واجتنب المناهى ولم يفعل ما أمر به لم يكن مطيعا وكان عاصيا بخلاف ما لو أتى بالمأمورات وارتكب لمناهى فانه وان عد عاصيا مذنباً فانه مطيع بامثال الأمر عاص بارتكاب النهى بخلاف تارك الامر فانه لا يعد مطيعا باجتناب المنهيات خاصة .

(قال) ان امتثال الامر عبودية وتقرب وخدمة وتلك العبادة التى خلق لاجلها الخلق كما قال تعالى وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون فاخبر سبحانه أنه انما خلقهم للعبادة وكذلك انما أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه ليعبدوه فالعبادة هي الغاية التي خلقوا لها ولم يخلقوا لمجرد الترك فانه أمر عدمى لا كمال فيه من حيث هو عدم بخلاف امتثال المأمور فانه أمر وجودى مطلوب الحصول .

(ثم قال) إن المطلوب بالنهى عدم الفعل وهو أمر عدمى والمطلوب بالأمر إيجاد فعل وهو أمر وجودى فمتعلق الامر بالإيجاد ومتعلق النهى بالإعدام أو العدم وهو أمر لا كمال فيه الا اذا تضمن أمرا وجوديا فان العدم من حيث هو عدم لا كمال فيه ولا مصلحة الا اذا تضمن أمرا وجوديا مطلقا وذلك الامر الوجودى مطلوب مأمور به فعادت حقيقة النهى الى الامر وان المطلوب به ما فى ضمن النهى من الامر الوجودى المطلوب به

إن الناس اختلفوا فى المطلوب بالنهى علي أقوال احدها أن المطلوب به كف النفس عن الفعل وحبسها عنه وهو أمر وجودى قالوا لان التكليف انما يتعلق بالمقدور والعدم المحض غير مقدور وهذا قول الجمهور وقال أبوهاشم وغيره بل المطلوب عدم الفعل ولهذا يحصل المقصود من بقاءه على العدم وان لم يخطر بباله الفعل فضلا ان يقصد الكف عنه ولو كان المطلوب الكف لكان عاصيا اذا لم يأت به ولان الناس يمدحون بعدم فعل القبيح من لم يخطر بباله فعله والكف عنه وهذا أحد قولى القاضي ابي بكر ولاجله التزم أن عدم الفعل مقدور للعبد وداخل تحت الكسب قال والمقصود بالنهى الإبقاء على العدم الأصلى وهو مقدور الخاه

خاتمة الفصل في علم آفات الغرور

الغرور . كما قال الامام القنوجي في أبعاد العلوم . هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع عن شبهة، وخدعة من الشيطان . والمغرورون أصناف: منهم (1) العلماء الذين أحكموا العلوم الشرعية، والعقلية، وتعمقوا فيها، وأهملوا محافظة الجوارح عن المعاصي، والزامها الأعمال الصالحة؛ وهم مغرورون: لأن العلم إذا لم يقارنه العمل لا يكون له مكان عند الله تعالى، وعند الخواص من عباده . (2) ومنهم: الذين أحكموا العلم، والعمل، وأهملوا تزكية نفوسهم عن الأخلاق الذميمة وهم مغرورون أيضاً، إذ لا ينجو في الآخرة إلا من أتى الله بقلب سليم . ومنهم: الذين اعترفوا بأن النجاة في الآخرة إنما هي بتزكية النفس عن الأخلاق الذميمة، إلا أنهم يزعمون أنهم منفكون عنها وهؤلاء مغرورون أيضاً، لأن هذا من العجب، والعجب من أشد الصفات المهلكات . (3) ومنهم: الذين اتصفوا بالعلم، وتزكية الأخلاق، لكن بقي منها خبايا في زوايا القلب ولم يشعروا بها وهؤلاء أيضاً مغرورون بظاهر أحوالهم وغفلوا عن تحصيل القلب السليم . (4) ومنهم: الذين اقتصروا على علم الفتاوى، وإجراء الأحكام وهم مغرورون، لأنهم اقتصروا على فرض الكفاية، وأخلوا بفرض العين وهو: إصلاح أنفسهم وتزكية أخلاقهم وتصفية قلوبهم من الحقد والحسد وأمثال ذلك (5) ومنهم: الوعاظ وأعلامهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف، والرجاء، والإخلاص ونحو ذلك؛ وأكثرهم مغرورون، لأنهم يتكلمون فيما ذكر، وليس لهم من ذلك شيء (6) ومنهم: من اشتغل باللغة ودقائق العلوم العربية، وأفنوا عمرهم فيها، ظننا منهم أنهم من علماء الأمة، لأنهم في صدد أحكام مباني الكتاب، والسنة؛ وهم مغرورون، لأنهم: اتخذوا القشر مقصوداً، فاغتروا به وأصناف المغرورين من الناس، لا يمكن تعدادهم وفي هذا القدر كفاية لمن اعتبر - اللهم ألهمنا طريق دفع الغرور ولا يمكن ذلك إلا بالعقل الذي هو مبنى الخيرات، وأساسها ثم بالمعرفة وهي لا تعم إلا بمعرفة نفسه بالذل، والعبودية، ومعرفة ربه بالجلال، والهيبة، وصفا بقلبه بلذة المناجات، واستوت عنده من الدنيا ذهبها، ومدرها، ولا يبقى للشيطان عليه من سلطان ((ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) .

(قلت) قيل إن سيدنا عثمان بن عفان لما بوجع خرج إلى الناس وأراد أن يخطبهم فأرتج عليه ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه "أيها الناس إن أول مركب صعب، وإن بعد اليوم أياما، وإن أعش تأتكم الخطبة على وجهها، وما كنا خطباء وسُيعلمنا الله" وقال في خطبة أخرى "إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه فلقد أتيتم صَبَحَتهم أو مُسَيَّتَم. ألا وإن الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور. اعتبروا بمن مضى. ثم جدوا ولا تغفلوا، فإنه لا يغفل عنكم. أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلا. ألم تلفظهم. ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلاً والذي هو خير فقال: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ وهذه خطبة كما يراها القارئ في الزهد واحتقار الدنيا وعدم الركون إليها .

قال الامام ابن المقري

والغدر في الناس طبع لا تنقُبهم وإن أبيت فخذ في الأمن والوجل
ولا يغرنك من مرقى سهولته فربما ضقت ذرعا منه في التزل

*

الكتاب الخامس عشر
في بيان الحقيقة المحمدية وفروعها
ويتضمن الفصول التالية: الفصل الأول في ذكر الحقيقة المحمدية . والفصل الثاني في ذكر بعثة الرسول
وما يتبعها .

الفصل الأول في الحقيقة المحمدية

النور الالهي المحمدي

قال المسعودي في مروج الذهب : المراد النور المحمدي : الخصوصية التي خص الله جل جلاله بها
العنصر البشري الزكي عنصر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلقد اوحى الله جل جلاله الى نبيه
ءادم عليه السلام اني مخرج منك نوري الذي به السلوك في القنوت الطاهرة والارومات الشريفة واباهي
به الانوار واجعله خاتم الانبياء واجعل ءاله خيار الال والخلفاء واختم الزمان بمدتهم واغص الارض
بدعوتهم فتهيئ وتظهر وتقدس وتسبح بالاستعاذة واغش زوجتك حواء على طهارة منها فان ود
يعتي ستنقل منك الى الولد الكائن منكما فحملت سيدتنا حواء لوقتها واشرق جبينها وتللا
النور ولمع من محاجرها حتى اذا انتهى امد حملها وضعت (شيئا) كاسر ما يكون من البدور والبدران

واتهم وقاروا حسنهم صورة واكملهم هيئة واعد لهم خلقا مجللا بالنور والهيبة موشحا بالجلالة والابهة فانتقل النور من حواء اليه حتى لمع في اسارير جبهته وسق في غرة طلعتة ويقال انه لما ولد سماه ابوه هبة الله شيئا وبعد أن كبر وترعرع ويفع وكهل واستبصر أو عز اليه وصيته وعرفه محل ما استودعه واعلمه انه حجة الله بعده وخليفته في الارض وهكذا اوصى كل اب ابنه - مصاحبة لوصية كل نبي لامته واحدا بعد واحد متقنين على حقيقة هذا الشرف فكانت الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان ادى الله ذلك النور الى عبد المطلب ومنه الى ابنه الذييح عبد الله والد الرسول .

وَبَدَا لِلْجُودِ مِنْكَ كَرِيمٌ مــــن كَرِيمٍ آبَاؤُهُ كُرَمَاءُ
نَسَبَ تَحْسَبُ الْعِلَالَ بِجَلَالِهِ قَلْدَ تَهْ نَجْمُهَا الْجُوزَاءُ
حَبْذَ اعْقَدْ سُودَ دُوفَخَارٍ أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعِذْرَاءُ

الحقيقة المحمدية

الحقيقة المحمدية كما قال الاستاذ احمد الطيب هي اصطلاح ظهر متأخرا فى أدبيات التصوف الاسلامى ويعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم مخلوق من نور، وأن حقيقته النورية هى أول الموجودات فى الخلق الروحانى، ومن نورها خلقت الدنيا والآخرة، فهى أصل الحياة، وسرها السارى فى كل الكائنات والموجودات الدنيوية والأخروية . وللحقيقة المحمدية أسماء أخرى عديدة، مثل: "حقيقة الحقائق" و"أول موجود فى الهباء" و"العقل الأول" و"التعين الأول" والقائلون بهذه النظرية يؤكدون على أن الأنبياء والرسل السابقين على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هم فى حقيقة الأمر نوابه وورثته وأن دورهم فى التاريخ إنما هو تجسيد للحقيقة المحمدية أو الروح المحمدى قبل ظهور جسده الشريف . ومن الحقيقة المحمدية يستمد كل الأنبياء والأولياء والعارفين علومهم وأنوارهم الإلهية . وبهذا الاعتبار سمي محمد صلى الله عليه وسلم بنور الأنوار وأبى الأرواح وسيد العالم بأسره وأول ظاهر فى الوجود . أما ظهور الجسد المحمدى فهو الصورة العنصرية لمعنى حقيقته النورية . والنبى صلى الله عليه وسلم فى مفهوم هذه النظرية هو الجسد الأعلى للأنبياء وهو النبى الخاتم فى أن واحد . ويستند الصوفية فى نظريتهم هذه إلى ظواهر من نصوص القرآن والسنة النبوية

ومأثورات السلف الصالح ، مثل قوله تعالى (جاءكم من الله نور وكتاب مبين) وقوله تعالى (وسراجا منيرا) ومثل حديث (متى جعلت نبيا ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد) وقول الإمام مالك وهو يناظر أبا جعفر المنصور ويأمره باستقبال القبر الشريف فى دعائه " إنه وسيلتك ووسيلة أبيك آدم " وللصوفية مروياته أخرى ردها علماء الحديث وأنكروها عليهم .

الاصطفاء

إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين وساق الإمام الشافعي الكلام عليه إلى أن قال ثم اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم من خير آل إبراهيم وأنزل كتبه قبل إنزاله الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم بصفته وفضيلة من تبعه فقال (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره) الآية . وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) وقال عليه السلام (إن الله اصطفى بني كنانة من بني إسماعيل واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) وقال عليه السلام (إن الله اصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) وقال عليه السلام (إن الله اختار العرب فاختر منهم كنانة أو قال النضر ابن كنانة شك حماد ثم اختار منهم قريشا ثم اختار منهم بني هاشم ثم اختارني من بني هاشم) . وعن أوس بن ضمعج عن سلمان قال ثنتان فضلتونا بها يا معشر العرب لا تنكح نساءكم ولا تؤمكم وقال الرسول عليه السلام (اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت) .

النبوة

هنا تجدر الإشارة إلى ذكر النبوة لتعرف على فضل هذه الأمة . وعليه فقد جاء في موسوعة المفاهيم قول كاتبه : اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى : أن يرسل الأنبياء لهداية الناس إلى الحق قال (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال (وإن من أمة خلا فيها نذير) وقال (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وإذا اقتضت

حكمة الله ذلك فقد كان من سنة الله في خلقه أن يصطفى بعض عباده فيمنّ عليهم بالنبوة أو الرسالة، ويمن على أقوامهم ببعثهم إليهم قال سبحانه (ولقد مننا على موسى وهارون) وقال (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) والنبوة والرسالة اصطفااء خالص من عند الله يختص به من يشاء من عباده، وليست شيئا يكتسبه العباد من ذات أنفسهم بعمل يعملونه من جانبهم وكل ما يقع للبشر في حياتهم هو من عند الله وكل موهبة توهب لهم في ذات أنفسهم أو فيما بين أيديهم هي من عند الله . ولكن الله قدر أن يكون للإنسان جانب من الكسب في كل ذلك . فقد أعطى الإنسان القدرة على المعرفة ووهب له ذكاء يتفاوت من شخص إلى شخص، ومنحه طاقات مختلفة، ثم كلفه أن يعمل، وأن يبذل جهدا معينا لتحصيل المعرفة واستخدام الذكاء في عمارة الأرض وغيرها من شؤون الحياة قال سبحانه (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) وقال (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) وقال (علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) وقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) ويستطيع الإنسان بتحصيله الشخصي أن ينمي ما وهب الله له من مواهب . فيستطيع مثلا أن ينمي قوته الجسدية بالرياضة البدنية والتدريب فيصبح قوى الجسم، متين العضلات . ويستطيع أن ينمي قوته الذهنية بالتدريبات العقلية وتعلم العلم وإمعان الفكر، فيستنبط ويكشف ويخترع ويدبر ويخطط ويستطيع أن ينمي قوته الروحية بالامتناع عن بعض لذائذ الحس، والتأمل، وبإبعاد النفس شيئا من الوقت عن عالم الحس القريب بصورة من الصور، فتصفو روحه، ويكتسب طاقة روحية كبيرة 0 كل هذه الأعمال هي في أصلها موهبة من الله، وهي فيما تنتهي إليه كسب يكسبه البشر بجهد يبذلونه وتحصيل يكدون فيه ويكدحون 0 (أما) الرسالة والنبوة فموهبة من الله ذات طبيعة مختلفة . إنه لا يد للإنسان فيها ولا كسب ولا اختيار، إنما هي اصطفااء خالص من جانب الله سبحانه وتعالى لعبد من عباده، يجتبيه وينعم عليه وبعثه بالهداية إلى الناس . لا يوجد عمل معين يعمل به الإنسان من جانبه فيرتقى به إلى مرتبة النبوة ولو أنفق عمره كله فيه . ويستطيع الإنسان بالتدريب المستمر أن يصبح بطلا من أبطال الرياضة إذا كان عنده استعداد جسمى معين . ويستطيع بالتدريب المستمر أن يكون

مهندساً بارعاً أو طبيباً نابغاً أو عالماً مبرزاً، إذا كان عنده الاستعداد العقلي المناسب . ويستطيع بالتدريب المستمر أن يحصل على صفاء روحى يناسب استعدادة . ولكنه لا يستطيع بأى جهد يبذله أن يكون نبياً ولا رسولاً . ولكن الله يصطفيه فيكون نبياً قال سبحانه (الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير) وحقيقة إن الذين يصطفاهم الله ليكونوا رسلاً وأنبياء هم خيار الناس وأفضلهم قال سبحانه ((وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) ولكننا نحن لا نستطيع بمقاييسنا أن نقول : إن فلاناً من البشر يستحق النبوة أو إنه أولى بها من غيره قال سبحانه (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) والأنبياء أنفسهم يتفاوتون فى مراتبهم قال سبحانه (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) ولكن النبوة فى حد ذاتها مرتبة فوق مراتب البشر العاديين فالبشر يتفاوتون فى مراتبهم، منهم الحقير، ومنهم العظيم . ولكنهم فى أعلى درجات عظمتهم يقفون عند حد معين هو أدنى من مرتبة النبوة . فإذا اختار الله واحداً من البشر الممتازين لجعله نبياً فإنه يرفعه من مكانه الذى كان فيه ليضعه فى مرتبة جديدة عالية لم يكن ليصل إليها من ذات نفسه مهما اجتهد ، لأنها خارج الحدود التى يستطيع البشر أن يصلوا إليها باجتهدهم . ويصبح منذ لحظة اصطفاؤه شخصية أخرى، بشرية . نعم . فى كل تصرفاتها العادية، ولكنها مشتملة على عنصر جديد لا يتاح للبشر العاديين، ذلك هو الاتصال بالله عن طريق الوحي قال سبحانه (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً) إلى قوله : (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق) فهم بشر فيما يتعلق بالأمور العادية يولدون ويموتون، ويأكلون الطعام، ويسعون وراء الرزق، ويتزوج ويكون لهم ذرية أو لا يكون حسبما قدر الله لهم، ويفرحون ويتألمون، ويجرى عليهم كل ما يجرى على البشر فى هذه الشؤون . ولكنهم ينفردون بهذه الخاصية الفريدة وهى تلقى الوحي من عند الله، وإرسالهم للناس ليلغوهم ما أوحى الله به إليهم من الهدى والتبيان قال سبحانه (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذريوم

التلاق) أما كيف تتم لهم هذه الخاصية ، وكيف تكون نفوسهم ومشاعرهم حين توهب لهم القدرة على تلقي الوحي من الله . لا نستطيع نحن البشر العاديين أن نعرف ذلك يقيناً لأنها تجربة خارجة عن حدود بشرتنا ، ولكننا نستطيع القياس للتقريب . إن الإنسان منا ليحس أحياناً ولونادراً بشيء من الصفاء الروحي ، فيحس كأن فيضاً من النور يشع من حوله ويملاً نفسه ومشاعره ، ويحس كأنه أصبح كائناً جديداً غير الذي كان من قبل ، لا تثقله ثقل الأرض ، ولا ينجس في إطار جسده المحدود ، ولكنه يرفرف بروحه طليقاً من القيود . ويعود ينظر إلى الناس وإلى الوجود كله من حوله بنظرة جديدة وروح جديدة . فإذا بينه وبين الناس تعاطف ورحمة ، وبينه وبين الوجود مودة وتجاوب . ويحس فوق ذلك كله أنه قريب من الله لأن مشاعره صارت أنظف وأطهر ، وشعوره بعظمة الله أكبر ، وتطلعه إلى رحمة الله أشد . كم تستغرق هذه اللحظات من حياة البشر ؟ وكم يطيقون أن يرتفعوا إليها ؟ . إنها لحظات قليلة ولا شك في حياة الإنسان . ولكنها في نفسه عميقة الأثر . وإن آثارها لتظهر في طمأنينة نفسه من الداخل وفي طريقة تعامله مع الناس في الخارج . فيعاملهم بالمودة والرافة ، وتتسع نفسه لاحتمال الجهد والصبر على ما يلقاه من الناس ! . وحين تتكرر هذه اللحظات وتقارب فإنها تعطى صاحبها سمة واضحة ، ويعرف الناس أن صاحبها عظيم ، وأنه ليس كالأخرين الذين يعيشون في إطار مصالح الأرض القريبة وشهوات النفس الهابطة . ولكن للبشر على أي حال طاقة معينة يقفون عندها في هذه الأمور ، ويقدر ما يحصلون منها تكون عظمتهم بالقياس إلى غيرهم من البشر . والآن فلنتطلع إلى أفق آخر . فلنتصور إنساناً لا يعيش هذه المشاعر لحظات متفرقة ، ولا حتى لحظات متقاربة ، إنما هي الأصل في حياته ، وهي الزاد الدائم الذي تغذى به روحه ، والأفق الدائم الذي يخلق فيه . كيف يكون نوع مشاعره ، وعلى أي درجة من العظمة يكون ؟ ذلك ، بشيء من التقريب ، هو النبي كل نبي . ثم تفاوت مراتبهم بعد ذلك في الفضل ! . إن الإنسان ليحس في بعض اللحظات أن الله راض عنه وقريب برحمته منه ، فكيف يكون أثر هذا الإحساس في نفسه ومشاعره ؟ ألا يحس أن نفسه تتسع وتتسع ، وروحه تصفو وترتفع ؟ ألا يحس بأن ذلك الفيض الإلهي قد ملأ قلبه بالنور ، ورفعه درجات عن الأرض ، حتى لكانه ليس جسداً جاثماً على الأرض ، ولكنه روح ترفرف في السماء . ألا يجعله ذلك الفيض الإلهي أقرب إحساساً بعظمة الله ، وأشد رغبة في عبادته ، وأشد إخلاصاً في دعائه

والتوكل عليه، وأقرب إلى استجابة أمره، والعمل بما يرضيه؟ ثم، ألا ينعكس ذلك كله على تكوين نفسه وعلى تعامله مع الناس؟ فإذا كان ذلك من أثر لحظات عابرة يحس فيها الإنسان بذلك القرب من الله فكيف بمن يكلمه الله؟ كيف بمن يتنزل عليه الوحي الرباني، فيصله الوحي الرباني بالله. ذلك بالتقريب شأن الأنبياء، ثم يتفاوتون فيما بينهم بما شاء لهم الله من درجات أما كيف يتم ذلك فأمر لا نعلمه نحن، ولكننا نعلم أنه يتم بتهيئة خاصة من الله يمن بها على عبده الذي اصطفاه، كما قال سبحانه وتعالى عن نبيه موسى: (ولتصنع على عيني) وكما قال عن نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام: (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) اهـ.

نسب رسول الله مسرودا

عودا على بدء ولست مالا من ذكره. ولا من التبرك به. ها هو ذا نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة ثانية مسرودا كما جاء في القول المجيز لرفع النسب العزيز وهو كالتالي:

(سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) بن (عبد الله) بن (عبد المطلب) بن (هاشم) بن (عبد مناف) بن (قصي) بن (كلاب) بن (مرة) بن (كعب) بن (غالب) بن (فهر) بن (مالك) بن (النضر) بن (مالك) بن (كنانة) بن (خزيمة) بن (مدركة) بن (الياس) بن (مضر) بن (نزار) بن (معد) بن (عدنان) بن (أد) بن (أدد) بن (مقوم) بن (ناحور) بن (تيرج) بن (يعرب) بن (يشجب) بن (نابت) بن (إسماعيل) بن (إبراهيم) بن (تارح) بن (ناحور) بن (شاروخ) بن (راعو) بن (عابر) بن (فالغ) بن (عير) بن (شالغ) بن (أرفخشذ) بن (سام) بن (نوح) بن (لامك) بن (متوشلخ) بن (إدريس أخنوخ) بن (يرد) بن (مهليل) بن (قين) بن (يانش) بن (شيث) بن (آدم) (وأمه) هي: (ءامنة) بنت (وهب) بن (عبد مناف) بن (زهرة) بن (كلاب) بن (مرة) بن (كعب) بن (لؤي) بن (غالب) بن (فهر) بن (مالك) بن (النضر) بن (كنانة) بن (خزيمة) بن (مدركة) بن (الياس) بن (مضر) بن (نزار) بن (معد) بن (عدنان) بن (أد) بن (أدد) بن (مقوم) بن (ناحور) بن (تيرج) بن (يعرب) بن (يشجب) بن (نابت) بن (إسماعيل) بن (إبراهيم) بن (تارح) بن (ناحور) بن (شاروخ) بن (راعو) بن (فالغ) بن (عير) بن (شالغ) بن (أرفخشذ)

بن (سام) بن (نوح) بن (لامك) بن (متوشلخ) بن (إدريس أخنوخ) بن (يرد) بن (مهليل) بن (قنين) بن (يانش) بن (شيث) بن (آدم عليه السلام)

قصيدة الشيخ أبي العباس بن شرشير الناشي

قال الإمام ابن كثير في البداية والنهاية هكذا أورد القصيدة (التالية) الشيخ أبو عمر بن عبد البر وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي في تهذيبه من شعر الأستاذ أبي العباس عبد الله بن محمد الناشي المعروف بابن شرشير:

مدحت رسول الله أبغي بمدحه	وفور حظوظي من كريم المآرب
مدحت امرءا فاق المديح موحدًا	بأوصافه عن مبعده ومقارب
نبيا تسامى في المشارق	نوره فلاحت هواديه لأهل المغارب
أتنا به الأنباء قبل مجيئه	وشاعت به الأخبار في كل جانب
وأصبت الكهان تهتف باسمه	وتنفي به رجم الظنون الكواذب
وأنطقت الأصنام نطقا تبرأت	إلى الله فيه من مقال الأكاذب
وقالت لأهل الكفر قولا مبينا	أناكم نبي من لؤي بن غالب
ورام استراق السمع جن فزيلت	مقاعدهم منها رجوم الكواكب
هدانا إلى ما لم نكن نهدي له	لطول العمى من واضحات المذاهب
وجاء بآيات تبين أنها	دلائل جبار مثيب معاقب
فمنها انشقاق البدر حين تعممت	شعوب الضيا منه رؤس الأخاشب
ومنها نبوع الماء بين بنائه	وقد عدم الورد قرب المشارب
فروى به جما غفيرا وأسهمت	بأعناق طوعا أكف المذانب
وبئر طغت بالماء من مس سهمه	ومن قبل لم تسمح بمذقة شارب
وضرع مراره فاستدر ولم يكن	به درة تصغي إلى كف حالب
ونطق فصيح من ذراع مبينة	لكيد عدو للعداوة ناصب
وإخباره بالأمر من قبل كونه	وعند بواديه بما في العواقب

ومن تلكم الآيات وحي أتى به
تقاصرت الأفكار عنه فلم يطع
حوى كل علم واحتوى كل حكمة
أثابنا به لا عن رؤية مرتيء
يوأتيه طورا في إجابة سائل
واتيان برهان وفرض شرائع
وتصريف أمثال وتثبيت حجة
وفي مجمع النادي وفي حومة الوغى
فيأتي على ما شئت من طرقاته
يصدق منه البعض بعضا كأنما
وعجز الورى عن أن يجيئوا بمثل ما
تأتى بعبد الله أكرم والد
وشية ذي الحمد الذي فخرت به
ومن كان يستسقي الغمام بوجهه
وهاشم الباني مشيد افتخاره
وعبد مناف وهو علم قومه اشتطاط
وإن قصيا من كريم غراسه
به جمع الله القبائل بعد ما
وحل كلاب من ذرى المجد معقلا
ومرة لم يحلل مريرة عزمه
وكعب علا عن طالب المجد كعبه
وألوى لؤي بالعدة فطوعت
وفي غالب بأس أبي البأس دونهم

قريب المآني مستجم العجائب
بليغا ولم يخطر على قلب خاطب
وفات مرام المستمر الموارب
ولا صحف مستمل ولا وصف كاتب
واقفاء مستقت ووعظ مخاطب
وقص احاديث ونص مآرب
وتعريف ذي جحد وتوقيف كاذب
وعند حدوث العضلات الغرائب
قويم المعاني مستدر الضرائب
يلاحظ معناه بعين المراقب
وصفناه معلوم بطول التجارب
تبليج منه عن كريم المناسب
قريش على أهل العلى والمناصب
ويصدر عن آرائه في النوائب
بغر المساعي وامتنان المواهب
الأماني واحتكام الرغائب
لفي منهل لم يدن من كف قاضب
تقسمها نهب الأكف السوالب
تقاصر عنه كل دان وغائب
سفاه سففيه أو محوبة حائب
فنال بأدنى السعي أعلا المراتب
له هم الشم الانوف الأغالب
يدافع عنهم كل قرن مغالب

وكانت لفهر في قريش خطابه
وما زال منهم مالك خير مالك
وللنضر طول يقصر الطرف دونه
لعمري لقد أبدى كنانه قبله
ومن قبله أبقي خزيمة حمده
ومدركة لم يدرك الناس مثله
وإلياس كان اليأس منه مقارنا
وفي مضري يستجمع الفخر كله
وحل نزار من رياسة أهله
وكان معد عدة لوليلة
وما زال عدنان إذا عد فضله
وأد تأدي الفضل منه بغاية
وفي أدد حلم تزين بالحجا
وما زال يستعلي هميسع بالعلي
ونبت بنته دوحه العز وابتنى
وحيزت لقيذار سماحة حاتم
هموا نسل إسماعيل صادق وعده
وكان خليل الله أكرم من عنت
وتارح ما زالت له أريجة
وناحور نحار العدى حفظت له
وأشرع في الهيجاء ضيغم غابة
وأرغوناب في الحروب محكم
وما فالع في فضله تلوقومه

بعوذ بها عند اشتجار المخاطب
وأكرم مصحوب وأكرم صاحب
بحيث التقى ضوء النجوم الثواقب
محاسن تأبى إن تطوع لغالب
تليد تراث عن حميد الأقارب
أعف وأعلى عن دني المكاسب
لأعدائه قبل اعتداد الكائب
إذا اعتزكت يوما زحوف المقائب
محلاتسامى عن عيون الرواقب
إذا خاف من كيد العدو والمحارب
توحد فيه عن قرين وصاحب
وأرث حواه عن قروم اشايب
إذا الحلم أزهاه قطوب الحواجب
ويتبع آمال البعيد المراغب
معاقله في مشمخر الأهاضب
وحكمة لقمان وهمه حاجب
فما بعده في الفخر مسعى لذهاب
له الأرض من ماش عليها وراكب
تبين منه عن حميد المضارب
ماثر لما يحصها عد حاسب
يقدر الطلى بالمرهفات القواضب
ضنين على نفس المشع المغالب
ولا عابر من دونهم في المراتب

وشالحوار فخشذ وسام سمت بهم
 وملك أبوه كان في الروع رائعا
 ومن قبل لملك لم يزل متوشلخ
 وكانت لإدريس النبي منازل
 ويارد بجر عند آل سراته
 وكانت لمهلايل فهم فضائل
 وقينان من قبل اقتنى مجد قومه
 وكان أنوش ناش للمجد نفسه
 وما زال شيث بالفضائل فاضلا
 وكلهم من نور آدم أقبسوا
 وكان رسول الله أكرم منجب
 مقابلة آباؤه أمهاته
 عليه سلام الله في كل شارق

سجيا في المصطفين الأطايب
 جريئا على نفس الكمي المضارب
 يذود العدى بالذائدات الشواذب
 من الله لم تقررن بهمة راغب
 أبى الخزيبا مستدق المآرب
 مهذبة من فاحشات المثالب
 وفاد بشأ والفضل وخذ الركائب
 ونزهها عن مرديات المطالب
 شريفا بريئا من ذميم المعائب
 وعن عوده أجنوا ثمار المناقب
 جرى في ظهور الطيبين المناجب
 مبرأة من فاضحات المثالب
 الأح لنا ضوءا وفي كل غارب

منظومة الشيخ الديسي

قال الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الديسي الإبراهيمي الجزائري مدرس الهامل قديما في
 ما يجب معرفته من نسب الرسول عليه السلام :

وواجب في حق ذي التكليف
 محمد المختار من خير العرب
 وهاشم عبد مناف وقصي
 وغالب فهر ومالك النضر
 مدركة إلياس مضر ونزار
 وليس فيما فوق عدنان خبر

معرفة بالنسب الشريف
 أبوه عبد الله عبد المطلب
 كذا كلاب مرة كعب لوي
 كنانة خزيمية كن ذا نظر
 معد عدنان الذي له الفخار
 معول عليه من أهل النظر

مولد النبي صلى الله عليه وسلم

لما خفت موجة الحزن على آمنة، بدأت تحس بجنين يتحرك في أحشائها، فتعلق به أملها، عسى أن يعوضها فقد زوجها الحبيب عبد الله وأخبرت عبد المطلب بحملها، ففرح لذلك فرحاً شديداً وامتلاً قلبه أملاً ورجاءً في أن يأتي هذا الحمل بولد يعوضه عن ابنه عبد الله الفقيد وفي يوم الاثنين 12 من شهر ربيع الأول عام الفيل الموافق لسنة 571 ميلادي وذكر السهيلي أن مولده عليه الصلاة والسلام كان في العشرين من نيسان (أبريل) قال وهذا أعدل الزمان والفصول وذلك لسنة اثنتين وثمانين وثمانمائة لذي القرنين فيما ذكر أصحاب الزيج. (قال) وزعموا أن الطالع كان لعشرين درجة من الجدي وكان المشتري وزحل مقترنين في ثلاث درج من العقرب وهي درجة وسط السماء وكان موافقا من البروج: الحمل وكان ذلك عند طلوع القمر أول الليل نقله كله ابن دحية والله أعلم) (قلت) وعلى ذكر شهر أبريل هنا وهو من أشهر فصل الربيع تذكرت ما قاله لي الحاج محمد زبيدة المايدي الجلفاوي رحمه الله وهو: إن الرسول ربيع في ربيع في ربيع).

(قال الراوي) وقد ولدت آمنة وليدها يتلأل النور من وجهه الكريم، أكحل أدعج محتونا، يرنو بصره إلى الأفق، ويشير بسبابته إلى السماء فهرولت قابله، وهى «أم عبد الرحمن بن عوف» إلى جده عبد المطلب تزف إليه البشري، وتنقل إليه ذلك الخبر السعيد، فكاد الرجل الوقور يطير من الفرحة، وفرح الهاشميون جميعاً، حتى إن عمه «أباله» أعق الجارية «ثوية» التي أبلغته الخبر، وكانت أول من أرضعت خير البشر. وسُمي «عبد المطلب» حفيده «محمدًا»، وهو اسم لم يكن مألوفاً أو منتشرًا في بلاد العرب ولما سئل عن ذلك قال: رجوت أن يكون محموداً في الأرض وفي السماء. (قلت) وانظر قول من قال إن اسمه منذ القديم وفي الكتب المنزلة، محمد. وهل تسمية جده له كانت مصادفة أم ماذا؟

أبرهة و عام الفيل

بنى أبرهة كنيسة في اليمن لم ير مثلها في زمانها بشيء من الأرض، ثم كتب إلى النجاشي ملك الحبشة إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك من قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب. فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجل من النساء فخرج حتى أتى

القليس فتعد فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه . فأخبر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟ فقيل له : صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تخرج العرب إليه بمكة ، لما سمع قولك "أصرف إليها حج العرب" غضب فجاء فتعد فيها ، أي أنها ليست لذلك بأهل . فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ، ثم سار وخرج معه بالفيل ، وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفضلوه به ورأوا جهاده حقا عليهم ، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام . فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له (ذونفر) فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريد من هدمه وإخراجه ، فأجابه إلى ذلك من أجابه ، ثم عرض له فقاتله فهزم ذونفر وأصحابه ، وأخذ له ذونفر فأتى به أسيرا . ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له فقيل بن حبيب الخثعمي في قبيلي خثعم : شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ له فقيل أسيرا فخلى سبيله وخرج معه يدله ، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقالوا له : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ، ليس عندنا لك خلاف وليس بيتنا هذا الذي تريد (يعنون اللات) إنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه . فتجاوز عنهم . فبعثوا معه (أبا رغال) يدله على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبورغال حتى أنزله المغمس فلما أنزله به مات أبورغال هنالك فرجمت قبره العرب ، فهو قبره الذي يرجم الناس بغمس . فلما نزل أبرهة المغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له (الأسود بن مفصود) على خيل له حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم ، فأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهتت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به تركوا ذلك . وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة فقال له : سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ، ثم قل له : إن الملك يقول لك : إني لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تعرضوا لنا دونه مجرب فلا حاجة لي في دماءكم فإذا هو لم يرد حربي فأتني به . فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فقيل له : عبد المطلب بن هاشم . فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله

إبراهيم عليه السلام فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمة، وإن يحل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه . فقال حنطة : فانطلق معي إليه، فإنه قد أمرني أن آتيه بك فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نفر وكان له صديقا حتى دخل عليه وهو في محبسه، فقال له: يا ذا نفر، هل عندك من غناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر: وما غناء رجل أسير يدي ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا ؟ ما كان عندي غناء في شيء مما نزل بك إلا أن أنيسا سائس الفيل صديق لي، وسأرسل إليه فأوصيه بذلك وأعظم عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك . فقال: حسبي . فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب غير مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش في رءوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت . فقال: افعل . فكلّم أنيس أبرهة فقال له: أيها الملك هذا سيد قريش بيا بك يستأذن عليك وهو صاحب غير مكة وهو يطعم الناس في السهل والوحوش في رءوس الجبال، فأذن له عليك فليكلمك في حاجته فأذن له أبرهة . وكان عبد المطلب أو سم الناس وأجملهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك . فقال له ذلك الترجمان، فقال: حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي . فلما قال ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبني حين رأيته، ثم قد زهدت فيك حين كلمني . أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتا هوديناك ودين أبائك قد جئت لخدمه لا تكلمني فيه ؟ قال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه ! قال: ما كان ليمنع مني ! قال: أنت وذلك . ورد أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصابها له، وانصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الجيش . ثم قام عبد المطلب فأخذ مجلقه باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو أخذ مجلقه باب الكعبة:

لاهم إن العبد يم — منع رحله فامنع حلالك
لا يغلين صليهم ومحالهم غدوا محالك

إن كنت تاركهم وقبـ . لمتنا فأمر ما بدا لك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها . فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهياً فيله وعبى جيشه وكان اسم الفيل (محمودا) وأبرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن، فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل، ثم أخذ بأذنه فقال: أبرك أو أرجع راشدا من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام . ثم أرسل أذنه فبرك الفيل، وخرج نفيل يشد حتى أصعد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجن . أي عصا معوجة . لهم في مرقاة . أي في بطنه . فبذغوه بها . أي أدموه . ليقوم فأبى، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، فأرسل الله تعالى طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاث أحجار يحملها: حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحدا إلا هلك، وليس كلهم أصابت . وخرجوا هاربين يتدرون الطريق الذي منه جاءوا، يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلك، على كل منهل وأصيب أبرهة في جسده فمات . قال ابن إسحاق: فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم كان مما بعد الله على قريش من نعمه عليهم وفضله، ما رد عنهم من أمر الحبشة، لبقاء أمرهم ومدتهم فقال الله تبارك وتعالى ﴿ ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول ﴾

تفسير سورة الفيل

تفسير هذه السورة كما في الجلالين هو ﴿ ألم تر ﴾ استفهام تعجب أي اعجب ﴿ كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾ هو الفيل محمود، وأصحابه هم أبرهة - ملك اليمن وجيشه وقد بنى بصنعاء كنيسة ليصرف إليها الحاج عن مكة فأحدث رجل من كنانة فيها ولطخ قبلتها بالعدرة احتقارا بها فحلف أبرهة ليهدم الكعبة فجاء مكة بجيشه على أفيال مقدمها فيل اسمه محمود وحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله ﴿ ألم يجعل ﴾ أي جعل ﴿ كيدهم ﴾ في هدم الكعبة ﴿ في تضليل ﴾ خسار وهلاك ﴿ وأرسل عليهم طيرا أبابيل ﴾ جماعات جماعات قيل لا واحد له

كأساطير وقيل واحده أبول أو إبال أو إيل كعجول ومفتاح وسكين ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ طين مطبوخ ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّا كُولٍ ﴾ كورق زرع أكلته الدواب ودأسته وأفنته أي أهلكهم الله تعالى كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه وهو أي الحجر أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة يخرق البيضة والرجل والفيل ويصل إلى الأرض . وكان هذا عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم (كما سبقت الإشارة إلى ذلك) .

أهمية ليلة المولد النبوي الشريف

ذكرى هذه الليلة (ليلة المولد النبوي) يراجع فيها المسلمون شمائل المصطفى ليروا مدى تمسكهم بها إضافة إلى محاسبة أنفسهم طيلة العام وليس فيها إطلاقاً أي اعتقاد وإذا كان ذلك الاعتقاد موجوداً في بيئات أخرى كما نص عليه بعض الكتاب فمنطقتنا بريئة منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب فكفانا استهتاراً واستكباراً من المنكرين والنقاد الذين يهرفون بما لا يعرفون كما قال الامام ابن العربي (قال) أحد علمائنا في الجلفة : إننا الحثقلون بذكرى ميلاد النبي لم ننسه كما يتوهمه الغافلون بل نحن نذكره في أذاننا وفي صلاتنا وفي محاوراتنا وفي تأليفنا وفي كل أحوالنا وما هذه الليلة إلا من باب (زيادة الخير خيرين) كما يقول المثل الشعبي . (قلت) وعليه وكما سبق . فقد ولد صلوات الله عليه وسلامه يوم الاثنين لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي قتادة أن اعرابياً قال يا رسول الله ما تقول في صوم يوم الاثنين فقال (ذاك يوم ولد فيه وأنزل علي فيه) وقال الإمام أحمد عن ابن عباس قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبيء يوم الاثنين وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين وزاد ونزلت يوم الاثنين (اليوم أكملت لكم دينكم) قالوا وكانت وقعة بدر يوم الاثنين قال ابن عساکر والمحمود أن بدرًا ونزول اليوم أكملت لكم دينكم كانا يوم الجمعة وروى عبد الله بن عمر عن كريب عن ابن عباس ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين وعن ابن عباس أنه ولد يوم الاثنين وهذا ما لا خلاف فيه أنه ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وأبعد بل أخطأ من قال ولد يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من ربيع الأول نقله الحافظ ابن دحية وضعفه وهو جدير بالتضعيف إذ هو خلاف النص ثم الجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الأول فليلتين خلتا منه قاله ابن عبد البر في الاستيعاب وقيل لثمان

خلون منه حكاة الحميدي عن ابن حزم وقيل لعشر خلون منه نقله ابن دحية في كتابه وقيل لثنتي عشرة خلت منه نص عليه ابن إسحاق ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن جابر وابن عباس أنهما قالوا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء وفيه هاجر وفيه مات وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم وقيل لسبعة عشر خلت منه كما نقله ابن دحية عن بعض الشيعة وقيل لثمان بقين منه نقله ابن دحية من خط الوزير أبي رافع بن الحافظ أبي محمد بن حزم عن أبيه والصحيح عن ابن حزم الأول أنه لثمان مضين منه كما نقله عنه الحميدي وهو أثبت والقول الثاني أنه ولد في رمضان نقله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار وهو قول غريب جدا وكان مستنده أنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه في رمضان بلا خلاف وذلك على رأس أربعين سنة من عمره فيكون مولده في رمضان وهذا فيه نظر والله أعلم وقد روى خيشمة بن سليمان الحافظ عن ابن عباس قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين في ربيع الأول وأنزلت عليه النبوة يوم الاثنين في أول شهر ربيع الأول وأنزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الأول وهذا غريب جدا رواه ابن عساكر قال الزبير بن بكار حملت به أمه في أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى وولد بمكة بالدار المعروفة بمحمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ورواه الحافظ ابن عساكر عن ابن شعيب عن أبيه عن جده قال حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عاشوراء في الحرم وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل وذكر غيره أن الخيزران وهي أم هارون الرشيد لما حجت أمرت ببناء هذه الدار مسجدا فهو يعرف بها اليوم (قلت أي يوم زمن المؤلف أما في هذا العصر 1428 هـ فلا أدري بم يسمى ذلك المكان) قال: وكانت ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ليلة عظيمة تباشرت بها الخلائق ونزلت فيها الحقائق. وكثرت بصحبته البركات. وعمت معها البشارت. ولوحظت قبلها الارهاصات. وظهر لدى ولادته غرائب وخوارق فزیدت السماء حفظا ورجمت الشياطين وتدلّت النجوم واستنارت الوهاد وخرجت الانوار. وانصدع ايوان كسرى. وسقطت منه شرفات. وخمدت نيران فارس. وغاضت بحيرة ساوة. وفاض وادي سماوة.

أقول وكما سبق فقد حدثني الحاج محمد المايدي الجلفاوي قال ان الرسول ربيع في ربيع في ربيع يعني به ربيع النبوة في شهر ربيع الاول في فصل الربيع . قال الامام البوصيري رحمه الله تعالى في همزيته:

ومحيا كالشمس منك مضيء	اسفرت عنه ليلة غراء
ليلة المولد الذي كان للدي	ن سرور بيومها وازدهاء
فهنيا لآمنة الفضة	ل الذي شرفت به حواء
من لحواء انها حملت أح	مد وأنها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنت وه	ب . من فخار ما لم تتله النساء
وتوالت بشرى الهواتف أن قد	ولد المصطفى وحق الهناء

أقول : هذه الهمزية وشقيقتها البرده لو كتبنا بماء الذهب وعلقنا بجدار الكعبة لقلت في حقهما (قليل وقليل) لكن ينبغي قراءتهما والانتفاع بهما في مقام يليق بهما وبجلالهما دون سواه . والهمزية كان يداوم على قراءتها جماعيا كل ليلة جمعة الشيخ سيدي محمد بلخير في زاويته بأدرار كما أن الشيخ سيدي محمد بلقائد جعلها من أولويات كتاب السماع الذي ينشد منه المريدون دوما فضلا عن أيام المواسم . قلت وبما أن همزية الإمام البوصيري طويلة لا يمكن كتابتها في هذا المصنف فإني سأدرج هنا همزية أمير الشعراء أحمد شوقي والتي يقول فيها :

همزية شوقي

أنشد أمير الشعراء أحمد شوقي بك المصري همزية نالت قصب السبق في الميادين الادبية وبما أن شيخنا سيدي محمد بلقائد التمساني قد حبذ قراءتها وسماعها فإني أحببت إدراجها هنا للمناسبة وهي :

وُلد الهدى، فالكائنات ضياءُ	وفم الزمان تبسمُ وثناءُ
الروحُ والملائك حوله	للدين والدنيا به بُشراءُ
والعرش يزهو، والحظيرة تزدهي	والمنتهى، والسدرة العصماءُ
وحديقة الفرقان ضاحكة الربا	بالترجمان، شذية، غناءُ
والوحي يُقطرُ سلسلاً من سلسلٍ	واللوح والقلم البديع رواءُ

نُظِمَتْ أَسَامِي الرُّسُلِ فَهِيَ صَحِيفَةٌ
أَسْمُ الْجَلَالَةِ فِي بَدِيعِ حُرُوفِهِ
يَا خَيْرَ مَنْ جَاءَ الْوُجُودَ، تَحِيَّةَ
بَيْتِ النَّبِيِّينَ الَّذِي لَا يَلْتَقِي
خَيْرُ الْأَبْوَةِ حَازِمَهُ لَكَ (آدَمُ)
هُمْ أَدْرَكُوا عِزَّ النَّبُوءَةِ وَاتَّهَتْ
خُلِقَتْ لِبَيْتِكَ، وَهُوَ مَخْلُوقٌ لَهَا
بَكَ بِشَرِّ اللَّهِ السَّمَاءِ
وَبَدَأَ مُحْيَاكَ الَّذِي قَسَمَاتُهُ
وَعَلَيْهِ مِنْ نُورِ النَّبُوءَةِ رَوْنَقٌ
أَثْنَى (الْمَسِيحُ) عَلَيْهِ خَلْفَ سَمَائِهِ
يَوْمُ يَتِيهِ عَلَى الزَّمَانِ صَبَاحُهُ
الْحَقُّ عَالِي الرُّكْنِ فِيهِ، مُظْفَرٌ
ذَعَرَتْ عُرُوشُ الظَّالِمِينَ، فَزُلْزِلَتْ
وَالنَّارُ خَاوِيَةٌ الْجَوَانِبُ حَوْلَهُمْ
وَالْآيُ تَرَى، وَالْخَوَارِقُ جَمَّةٌ
نَعَمْ الْيَتِيمُ بَدَتْ مَخَايِلُ فَضْلِهِ
فِي الْمَهْدِ يُسْتَسْقَى الْحَيَا بِرَجَائِهِ
بَسْوَى الْأَمَانَةِ فِي الصَّبَا وَالصَّدَقِ لَمْ
يَا مَنْ لَهُ الْأَخْلَاقُ مَا تَهْوَى الْعَلَا
لَوْ لَمْ تَقُمْ دِينًا، لَقَامَتْ وَحْدَهَا
زَاتُكَ فِي الْخَلْقِ الْعَظِيمِ شَمَائِلُ
أَمَّا الْجَمَالُ؛ فَأَنْتَ شَمْسُ سَمَائِهِ

فِي اللَّوْحِ، وَاسْمُ مُحَمَّدٍ طُغْرَاءُ
أَلْفُ هُنَالِكَ، وَاسْمُ طُرَّةِ الْبَاءِ
مَنْ مُرْسَلِينَ إِلَى الْهَدْيِ بِكَ جَاءُ وَ
إِلَّا الْخَنَائِفُ فِيهِ وَالْخَنَفَاءُ
دُونَ الْأَنَامِ، وَأَحْرَزْتَ حَوَاءَ
فِيهَا إِلَيْكَ الْعِزَّةَ الْقَعَسَاءُ
إِنَّ الْعِظَاءَ كَفَّوْهَا الْعِظَاءُ
فَزَيَّنْتَ وَتَضَوَّعْتَ مَسْكَ بِكَ الْغَبْرَاءُ
حَقٌّ، وَغَرَّتْهُ هُدًى وَحْيَاءُ
وَمِنْ الْخَلِيلِ وَهَدِيَهُ سَيِّمَاءُ
وَتَهَلَّلْتَ وَاهْتَزَّتْ (الْعِذْرَاءُ)
وَمَسَاوُهُ بِمُحَمَّدٍ وَضَاءُ
فِي الْمُلْكِ لَا يعلو عَلَيْهِ لَوَاءُ
وَعَلَتْ عَلَى تِجَانِهِمْ أَصْدَاءُ
خَمَدَتْ ذَوَائِبُهَا، وَغَاضَ الْمَاءُ
(جَبْرِيلُ) رَوَّاحُ بِهَا غَدَاءُ
وَالْيَتِيمُ رَزَقَ بَعْضُهُ وَذَكَاءُ
وَبَقِصْدُهُ تَسْتَدْفَعُ الْبَاسَاءُ
يَعْرِفُهُ أَهْلُ الصَّدَقِ وَالْأَمْنَاءُ
مِنْهَا وَمَا يَتَعَشَّقُ الْكِبْرَاءُ
دِينًا تَضِيءُ بِنُورِهِ الْآثَاءُ
يُغَرِّى بِهِنَّ وَيُولَعُ الْكِرْمَاءُ
وَمَلَا حَلَةَ الصَّدِيقِ أَيَّاءُ

والحسنُ من كرم الوجوه وخيره
فإذا سخوت بلغت بالجود المدى
وإذا عفوت فقادرا، ومقدرا
وإذا رحمت فأنت أم، أو أب
وإذا غضبت فإنما هي غضبة
وإذا رضيت فذاك في مرضاته
وإذا خطبت فللمنابر هزة
وإذا قضيت فلا إرتياب كأنما
وإذا حميت الماء لم يُورد، ولو
وإذا أجرت فأنت بيت الله، لم
وإذا ملكت النفس قمت ببرها
وإذا بنيت فخير زوج عشرة
وإذا صحبت رأى الوفاء مجسما
وإذا أخذت العهد، أو أعطته
وإذا مشيت إلى العدا فغضنفر
وتمدّد حلمك للسفيه مداريا
في كل نفس من سطاك مهابة
والرأي لم ينض المهنددونه
يا أيها الأمي، حسبك رتبة
الذكر آية ربك الكبرى التي
صدر البيان له إذا التقت اللغي
نسخت به التوراة وهي وضية
لما تمشى في (الحجاز) حكيمة

ما أوتي القواد والزعماء
وفعلت ما لا تفعل الأنواء
لا يستهين بعفوك الجهلاء
هذان في الدنيا هما الرحماء
في الحق، لا ضغن ولا بغضاء
ورضى الكثير تحلم ورياء
تعروا التدي، وللقلوب بكاء
جاء الخصوم من السماء قضاء
أن القياصر والملوك ظماء
يدخل عليه المستجير عدا
ولو كن ما ملكت يدك الشاء
وإذا ابتيت فدونك الآباء
في بُردك الأصحاب والخاطاء
فجميع عهدك ذمة ووفاء
وإذا جريت فإنك التكباء
حتى يضيق بعرضك السفهاء
ولكل نفس في ندادك رجاء
كالسيف لم تضرب به الآراء
في العلم أن دانت بك العلماء
فيها لباغي المعجزات غناء
وتقدم البلغاء والفصحاء
وتخلف الإنجيل وهو ذكاء
قضت (عكاظ) به، وقام حراء

أزرى بمنطق أهله وبيانهم
حسدوا، فقالوا: شاعر، أو ساحر
قد نال بالهادي الكريم والهادي
أمسى كأنك من جلالك أمة
يوحى إليك الفوز في ظلماته
دين يشيد آية في آية
الحق فيه هو الأساس، وكيف لا
أما حديثك في العقول فمشرع
هو صبغة الفرقان، نفحة قدسه
جرت الفصاحة من ينايع التهي
في مجره للساجين به على
أت الدهور على سلافته، ولم
بك يا بن عبد الله قامت سمحة
بنيت على التوحيد، وهي حقيقة
وجد الزعاف من السموم لأجلها
ومشى على وجه الزمان بنورها
إيزيس ذات الملك حين توحدت
لما دعوت الناس لبي عاقل
أبوا الخروج إليك من أوهامهم
ومن العقول جداول وجلامد
داء الجماعة من أرسطاليس لم
فرست بعدك للعباد حكومة
والله فوق الخلق فيها وحده

وحي يقصر دونه البلغاء
ومن الحسود يكون الاستهزاء
ما لم تنل من سؤدد سيناء
وكانه من أنسه يبداء
متابعا، تجلى به الظلماء
لبناته السورات والأضواء
والله جل جلاله البناء
والعلم والحكم الغوالي الماء
والسين من سوراته والراء
من دوحه، وتفجر الإنشاء
أدب الحياة وعلمها إرساء
تفن السلاف، ولا سلا التدماء
بالحق من ملل الهدى غراء
نادى بها سقراط والقدماء
كالشهد، ثم تابع الشهداء
كهان وأدي النيل والعرفاء
أخذت قوام أمورها الأشياء
وأصم منك الجاهلين نداء
والناس في أوهامهم سجناء
ومن النفوس حرائر وإماء
يوصف له حتى أتيت دواء
لا سؤفة فيها ولا أمراء
والناس تحت لوائها أكفاء

والدِّينُ يُسْرُ، والخِلافةُ بِيعةُ
الإِشْتِراكِ يَكونُ أَنْتَ إِمامُهُم
داوَيْتَ مُتَّداً، وداوَوْا ظَفِرَةَ
الحَرْبِ فِي حَقِّ لَدِيكَ شَرِيعَةَ
والْبَرِّ عِنْدَكَ ذَمَّةٌ، وفَرِيضَةُ
جَاءَتْ فَوَحَّدَتِ الزَّكَاةَ سَبِيلَهُ
أَنْصَفْتَ أَهْلَ الْفَقْرِ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى
فَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا تَخَيَّرَ مِلَّةً
يَا أَيُّهَا الْمُسْرَى بِهِ شَرَفًا إِلَى
تِسَاءَلُونَ وَأَنْتَ أَطْهَرُهُمْ كُلَّ
بِهِمَا سَمَوْتَ مُطَهَّرِينَ، كِلَاهُمَا
فَضْلٌ عَلَيْكَ لَذي الْجَلَالِ وَمِنَّةُ
تَغْشَى الْغُيُوبَ مِنَ الْعَوَالِمِ، كَلَّمَا
فِي كُلِّ مَنْطِقَةٍ حَوَاشِي نَوْرَهَا
أَنْتَ الْجَمَالُ بِهَا، وَأَنْتَ الْمُجْتَلَى
اللَّهُ هَيَّأَ مِنْ حَظِيرَةِ قُدْسِهِ
الْعَرْشُ تَحْتِكَ سُدَّةٌ وَقَوَائِمُ
وَالرُّسُلُ دُونَ الْعَرْشِ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُمْ
الْخَيْلُ تَأْبَى غَيْرَ أَحْمَدَ حَامِيَا
شَيْخُ الْفَوَارِسِ يَعْلَمُونَ مَكَانَهُ
وَإِذَا تَصَدَّى لِلظُّبَى فَمُهَنَّدٌ
وَإِذَا رَمَى عَنْ قَوْسِهِ فَيَمِينُهُ
مِنْ كُلِّ دَاعِيِ الْحَقِّ هِمَّةُ سَيْفِهِ

وَالْأَمْرُ سُورَى، وَالْحَقُّ قِضَاءُ
لَوْلَا دَعَاوِي الْقَوْمِ وَالْغُلُوءُ
وَأَخَفْتُ مِنْ بَعْضِ الدَّوَاءِ الدَّاءَ
وَمِنَ الْبَسْمُومِ النَّاقِعَاتِ دَوَاءُ
لَا مَنَّةَ مَمْنُونَةٍ وَجَبَاءُ
حَتَّى التَّقَى الْكَرْمَاءُ وَالْبِخْلَاءُ
فَالْكُلُّ فِي حَقِّ الْحَيَاةِ سَوَاءُ
مَا اخْتَارَ إِلَّا دِينَكَ الْفُقَرَاءُ
مَا لَا تَنَالُ الشَّمْسُ وَالْجُوزَاءُ
بِالرُّوحِ أُمُّ الْهَيْكَلِ الْإِسْرَاءُ
نُورٌ، وَرِيحَاتِيَّةٌ، وَبِهَاءُ
وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرِي وَيَشَاءُ
طَوَيْتَ سَمَاءُ قَلْدَتِكَ سَمَاءُ
نُونٌ، وَأَنْتَ النَّقْطَةُ الزَّهْرَاءُ
وَالْكَفُّ، وَالْمِرَاةُ، وَالْحُسْنَاءُ
نَزَلًا لِدَاثِكَ لَمْ يَجْزُهُ عِلَاءُ
وَمَنَاكِبُ الرُّوحِ الْأَمِينِ وَطَاءُ
حَاشَا لَغَيْرِكَ مَوْعِدٌ وَلَقَاءُ
وَبِهَا إِذَا ذَكَرَ اسْمُهُ خَيْلَاءُ
إِنْ هَيَّجَتْ آسَادَهَا الْهَيْجَاءُ
أَوَّلُ الرَّمَاكِ فَصَعْدَةُ سَمَاءُ
قَدَرٌ، وَمَا تَرْمِي الْيَمِينَ قِضَاءُ
فَلَسَيْفُهُ فِي الرَّاسِيَّاتِ مَضَاءُ

سَاقِي الجَرِيحِ وَمُطْعِمُ الأسْرِ، وَمَنْ
إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الرِّجَالِ غِلَاطَةٌ
وَالْحَرْبُ مِنْ شَرَفِ الشُّعُوبِ، فَإِنْ
بَغَوْا وَالْحَرْبُ يَبْعَثُهَا الْقَوِيُّ تَجْبُرًا
كَمْ مِنْ غَزَاةٍ لِلرَّسُولِ كَرِيمَةٍ
كَانَتْ لَجُنْدِ اللَّهِ فِيهَا شِدَّةٌ
ضَرَبُوا الضَّلَالَةَ ضَرْبَةً ذَهَبَتْ بِهَا
دَعَمُوا عَلَى الْحَرْبِ السَّلَامِ، وَطَالَمَا
الْحَقُّ عَرَضَ اللَّهُ، كُلُّ آيَةٍ
هَلْ كَانَ حَوْلَ مُحَمَّدٍ مِنْ قَوْمِهِ
فَدَعَا، فَلَبَّى فِي الْقَبَائِلِ
رَدُّوا بِبَاسِ الْعِزِّ عَنْهُ مِنَ الْأَذَى
وَالْحَقُّ وَالْإِيمَانُ إِنْ صَبَّأَ عَلَى
نَسَفُوا بِنَاءَ الشَّرِّكَ، فَهُوَ خِرَابٌ
يَمُشُونَ تَغْضِي الْأَرْضُ مِنْهُمْ هَيْبَةً
حَتَّى إِذَا قُتِحَتْ لَهُمْ أَطْرَافُهَا
يَا مَنْ لَهُ عِزُّ الشَّفَاعَةِ وَحَدُّهُ
عَرْشُ الْقِيَامَةِ أَنْتَ تَحْتَ لَوَائِهِ
تُرْوِي وَتَسْقِي الصَّالِحِينَ ثِيَابَهُمْ
أَلَمْ تَلِمْ هَذَا ذَقْتَ فِي الدُّنْيَا الطَّوَى
لِي فِي مَدِيحِكَ يَا رَسُولَ عَرَائِسٍ
هُنَّ الْحَسَانُ، فَإِنْ قَبِلْتَ تَكْرُمًا
أَنْتَ الَّذِي نَظَّمِ الْبَرِّيَّةَ دِينُهُ

أَمَنْتَ سَنَابَكَ خَيْلُهُ الْأَشْلَاءُ
مَا لَمْ تَزْنِهَا رَأْفَةً وَسَخَاءُ
فَالْجَدُّ مَا يَدْعُونَ بِإِرَاءِ
وَيَنْوُو تَحْتَ بَلَاتِهَا الضَّعْفَاءُ
فِيهَا رَضَى لِلْحَقِّ أَوْ إِعْلَاءُ
فِي إِثْرِهَا لِلْعَالَمِينَ رَخَاءُ
فَعَلَى الْجَهَالَةِ وَالضَّلَالِ عَفَاءُ
حَقَنْتَ دِمَاءً فِي الزَّمَانِ دِمَاءُ
بَيْنَ النُّفُوسِ حَمًى لَهُ وَوَقَاءُ
إِلَّا صَبِيٍّ وَاحِدٍ وَنِسَاءُ
عُصْبَةٌ مُسْتَضْعَفُونَ، قَلَائِلُ أَنْصَاءُ
مَا لَا تَرُدُّ الصَّخْرَةَ الصَّمَاءُ
بِرْدٍ فِيهِ كَيْبَةُ خَرَسَاءُ
وَاسْتَأْصَلُوا الْأَصْنَامَ، فَهِيَ هَبَاءُ
وَبِهِمْ حِيَالُ نَعِيمِهَا إِغْضَاءُ
لَمْ يُطْغِهِمْ تَرْفٌ وَلَا نِعْمَاءُ
وَهُوَ الْمَنْزَرَةُ، مَا لَهُ شَفْعَاءُ
وَالْحَوْضُ أَنْتَ حِيَالُهُ السَّقَاءُ
وَالصَّالِحَاتُ ذَخَائِرُ وَجَزَاءُ
وَأَنْشَقَ مِنْ خَلْقٍ عَلَيْكَ رَدَاءُ
تَيَّمَنَ فِيكَ، وَشَاقِهِنَّ جَلَاءُ
فَمُهِوْرُهُنَّ شَفَاعَةُ حَسَنَاءُ
مَاذَا يَقُولُ وَيَنْظُمُ الشُّعْرَاءُ

المصلحون أصابعُ جُمعت يدًا
 ما جئتُ بابك مادحاً، بل داعياً
 أدعوك عن قومي الضعاف لأزمة
 أدري رسول الله أن نفوسهم
 متفككون، فما تَضُمُّ نفوسهم
 رقدوا، وغرهم نعيمٌ باطل
 ظلموا شريعتك التي نلنا بها
 مشيت الحضارة في سناها، واهتدى
 صلى عليك الله ما صحب الدُّجى
 واستقبل الرضوان في غرفاتهم
 خير الوسائل، مَنْ يقع منهم على
 هي أنت، بل أنت اليدُ البيضاء
 ومن المديح تضرعُ ودعاء
 في مثلها يُلقى عليك رجاء
 ركبَتُ هواها، والقلوبَ هوا
 ثقة، ولا جَمعَ القلوبَ صفاء
 ونعيمٌ قوم في القيود بلاء
 ما لم ينل في رومة الفقهاء
 في الدين والدنيا بها السعداء
 حاد، وحنَّت بالفلا وجناء
 بجنان عَدْنُك السُّمحاء
 سَبب إليك فحسبي الزهراء

الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم

قال الإمام أبو شامة شيخ النووي: ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور. فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان للفقراء مُشعرٌ بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكرُ الله تعالى على ما مَن به من إيجاد رسوله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله رحمة للعالمين. قال السخاوي إن عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة ثم لا زال أهل الإسلام في سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عظيم. وقال ابن الجوزي: من خواصه إنه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام وأول من أحدثه من الملوك، الملك المظفر أبو سعيد صاحب إربل وألف له الحافظ بن دحية تأليفاً أسماه "التنوير في مولد البشير النذير" فأجازه الملك المظفر بألف دينار وصنع الملك المظفر المولد وكان يعمل في ربيع الأول ويحتفل به احتفالاً هائلاً وكان شهماً شجاعاً بطلاً عاقلاً عادلاً وقيل أنه كان

يصرف على المولد ثلاثمائة ألف دينار وكان السلطان أبو حمو موسى صاحب تلمسان يحتفل ليلة المولد غاية الاحتفال كما كان ملوك المغرب والأندلس في ذلك العصر وما قبله ومن احتفاله له ما حكاه الحافظ سيدي أبو عبد الله التنسي ثم التلمساني الجزائري في كتابه راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح ونصه أنه كان يقيم ليلة الميلاد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام بمشورة من تلمسان الحروسة مدعاة حفيلة يحشر فيها الناس خاصة وعامة فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وسط موشاة ووسائد بالذهب مغشاة وشمع كالأسطوانات وموائد كالهالات ومباخر منصوبة كالقباب يخالها المبصر تبراً مذاًباً ويفاض على الجميع أنواع الأطعمة كأنها أزهار الربيع المنعمة فتشتهيها الأنفس وتستلذها النواظر ويخالط حسن رباها الأرواح ويخامر رتب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال وقد علت الجميع أبهة الوقار والإجلال ويعقب ذلك يحتفل المسمعون بامداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ومكفريات ترغب في الإقلاع عن الآثام يخرجون فيها من فن إلى فن ومن أسلوب إلى أسلوب ويأتون من ذلك بما تطرب له النفوس وترتاح إلى سماعه القلوب وبالقرب من السلطان رحمه الله تعالى خزانة المنجانة قد زخرت كأنها حلة يمانية لها أبواب موجفة على عدد ساعات الليل الزمانية فمهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها وفتح رفعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطورة فتلصقها بين يدي السلطان بلطافة ويسراها على فمها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافة . هكذا حالمهم إلى انبلاج عمود الصباح ونداء المنادي حي على الفلاح . (قال) وفي زماننا هذا يحتفل المسلمون بيوم مولده صلى الله عليه وسلم في جميع الأمم الإسلامية حيث تتلى الأذكار وتوزع الصدقات على الفقراء والمحتاجين . وفي القاهرة كان يتحرك موكب أرباب الطرق بعد الظهر من ميدان باب الخلق أمام المحافظة ، ويسير قاصداً ميدان الاحتفال بالعباسية مجتازاً شوارع تحت الربع فالسكرية فالغورية فميدان الأشرافية فالفحامين فالحسينية فالعباسية ويشد الزحام في هذه الشوارع وتقدم الموكب كوكبة من فرسان رجال الشرطة وتحف به من الجانبين قوة من رجال الجيش وقد جرت عادة الدولة المصرية قديماً أن تحتفل بهذا اليوم المبارك احتفالاً رسمياً في العباسية حيث تقام سرادقات للوزارات ويتوجه جلالة الملك أو نائبه إلى مكان الاحتفال وهناك يعرض الحامية المصرية على أثر وصوله ثم ينتقل إلى السرادق

الملكي ويستقبل رجال الطرق الصوفية بأعلامهم وبعدئذ يقصد سراق شيخ مشايخ الطرق الصوفية فيستمع تلاوة القصة النبوية وبعد سماعها يخلع على تاليها الخلعة الملكية وتدار المرطبات والحلوى على الحاضرين ثم ينصرف بعد ذلك بموكبه الحافل أثناء قصف المدافع وفي المساء تنار الزينات المقامة على السراقات وتطلق الألعاب النارية البديعة وفي الصباح تعطل الحكومة وزارتها ومصالحها وتلى القصة النبوية الشريفة في المشهد الحسيني بحضور محافظ مصر

﴿ أقول ﴾ ونحن في الجزائر كقطر حكومة وشعبا بل وفي منطقتنا الجلفاوية وخصوصا ناحية عين الابل منها والى عهد قريب كنا نحتفل بالمولد طيلة شهر ربيع الاول بتلاوة القرآن وقراءة المولد البرزنجي وانشاد مدائح مجموع القصائد والقصائد الوترية للبغدادى يوم كانت الجماعة جماعة . ويوم كان الشوق والطاعة . وكانت الشموع والروائح والعطور والبخور والحلويات وانواع المودة تترى على المسجد من طرف الحسينين والمتطوعين وخصوصا بيت الحاج السعيد بن الزمزم وكان ينشط هذه الاحتفالات (المؤلف الميلود قويسم) مع السادة : الشيخ الوالد سى بن عيسى بن الهدار والشيخ بن عليّة مبدوعة الفرجاوي والشيخ عبد القادر بن بولقرينات النجيمي والشيخ على بودر بالة المجبري والشيخ اقويدر الود الابلوي والشيخ محمد بن بشطح الابلوي والحاج السعيد بن الزمزم المحمدي والحاج العلمي تریش المباركي والحاج احمد التجاني رقيق الحاجي والحاج محمد بن الفضيل الكر داوي والشيخ الطيب بن نعمان الاغويني والحاج السويح عقوني المباركي والحاج بن عيسى بن اوديد المباركي والحاج احمد رينوبه لشلق المجبري وسي المختار بن بولقرينات النجيمي والحاج بن داود داودي المجبري والشيخ المخلط سعدي اليونسي والشيخ مصطفى قصير الابلوي والشيخ مصطفى بن الابيض المباركي والحاج بن ضيف طوير الابلوي والحاج محمد مفتاح طوير الابلوي وسي دحمان الود الابلوي والحاج عرارم الود الابلوي والحاج احمد الود بن البشير الابلوي والحاج احمد بن الفرثالة المباركي والحاج عمر كربولع الابلوي وسي عبد القادر فرحات بن محمد المباركي والآخ بوالارباح طيبي بن المصفي والآخ أحمد عقوني بن محمد والآخ المبروك بن الطيب بن نعمان وبن عيسى زيتوني بن ابريكة وغيرهم كثير وكان يحضر لدينا سي عبد الهادي القصاد وسي الأخضر الناجوي وغيرهم (قلت) وقد نشأت في حي قناني وكان جماعة مسجد التوفيق ينشدون هذه القصائد وعلى رأسهم الشيخ عبد

الرحمن بشيري والشيخ بوبكر بن امليك والحاج دحمان بن حرز الله عيشي والشيخ عبد الله طيوا
والشيخ السعيد بن عبد الهادي والشيخ محمد رمضان والشيخ أحمد خالدي بن السبخاوي
والشيخ بلقاسم بن الديق كيهول والشيخ عمر بن علي والطالب محمد رينوبة وغيرهم .
(فائدة) ومن بين القصائد التي كنا ننشدها في مسجد الفتح العتيق بعين الإبل وباستمرار طيلة شهر
ربيع الأول القصيدة المضرية للإمام البوصيري والتي يقول فيها رحمه الله تعالى :

القصيدة المضرية

يا رَبَّ صَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍّ	وَالْأَنْبِيَا وَجَمِيعِ الرُّسُلِ مَا ذَكَرُوا
وَصَلِّ رَبِّ عَلَى الْهَادِي وَشَيْعَتِهِ	وَصَحْبِهِ مَنْ لَطِيَ الدِّينَ قَدْ نَشَرُوا
وَجَاهِدُوا مَعَهُ فِي اللَّهِ وَاجْتَهِدُوا	وَهَاجِرُوا وَلَهُ أَوْوًا وَقَدْ نَصَرُوا
وَيَبْنُوا الْفَرَضَ وَالْمُسْتُونَ وَاعْتَصَبُوا	لِلَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَاتَّصَرُوا
أَزْكَى صَلَاةٍ وَأَنَامَا وَأَشْرَفَهَا	يُعْطَرُ الْكَوْنُ رِيًّا نَشَرَهَا الْعَطَرُ
مَفْقُودَةً بِغَيْرِ الْمُسْكِ زَاكِيَةً	مَنْ طَيَّبَهَا أَرْجُ الرِّضْوَانِ يَنْتَشِرُ
عَدَا الْحَصَى وَالْثَرَى وَالرَّمْلَ يَتَّبِعُهَا	نَجْمُ السَّمَاءِ وَبَتِ الْأَرْضُ وَالْمَدَرُ
وَعَدَا مَا حَوَتْ الْأَشْجَارُ مِنْ وَرَقٍ	وَكُلِّ حَرْفٍ غَدَا يُتْلَى وَيُسْتَطَرُ
وَعَدَا وَزْنَ مَثَاقِيلِ الْجِبَالِ كَذَا	يَلِيهِ قَطَرُ جَمِيعِ الْمَاءِ وَالْمَطَرُ
وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْأَسْمَاكَ مَعَ نَعَمٍ	يَتَلَوْنَهُمُ الْجَنُّ وَالْأَمْلاكُ وَالْبَشَرُ
وَالذَّرُّ وَالنَّمْلُ مَعَ جَمْعِ الْحُبُوبِ كَذَا	وَالشَّعْرُ وَالصُّوفُ وَالْأَرْيَاشُ وَالْوَبَرُ
وَمَا أَحَاطَ بِهِ الْعِلْمُ الْمَحِيطُ وَمَا	جَرَى بِهِ الْقَلَمُ الْمَأْمُونُ وَالْقَدَرُ
وَعَدَا نِعْمَاتِكَ اللَّاتِي مَنَنْتَ بِهَا	عَلَى الْخَلَائِقِ مُذْ كَانُوا وَمُذْ حُشِرُوا
وَعَدَا مَقْدَارَهُ السَّامِي الَّذِي شَرَفَتْ	بِهِ النَّبِيُّونَ وَالْأَمْلاكُ وَاقْتَحَرُوا
وَعَدَا مَا كَانَ فِي الْأَكْوَانِ يَا سَنَدِي	وَمَا يَكُونُ إِلَى أَنْ تُبْعَثَ الصُّورُ
فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ يَطْرَفُونَ بِهَا	أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ أَوْ يَذَرُوا
مِلءَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ مَعَ جَبَلٍ	وَالْفَرَشِ وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَمَا حَصَرُوا

مَا أَغْدَمَ اللَّهُ مُوجُودًا وَأَوْجَدَ مَعَهُ
 تَسْتَعْرِقُ الْعَدَمَ مَعَ جَمْعِ الدُّهُورِ كَمَا
 لَا غَايَةَ وَانْتِهَاءَ يَا عَظِيمُ لَهَا
 مَعَ السَّلَامِ كَمَا قَدَّمَ مَنْ مِنْ عَدَدِ
 وَعَدَّ أضعافَ مَا قَدَّمَ مَنْ مِنْ عَدَدِ
 كَمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى سَيِّدِي وَكَمَا
 وَكُلَّ ذَلِكَ مَضْرُوبٌ بِحَقِّكَ فِي
 يَا رَبِّ وَاغْفِرْ لَتَالِيهَا وَسَامِعَهَا
 وَوَالِدَيْنَا وَأَهْلَيْنَا وَجِيرَانَنَا
 وَقَدْ أَتَتْ بِذُنُوبٍ لَا عَدَادَ لَهَا
 وَالْهَمُّ عَنْ كُلِّ مَا أَبْغَيْهِ أَشْغَلَنِي
 أَرْجُوكَ يَا رَبِّ فِي الدَّارَيْنِ تَرْجُمْنَا
 يَا رَبِّ أَعْظَمْ لَنَا أَجْرًا وَمَغْفِرَةً
 وَكُنْ لَطِيفًا بِنَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ
 بِالمُصْطَفَى الْمُجْتَبَى خَيْرِ الْأَنَامِ وَمَنْ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا طَلَعَتْ
 ثُمَّ الرِّضَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَتِهِ
 وَعَنْ أَبِي حَفْصٍ الْفَارُوقِ صَاحِبِهِ
 وَجِدُّ لِعُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ مَنْ كُمَلَتْ
 كَذَا عَلَيَّ مَعَ ابْنَيْهِ وَأُمَمَهُمَا
 سَعْدُ سَعِيدُ بْنُ عَوْفٍ طَلْحَةُ وَأَبُو
 وَالْآلِ وَالصَّحْبِ وَالْأَتْبَاعِ قَاطِبَةً

دُومًا صَلَاةً دَوَامًا لَيْسَ تَنْحَصِرُ
 يُحِيطُ بِالْحَدِّ لَا يُبْقِي وَلَا تَذَرُ
 وَلَا لَهَا أَمَدٌ يَقْضِي وَيُنْظَرُ
 رَبِّا وَضَاعَفَهَا وَالْفَضْلُ مُنْتَشِرُ
 مَعَ ضَعْفِ أضعافِهِ بِمَا مِنْ لَهُ الْقَدَرُ
 أَمَرْتَنَا أَنْ نُصَلِّيَ أَنْتَ مُقْتَدِرُ
 أَنْفَاسِ خَلْقِكَ إِنْ قَلَوْا وَإِنْ كَثُرُوا
 وَالْمُرْسَلِينَ جَمِيعًا أَيْنَمَا حَضَرُوا
 وَكُنَّا سَيِّدِي لِلْعَفْوِ مُفْتَقِرُ
 لَكِنْ عَفْوُكَ لَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ
 وَقَدْ أَتَى خَاضِعًا وَالْقَلْبُ مُنْكَسِرُ
 بِجَاهِ مَنْ فِي يَدَيْهِ سَبَّحَ الْحَجَرُ
 لِأَنَّ جُودَكَ بِحَرِّ لَيْسَ يَنْحَصِرُ
 لَطْفًا جَمِيلًا بِهِ الْأَهْوَالُ تَنْحَسِرُ
 جَلَالَةَ نَزَلَتْ فِي مَدْحِهِ السُّورُ
 شَمْسُ النَّهَارِ وَمَا قَدْ شَعَشَعَ الْقَمَرُ
 مَنْ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ لِلدِّينِ يُنْتَصِرُ
 مَنْ قَوْلُهُ الْفَضْلُ فِي أَحْكَامِهِ عُمَرُ
 لَهُ الْمُحَاسِنُ فِي الدَّارَيْنِ وَالظَّفَرُ
 أَهْلُ الْعِبَاءِ كَمَا قَدْ جَاءَنَا الْخَبَرُ
 عُبَيْدَةَ وَزَيْدُ سَادَةٍ غُرَرُ
 مَا جَنَّ لَيْلُ الدِّيَا جِي أَوْ بَدَا السَّحَرُ

طفولته وصباه عليه السلام

فى اليوم السابع لميلاد النبى (صلى الله عليه وسلم) أمر جده بجزور فنحرت، وأقام حفلا دعا إليه كبار رجالات «قرىش» احتفاءً بهذا الوليد الكريم، وانتظرت «آمنة» المرضعات اللاتى كن يأتين من البادية إلى «مكة»، لياخذن الأطفال إلى ديارهن لإرضاعهم بأجر، وكانت عادة أشراف مكة ألا ترضع الأم أطفالها، مفضلين أن تكون المرضعة من البادية؛ لتأخذ الطفل معها، حيث يعيش فى جوماتهم لنموه من سماء صافية، وشمس مشرقة، وهواء نقى، وكانت هناك قبائل مشهورة بهذا العمل مثل «بنى سعد». وكان (سيدنا محمد) من نصيب واحدة منهم تدعى حليلة السعدية لم تكن تدري حين أخذته أنها أسعد المرضعات جميعاً فقد حلت عليها الخيرات وتوالت عليها البركات بفضل هذا الطفل الرضيع فسمنت أغنامها العجاف، وزادت ألبانها وبارك الله لها فى كل ما عندها. مكث «سيدنا محمد» عند «حليلة» عامين، وهو موضع عطفها ورعايتها، ثم عادت به إلى أمه، وألحت عليها أن تدعه يعود معها، ليبقى مدة أخرى، فوافقت «آمنة» وعادت به «حليلة» إلى خيام أهلها.

حادث شق الصدر

بقى «سيدنا محمد» عند حليلة السعدية بعد عودتها ثلاثة أعوام أخرى حدثت له فى آخرها حادثة شق الصدر، وملخصها كما ترويه أوثق مصادر السيرة: أن «سيدنا محمداً» كان يلعب أو يرمى الغنم مع أترابه من الأطفال خلف مساكن «بنى سعد» فجاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأخذهما فاضجعا على الأرض، وشقا صدره وغسلاه وأخرجاه منه شيئاً ثم أعاده كما كان. ولما رأى الأطفال ما حدث، ذهب واحد منهم إلى «حليلة» فأخبرها بما رأى، فخرجت فزعاً هى وزوجها أبو كبشة فوجدا محمداً ممتعاً لونه فسأله حليلة عما حدث فأخبرها، فخشيت أن يكون ما حدث له مس من الجن، وتخوفت عاقبة ذلك على الطفل، فأعادت به إلى أمه وقصت عليها ما حدث لطفلها.

موت آمنة بنت وهب

لما بلغ «سيدنا محمد» السادسة من عمره أخذته أمه في رحلة إلى «يثرب أي المدينة» ليزور معها قبر أبيه ويرى أحوال جده «عبد المطلب» من «بنى النجار». وفي طريق العودة مرضت «آمنة» واشتد عليها المرض، وتوفيت في مكان يُسمى «الأبواء» بين «مكة» و«المدينة» وهكذا شاءت إرادة الله أن يفقد «محمد» أمه، وهو في هذه السن الصغيرة وهو أشد ما يكون احتياجاً إليها فتضاعف عليه اليتيم ولكن الله في خلقه حكم لا يعلمها إلا هو تعالى فإن كان «محمد» قد حُرِمَ من أبويه فإن الله هو الذي سيتولى رعايته وتعليمه. ضم «عبد المطلب» حفيده «محمدًا» إلى كفالاته لأن ابنه «عبد الله» لم يترك ثروة كبيرة، وكل ما تركه كان خمسة من الإبل، وبعضاً من الأغنام، و«أم أيمن» المسماة بـ (بركة) التي أصبحت حاضنة «محمد» ورعايته بعد فقد أمه وقد عوضته كثيراً عن حنان الأم. لكن كفالة «عبد المطلب» لمحمد لم تدم طويلاً، إذ استمرت عامين فقط بعد وفاة «آمنة» حيث توفي وكان خلالهما نعم الأب الحنون، فحزن «محمد» على فقد حزنًا شديدًا وبكاه بكاءً مراً وهو يودعه إلى مثواه الأخير. وبعد وفاة عبد المطلب انتقل محمد إلى كفالة عمه أبي طالب ومع أنه لم يكن أكثر أعمامه مالا وأوسعهم ثراءً، بل كان أكثرهم أولادًا وأثقلهم مؤونة فإنه كان شديد العطف عليه، والرعاية له، فضمه إلى عياله وكان يفضلهم في كل شيء.

حكمة نشأته صلى الله عليه وسلم يتيما

(قال المصنف) اختار الله عز وجل لنبه أن ينشأ يتيما لحكم باهرة ومن أهمها أن لا يكون للمبطلين سبيل إلى إدخال الريبة إلى القلوب أو إيهام الناس بأن محمداً صلى الله عليه وسلم إنما رضع لبان دعوته ورسالته التي نادى بها منذ صباه يارشاد وتوجيه من أبيه وجده ولم لا وإن جده عبد المطلب كان صدرا في قومه فلقد كانت إليه الرفادة والسقاية ومن الطبيعي أن يربي الجد حفيده على ما يحفظ لديه من الميراث لقد شاءت حكمة الله عز وجل أن لا يكون للمبطلين من سبيل إلى مثل هذه الريبة، فنشأ رسول الله بعيداً عن تربية أبيه وأمه وجده، وحتى فترة طفولته الأولى، فقد أرادت حكمة الله عز وجل أن يقضيها في بادية بني سعد بعيداً عن أسرته كلها ولما توفي جده وانتقل إلى كفالة عمه أبي طالب الذي امتدت حياته إلى ما قبل الهجرة بثلاث سنوات كان من تمة هذه الحكمة أن لا يسلم عمه حتى

لا يتوهم أن لعمه مدخلا في دعوته وأن المسألة مسألة قبيلة وأسرّة وزعامة ومنصب وهكذا أرادت حكمة الله أن ينشأ رسوله يتيما تتولاه عناية الله وحدها بعيدا عن الذراع التي تمنع في تدليله والمال الذي يزيد في تنعيمه حتى لا تميل به نفسه إلى مجد المال والجاه، وحتى لا يتأثر بما حوله من معنى الصدارة والزعامة، فلتبس على الناس قداسة النبوة بجاه الدنيا حتى لا يحسبوه يصطنع الأول ابتغاء الوصول إلى الثاني .

اشتغاله برعى الغنم

لم يرض «سيدنا محمد» أن يكون عالة على عمّه وبخاصة أنه يرى ضيق ذات يده، فأراد أن يعمل ليعول نفسه ويكسب قوته، ويساعد عمه إن أمكن ذلك فاشتغل برعى الأغنام، وهو عمل يناسب سنه وهذه كانت حرفة الأنبياء من قبله، لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): «ما من نبي إلا ورعى الغنم»، قيل: وأنت يا رسول الله ؟ قال: «وأنا» .

مشاركته في الحياة العامة

شارك سيدنا «محمد» (صلى الله عليه وسلم) قومه في حياتهم العامة قبل البعثة، فاشترك في «حرب الفجار» وهو في نحو الخامسة عشرة من عمره، وهى حرب وقعت أحداثها في الأشهر الحرم، ولذا سميت بحرب الفجار، وسببها أن «النعمان بن المنذر» أمير «الحيرة» اعتاد أن يرسل كل موسم قافلة تجارية إلى سوق «عكاظ» بالقرب من «مكة» المكرمة، وكان يستأجر لها حراسا من القبائل القريبة من «مكة»، فعرض رجلان أنفسهما لهذه المهمة، أحدهما من «هوازن» يسمى «عروة»، والآخر من «كنانة» يسمى «البرأض»، فاختر «النعمان» «عروة» فقتله «البرأض»، فوقع القتال بين قبيلتيهما لهذا السبب، واستمر أربع سنوات وانتهى بالصلح بين المتحاربين، وقد وصف النبي (صلى الله عليه وسلم) مشاركته في هذه الحرب بقوله «كنت أنبل على أعمامى» أى يرد إليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها .

حلف الفضول

وكما شارك «سيدنا محمد» قومه في الحرب فقد شاركهم في السلم حيث شهد «حلف الفضول» الذى تكون عقب حرب الفجار، وكان أول من دعا إليه عمه «الزبير بن عبد المطلب»

لنصرة المظلوم أيا كان، من أهل «مكة» أو من غيرهم، واجتمعت بعض بطون «قريش»: «بنو هاشم» و«بنو زهرة»، و«بنو أسد»، و«بنو تميم» في دار «عبد الله بن جدعان»، وتعاهدوا ليكون مع المظلوم حتى يُردَّ إليه حقه. ويصف النبي مشاركته في هذا الحلف بقوله: «لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار «عبد الله بن جدعان» ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت».

بناء قريش للكعبة

نزل سيل على «الكعبة» قبل بعثة النبي بمجولى خمسة أعوام هدم جدرانها، فعزمت «قريش» على إعادة بنائها، وقسمت العمل بين بطونها، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يعمل بنفسه معهم، ويحمل الحجارة، حتى إذا ارتفع البناء نحو قامة الرجل اختلفوا فيمن يضع «الحجر الأسود» في مكانه؛ كل قبيلة تريد أن تحوز هذا الشرف دون غيرها، واشتد الخلاف بينهم حتى تداعوا إلى الحرب، ففزع «أبو أمية بن المغيرة» وخشى عاقبة ذلك، فأشار عليهم بأن يحتكموا إلى أول رجل يدخل عليهم، فوافقوا على ذلك. وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) أول داخل عليهم فاستبشروا خيراً وقالوا: هذا الأمين رضينا به حكماً، فطلب منهم أن يبسطوا ثوباً، ثم وضع الحجر فيه وطلب من زعماء القبائل أن يمسك كل منهم بطرف، ليتمكنوا من رفع الحجر إلى موضعه، ثم أخذه النبي (صلى الله عليه وسلم) بيده الشريفة، ووضعه في مكانه وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

رحلته الأولى إلى الشام

وجد «سيدنا محمد» في عمه «أبى طالب» عطفاً وحناناً عوّضه عن فقد جدّه فكان يؤثره على أولاده ولا يكاد يردُّ له طلباً، فلما رغب «محمد» في أن يصحب عمه في رحلة إلى «الشام» أجابه إلى ذلك رغم أنه كان يخشى عليه من طول الطريق، ومشقة السفر، وهو لم يزل غلاماً صغيراً لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره. انطلق «محمد» مع عمه في تلك الرحلة إلى «الشام» وهناك حدث له قصة عجيبة لفت أنظار القافلة كلها، لكنهم لم يستطيعوا لها تفسيراً وذلك أن راهباً نصرانياً يدعى «بحيرا» كان يتعبد في صومعته في بادية «الشام»، على طريق

القوافل، ولم يكن يحفل بأحد يمر عليه، لكنه فى هذه المرة نزل من صومعته لما رأى القافلة القرشية وذهب إليهم ودعاهم إلى طعام وطلب منهم أن يحضروا جميعاً ولا يتركوا أحداً يتخلف. ولما حضر «محمد» مع القوم سأل الراهب «أبا طالب»: من يكون منك هذا الغلام؟ فقال: ابنى، فقال له: ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، فقال: ابن أخى، قال: صدقت. ثم رأى خاتم النبوة على كتف النبى (صلى الله عليه وسلم)، وقال لأبى طالب: ارجع با بن أخيك هذا فسوف يكون له شأن عظيم، واحذر عليه اليهود، فلو عرفوا منه الذى أعرف ليمسنه منهم شر. ووقعت كلمات الراهب من «أبى طالب» موقعاً جميلاً، فشكر الراهب على هذه النصيحة الغالية التى لا تصدر إلا عن رجل صالح وعاد با بن أخيه إلى «مكة».

رحلته الثانية إلى الشام فى تجارة خديجة

ذهب «سيدنا محمد» هذه المرة إلى «الشام» فى مهمة تجارية، لا للتنزه أو الزيارة كما كان فى الأولى، ذلك أن «أبا طالب» رأى ابن أخيه قد بلغ مرحلة الشباب، ولا بد له من أن يتزوج ويعول أسرة، ولكن من أين لمحمد بالمال؟ فقال لابن أخيه بعد أن أحسن له التدبير: «يا ابن أخى أنا رجل لا مال لى، وقد اشتد الزمان علينا، وقد بلغنى أن خديجة بنت خويلد استأجرت فلاناً ببيكرين (أى جملين صغيرين) ولسنا نرضى لك بمثل ما أعطته فهل لك أن أكلهما؟» قال «محمد»: «ما أحببت يا عمى». ويكشف هذا الحوار القصير الظروف المالية الصعبة التى كان يمر بها «أبو طالب»، لكن ذلك لم يجعله يضيق با بن أخيه، وإنما خاطبه فى رفق وشاوره قبل أن يفتحه فى أمر عمله مع «خديجة»، وفى الوقت نفسه نلمس أن «محمدًا» (صلى الله عليه وسلم) كان يشعر بما يعانيه عمه، فلم يملك إلا أن يقول له: «ما أحببت يا عمى». توجه «أبو طالب» إلى «خديجة» وقال لها: «هل لك يا «خديجة» أن تستأجرى «محمدًا»؟ فقد بلغنا أنك استأجرت فلاناً ببيكرين ولسنا نرضى لمحمد دون أربعة» فأجابت «خديجة» بلهجة تحمل الوداد والاحترام للشيخ الوقور «لو سألت ذلك لبعيد بغض فعلنا، فكيف وقد سألته لقريب حبيب». خرج «محمد» فى تجارة «خديجة» يصحبه غلامها «ميسرة» وكان صاحب خبرة فى التجارة ومعرفة بأصولها، أثيراً لديها، تأتمنه على مالها وتجارته، وكانت هذه الرحلة ناجحة وموفقة كل التوفيق، ورجحت أكثر من

أية مرة سابقة. وفى طريق العودة اقترح «ميسرة» على «محمد» أن يسبقه إلى «مكة»؛ ليكون أول من يبشر «خديجة» بعودتهما سالمين وينجح تجارتها، وعندما بلغ «خديجة» الأمر سرّت أيما سرور، وأعجبت بما قصّه «ميسرة» على سمعها من شأن «محمد»، من أمانة، ورقة شمائل، وسمو خلق، وازدادت إعجاباً لما سمعت ذلك من «محمدًا» نفسه، وما لبث هذا الإعجاب أن تحول إلى تقدير ورغبة فى الزواج.

زواج النبي من خديجة

كانت «خديجة بنت خويلد الأسدية» امرأة شريفة، ذات حسب وجمال ومال تزوجت مرتين من قبل وعزمت بعد موت زوجها الثانى ألا تزوج مرة أخرى وأن تفرغ لإدارة ثروتها وتنمية تجارتها ولكنها حين اتصلت بمحمد (صلى الله عليه وسلم) وعمل فى تجارتها، ورأت فيه من خصال الخير أعجبت به ورغبت فى الزواج منه، وأسرت بذلك إلى إحدى صديقاتها المقربات، فذهبت إلى «محمد» وسألته ما يمنعك أن تزوج؟ قال ما بيدي ما أتزوج به. قالت فإن كُنيت ذلك ودُعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة، ألا تجيب؟ قال فمن هى؟ قالت خديجة فقال كيف لى بذلك؟ قالت على ذلك، فوافق على الفور، وعادت «نفيسة» إلى «خديجة» تزفُ إليها تلك البشرى فسرت سرورًا عظيمًا وذهب «محمد» مع أعمامه إلى بيت «خديجة» لإعلان الخطبة، وألقى «أبو طالب» خطبة قصيرة أثنى فيها على ابن أخيه، وأنه لا يعدله شاب فى «#قرش#»، فى خلقه وصدقه وأمانته، وإن كان قليل المال، فالمال عرض زائل، ثم وجّه كلامه إلى أهل «خديجة» فقال: «إن محمدًا له فى «خديجة» رغبة، ولها فيه مثل ذلك» فوافقوا على الخطبة، وأقاموا وليمة بهذه المناسبة السعيدة، وقدم «محمد» لخديجة صداقاً قدره عشرون بكرة، ثم تم الزواج، وانتقل «محمد» إلى بيت «خديجة» حيث عاش معها. وهكذا شاءت الأقدار لهذه السيدة الكريمة أن تقترن بسيد الخلق أجمعين، وأن تصبح أول أم للمؤمنين، وأن تكون خير عون له فكانت أول من آمن به وكانت تواسيه بما لها كما كانت حياته معها التى دامت نحو خمسة وعشرين عامًا تملؤها السعادة ورزقه الله منها ستة أولاد. اثنين من الذكور هما: «القاسم» و«عبدالله»، وقد ماتا قبل البعثة، وأربع بنات وهن: «زينب» وقد تزوجها ابن خالتها «أبو العاص بن الربيع»، و«رقية»

و«أم كلثوم» وقد تزوجهما «عثمان بن عفان»، واحدة بعد الأخرى، و«فاطمة» وقد تزوجها على ابن أبي طالب.

من الزواج إلى البعثة

كان عمر النبي (صلى الله عليه وسلم) حين تزوج السيدة (خديجة) خمسًا وعشرين سنة، وكان عمره حين بعثه الله بالرسالة على رأس الأربعين، فماذا كان يعمل في المدة التي بين الزواج والبعثة. إن مصادر السيرة النبوية لم تمدنا بمعلومات كثيرة عن هذه الفترة من حياته، سوى أنه كان دائم التأمل في الكون الفسيح، والتفكير في القوة التي أبدعتها وأحكمت صنعه، وأنه رفض ما عليه قومه من عبادة الأصنام، وما غرقوا فيه من الفساد والمجون، فلم يسجد لصنم، ولم يحضر مجلس لهو وعث بل كان يعتكف شهرًا من كل سنة في غار «حراء»، يتعبد فيه، ويجد فيه فرصة مناسبة للتفكير والتأمل، بعيدًا عن صخب مكة وضجيجها. وكان شهره المفضل الذي يقضيه في الغار هو شهر رمضان المبارك. ويبدو أنه في تأمله هذا كان ينشد مخرجًا للعالم مما هو فيه من شرك ووثنية لأن ما بقى من الشرائع القديمة لم يكن كافيًا ليريح نفسه المتشوقة إلى الحق المجرد والحقيقة المطلقة، وظل كذلك حتى أتاه «جبريل» عليه السلام بالوحي.

الفصل الثاني

في

بعثة الرسول عليه السلام وما يتبعها

بدء الوحي

ظل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يتردد على غار «حراء» حتى شارف الأربعين من عمره وكان أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة، كما جاء في حديث «عائشة»، فكان لا يرى رؤيا في نومه إلا جاءت كخلق الصبح، وزادته رؤاه الصادقة أملا في قرب الوصول إلى الحقيقة. وبينما هو في غار «حراء» غارق في تأمله وتدبره إذ جاءه «جبريل» عليه السلام في ليلة من ليالي رمضان، فقال: «اقرأ»، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: «فأخذني فغطني، حتى بلغ مني الجهد، ثم

أرسلنى، فقال: «اقرأ»، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثالثة، ثم أرسلنى فقال (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم) فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال: «زملونى زملونى» فزملوه حتى ذهب عنه الروح، فقال لخديجة وأخبرها الخبر وقال «لقد خشيت على نفسى»، فقالت «خديجة»: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق». طمأنت «خديجة» «محمدًا» بتلك الكلمات الصادقة والعبارات المواسية وذهبت به إلى ابن عمها «ورقة بن نوفل» أحد الحنفاء العرب، وكان قد اعتنق النصرانية، فقالت له: «يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة يا ابن أخى ماذا رأيت فأخبره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خبر ما رأى، فقال له ورقة هذا الناموس (جبريل أمين الوحي) الذى نزل الله على «موسى»، ياليتنى فيها جذعاً ليتنى أكون حياً، إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أو مخرجى هم؟» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي. توقف الوحي بعد ذلك فترة من الزمن حتى شق على سيدنا محمد فأحزنه ذلك، فجاءه جبريل بسورة الضحى يقسم له ربه وهو الذى أكرمه بما أكرمه به ما ودعه وما قبله. وسورة الضحى هي بعد "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم". بسم الله الرحمن الرحيم (والضحى . واللّيل إذا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى . وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى . وَلَسَوْفَ نُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى . أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى . فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ . وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) .

الوحي وأنواعه

يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الشورى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي ما يشاء إنه على حكيم) تبين هذه الآية أنواع الوحي الربانى إلى عباده المصطفين ليكونوا رسلاً وأنبياء . إن الله لا يكلم أنبياءه مواجهة، لأن هذه المواجهة لا يقوى

عليها البشر في الحياة الدنيا . إنما يكلمهم بإحدى طرق ثلاث . (1) وحيًا يلقي في النفس مباشرة فتعرف أنه من الله ويسمى ذلك أيضًا بالإلهام ومنه رؤى الأنبياء كرؤيا سيدنا إبراهيم أنه يذبح ولده إسماعيل (يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى) (2) أو من وراء حجاب كما كلم الله موسى عليه السلام (فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين) دون أن يرى الله ، لأن ذلك مستحيل بالنسبة إليه ، فلما طلب الرؤية حين جاء إلى ميقات ربه لم يجب إلى طلبه (قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) (3) أو يرسل الله الملك المكلف بالوحي فيوحي إلى الرسول ما يشاء بطريقة من الطرق التي بينها رسول الله عليه السلام :

(الأولى) ما كان يليق به الملك في روعه وقلبه دون أن يراه كما قال عليه السلام (إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب .
(الثانية) أن يتمثل الملك لرسول الله عليه السلام في صورة رجل فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول .
(الثالثة) أنه كان يأتيه في صورة صلصلة الجرس . وكان أشده عليه حتى إن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد ، وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إن كان راكبها .
(الرابعة) أن يرى الملك في صورته التي خلق عليها ، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه . وهذا وقع للرسول عليه السلام مرتين كما جاء في سورة النجم (ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أقتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى) .

بدؤ الوحي

كان ذلك وله صلى الله عليه وسلم من العمر أربعون سنة . وحكى ابن جرير أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثاً وأربعين سنة . وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله

ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: «اقرأ». فقال: «ما أنا بقارئ». قال: «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد. ثم أرسلني فقال ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾». فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر «لقد خشيت على نفسي». فقالت خديجة كلا والله لا يخزيك الله أبداً. إنك لتصل الرحم وتقري الـ وكان شيخاً كبيراً قد عمي. فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى. فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى. فقال له ورقة هذا الناموس الذي كان ينزل على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا، إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أومخرجي هم؟» فقال: نعم. لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي. وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا. ثم لم ينشأ ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقاً فیسكن لذلك جأشه، وقر نفسه. فیرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا كمثل ذلك قال فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك قال ابن شهاب قال جابر بن عبد الله الأنصاري وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه عليه السلام «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه. فرجعت فقلت: زملوني، زملوني، فأنزل الله ﴿يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر﴾» فحمي الوحي وتابَع» وقد قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي بعد .

كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله

قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل في أول مرة وثاني مرة أيضاً ثم إن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً يكلّمني فأعي ما يقول» قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقاً (وكان عمر بن الخطاب يقول: كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل . قال فلما شكى ابن أم مكتوم ضرارته نزلت (غير أولي الضرر) قال: وكانت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي وأنا أكتب فلما نزل الوحي كادت فخذه ترض فخذي . وفي صحيح مسلم قال لي عمر: أيسرك أن تنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوحى إليه؟ فرفع طرف الثوب عن وجهه وهو يوحى إليه بالجعرانة، فإذا هو محمر الوجه، وهو يغط كما يغط البكر . وثبت في الصحيحين من حديث عائشة لما نزل الحجاب وأن سودة خرجت بعد ذلك إلى المناصع ليلاً فقال عمر: قد عرفناك يا سودة . فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلته وهو جالس يتعشى والعرق في يده فأوحى الله إليه والعرق في يده ثم رفع رأسه فقال «إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنْ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ» . فدل هذا على أنه لم يكن الوحي يغيب عنه إحساسه بالكليّة بدليل أنه جالس ولم يسقط العرق أيضاً من يده صلوات الله وسلامه دائماً عليه وقال أبو داود الطيالسي حدثنا عكرمة عن ابن عباس . قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي تربد لذلك جسده ووجهه وأمسك عن أصحابه، ولم يكلمه أحد منهم وفي مسند أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو، قلت يا رسول الله هل تحسّ بالوحي؟ قال: «نَعَمْ أَسْمَعُ صَلَاحَ، ثُمَّ أَثْبَتُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَمَا مِنْ مَرَّةٍ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنْ نَفْسِي تَفِيضُ مِنْهُ . وقال أبو يعلى الموصلي عن العليان بن عاصم . قال: إني لأخذة بزمَامِ العضباء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة وقال الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال: أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله فنزل

عنها . وقد ثبت في الصحيحين نزول سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من الحديبية، وهو على راحلته، فكان يكون تارة وتارة بحسب الحال .

إعجاز القرآن الكريم

الإعجاز - كما قال الدكتور عبد العظيم إبراهيم المطعنى - لغة: يقال عجز عن الشيء عجزا وعجزانا ضعف ولم يقدر عليه وأعجز الشيء فلانا: فاته ولم يدركه، وأعجز فلان: سبق فلم يدرك كما في الوسيط . واصطلاحا: من إضافة المصدر إلى القرآن: أن جميع ما عدا الله من الإنس والجن قد أعجزهم القرآن عن الإتيان بمثله قل ذلك الكلام أو أكثر، مع تكرار التحدى به ومطالبة من زعم أن القرآن ليس من عند الله بأن يثبتوا صدقا دعواهم بالإتيان بكلام يماثل القرآن فى بلاغته وفصاحته وعلو شأنه . وقد طوّل المتحدّون بأن يأتوا بسورة من مثله، أو بعشر سور أو بمثله مطلقا - أقل من السورة، أو فوق السور العشر - طوّلوا بهذا فى مكة قبل الهجرة، وطوّلوا به فى المدينة بعد الهجرة فعجزوا تمام العجز، مع شدة حاجتهم إلى تحقيق ما طلب منهم، فدل ذلك على عجزهم التام عن محاكاة القرآن، لما رأوا فيه من علو الشأن، وإحكام الأسلوب، وروعة المعانى، ووصفه الوليد بن المغيرة وكان كافرا بأنه يعلو ولا يعلو عليه . وقد ورد التحدى بالإتيان بمثل القرآن فى كتاب الله العزيز مرات فى سورة البقرة ويونس وهود وغيرها، ثم ورد الإقناط من إمكان محاكاة القرآن فى قوله تعالى (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ولم يكن مصطلح الإعجاز معروفا فى القرون الثلاثة الأولى الهجرية، وإنما عرف واشتهر بعد أن وضع محمد بن يزيد الواسطى كتابا سماه "إعجاز القرآن" سنة 306 هجرية . وليس معنى ذلك أنه لم يكن موجودا من قبل، فقد كان البحث والجدل حول إعجاز القرآن يدور على أوسع نطاق فى بيئات العلم والعلماء وبخاصة عند علماء الكلام، وقد وضع الجاحظ كتابا حول هذه الفكرة سماه "نظم القرآن" والجاحظ توفى 255 هجرية . فليست العبرة بالمصطلح نفسه بل بالفكرة التى يحويها ومعروف أن الأفكار تسبق دائما مسمياتها . وقد كثر الجدل حول الوجوه التى كان بها القرآن معجزا تحدث عنها علماء الكلام والأصول والمفسرون وعلماء البلاغة وغيرهم، وما يزال البحث يكشف عن جديد، وبخاصة فى هذا العصر الذى ازدهرت فيه العلوم والفنون والاكتشافات العلمية الحديثة

فى النفس والفضاء والأرض وما فيها ، وفى الطب ونظائره من العلوم الإنسانية والعملية . والإعجاز القرآنى عند القدماء يدور حول الوجوه الآتية : (أ) الأخبار والوعود الصادقة . (ب) الإخبار عن الغيوب التى وقعت كما أخبر عنها القرآن . (ج) فصاحة ألفاظه ، وسلامة معانيه وشرفها . (د) نظمهم الحكيم ، وتأليفه البديع ، وسلامته من الطعون . أما عند المحدثين فقد ظهر الإعجاز العلمى فى كثير من ميادين المعرفة التى طرقها الإعجاز العلمى الحديث مما يضيق المقام عن ذكره ، فقد ظهر الإعجاز فى الدراسات الطبية والنفسية والنباتية وطبقات الأرض وغيرها ، وفى كل هذه المجالات ظهرت حقائق يقينية طابقت إشارات القرآن إليها منذ خمسة عشر قرناً ، ولولوىكن القرآن نازلاً بعلم الله من عند الله لما ظفرنا فيه بشئ من هذه الخوارق العظيمة .

ذكر سور قصار

قصار السور القرآنية كان المشايخ يلتقون بها للمبتدئين وللكبار ليحفظوها ويتلوها فى جميع حالاتهم وخصوصاً منها الصلاة وذلك لقصرها وتقارب مقاطع آياتها ومن قصار السور ، السور الآتية :

سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ . إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ .

سورة العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَغْيَى . إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى . أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى . عَبْدًا إِذَا صَلَّى . أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ . أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى . أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى . كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ . نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ . فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ . سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ . كَلَّا لَا تَطَّعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ .

سورة القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ .

سورة البينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ . وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ . وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ . جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ .

سورة الزلزلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا . وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا . يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُ أَخْبَارَهَا . بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا . يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ . فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ .

سورة العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالْعَادِيَاتُ ضَبْحًا . فَالْمُورِيَاتُ قَدْحًا . فَالْمُغِيرَاتُ صُبْحًا . فَأَثَرُنَّ بِهِ شَعًا . فَوْسَطْنَنَ بِهِ جَمْعًا . إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ . وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ . وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ . أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ . وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ . إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ .

سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْقَارِعَةُ . الْقَارِعَةُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ . يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ . فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ . وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ . فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ نَارُ حَامِيَةٍ .

سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَهْلَاكُمْ التَّكَاثُرُ . حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ . كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ . لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ . ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ .

سورة العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالْعَصْرُ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .

سورة الهمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَيُلْكَلُّ هُمَزَةً لَمَزَةً . الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ . يُحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ . كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ . وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ . نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ . الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْآفَاقَةِ . إِنْهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ . فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ .

سورة الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ .

سورة قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . لِأَيَّلَفٍ قُرَيْشٍ . إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ .

سورة الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ . فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ . وَلَا يَحْضِيْ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ . فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ . الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ . وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ .

سورة الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ .

سورة الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ .

سورة النصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا .

سورة المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . تَبَّتْ يُدَا أُمِّي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ .

سورة الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ .

سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ . وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ .

سورة الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ .

المؤمنون الأوائل

أخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعو إلى الإسلام سرا فكانت خديجة بنت خويلد رضى الله عنها أول الناس إسلاما وإيماناً بالله ورسوله، ثم تلاها على بن أبي طالب رضى الله عنه وكان فى نحو العاشرة من عمره، ثم زيد بن حارثة مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم أسلم أبو بكر بن أبى قحافة . وكان رجلا مألفا لقومه، محببا سهلا، فأسلم على يديه طائفة من كبار

الصحابه أمثال عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص، وطلحة بن عبيد الله. ثم أسلمت بعد هؤلاء طائفة أخرى عد منهم ابن إسحاق نحو خمسة عشر فرداً ما بين رجل وامرأة وهم: أبو عبيدة بن الجراح وأبوسلمة ابن عبد الأسد وعثمان بن مظعون وأخوه قدامة وعبد الله وعبيدة بن الحارث ابن المطلب وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وامراته فاطمة بنت الخطاب وأسماء وعائشة بنتا أبى بكر وخباب بن الأرت وعمير بن أبى وقاص وعبد الله بن مسعود ومسعود ابن القارى رضى الله عنهم وكان ذلك فى مرحلة الدعوة السرية.

أعلام نبوة رسول الله

أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم إجمالاً لا تفصيلاً لأن تفصيله يحتاج الى مجلدات عديدة وقد جمع الأئمة فى ذلك ما زاد على ألف معجزة فمن أبهرها وأعظمها القرآن العزيز الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وإعجازه من جهة لفظه ومعناه أما لفظه ففي أعلى غايات فصاحة الكلام وكل من ازدادات معرفته بهذا الشأن ازداد للقرآن تعظيماً فى هذا الباب وقد تحدى الفصحاء والبلغاء فى زمانه مع شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه بأن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة فعجزوا وأخبرهم أنهم لا يطيقون ذلك أبداً بل قد تحدى الجن والإنس قاطبة على أن يأتوا بمثله فعجزوا وأخبرهم بذلك فقال الله تعالى (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) إلى غير ذلك من الوجوه المثبتة لإعجازه وأما معناه فإنه فى غاية التعاضد والحكمة والرحمة والمصلحة والعاقبة الحميدة والاتفاق وتحصيل أعلى المقاصد وتبطل المفاصد الى غير ذلك مما يظهر لمن له لب وعقل صحيح خال من الشبه والأهواء نعوذ بالله منها ونسأله الهدى ومن ذلك انه نشأ بين قوم يعرفون نسبه ومرباه ومدخله ومخرجه يتيماً بين أظهرهم أمينا صادقاً باراً راشداً كلهم يعرف ذلك ولا ينكره إلا من عاند وسفسط وكابر وكان أمياً لا يحسن الكتابة ولا يعانىها ولا أهلها وليس فى بلادهم من علم الأولين ولا من يعرف شيئاً من ذلك فجاءهم على رأس أربعين سنة من عمره يخبر بما مضى مفصلاً مبيناً يشهد له علماء الكتب المتقدمة البصيرون بها المهتدون بالصدق بل أكثر الكتب المنزلة قبله قد دخلها التحريف والتبديل ويجيء ما

أنزل الله عليه مبينا لذلك مهيمنا عليه دالا على الحق منه وهو مع ذلك في غاية الصدق والأمانة والسمت الذي لم ير أولو الألباب مثله صلى الله عليه وسلم والعبادة لله والخشوع له والذلة له والدعاء اليه والصبر على أذى من خالفه واحتماله وزهده في الدنيا وأخلاقه السنية الشريفة من الكرم والشجاعة والحياء والبر والصلة صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك من الأخلاق التي لم تجتمع في بشر قبله ولا بعده إلا فيه فبالعقل يدرك أن هذا يستحيل أن يكذب على أدنى مخلوق بأدنى كذبة فكيف يمكن أن يكون مثل هذا قد كذب على الله رب العالمين الذي قد أخبر هو بما لديه من أليم العقاب وما لمن كذب عليه وافترى . هذا لا يصدر إلا من شر عباد الله وأجرئهم وأخبثهم ومثل هذا لا يخفى أمره على الصبيان في المكاتب فكيف بأولي الاحلام والنهي الذين بذلوا أنفسهم واموالهم وفارقوا أولادهم وأوطانهم وعشائرتهم في حبه وطاعته رضي الله تعالى عنهم وصلى الله عليه وسلم في تعاقب الليل والنهار ومن ذلك ما أخبر صلى الله عليه وسلم به في هذا القرآن وفيما صح عنه من الأحاديث من الغيوب المستقبلية المطابقة لخبره حذو القذة بالقذة مما يطول استقصاؤه ها هنا ومن ذلك ما أظهره الله تعالى على يديه من خوارق العادات الباهرة فمن ذلك ما أخبر عز وجل عنه في كتابه العزيز من انشقاق القمر وذلك أن المشركين سألوه آية وكان ذلك ليلا فأشار إلى القمر فصار فرقين فسألوا من حولهم من الأحياء لئلا يكون قد سحرهم فأخبروهم بمثل ما رأوا وهذا متواتر عنه عند أهل العلم بالأخبار وقد رواه غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ومن ذلك ما ظهر بركة دعائه في أماكن كثيرة ومتعددة وقد جمع الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى كتابا شافيا في ذلك مقتديا بمن تقدمه في ذلك كما اقتدى به كثيرون بعده رحمه الله تعالى من ذلك أنه صلى الله عليه وسلم دعا الله تعالى في السخلة التي كانت مع ابن مسعود في الرعي وسمى الله وحلبها فدرت عليه فشرب وسقى أبا بكر وكذلك فعل في شاة أم معبد ودعا للطفيل بن عمرو فصارت له آية في طرف سوطه نور يلمع يرى من بعد وكذلك حصل لأسيد بن الحضير وعباد بن بشر الأنصاري وقد خرجا من عنده في ليلة ظلماء ودعا الله على السبعة الذين سخروا منه وهو يصلي فقتلوا بيدرو دعا على أبي لهب فسلط عليه السبع بالشام وفق دعائه عليه السلام ودعى على سراقه فساخت قوائمه فرسه في الأرض ثم دعا الله فأطلقها ورمى كهار قريش في بدر بقبضة من حصباء فأصاب كلا منهم شيء منها وهزمهم الله

وكذلك فعل يوم حنين . وأعطى يوم بدر لعكاشة بن محصن جزلاً من حطب فصار في يده سيفاً ماضياً وأخبر عمه العباس وهو أسير بما دُفن هو وأُم الفضل من المال تحت عتبة بابهم فأقر له بذلك وأخبر عمير بن وهب بما جاء له من قتله معذراً بأنه جاء في فداء أسارى بدر فاعترف له بذلك وأسلم من وقته رضي الله عنه ورد يوم أحد عين قتادة بن النعمان الظفري بعد أن سألت على خده وقيل بعدما صارت في يديه فصارت أحسن عينيه فلم تكن تعرف من الأخرى وأطعم يوم الخندق الجُم الغفير الذين يقاربون ألفاً من سخلة وصاع شعير بيت جابر كما أطعم يومئذ من تمر يسير جاءت به ابنة بشير وكذلك أطعم نحو الثمانين من طعام كادت تواريه يده المكرمة وكذلك فعل يوم أصبح عروسا بزينب بنت جحش وأما يوم تبوك فكان أمراً هائلاً أطعم الجيش وملأوا كل وعاء معهم من قدر ربيعة العنز طعاماً وأعطى أبا هريرة رضي الله عنه مزوداً فأكل منه دهره وجهاز منه في سبيل الله شيئاً كثيراً ولم يزل معه إلى أيام مقتل عثمان وأشياء أخرى من هذا النمط يطول ذكرها مجردة ودعا الله تعالى لما قحطوا فلم ينزل عن المنبر حتى تحدر الماء على لحيته صلى الله عليه وسلم من سقف المسجد وقد كان قبله لا يرى في السماء سحابة ولا قرعة ولا قدر الكف ثم لما استصحى لهم إنجاب السحاب عن المدينة حتى صارت المدينة في مثل الإكليل ودعا الله على قريش فأصابهم من الجهد ما لا يعبر عنه حتى استرحموه فعطف عليهم فأفرج عنهم وأتى ياناء فيه ماء ليتوضأ به فرغب إليه أقوام هناك أن يتوضؤوا معه فوضع يده في ذلك الإناء فما وسعها ثم دعا الله فنبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وأتى ياناء فيه ماء ليتوضأ به وكذلك فعل يوم الحديبية وكان الجيش ألفاً وأربعمائة قال جابر ولو كما مائة ألف لكفانا وكذلك فعل في بعض أسفاره بقطرة من ماء في سقاء قال الراوي لما أمرني أن أفرغها في الوعاء خشيت أن يشربها يابس القرية فوضع يده فيها ودعا الله تعالى فنبع الماء من بين أصابعه لأصحابه حتى توضؤوا وشربوا وكذلك بعث سهمه إلى عين الحديبية فوضعت فيها فجاشت بالماء حتى كفتهم وكذلك فعل يوم ذات السطحيين سقى أصحابه وتوضؤوا وأمر بعضهم فاغتسل من جبابه كانت عليه ولم ينقص من تلك المزدتين اللتين للمرأة شيء فذهبت إلى قومها فقالت رأيت اليوم أسحر أهل الأرض أو إنه لني ثم أسلمت وأسلم قومها رضي الله عنهم وفيما ذكرنا كفاية إن شاء الله تعالى وقد أخبر بالغيوب المستقبلية المطابقة لخبره كما أخبر الله عز وجل في كتابه من

إظهار دينه وإعلاء كلمته واستخلاف الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أمته في الأرض وكذلك كان وأخبر بغلبة الروم فارس في بضع سنين فكان كذلك وأخبر صلى الله عليه وسلم قومه الذين كانوا معه في الشعب أن الله قد سلط على الصحيفة الأرضة فأكلتها إلا ما كان من ذكر الله وكان كذلك وأخبر يوم بدر قبل الوقعة بيوم بمصارع القتلى واحدا واحدا فكان كما أخبر سواء بسواء وأخبر أن كوز كسرى وقيصر ستنفق في سبيل الله فكان كذلك وبشر أمته بأن ملكهم سيمتد في طول الأرض فكان كذلك وأخبر أنه لا تقوم الساعة حتى تقاتل أمته قوما صغار الأعين ذلف الأنوف كأن وجوههم الجمان المطرقة وهذه حلية التتار فكان كذلك وأخبر بقتال الخوارج ووصف لهم ذا الشدية فوجد كما وصف سواء بسواء وأخبر أن الحسن بن علي رضي الله عنهما سيصلح الله به بين قسطين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك وأخبر بأن عمارا سقتله الفئة الباغية فقتل يوم صفين مع علي رضي الله عنهما وأخبر بخروج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى وكان ظهور هذه في سنة بضع وخمسين وستمائة وتواتر امرها وأخبرت عمن شاهد إضاءة أعناق الإبل ببصرى وأخبر بجزئيات كانت وتكون بين يدي الساعة يطول بسطها وفي الكتب المتقدمة البشارة به كما أخبر الله تعالى أن ذلك في التوراة والإنجيل مكتوب وكما أخبر عن نبيه عيسى عليه السلام أنه قال (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) وروى البخاري عن عبد الله بن عمرو وأنه وجد صفته صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكرها وفي التوراة اليوم التي يقر اليهود بصحتها في السفر الأول أن الله تعالى تجلى لإبراهيم وقال له ما معناه فاسلك في الأرض طولا وعرضا لولدك عظيما ومعلوم أنه لم يملك مشارق الأرض ومغاربها إلا محمد صلى الله عليه وسلم كما جاء في الصحيح عنه أنه قال إنه زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيلغ ملك أمتي ما زوى لي منها وفيه أيضا إن الله تعالى قال لإبراهيم إن إسحاق يكون لك منه نسل وأما إسماعيل فإني باركته وكثرته وعظمته وجعلت ذريته بنجوم السماء إلى أن قال وعظمته بماذا أي بمحمد وقيل بأحمد وقيل جعلته عظيما عظيما . وفيه إن الله وعد إبراهيم أن ولده إسماعيل تكون يده عالية على كل الأمم فكل الأمم تحت يده وبجميع مساكن إخوته يسكن وقد علم أهل الكتاب وغيرهم أن إسماعيل لم يدخل قط الشام ولا علت يده على إخوته وإنما كان هذا الولده محمد صلى الله عليه وسلم ولا ملك الشام ومصر من العرب أحد قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم فإن

فتحهما كان في خلافة الصديق والفاروق رضي الله عنهما وفي السفر الرابع من التوراة التي بأيديهم اليوم ما معناه بني أقيم لهم من أقاربهم من أخيهام مثلك يا موسى أجعل نطقي بفيه ومعلوم لهم ولكل أحد أن الله عز وجل لم يبعث من نسل إسماعيل سوى محمد صلى الله عليه وسلم بل لم يكن في بني إسرائيل نبي يماثل موسى إلا عيسى عليه السلام وهم لا يقرون بنبوته ثم ليس هو من إخوتهم بل هو منتسب إليهم بأمه مريم عليها السلام فتعين ذلك في محمد صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ما ختمت به التوراة في آخر السفر الخامس ما معناه جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلى من جبال فاران ومعنى هذا أن الله جاء شرعه ونوره من طور سيناء الذي كلم موسى عليه وأشرق من ساعير وهو الجبل الذي ولد به عيسى عليه السلام وبعث فيه واستعلى من جبال فاران وهي مكة بدليل أن الله أمر إبراهيم صلى الله عليه وسلم أن يذهب بإسماعيل إلى جبال فاران وقد استشهد بعض العلماء على صحة هذا بأن الله سبحانه أقسم بهذه الأماكن الثلاثة فترقى من الأدنى إلى الأعلى في قوله تعالى (والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين) ففي التوراة ذكرهن بحسب الوقوع الأول فالأول وبحسب ما ظهر فيهن من النور وفي القرآن لما أقسم بهن ذكر منزل عيسى ثم موسى ثم محمد صلاة الله وسلامه عليهم اجمعين لأن عادة العرب إذا أقسمت ترقى من الأدنى إلى الأعلى وفي الإنجيل ذكر الفارقليط موصوفاً بصفات محمد صلى الله عليه وسلم سواء بسواء وأما كلام أشعيا وأرميا فظاهر جداً لكل من قرأه والله الحمد والمنة والحجة البالغة .

الدعوة السرية

كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يعلم تمام العلم عناد قريش وكبرياءها وإصرارها على التمسك بالقديم، واعتزازها بآبائها وأجدادها وعبادتها للأصنام. لذا فلن تسلم بسهولة، أو تدعن لدعوته، بل ستقاومه حتى آخر سهم فى جعبتها، لأنها اعتقدت أن الإسلام يهدد مصالحها ويقضى على سيطرتها على مكة وما حولها، ولو علمت أن الإسلام سيجعلها سيدة العالم ما قاومته لحظة واحدة ولرحبت بدعوته. أدرك النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك فقرر أن تكون دعوته لدينه سرا فى بادئ الأمر، وبدأ فى دعوة أصدقائه وأقرب الناس إليه، ومن يأنس فيهم خيراً واستعداداً لقبول الحق والهدى، فأمن به إلى جانب من ذكرنا عدد من رجالات قريش ونسائها

وطائفة من العبيد والفقراء والضعفاء الذين رأوا في الدين الجديد الخلاص مما هم فيه من شقاء وبؤس، مثل: بلال بن رباح وصهيب الرومي وآل ياسر وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يجتمع بمن أسلم سرا في دار الأرقم بن أبي الأرقم يتلو عليهم آيات القرآن الكريم، ويعلمهم شرائع الإسلام واستمرت هذه الدعوة السرية نحو ثلاث سنوات، ازداد فيها عدد المسلمين زيادة يسيرة. ويبدو أن خبر الدعوة لم يعد سرا بصورة مطلقة بالنسبة إلى قريش فقد تسرب إليها، لكنها لم تعبأ بهذا في البداية، ولعلها كانت واثقة بقوتها وقدرتها على مقاومة هذه الدعوة من ناحية، وواثقة بأن حملها على ترك دين آبائها وأجدادها أمر صعب من ناحية أخرى.

الجهار بالدعوة وموقف قريش

أمر الله تعالى نبيه محمداً (صلى الله عليه وسلم) أن يجهر بالدعوة بعد مضي ثلاث سنوات من الدعوة سرا، فقال ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ وقال تعالى ﴿وأنذر عشيرتَك الأقرين واحضِرْ جناحَكَ لِمَن اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وامثالا لهذا الأمر الإلهي بدأ النبي بدعوة الأقرين من أهله وعشيرته إلى الإسلام وصنع لهم طعاماً في بيته وبعد أن تناولوه حدثهم قائلاً (ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، فقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه، فأياكم يؤازرنى على هذا الأمر) فأعرضوا عنه جميعاً، وهموا بتركه عدا على بن أبى طالب وانصرفوا دون أن يستجيبوا لدعوة النبي غير أنهم لم يبادئوه بأذى في أول الأمر، غير أن عداوتهم له بدأت حين شرع في تسفيه آلهتهم.

الجهاد فى العهد المكي

قد يفهم بعض الناس أن المقصود بالجهاد الحرب فقط، لكنه في الواقع يعنى كثيراً من أنواع الجهاد فالصبر على الأذى والمكارة لا يقل أهمية عن الجهاد بالسلاح وقد تحمّل النبي (صلى الله عليه وسلم) هو وأصحابه صنوفاً من الأذى صبّها عليهم المشركون في الفترة المكية فكانوا يسبونهم ويتعرضون له ويرجمونه بالحجارة ويلقون عليه القاذورات، وأشهر من صنع ذلك معه: عقبة بن أبي معيط وأبوجهل الذي حاول قتل النبي (صلى الله عليه وسلم) عند الكعبة وكان موقفهم هذا من النبي (صلى الله عليه وسلم) عناداً له وحسداً من عند أنفسهم لأنهم كانوا يعرفون أن دينه حق وأن

الذي يأتيه وحى من السماء ولكن حال الحسد بينهم وبين اتباعه وتصديقه وصبّ المشركون جام غضبهم على المستضعفين من المسلمين وأذاقوهم ألوانا من العذاب مثل: بلال بن رباح الذي لم ينقذه من العذاب إلا أبو بكر الصديق الذي اشتراه من سيده أمية بن خلف وأعتقه، وآل ياسر وكانوا يُعذبون إذا حميت الظهيرة برمضاء مكة وكان الرسول يمر بهم ولا يملك أن يمنع عنهم العذاب، فيقول لهم صبرا آل ياسر فموعدكم الجنة فصبروا واحتملوا ولم يتخلوا عن دينهم حتى إن أم عمار طعنها أبو جهل بحربة فقتلها وهى على إسلامها .

الهجرة إلى الحبشة

اشتد الأذى والتعذيب بأصحاب النبى (صلى الله عليه وسلم) دون أن يقدر على الدفاع عنهم وكان هو فى منعة من أهله إلى حد ما، يقف بجانبه أبوطالب يدفع عنه الأذى ففكر لهم فى مخرج مما يلاقونه من التعذيب فقال لهم (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يُظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه) فخرج بعض المسلمين إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفرّوا إلى الله بدينهم، وكانت هجرتهم أول هجرة فى الإسلام وبلغ عددهم عشرة رجال وأربع نسوة منهم: عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم خرجت مجموعة أخرى من المسلمين إلى الحبشة كان عددها أكبر من الأولى إذ بلغوا نحوًا من ثمانين رجلا وامرأة وظلوا مدة طويلة فى الحبشة بعد أن وجدوا الأمن والحماية من ملكها وعادت آخر مجموعة من هناك مع جعفر فى أول السنة السابعة من الهجرة .

إسلام عمر بن الخطاب

بعد هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة أسلم عمر بن الخطاب وكان إسلامه حدثا كبيرا فى مكة ونصرا عظيما للإسلام إذ كان من الشخصيات القوية فى مكة ومن أشد أعداء المسلمين، حتى إنه أسلم فى الوقت الذى عزم فيه على الذهاب لقتل الرسول (صلى الله عليه وسلم) فأراد الله به الخير واستجاب الله لدعوة النبى الذى كان دائما يردد (اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين) عمر بن الخطاب . وعمر بن هشام المعروف بأبي جهل . وبإسلام عمر قوى موقف المسلمين كما اشتد من قبل بإسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبى (صلى الله عليه وسلم) وأهاب بالمسلمين أن

يصلوا عند الكعبة تحت حمايته فغلبت قريش على أمرها، لمعرفتها بقوة شكيمة عمر ومضاء عزيمته فلم تتعرض لهم وبدأت تلجأ إلى أسلوب آخر فى مواجهة الدعوة وهو أسلوب المقاطعة.

أسلوب المقاطعة

استعملت قريش مع النبى (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه أساليب العنف والتعذيب والاضطهاد فلم تنجح فى ردهم عن دعوتهم فلجأت إلى أسلوب الترغيب والمساومة فعرضت على النبى (صلى الله عليه وسلم) الملك والسيادة والمال، فرفض عرضهم لأنه لم يكن طالب ملك أو جاه بل رسولا جاء من الله برسالة سماوية تحمل الخير والعدل ولا بد من تبليغها ثم وسَّطوا أبا طالب ليكف محمداً عن تسفيه آلهتهم فى مقابل ما يريد من ملك أو جاه فكلّمه قائلا: إن القوم يطلبون منك أن تكف عن سب آلهتهم، فأبق على وعلى نفسك فأجابه النبى بكلمات قليلة، لكنها قاطعة وحاسمة: والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه. سمع أبو طالب هذا الرد الحاسم، وأدرك إصرار النبى (صلى الله عليه وسلم) على السير فى طريق الدعوة مهما تكن الصعاب والمشاق، فقال له فى رقة بالغة يا ابن أخى امض فيما أنت فيه، فوالله لن أسلمك لشيء تكرهه أبداً ولما لم تنجح كل هذه الوسائل فى ثنى النبى (صلى الله عليه وسلم) عن تبليغ دعوته، ورد أصحابه عن دينهم الجديد لجأت قريش إلى أسلوب المقاطعة ولم يكن هذا مألوفاً فى بلاد العرب ولعله لم يكن مألوفاً كذلك فى أى مكان فى العالم آنذاك، ففرضت حصاراً على بنى هاشم وبنى المطلب جميعاً، ممن يقفون مع النبى (صلى الله عليه وسلم) ويذودون عنه، سواء من أسلم منهم أو لم يسلم، وقررت ألا تباع لهم أو تشتري منهم وألا تزوجهم أو تتزوج منهم وألا تتزاور معهم عقاباً لهم على مساندتهم للنبى (صلى الله عليه وسلم) وكتبوا بتلك المقاطعة وثيقة فى صحيفة علقوها فى الكعبة ليكون لها احترام والتزام واستمر هذا الحصار القاسى المجرد من الإنسانية نحو ثلاث سنوات عانى منه بنو هاشم وبنو المطلب أشد المعاناة وهم صابرون صامدون لم يتخل أحدٌ منهم عن النبى (صلى الله عليه وسلم) سوى أبو لهب حتى تحركت النخوة والشهامة فى نفوس بعض رجالات قريش كزهير بن

أبى أمية المخزومي والمطعم بن عدى وأبى البختري بن هشام لما رأوا ما يعانيه بنوهاشم وبنو المطلب من هذه المقاطعة الظالمة فسعوا في نقضها وإنهاءها وأقسموا على تمزيق الصحيفة وكان لهم ما أرادوا، فخرج النبي وأصحابه من شعبهم الذي كانوا محاصرين فيه ليستأنف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دعوته إلى دين الله .

عام الحزن

استأنف النبي (صلى الله عليه وسلم) دعوته بعد انتهاء المقاطعة واستبشر المسلمون خيراً بعهد جديد يمارسون فيه حياتهم الطبيعية لكن وقع للنبي حدثان جليان في عام واحد وهو العام العاشر من البعثة فقد مات كل من عمه أبى طالب وزوجته خديجة وكانا نعم العون له والمساندة في تبليغ رسالته وعلى الرغم من ذلك فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يضعف ولم تنه له عزيمة ومضى واثقاً بنصر الله يبلغ رسالة الله إلى العالمين .

رحلته إلى الطائف

أراد النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يخرج بالدعوة من نطاق مكة لعله يجد نصيراً أو معيناً بعد المضايقات الشديدة التي لقيها من قريش وبخاصة بعد موت خديجة وأبى طالب فقرر الذهاب إلى الطائف لعرض دعوته على ثقيف رجاء إيمانها به وبرسالته، لكنهم رفضوا ما عرضه عليهم ولم يكتفوا بذلك بل سبّوه وأهانوه وسلطوا عليه سفهاءهم وصبيانهم ليضربوه بالحجارة، فتأثر بذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبلغ إحساسه بالألم مداه فجأر بالشكوى إلى الله قائلاً «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك» وبعد أن قال الرسول هذا الكلام المؤثر جاءه جبريل ومعه ملك الجبال عليهما السلام، فقال له ملك الجبال: «إن شئت أن أطبق عليهم

الأخشبين» فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً، ودعاهم قائلاً: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» .

رحلة الإسراء والمعراج

فى هذا الجوالذى بدا قائماً وحزيناً بعد موت أبى طالب وخديجة بنت خويلد وما لقيه النبى من أهل الطائف والقبائل من عنت وإيذاء، أراد الله تعالى أن يسرى عنه (صلى الله عليه وسلم) وأن يعلمه ويطمئنه، فأسرى به إلى المسجد الأقصى وعرج به إلى السماء وموجز هذه الحادثة كما تروىها كتب الحديث والسيرة هي: أن النبى (صلى الله عليه وسلم) كان فى بيت أم هانئ بنت أبى طالب فجاءه جبريل ومعه البراق (وهى دابة أصغر من البغل وأكبر من الحمار) وأخذه إلى بيت المقدس فى فلسطين حيث وجد فى استقباله جمعاً من الأنبياء، فيهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام جميعاً فصلى بهم إماماً ركعتين، ثم عرج إلى السماوات العلى، حيث التقى بعدد من الأنبياء، وتحدث إليهم وحيوه وهنؤه، ثم ارتقى فوق السماوات العلى لمناجاة ربه، وتلك مكانة لم يبلغها نبى ولا رسول ولا ملك من الملائكة المقربين، وفى هذا اللقاء فرضت الصلوات الخمس، وقد أراه الله من آياته الكبرى، فرأى الجنة وما أعده الله من نعيم للمؤمنين ورأى النار وما أعده الله من عذاب للكافرين . ثم عاد إلى مكة فى الليلة نفسها مزوداً بهذه الطاقة الروحية الهائلة .

تفاصيل رحلة الإسراء والمعراج

لما للإسراء والمعراج من علاقة بكتايبى هذا من حيث التقاء سيدنا محمد عليه السلام بجمع من الانبياء على اختلاف أنسابهم وتنوع أديانهم أدرج بعد الإشارة السابقة تفصيلاً بسيطاً حول الإسراء والمعراج فأقول جاء فى كتب السيرة أن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة فى ليلة سبع وعشرين من شهر رجب وهو المشهور وعليه عمل الناس وكان ليلة الاثنين وكان إلى بيت المقدس أما المعراج فكان إلى السموات وفرضت عليه فى تلك الليلة الصلوات الخمس . وقد ذكر القرآن الإسراء فى سورة الإسراء فى قوله تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) كما ذكر المعراج فى سورة النجم فى قوله تعالى (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) الآيات . وقصتهما باختصار هي: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: بينا أنا نائم في الحجر، إذ جاءني جبريل، فهمزني بقدمه، فجلست فلم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعي، فجاءني الثانية فهمزني بقدمه، فجلست ولم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعي، فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه، فجلست فأخذ بعصدي، فقامت معه، فخرج بي إلى باب المسجد، فإذا دابة أبيض، بين البغل والحمار، في فخذه جناحان يحفز بهما رجله يضع يده في منتهى طرفه. قال فلما دنوت منه لأركبه شمس، فوضع جبريل يده على معرفته، ثم قال: ألا تستحي يا براق مما تصنع فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه. قال: فاستحيا حتى ارفض عرقاً ثم قرحتى ركبته (قال) ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والأرض، حتى انتهى إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم الخليل وموسى وعيسى في نقر من الأنبياء قد جمعوه، فصلى بهم ثم أتى بثلاثة آنية، إناء فيه لبن، وإناء فيه خمر، وإناء فيه ماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت قائلاً يقول حين عُرِضت علي: إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمته، وإن أخذ اللبن هُدي وهديت أمته. قال: فأخذت إناء اللبن، فشربت منه، فقال لي جبريل عليه السلام: هُديت وهديت أمتك يا محمد. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لما فرغت مما كان في بيت المقدس، أتى بالمعراج، ولم أر شيئاً قط أحسن منه، وهو الذي يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر، فأصعدني صاحبي فيه، حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء، يقال له: باب الحفظة، عليه ملك من الملائكة، يقال له: إسماعيل تحت يديه اثنا عشر ألف ملك، تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك - قال: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حدث بهذا الحديث: وما يعلم جنود ربك إلا هو - فلما دُخل بي، قال: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا محمد. قال: أوقد بعث؟ قال: نعم. قال: فدعالي بخير، قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم عن حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: تلقتني الملائكة حين دخلت السماء الدنيا، فلم يلقيني ملك إلا صاحكاً مستبشراً، يقول خيراً ويدعوه، حتى لقيني ملك من الملائكة، فقال مثل ما قالوا، ودعا بمثل ما دعوا به، إلا أنه لم يضحك، ولم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره، فقلت لجبريل: يا جبريل من هذا الملك الذي قال لي كما قالت الملائكة ولم يضحك إلي، ولم أر منه من البشر مثل الذي رأيت منهم؟ قال: فقال لي جبريل: أما إنه لو

ضحك إلى أحد كان قبلك ، أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك ، لضحك إليك ، ولكنه لا يضحك هذا مالك صاحب النار . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت لجبريل ، وهو من الله تعالى بالمكان الذي وصف لكم (مطاع ثم أمين) : ألا تأمره أن يُريني النار ؟ فقال : بلى ، يا مالك ، أر محمدا النار . قال : فكشف عنها غطاءها ، فقال : ففارت وارتفعت ، حتى ظننت لتأخذن ما أرى . قال فقلت لجبريل : يا جبريل ، مُره فليردها إلى مكانها . قال : فأمره ، فقال لها : اخبي ، فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه . فما شَبَّهت رجوعها إلا وقوع الظل حتى إذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاءها . وقال أبو سعيد الخدري في حديثه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما دخلت السماء الدنيا ، رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بني آدم ، فيقول لبعضها إذا عُرِضت عليه خيرا ويُسرّبه ، ويقول روح طيبة خرجت من جسد طيب ؛ ويقول لبعضها إذا عُرِضت عليه : أف ، ويعبس بوجهه ويقول : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث . قال : قلت : من هذا جبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم ، تعرض عليه أرواح ذريته ، فإذا مرت به روح المؤمن منهم سرّبهَا وقال : روح طيبة خرجت من جسد طيب . وإذا مرت به روح الكافر منهم أفف منها وكرهها ، وساء ذلك ، وقال : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث . قال : ثم رأيت رجلا لهم مشافر كمشافر الإبل ، في أيديهم قطع من نار كالأنهار ، يقذفونها في أفواههم ، فتخرج من أديبارهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما . قال : ثم رأيت رجلا لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون ، يملأون عليهم كالإبل المهيومة حين يُعرضون على النار ، يطؤونهم لا يقدرّون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك . قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا . قال : ثم رأيت رجلا بين أيديهم لحم ثمين طيب ، إلى جنبه لحم غث منتن ، يأكلون من الغث المنتن ، ويتركون السمين الطيب . قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ، ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن . قال : ثم رأيت نساء معلقات بثديهن ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم .

ثم رجع إلى حديث أبي سعيد الخدري ، قال ثم أصدعني إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا ، قال : ثم أصدعني إلى السماء الثالثة ، فإذا فيها رجل صورته

كصورة القمر ليلة البدر؛ قال: قلت من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك يوسف بن يعقوب. قال: ثم أضعديني إلى السماء الرابعة، فإذا فيها رجل فسألته: من هو؟ قال: هذا إدريس - قال: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ورفعناه مكانا عليا - قال: ثم أضعديني إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية، عظيم العنق، لم أر كهلا أجمل منه؛ قالت: قلت: من هذا يا جبريل؟ قال هذا الحبيب في قومه هارون بن عمران. قال: ثم أضعديني إلى السماء السادسة، فإذا فيها رجل آدم طويل أقنى، كأنه من رجال شنوءة؛ فقلت له: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران. ثم أضعديني إلى السماء السابعة، فإذا فيها كهل جالس على كرسي إلى باب البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة. لم أر رجلا أشبه بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه؛ قال: قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم. قال: ثم دخل بي الجنة، فرأيت فيها جارية لعساء، فسألتها: لمن أنت؟ وقد أعجبتني حين رأيتهما؛ فقالت: لزيد بن حارثة، فبشر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة. قال ابن إسحاق: ومن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما بلغني: أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السماوات إلا قالوا له حين يستأذن في دخولها: من هذا يا جبريل؟ فيقول: محمد؛ فيقولون: أو قد بعث إليه؟ فيقول: نعم فيقولون: حياها الله من أخ وصاحب. حتى انتهى به إلى السماء السابعة، ثم انتهى به إلى ربه، ففرض عليه خمسين صلاة في كل يوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأقبلت راجعا، فلما مررت بموسى بن عمران، ونعم الصاحب كان لكم، سألتني كم فرض عليك من الصلاة؟ فقلت: خمسين صلاة كل يوم؛ فقال: إن الصلاة ثقيلة، وإن أمتك ضعيفة فارجع إلى ربك، فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك. فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي، فوضع عني عشرا. ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك؛ فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي، فوضع عني عشرا. ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك فرجعت فسألت ربي، فوضع عني عشرا. ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك، كلما رجعت إليه، قال: فارجع فاسأل ربك، حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عني، إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة. ثم رجعت إلى موسى، فقال لي مثل ذلك، فقلت: قد راجعت ربي وسألته، حتى استحييت منه،

فما أنا بفاعل . قال رسول الله فمن أذأهن منكم إيماناً بهن ، واحتساباً لهن ، كان له أجر خمسين صلاة مكتوبة .

وقت معجزة الإسراء

كما سبق فقد اختلف في تعيين زمن الإسراء والمعراج على أقوال شتى : 1 . قيل : كان الإسراء في السنة التي أكرمها الله فيها بالنبوة ، اختاره الطبري . 2 . قيل كان بعد المبعث بخمس سنين ، رجع ذلك النووي والقرطبي . 3 . قيل : كان ليلة السابع والعشرين من شهر رجب سنة 10 من النبوة ، واختاره العلامة المنصور فوري . 4 . قيل : قبل الهجرة بستة عشر شهراً ، أي في رمضان سنة 12 من النبوة . 5 . قيل : قبل الهجرة بسنة وشهرين ، أي في المحرم سنة 13 من النبوة . 6 . قيل : قبل الهجرة بسنة ، أي في ربيع الأول سنة 13 من النبوة . وقد وردت الأقوال الثلاثة الأول بأن خديجة رضي الله عنها توفيت في رمضان سنة عشر من النبوة ، وكانت وفاتها قبل أن تفرض الصلوات الخمس ، ولا خلاف أن فرض الصلوات الخمس كان ليلة الإسراء . أما الأقوال الثلاثة الباقية فلم أجد ما أرجح به واحداً منها ، غير أن سياق سورة الإسراء يدل على أن الإسراء متأخر جداً .

هل كان الإسراء بالروح أم بالجسد

قال الدكتور سعيد البوطي : كان الإسراء والمعراج بكل من الروح والجسد معاً . على ذلك اتفق جمهور المسلمين من المتقدمين والمتأخرين . قال النووي في شرح مسلم ما نصه : "والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسري بجسده صلى الله عليه وسلم ، والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ، ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل" ويقول ابن حجر في شرحه على البخاري "إن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسده وروحه ، وإلى هذا ذهب جمهور من علماء الحديث والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل" ومن الأدلة التي لا تقبل الاحتمال ، على أن الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح ، ما ذكرنا من استعظام مشركي قريش ذلك ، وتعجبهم للخبر وسرعة تكذيبهم له . إذ لو كانت المسألة مسألة رؤيا وكان إخباره إياهم لذلك على هذا الوجه ، لما استدعى الأمر منهم أي تعجب

واستعظام أو استنكار، لأن المرئيات في النوم لا حدود لها، بل يجوز مثل هذه الرؤيا حينئذ على المسلم والكافر . ولو كان الأمر كذلك لما سأله أيضا عن صفات بيت المقدس وأبوابه وسواريه بقصد الإلزام والتحدي . أما كيف تمت هذه المعجزة وكيف يتصورها العقل ؟ فكما تتم كل معجزة من معجزات الكون والحياة . لقد قلنا أننا إن كل مظاهر هذا الكون ليست في حقيقتها إلا معجزات فكما تتصورها العقول في سهولة ويسر يمكن لها أن تتصور هذه أيضا في سهولة ويسر .

تحذير من الخرافات

أخي القارئ أحرص وأنت تبحث عن قصة الإسراء والمعراج أن تركز إلى ما يسمى بـ (معراج ابن عباس) فهو كما قال المحققون : كتاب ملفق من مجموعة أحاديث باطلة لأصل لها ولا سند، وقد شاء ذلك الذي فعل فعلته هذه أن يلصق هذه الأكاذيب بابن عباس رضي الله عنه وقد علم كل مثقف بل كل إنسان عاقل أن ابن عباس بريء منه وأنه لم يؤلف أي كتاب في معراج الرسول صلى الله عليه وسلم، بل وما ظهرت حركة التأليف إلا في أواخر عهد الأمويين .

أخوة الأنبياء

يقول الشيخ محمد الغزالي : وفي قصة الإسراء والمعراج تلمح أو أصر القربى بين الأنبياء كافة، وهذا المعنى من أصول الإسلام (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحد من رسله) والتحيات المتبادلة بين النبي وإخوته السابقين توثق هذه الأصرة ففي كل سماء أحل الله فيها أحد رسله كان النبي يُستقبل فيها بهذه الكلمة: مرحبا بالأخ الصالح والخلاف بين الأنبياء وهم صنعة الأمم الجائرة عن السبيل السوي، أو بالأحرى صنعة الكهان والمتاجرون بالأديان أما محمد فقد أظهر أنه مُرسل لتكملة البناء الذي تعهده من سبقوه، ومنع الزلازل من تصديعه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون به ! ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين " (قال) والأديان المعتمدة على الوحي السماوي معروفة، وليس منها . بداهة . ما اصطنعه الناس لأنفسهم من أوثان وطقوس كالبرهيمية والبوذية وغيرهما . وليس منها كذلك ما ابتدع أخيرا من نحل احتضنها الاستعمار الغربي وكثر

الأنصار حولها ليشدد الحناق على مقاتل الشرق ويعوق المسلمين الأحرار عن حطم قيوده وإنقاذ عبيده وذلك كالبهائية والقاديانية ومن الممكن. لو خلصت النيات ونشد الحق. أن توضع أسس عادلة لوحدة دينية تقوم على احترام المبادئ المشتركة وإبعاد الهوى عن استغلال الفروق الأخرى إلى أن تزول على الزمن أو تستنكر حدوثها والإسلام الذي يعد تعاليمه امتدادا للنبوات الأولى ولبنة مضافة إلى بنائها العتيق أول من يرحب بهذا الاتجاه وينزيهه .

(فائدة) عدد الأنبياء (124000) وعدد الرسل منهم (314) وعدد الرسل المذكورين في القرآن (25) وهم الواجب معرفتهم باسمائهم وهم : سادتنا (آدم ونوح وإدريس وهود وصالح واليسع وذوالكفل والياس ويونس وأيوب وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وداود وسليمان وشعيب وموسى وهارون وزكرياء ويحيى وعيسى ومحمد) عليهم الصلاة والسلام . ومن هؤلاء أولي العزم الخمسة وهم (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد) عليهم السلام .

سلامة الفطرة

(قال الغزالي) وفي ليلة الإسراء والمعراج تأكدت الصفة الأولى لهذا الدين وهي أنه دين الفطرة . ففي الحديث "ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن، فأخذت اللبن . قال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك" . إن سلامة الفطرة لب الإسلام، ويستحيل أن تفتح أبواب السماء لرجل فاسد السريرة عليل القلب . إن الفطرة الرديئة كالعين الحمئة لا تسيل إلا قدرا وسوادا، وربما أخفى هذا السواد الكريه وراء ألوان زاهية، ومظاهر مزوقة . بيد أن ما ينطلي على الناس، لا يخدع به رب الناس . ويوم تكون العبادات نفسها ستارا لفطرة فاسدة، فإن هذه العبادات الخبيثة تعتبر أنزل رتبة من المعاصي الفاجرة . والناس كلما تقدمت بهم الحضارات، أمعنوا في التكلف والمصانعة، وقيدوا أنفسهم بعبادات وتقاليد قاسية . وأكثر هذه التكاليف حجب تطمس مهج الفطرة وتعكر نقاوتها وطلاقتها وليس أبغض إلى الله من أن تفتري هذه القيود باسم الدين وأن تترك النفوس في سجونها مغلولة كئيبة .

دلالة الإسراء إلى بيت المقدس

لماذا كانت الرحلة إلى بيت المقدس، ولم تبدأ من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة؟ إن هذا يرجع بنا إلى تاريخ قديم فقد ظلت النبوات دهوراً طويلاً وهي وقف على بني إسرائيل وظل بيت المقدس مهبط الوحي ومشرق أنواره على الأرض وقصة الوطن المحبب إلى شعب الله المختار. فلما أهدر اليهود كرامة الوحي وأسقطوا أحكام السماء حلت بهم لعنة الله وتقرر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد. ومن ثم كان مجيء الرسالة إلى محمد صلى الله عليه وسلم انتقالاً بالقيادة الروحية في العالم من أمة إلى أمة ومن بلد إلى بلد ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل وقد كان غضب اليهود مشتملاً لهذا التحول مما دعاهم إلى المسارعة بإنكاره (بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فباءوا بغضب على غضب) لكن إرادة الله مضت وحملت الأمة الجديدة رسالتها وورث النبي العربي تعاليم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وقام يكافح لنشرها وجمع الناس عليها فكان من وصل الحاضر بالماضي وإدماج الكل في حقيقة واحدة أن يُعتبر المسجد الأقصى ثالث الحرمين في الإسلام وأن ينتقل إليه الرسول في إسرائه فيكون هذا الانتقال احتراماً للإيمان درج قديماً في رحابه. ثم يجمع الله المرسلين السابقين من حملة الهداية في هذه الأرض وما حولها ليستقبلوا صاحب الرسالة الخاتمة.

إن النبوات يصدق بعضها بعضاً ويمهد السابق منها اللاحق وقد أخذ الله الميثاق على أنبياء بني إسرائيل بذلك (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) وفي السنة الصحيحة أن الرسول صلى الله عليه وآله إخوانه الأنبياء ركعتين في المسجد الأقصى، فكانت هذه الإمامة إقراراً مبيناً بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى خلقه أخذت تمامها على يد محمد بعد أن وطأ لها العباد الصالحون من رسل الله الأولين. والكشف عن منزلة محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ليس مدحاً يساق في حفل تكريم بل هو بيان حقيقة مقررة في عالم الهداية منذ تولت السماء إرشاد الأرض ولكنه جاء في إبانه المناسب فإن جهاد الدعوة الذي جملة محمد صلى الله عليه وسلم على كواوله عرضه لعواصف عاتية من البغضاء والافتراء ومزق شمل أتباعه فما ذاقوا

مذ آمنوا به راحة الركون إلى الأهل والمال . وكان آخر العهد بمشاق الدعوة طرد (ثقيف) له ثم دخوله البلد الحرام في جوار مشرك . إن هوانه على الناس منذ دعاهم إلى الله جعله يجأ إلى رب الناس، شاكيا راجيا فمن تطمين الله له ومن نعماته عليه أن يهيء له هذه الرحلة السماوية لتمس فؤاده المعني ببرد الراحة وليشعر أنه بعين الله منذ قام يوحدہ وبعده ويعلم البشر توحيده وعبادته كان يقول (إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي) فالليلة علم أن حظه من رضوان الله جزيل وأن مكاته بين المصطفين الأخيار موطدة مقدمة .

إن الإسراء والمعراج يقعان قريبا من منتصف فترة الرسالة التي مكثت ثلاثة وعشرين عاما وبذلك كانا علاجاً مسح متاعب الماضي، ووضع بذور النجاح للمستقبل .

إن رؤية طرف من آيات الله الكبرى في ملكوت السموات والأرض له أثره الحاسم في توهين كيد الكافرين، وتصغير جموعهم، ومعرفة عقابهم . وقد عرف محمد في هذه الرحلة أن رسالته ستنتسح في الأرض وتتوطن الأودية الخصبة في النيل والفرات وتنتزع هذه البقاع من محوسية الفرس وتثليث الروم بل إن أهل هذه الأودية سيكونون حملة الإسلام جيلا في أعقاب جيل وهذا معنى رؤية النيل والفرات في الجنة وليس معناه أن مياه النهرين تنبع من الجنة كما يظن السذج والبله لقد روى الترمذي مثلاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إذا أعطى أحدكم الريحان فلا يردّه، فإنه خرج من الجنة" فهل ذلك يدل على أن الريحان من الجنة ونحن نقطف أزهاره من الحقول والحدائق ؟

قصيدة سي احمد سبخاوي بن المسعود الموقفي

قلت وبما أن شعراءنا قد أدلوا بدلوهم في موضوع الإسراء والمعراج فما هي ذي قصيدة للشيخ سي احمد سبخاوي بن المسعود الموقفي الجزائري وكم سمعنا منه جماعتنا في عين الإبل وكان ينشدنا متأثراً ومؤثراً رحمه الله وإيانا بمنه وكرمه والقصيدة بتماها هي :

الله الله الله يا راحيم العبد
صلي على الرسول طاهراً محمد
بسم الله الغفار نبدا هذا الأشعار
على النبي المختار الرسول الهادي

صلى الله عليه والآل وصحبه
 مانح طير لوكره بالصوت مغردي
 من أتى بالتنزيل وانسخ به الإنجيل
 والتوراة مثيل وازداد به الرشده
 من نطق الغزالا وزاد ضرب الفللا
 وخالص جملا من كيد ظلم العدي
 الإسرا والمعراج والنور فيها وهاد
 هو ايشاكي وايحاج في أمر العباد
 في ليلت الإسرا اسمع ماذا جرى
 بهاتمت حضرا في القدس الموعد
 أوتى بالبراق مسروح شاطر خفاق
 مُزود بالأخلاق مركوب طاهها الهادي
 في السير ما هو امهين وايفوت رمشت العين
 به وصلو في الحين لأقصى مسجدا
 الأنبياء صفوف بالأملاك محفوف
 صلى بهم ألوف رحمه للعباد
 صلى بهم إمام بإذن من العالم
 هذا أشرف مقام لخير مرشد
 المؤتمر عقوده والخير فيه جمعه
 للأمم سجلوه بماء العسجد
 أتى وقت الصعود إلى الرب المعبود
 طريق سامي مقدود جبريل فيه الهادي
 جبريل ييه اتعلى في أجمل حله

وملائكة المولى ركَع وسجّد
 هذا وفد الكريم الرّسول العظيم
 مُجلى الليل البهيم بالنصر مؤيد
 فتحول له الأبواب بإذن من الوهاب
 هذا منظر مُهاب يفوز به الهادي
 رأى من الآيات الغرّ الكبريات
 قد فاز بالمكرّمات والجحد والسؤدد
 رأى الجنّة تخضر فيها مقاعد الأبرار
 والخير طائب يزار مبسوط للعباد
 الحور هن زغردات فرحا بسيد السادات
 ماذا من الرحمة جات لجنّة الخالد
 لاحو عن ووزرد والطيب من كل عود
 من ما هو موجود الياسمين وندي
 جهنم تحمار فيها مقاعد الأشرار
 منافقين وكفار الجبار والمعتدي
 سياط للعقاب وأنواع من العذاب
 زقوم زيد عذاب لأهل الفعل الردي
 نجّ به في النور فصار به مغفور
 مجله الملك المأمور الرفراف للمقعد
 فكان قاب قوسين من رب العالمين
 أو أدنى يافطين لكبي يزود
 اسقاه بالمعلومات وافرض عن الصلاة
 خمسين في خمس أوقات مفروض مؤكّد

انزله للسموات وجد موسى بالذات
علمو بفرض الصلاة صحيح السند
موسى انصحنا وليله الفضل علينا
جزاه الله عنا خير المقاصد
أما تكضعه وما تقدر تستوفى
التمس التخفيف من المولى الصمد
ارجعنا ليله وصار يتوسل ليله
يغير في حكمه رجلي منه الود
ارجع تسع مرات إليه حتى بقات
خمسا من الخمسات فيها أجر العدد
فيها أجر الخمسي بالثبوت واليقين
رأفه من الحنين الواحد الأجد
ارجع خير الورى فرحان بذ البشرى
وجهه كالقمرى والنور عنه بادي
ربي زادي الأشواق والحال عني ضاق
ألمني يارزاق زارة الهادي
انزور درب الملاح تزود في الأرباح
حي على الفلاح ويل المقصد
ندخل باب السلام بأدب واحترام
ركبتين تمام بالنيه والقصد
نطلب رب العباد يرزقنا بالسداد
يهدينا للرشاد أمة محمد
توجهه للمقام برغبه واحتشام

نُلقِي أَطِيبَ سَلامٍ عَلَى النَبِيِّ الهَادِي
يَا نَبِيَّ الرَّحْمَةِ يَا كَاشِفَ الْغَمِّهِ
مَبْعُوثَ لَنَا نَعْمَهُ أَمِنْ رَبِّ الْأَوْجَدِ
أَرْحَمَنِي يَا رَحِيمَ فَلْيُكْرِمْنَا سَلِيمَ
فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ يَطِيبُ الْمَرْقَدِ
أَشْفَعْ لِي يَا شَفِيعَ عِنْدَ الْمَوْلَى الرَّفِيعِ
وَأَحْيِ الذَّنْبَ الشَّنِيعَ بَلِّغْنِي مَقْصِدِي
يَا اللَّهُ يَا رَفِيقَ يَاحْنِينَ شَفِيقِ
أَفْتَحْ لَنَا الطَّرِيقَ لِلْجَنَّةِ يَهْدِينِي
أَنَا وَالْوَالِدِينَ وَالْجَمْعَ الْحَاضِرِينَ
وَكُلَّ الْمُؤْمِنِينَ يَنْجُوا مِنَ الصَّهْدِ
شَافِينَا مِنْ لُضْرَارِ وَأَحْيِ عَنَّا لُوزَارِ
وَأَمْلَأْ قَلْبِي أَسْرَارَ مِنْ حُبِّ طَاهَا الْهَادِي
بِحَاةِ طَهَاهُ الْأَمِينِ وَالْآلِ الطَّاهِرِينَ
وَالصَّحَابَةِ الْأَكْرَمِينَ وَكُلَّ مُقْتَدِي
بِحَاةِ الْأَنْبِيَاءِ وَبِحَاةِ الْأَصْفِيَاءِ
وَبِحَاةِ الْأَوْلِيَاءِ فِي كُلِّ بَلَدِ
تَارِيخِ الْكَلِمَاتِ أَلْفَ وَرَبْعَ مِائَاتِ
أَرْبَعَةَ عَشَرَ سَنَاتٍ نَقُوزُ بِهَِا غَدِ
فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ هُوَلْنَا حُجَّه
أَتَمَّتْ ذَا اللَّحْجَةِ يَوْمِينَ بَعْدَ الْعِيدِ
أَحْمَدُ نَظَّمَ الْأَشْعَارَ وَأَمُوفَتِي يَا حُضَارَ
وَسَارَهُ فِي لَقْطَارِ فِيهَا كَاتِبٌ وَعَدِي

صلاتي والسلام على خير الأنام مافاح زهر الأكمام في الفروض مجدد

أبولهب يحذر القبائل من دعوة النبي

على الرغم مما تعرض له النبي (صلى الله عليه وسلم) من إساءات أهل الطائف فإنه لم ييأس من دعوة الناس إلى الإسلام، فكان يتصدى لوفود القبائل التي تأتي إلى مكة في موسم الحج، يعرض عليهم رسالة الإسلام ومن الوفود التي التقى بها: وفد كندة وبنى حنيفة وبنى عامر بن صعصعة غير أنه لم يجد منهم مجيباً، خاصة أن عمه أبا لهب كان يتبع خطى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإذا رآه جلس إلى وفد قبيلة من قبائل العرب جاءهم قائلاً لهم: لا تصدقوه إنه كذاب ولا تطيعوه ولا تسمعوا له. واستمر هذا الوضع حتى أذن الله بالفرج من ناحية يثرب أي المدينة المنورة.

الهجرة إلى المدينة

لقد سبقت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة عدة أحداث كانت بمثابة مقدمة لها ومن بينها على سبيل الاختصار .

بيعة العقبة الأولى

بدأت بشائر النصر تأتي ريجها من يثرب فقد التقى النبي (صلى الله عليه وسلم) أثناء عرض دعوته على القبائل بوفد من أهل يثرب في موسم الحج وعرض عليهم الإسلام فلم يرفضوا ولم يسلموا، عدا واحداً منهم هو «إياس بن معاذ» فقد أسلم، لكنهم حين عادوا إلى قومهم تحدثوا بما سمعوا من النبي فنبهوهم إلى أنه من المعقول أن يكون محمد هو النبي الذي كانت اليهود تحدثهم عنه دائماً، وكان في «يثرب» كثير من قبائل اليهود (بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة) الذين علموا من كتبهم المقدسة أن هناك نبياً قد قرب زمانه وهو آخر الأنبياء. وهذه المعلومات التي عرفها أهل «يثرب» من «الأوس» و«الخزرج» كانت مفيدة لهم وللإسلام، فقد ذهب وفد منهم في الموسم التالي (العام الثاني عشر من البعثة) والتقوا برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهم على

استعداد للاستجابة له والتجاوب معه، فحدّثهم عن الإسلام فأمنوا وبايعوه عند العقبة في «منى» «البيعة الأولى»، على أن يؤمنوا بالله وحده، ولا يشركوا به شيئاً، ولا يسرقوا، ولا يزنوا ولا يعصوا الله في معروف وأرسل النبي معهم عند عودتهم إلى «يثرب» «مصعب بن عمير» يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين. وكان هذا اللقاء بداية النصر وفتحة الخير فإذا كانت «مكة» قد تحجرت عقولها وصمت أذانها عن سماع صوت الحق، فإن «يثرب» تفتح له قلوبها وعقولها وأذانها.

بيعة العقبة الثانية

نجح «مصعب بن عمير» فيما كلف به نجاحاً عظيماً، فازداد عدد المسلمين في «يثرب» على يديه زيادة كبيرة، ولم يبق بيت فيها إلا وذكّر الإسلام والنبي فيه نصيب، وعاد «مصعب» في الموسم التالي (العام الثالث عشر من البعثة)، ليزف إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) بشري نجاحه، وإقبال أهل «يثرب» على الإسلام، وأن وفداً كبيراً منهم سوف يأتي إلى «مكة» لمقابلته، فقدم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان لهذا الغرض، وتم اللقاء سرا عند العقبة في «منى»، وسط أيام التشريق (الثلاثة الأيام الأولى من عيد الأضحى)، وحضر اللقاء «العباس بن عبد المطلب»، وكان لا يزال مشركاً، لكنه رغب في حضور هذا الاجتماع ليطمئن على ابن أخيه وفي هذا اللقاء بايع الحاضرون النبي (صلى الله عليه وسلم) «بيعة العقبة الثانية» أو «بيعة القتال»، لأن أهم ما تضمنته التزام أهل «يثرب» بالدفاع عن النبي عندما يهاجر إليهم ومنعه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم. وبعد أن تمت البيعة اتفق على ترتيبات هجرة أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى «يثرب»، وما يلتزمه أهل «يثرب» تجاههم من توفير المأوى والمعاش وقد أثبت أهل «يثرب» أنهم أهل كرم وشهامة وتضحية فقد مواليهم المهاجرين كل ما يحتاجون إليه بل وآثروهم على أنفسهم.

المؤامرة الكبرى

بدأ أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) من أهل «مكة» يهاجرون إلى موطنهم الجديد، أفراداً وجماعات متخفين عن أعين «قريش»، وبقي الرسول في «مكة»، ووقعت «قريش» في حيرة

شديدة لأنهم لم تكن تعرف ما هو صانع هل سيبقى فى «مكة»، أم سيلحق بأصحابه إلى «يثرب» وفى هذا خطر شديد عليهم، لأنه سيجد فى «يثرب» المنعة والحماية والاستعداد للدفاع عنه مما قد يجرهم إلى الدخول فى عدااء سافر مع «يثرب» وأمام هذه التطورات المتلاحقة قررت «قريش» أن تحزم أمرها سريعاً قبل أن يهاجر النبى ويفلت من بين يديها، ف عقدوا اجتماعاً فى دار الندوة لم يحضره أحد من «بنى هاشم» سوى «أبى لهب» عم النبى، وبحوثاً فيه الأمر، وعرضت ثلاثة اقتراحات لمواجهة الموقف، الأول: أن يضعوا «محمدًا» فى السجن، والثانى: أن ينفوه من «مكة»، والثالث: أن يقتلوه، وحاز الاقتراح الثالث الموافقة على تنفيذه وهذه هى المؤامرة التى عبّر عنها القرآن الكريم، فى قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ وبعد أن اتفقوا على قتله، ناقشوا كيفية تنفيذ ذلك فأروا أن تشترك جميع القبائل فى قتله بأن تختار كل منها قتي شاباً قويا من بين أبنائها وتعطيه سيفاً بتاراً وأن يربط هؤلاء جميعاً أمام بيت النبى (صلى الله عليه وسلم) ليلا حتى إذا خرج عليهم فى الصباح ضربه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه فى القبائل ولا يقوى «بنو هاشم» على محاربة أهل مكة جميعاً.

على فى فراش النبى صلى الله عليه وسلم

علم رسول الله بما بيته له «قريش»، فأعد العدة للهجرة وأسر بذلك إلى صاحبه «أبى بكر الصديق» الذى كان ينتظر هذا بلهفة وشوق فأعد لذلك الأمر عده من قبل للقيام بأعظم رحلة فى تاريخ البشرية ودعا النبى (صلى الله عليه وسلم) «على بن أبى طالب» لينام فى فراشه فى تلك الليلة ليضلل «قريشاً» من جهة ومن جهة أخرى لكى يتخلف فى «مكة»، ليؤدى للناس ودائعهم التى كانت عند الرسول وخرج النبى (صلى الله عليه وسلم) فى عماية الصباح والمتأمرون واقفون على بابه ينتظرون لحظة خروجه للانقضاض عليه لكن الله أعمى أبصارهم وأخذ النبى (صلى الله عليه وسلم) حفنة من الحصى وقذفها فى وجوههم وقال: شأهت الوجوه» ثم تلا قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا

يَبْصُرُونَ ﴿وقصد النبي (صلى الله عليه وسلم) بيت «أبى بكر» الذى كان فى انتظاره ومعه الرواحل والزاد وكل ما يلزم الرحلة المباركة وكان دليلهم فى رحلتهم «عبد الله بن أريقط» .
النبي فى غار ثور

انطلقت الرحلة المباركة قاصدة غار «ثور» فى جنوب «مكة»، مع أن وجهتهم كانت «يثرب» فى الشمال لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) يعرف أن «قريشًا» عندما تكتشف أنه نجا من كيدهم ستجبه فى بحثها عنه إلى الشمال عندئذ يكون هو قد وصل إلى الغار واختبأ فيه والحق أن خطة الهجرة كانت دقيقة وسرية إلى أقصى حد ووضع لها كل ما فى وسع البشر أن يفعلوه لضمان نجاحها فإذا لم يفلح هذا كله فستأتى عناية الله فى اللحظة المناسبة لإنقاذ الموقف فالذين علموا بأمر الهجرة كان عددهم محدودًا وكانوا موضع ثقة، منهم «عامر بن فهيرة» مولى «أبى بكر» وراعى غنمه و«عبد الله بن أبى بكر» وأخته «أسماء» وكل واحد من هؤلاء له عمل محدد وفى غاية الأهمية والخطورة فعبد الله بن أبى بكر كانت مهمته أن يتسمع أخبار «قريش» بالنهار فى أندية ثم يبلغها الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذا جاء الليل وكانت مهمة «أسماء» إعداد الطعام، ولما لم تجد مرة حبلا تربط به حقيبة الزاد شقت نطاقها الذى كانت تشد به وسطها وربطت بأحد الشقين الحقيبة فلقبت بذات النطاقين . أما «عامر بن فهيرة» فكانت مهمته أن يرعى الأغنام بالقرب من الغار فإذا ما حل الظلام ذهب إلى الغار ليزود النبي (صلى الله عليه وسلم) و«أبى بكر» باللبن، ويسير بأغنامه على آثار أقدام «عبد الله بن أبى بكر» حتى يحوها فلا يفتن أحد إلى مكانهم جن جنون «قريش» حين علمت أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أفلت من قبضتها وأن النائم فى الفراش لم يكن سوى «على بن أبى طالب» فأخذت تبحث عن «محمد» فى كل مكان وبعد أن أعياهما البحث فى طريق «يثرب» عادوا إلى الجنوب ووصلت طلائع بحثهم إلى باب الغار ففزع «أبو بكر»، حتى إنه بكى من شدة خوفه على حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) فسأله «ما يبكيك يا أبا بكر؟» فقال: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرأى فقال له الرسول (صلى الله عليه وسلم) مطمئنًا «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» وقد سجل القرآن الكريم هذا المشهد فقال تعالى ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانی اثین إذ هما فى الغار

إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ﴿١٠﴾

استئناف الرحلة

ظل النبي (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه في الغار ثلاثة أيام حتى هدأت «قريش» وتعبت من البحث دون جدوى بعد أن كانت قد رصدت جائزة كبرى قدرها مائة من الإبل لمن يأتيها بمحمد حيا أو ميتا لكن الله سبحانه عصمه من ذلك أيضا ثم استأنف الرسول رحلته المباركة في غرة ربيع الأول وأخذ دليلهما طريقا غير طريق القوافل المعروف لئلا يستدل عليهم أحد وكانت الرحلة شاقة واكتنفها كثير من المخاطر من ذلك أن «سراقه بن مالك الجشمي» علم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) و«أبا بكر» سلكا ذلك الطريق فأراد اللحاق بهما والقبض عليهما ليفوز بالجائزة فلما اقترب منهما غاصت أقدام حصانه في الرمال وعجز عن النهوض فدهش «سراقه»، فلم يعهد من حصانه هذا من قبل وحاول أكثر من مرة اللحاق بهما ولكن تكرر فشله والنبي (صلى الله عليه وسلم) ينظر إليه في إشفاق و«سراقه» يظن أن النبي منتقم منه لا محالة فتوسل إليه أن يعفو عنه وعاهده على ألا يدل عليه أحدا، فعفا عنه النبي (صلى الله عليه وسلم) وكان أهل «يثرب» منذ أن علموا بقرب مقدم النبي (صلى الله عليه وسلم) إليهم ينتظرونه بحب وشوق ولهفة إلى رؤيته وكانوا كل يوم يخرجون إلى مشارف المدينة يلتمسون وصوله فما إن وقعت عليه عيونهم حتى كادوا يطيطون من الفرح، وهتقوا مرحبين منشدين:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا الله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع جئت شرف المدينة مرحبا يا خير داع

وكان وصوله (صلى الله عليه وسلم) إلى «يثرب» التي أصبحت عندئذ تسمى «مدينة الرسول» أو «المدينة المنورة» يوم الجمعة الموافق الثاني عشر من شهر ربيع الأول لأنه قضى أربعة أيام في «قباء» قبل دخوله «يثرب»، فقد وصلها يوم الاثنين الثامن من شهر ربيع الأول، وبقي فيها إلى يوم الجمعة حيث صلى الجمعة في «المدينة» وصلى خلفه المهاجرون والأنصار في مشهد عظيم وحادث الهجرة هو أعظم حدث في التاريخ الإسلامي، لذلك اتخذته الخليفة «عمر بن الخطاب»

رضى الله عنه مبدأ للتاريخ الإسلامى لأن الهجرة هى التى فتحت أمام الإسلام ذلك العالم الرحيب ومكنت النبى (صلى الله عليه وسلم) من بناء دولته وتكوين جيشه الذى سيدافع عن دعوته وأتاح له أن يعلم أصحابه أصول دينهم وعلوم السياسة والحرب والسلام والإدارة والقيادة وهياًهم ليقودوا الدنيا كلها إلى الخير والعدل والحق وينشروا فيها الحرية والعزة والكرامة لكل الناس .

بناء الدولة الإسلامية

أصبحت «المدينة» منذ أن وصل النبى (صلى الله عليه وسلم) إليها من هجرته منزل الوحي ومعقل الإسلام ومركز إشعاعه الذى أضاء العالم وشرع النبى فور وصوله فى بناء مسجده الذى شارك فى بنائه بنفسه مع أصحابه وكان بناؤه متواضعاً حيث بُنى من الطين أو الطوب اللبن وكان سقفه من جريد النخل وأعمدته من جذوعه وفرشه الحصى كما كان مربع الشكل طول ضلعه نحو مائة ذراع . وهذا المسجد المتواضع البناء كان ذا شأن عظيم فى تاريخ الإسلام فلم تقتصر وظيفته على أداء الصلوات فيه بل كان مدرسة تخرج فيها الرعيل الأول من المسلمين حملة لواء الإسلام ودعائه ومكانات تعقد فيه الجلسات لمناقشة الأمور العامة التى تتصل بحياة المسلمين ودينهم ودولتهم وفيه استقبل الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفود القبائل وسفراء الملوك والأمراء

عقد فيه الإخاء بين المهاجرين والأنصار

عقد فيه الإخاء بين المهاجرين والأنصار

هو الأساس الثانى الذى أقام الرسول (صلى الله عليه وسلم) عليه دولته، ذلك أن المدينة فتحت صدرها الرحيب للمهاجرين واستقبلهم الأنصار بحفاوة لا نظير لها فى التاريخ فما نزل مهاجر على أنصارى إلا بقرعة لتنافس الأنصار وتزاحمهم على استضافة المهاجرين فأخى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بين الفريقين إخاءً ربط بين قلوبهم جميعاً فأصبحت عروة الإيمان فوق كل أسباب الصلات البشرية وأصبح النسب الإسلامى مقدماً على سائر الأنساب .

معاهدة المدينة

كانت الوثيقة الخالدة التى كتبها الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع اليهود الأساس الثالث لدولة الرسول فى «المدينة»، فبعد أن اطمأن على قوة جبهة المسلمين وسلامتهم، التفت إلى المدينة

فوضع لها نظاماً عاماً ثابتاً يحدد العلاقات والحقوق والواجبات بين سكانها جميعاً مسلمين وغير مسلمين فاليهود يقيمون في المدينة منذ زمن طويل وكانوا من قبل يقتسمون الزعامة مع الأوس والخزرج وهؤلاء آمنوا بالله ورسوله على حين بقى اليهود على دينهم ولم يؤمنوا ولم يجبرهم الرسول على اعتناق الإسلام إذ لا إكراه في الدين ومن ثم كان لابد من تحديد وضعهم في الدولة الجديدة بنصوص صريحة يُرجع إليها عند الضرورة ونص المعاهدة كما رواها ابن إسحاق: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد النبي (صلى الله عليه وسلم) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس.

وهذا إعلان صريح للأساس العقدي للدولة الجديدة، وباب الانتساب إليها هو الإيمان بالله ورسوله، وعلى هذا الأساس تمارس الدولة سياستها وسلطانها العليا في الداخل والخارج. وجاء في المعاهدة وهو في غاية الأهمية: «وأنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين، ماداموا محاربين وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم. وأن لليهود بنى الحارث مثل ما لليهود بنى عوف» وأخذت الوثيقة تعدد سائر المجموعات اليهودية في «المدينة»، ثم أضافت شيئاً مهماً آخر، حيث نصت «وأنه لا يخرج أحد منهم من «المدينة» إلا بإذن محمد». وهذا ليس تقييداً لحريتهم، وإنما هو إجراء وقائي اقتضته ظروف الدولة الناشئة خوفاً من عمليات التجسس ونقل أخبار الدولة إلى أعدائها وبخاصة أنها تعتبر في حالة حرب مع «قريش» التي أجبرت المسلمين على ترك أوطانهم وديارهم وأموالهم.

وهذه المعاهدة كانت مهمة وأساسية في إعلان ميلاد دولة المسلمين بقيادة النبي (صلى الله عليه وسلم) باعتراف جميع أطرافها بهذه القيادة، كما يفهم من عبارة النص الآتي: «وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى «محمد» رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره» وعلى هذه الأسس الثلاثة السابقة قامت الدول الإسلامية في «المدينة»، وكان في قيامها فتح جديد في الحياة

السياسية إذ قررت حرية الاعتقاد والرأى، وحرمة «المدينة»، وحرمة الحياة وحرمة المال وحددت أعداء الدولة فى صراحة ووضوح، فمنعت إجارة «قريش» ومن نصرها .

حكومة الرسول

كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أول رئيس للدولة الإسلامية كما نصت على ذلك المعاهدة وقد قام صلى الله عليه وسلم بهذه المهمة طوال حياته فهو الذى يقضى فى الحقوق المدنية والجناية كافة وينفذ القضاء ويقيم الحدود ويجبى الأموال من مواضعها الشرعية ويوزعها فى مصارفها الشرعية ويعلم الحرب ويعقد معاهدات الصلح ويخاطب رؤساء الدول ويستقبل سفراءهم ويولى الولاية على الأماكن البعيدة عن «المدينة» وهو فى ذلك كله مؤيد من الله تعالى فإذا نزلت الحادثة بالأمة ولم يكن نزل فى شأنها وحى من الله اجتهد النبى رأيه وشاور أصحابه من أهل العلم والرأى وكانوا تارة يجمعون على رأى فيعمل به وتارة يختلفون فيعمل برأى بعضهم ويترك رأى البعض الآخر مجتهداً فى ترجيح رأى على رأى ولما كانت أعباء الدولة كثيرة وفى الوقت نفسه يقوم بمهمة تبليغ الرسالة، وهى مهمة ثقيلة، فقد احتاج إلى معاونة أصحابه فى إدارة الدولة ومنهم تشكلت حكومته واختص بعضهم بملازمته مثل «أبى بكر الصديق» و«عمر بن الخطاب» فأطلق عليهم «وزراء الرسول» وقد كان للرسول عليه الصلاة والسلام جماعات عدة كل جماعة تتولى شأنًا من الشؤون العامة أو الخاصة . مثل كتابه وحراسه وقادته وقضاته وفرسانه إلى آخره كما كانت له مهام كثيرة ومتنوعة من غزوات وسرايا وتشريع ومعاهدات ومفاوضات ومراسلات وغير ذلك فى المدينة وبما أنها ليست من موضوع بحثنا هذا فيمكن مراجعتها فى كتب السيرة والتاريخ .

حجة الوداع

كانت حجة الوداع فى العام العاشر من الهجرة، وسُميت بذلك لأن النبى (صلى الله عليه وسلم) انتقل إلى الرفيق الأعلى بعدها بوقت قصير، ولأن العبارات التى افتتح بها النبى (صلى الله عليه وسلم) خطبته كانت تفيد بأنه لن يلقى أمته بعدها فى الحج أبداً، كما سميت هذه الحجة بحجة البلاغ لأن النبى (صلى الله عليه وسلم) ذكر فى نهاية الخطبة عبارات التبليغ لرسالته للناس . والحج ركن من أركان الإسلام الخمسة فرض على المسلمين فى العام التاسع للهجرة على قول فبعد عودته

(صلى الله عليه وسلم) من غزوة تبوك أرسل أبا بكر الصديق رضى الله عنه أميراً على الحج وقضى هو أكثر من عام مشغولاً باستقبال وفود العرب التى تالت عليه من كل أنحاء شبه الجزيرة العربية، تعلن بيعتها وإسلامها وكان النبى (صلى الله عليه وسلم) يبعث مع كل وفد من يعلمهم أمور دينهم من الصحابة ولما اطمأن أن الإسلام قد انتشر فى بلاد العرب، وتجاوزها إلى ما حولها رغب أن يقوم بأداء فريضة الحج ويعلم المسلمين المناسك بطريقة عملية ويوصيهم خيراً ويلخص لهم فى خطبة شرائع الإسلام وأهدافه فخرج من المدينة فى 25 من ذى القعدة من السنة العاشرة للهجرة وأحرم بالحج والعمرة من ذى الحليفة وخلفه أكثر من مائة ألف من المسلمين وكان المشهد رائعاً ومهيئاً، ينحنى له التاريخ إجلالاً وتقديراً، فيها هو ذا الرجل الذى بدأ دعوته وحده والعرب جميعهم يفتقون ضده ويحاربونه بكل ما يملكون يلتقون حوله ويسيطرون خلفه ويقودهم فى تواضع وبر ورحمة ومودة وقد خطب النبى (صلى الله عليه وسلم) فى هذه الجموع الكبيرة بعد الإحرام فوعظهم وعلمهم مناسك الحج، وقال لهم: «خذوا عني مناسككم» وسار ركب الحج النبوى إلى «مكة المكرمة» فى يوم التروية الثامن من ذى الحجة وتوجه إلى «منى» فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وصبح يوم عرفة، وبعد الصلاة توجه إلى عرفات فى التاسع من ذى الحجة وهناك خطبهم «خطبة الوداع المعروفة.

حول خطبة حجة الوداع

يقول الدكتور سعيد البوطي: والله ما أروعها من كلمات فى خطبته تلك التى ألقاها فى سفوح عرفات راح يخاطب فيها الأجيال والتاريخ بعد أن أدى الأمانة ونصح للأمة، وجاهد فى سبيل الدعوة إلى ربه ثلاثة وعشرين عاماً لا يكل ولا يمل. والله ما أروعها من ساعة تلك التى اجتمع حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها الآلاف المؤلفة اجتمعوا حوله خاشعين متضرعين وطالما تربصوا به قبل ذلك متآمرين ومحاربين آلاف مؤلفة يملئون ما يمتد به النظر من كل الجهات تردد بلسان حالها قول الله عز وجل (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر من خلال وجوههم إلى الأجيال المقبلة، إلى العالم الإسلامى الكبير الذى سيملا شرق الأرض وغربها، وراح يلقي على مسامع هذا العالم خطابه المودع: "أيها الناس، اسمعوا قولي، فإنني لا

أدري لعلني لأفئكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا . " وأنصت الدنيا لتسمع قوله، وأنصت الحجر والقفر والمدر إلى الكلمة المودعة ينطق بها فم رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد أن أنست وسعدت به الدنيا كلها ثلاثة وستين عاما، ها هو اليوم يلوح بالرحيل، بعد أن قام بأمر ربه وغرس الأرض بغراس الإيمان . وها هو الآن يلخص المبادئ التي جاء بها وجاهد في سبيلها في كلمات جامعة، وينود معدودة، يلقي بها إلى سمع العالم . فماذا كان أول بند منها ؟ يا سبحان الله، ما أجل وأروع ! لكأنه صلى الله عليه وسلم إنما كان يستلهم توصياته تلك من واقع المنزقات التي سيتنكب فيها أقوام من أمة عبر الزمن، تائهين وراء غيرهم عن القبس الذي سيتركه بين أيديهم، فلقد كان أول بند منها هو قوله: أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا . ولقد كرر هذه التوصية نفسها مرة أخرى في خاتمة خطابه، وأكد ضرورة الاهتمام بها وذلك عندما قال: تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة؛ فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم . ألا هل بلغت ؟ ونحن نقول: أجل والله لقد بلغت يا سيدي . ولعلنا اليوم أولى من ينبغي أن يجيبك: اللهم لقد بلغت . وإن كان في ذلك إنما نسجل مسؤولية على أعناقنا، قصرنا كل التقصير في القيام بحقتها . أما البند الثاني: فلم يكن مجرد توصية، ولكنه قبل ذلك قرار أعلن عنه للملاكلة لأولئك الذين كانوا من حوله، وللأمم التي ستأتي من بعده . وهذه هي صيغة القرار: ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع . دماء الجاهلية موضوعة . وربا الجاهلية موضوع . فما المعنى الذي تتضمنه صيغة هذا القرار ؟ . إنه يقول: إن كل ما كانت الجاهلية تفخر وتمسك به من تقاليد العصبية والقبلية، وفوارق اللغة والأنساب والعرق واستعباد الإنسان أخاه الإنسان بأغلال الظلم والمراعاة، قد بطل أمره ومات اعتباره، فهو اليوم جيفة منتنة غيبتها شريعة الله في باطن الأرض، وأصبح مكانها من حياة المسلم اليوم تحت موطئ الأقدام إنه رجس ولي، وعمامة أدبرت، وغاشية بادت . فمن ذا الذي يرجع بعد ذلك لينبش التراب عن الجيفة المنتنة فيعانقها ؟ وأي عاقل يتقمم الأدران التي تخلص منها ليمسح ثانية بها ؟ وأي أبي يعمد إلى القيد الذي كسره البارحة وألقاه، ليصلحه ويعود فيقتيد به اليوم ؟ أرجاس من تقاليد الجاهلية، أبعدها الرسول صلى الله عليه وسلم عن منطلق الإنسانية وتقدمها الفكري والحضاري، وأعلن أنها قد

عادت حثالة مدفونة تحت قدميه، كي يثبت للدنيا كلها ويسجل على سمع القرون والأجيال، أنه ما من تائه يزعم التقدم الفكري إذ يعمد فينبش شيئاً من هذا الدفين القديم، إلا وهو يرجع القهقهري يسبح في أغوار قصية من التاريخ المظلم القديم، وإن خيل إليه وهمه أنه إنما يتقدم صعداً ويخطو مترقياً. وفي البند الرابع: أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً بالنساء، وأكد في كلمة مختصرة جامعة، القضاء على الظلم البائد للمرأة في الجاهلية، وثبت ضمانات حقوقها وكرامتها الإنسانية التي تضمنتها أحكام الشريعة الإسلامية. ولقد كانت هذه الحقيقة جديرة بتأكيد التوصية بها، بسبب أولئك المسلمين الذين كانوا قريبي عهد بتقاليدهم الجاهلية، التي تقضي بإهمال شأن المرأة وعدم الاعتراف بأي حق لها، ولعل هنالك حكمة أخرى لهذه التوصية والاهتمام بها، وهي أن يكون المسلمون في كل عهد وطور من الزمن، على بينة من الفرق الكبير بين كرامة المرأة وحقوقها الطبيعية التي ضمنها شرعة الإسلام، وما يهدف إليه بعضهم من استباحة الوسائل المختلفة إلى التمتع والتلهي بها، وهو ما حاربه الإسلام. وفي البند الخامس: وضع النبي صلى الله عليه وسلم الناس من جميع المشاكل التي قد تعترض حياتهم أمام مصدرين لا ثالث لهما، ضمن لهم الاعتصام بهما الأمان من كل شقاء وضلال، هما: كتاب الله وسنة رسوله. وإنك لتجده يتقدم بهذا العهد والضمان إلى جميع الأجيال المتعاقبة من بعده، ليبين للناس أن صلاحية التمسك بهذين الدليلين ليس وقفاً على عصر دون آخر، وأنه لا ينبغي أن يكون لأي تطور حضاري أو عرف زمني أي سلطان أو تغلب عليهما. وأما البند السادس: فقد أوضح فيه صلى الله عليه وسلم ما ينبغي أن يكون عليه علاقة الحاكم أو الخليفة أو الرئيس مع الرعية أو الشعب، إنها علاقة السمع والطاعة من الشعب للحاكم مهما كان نسبه وشأنه ومظهره، مادام يحكم بكتاب الله وسنة رسوله، فإذا حاد عنهما فلا سمع ولا طاعة، فلا مناط لولاء الحاكم وضرورة اتباعه إلا سيره على نهج الكتاب والسنة، وليكن بعد ذلك إن شاء عبداً حبشياً مجدعاً، فلا يخفضه ذلك قيد شعرة عن غيره عند الله تعالى. ولقد أوضح لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا، أنه لا امتياز للحاكم من وراء حدود كتاب الله تعالى وسنة نبيه، ولا يمكن لحاكميته أن ترفعه قيد شعرة فوق مستوى المنهج والحكم الإسلامي، إذ هو في الحقيقة ليس بحاكم ولا يتمتع بأي حاكمية حقيقية، ولكنه أمين من قبل المسلمين على تنفيذ حكم الله تعالى. ومن هنا لم تعرف الشريعة

الإسلامية على شيء مما يسمى بالحصانة أو الامتيازات لطبقة ما بين المسلمين في شؤون الحكم أو القانون والقضاء. وفي الختام. يشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخرج مسؤولية الدعوة وتبليغها عن عنقه، فهي هو الإسلام قد انتشر، وها هي ضلالات الجاهلية والشرك قد تبددت، وها هي أحكام الشريعة الإلهية قد بلغت، وها هو الوحي ينزل عليه صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى مخاطبا البشر كلهم (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) ولكنه صلى الله عليه وسلم يريد أن يطمئن إلى شهادة أمته بذلك أمام الله تعالى يوم القيامة عندما يسألون فأعقب توصياته هذه لهم بأن نادى فيهم قائلا: إنكم ستسألون عني، فما أنتم قائلون؟ وارتفعت الأصوات من حوله تصرخ: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. وحينئذ اطمأن الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم! لقد كان يريد أن يستوثق من هذه الشهادة التي سيلقى بها وجه ربه عز وجل. . . ولقد اطمأن الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم إذ ذاك، وشعشع الرضى في عينيه، ونظر بهما إلى الأعلى مشيرا بسبابته إلى السماء ثم إلى الناس يقول: اللهم اشهد. اللهم اشهد. اللهم اشهد. وما أعظمها من سعادة!؟ سعادة رسول الله عليه الصلاة والسلام بشبابه الذي أبلاه وعمره الذي أمضاه في سبيل نشر شريعة ربه جل جلاله، وذلك حينما ينظر فيرى حصيلة الجهد الذي قدم والعمر الذي بذل، أصواتا ترتفع وتعج بتوحيد الله، وجباها تغنو ساجدة لدين الله، وقلوبا خفاقة تجيش بحب الله. ألا ما أسعد حبيب الله إذ ذاك بذكرى ما لقيه من ظمأ الهواجر، وشتات السفر في القفار، وعذاب السخريّة والإيذاء، في سبيل هذا الإيمان الذي شاده فوق أرض الله! . فلتكتحل به عيناك يا سيدي سعادة وسرورا، وليبارك لك ربك في وجيب قلبك اليوم حمدا ونشوة وحبورا. ولا والله، ما كان ذلك شهادة تلك الآلاف المحتشدة من حولك فحسب، يا سيدي رسول الله، ولكنها شهادة المسلمين في كل جيل وعصر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، تعلن بلسان حالها ومقالها: نشهد يا رسول الله أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فجزاك الله عنا خير ما جوزي نبي عن أمته. ولكن مسؤولية الدعوة قد انتقلت من بعدك إلى أعناقنا، وما أبعدنا اليوم عن القيام بحقتها، وما أشد خيبتنا بقلائك يا سيدي غدا، وإن علينا أوزارا من التقاعس والتكاسل والركون إلى زهرة الحياة الدنيا، بينما يلتف من حولك أصحابك البررة الكرام، وإن في أيديهم وعلى أبدانهم شهادة الدم الذي

سفكوه والجهد الذي بذلوه والدنيا التي حطموها تحت أقدامهم نصرة لشريعتك ودفاعاً عن دعوتك وتأسيساً بمجهاذك. أصلح الله حالنا وحال المسلمين جميعاً، وأيقظنا من سكرة الدنيا ونشوة الشهوات والأهواء، وتغمدنا بلطفه وكرمه وجوده.

وقائع من حياة الرسول

قال في الحلبية أعلم أن الأكثر على أنه ولد عام الفيل، وحكى بعضهم الإجماع عليه. قال: وكل قول خالفه فهو وهم. وقيل بعد الفيل بخمسين يوماً، وقيل بزيادة خمسة أيام، وقيل بشهر، وقيل بأربعين يوماً وقيل بشهرين وعشرة أيام، وقيل بعشرين سنة، وقيل بعشر سنين، وقيل بخمس عشرة سنة. وكانت ولادته يوم الاثنين في شهر ربيع الأول لعشر خلون منه وقيل لليلتين، وقيل لثمان خلت، واختاره الحميدي تبعاً لشيخه ابن حزم. وحكى القضاعي رحمه الله عن (عيون المعارف) إجماع أهل التاريخ عليه. وقيل لاثنتي عشرة ليلة وهو المشهور، وقيل لسبع عشرة، وقيل لثمان بقين منه، وذلك في النهار عند طلوع الفجر، وقيل ولد ليلاً وعليه عمل أهل مكة في زيارة موضع مولده الشريف وكونه في شهر ربيع الأول هو قول الجمهور من العلماء، وحكى ابن الجوزي رحمه الله الاتفاق عليه. وقيل في صفر وقيل في ربيع الآخر وقيل في رجب، وقيل في شهر رمضان. واختلف في مكان ولادته، فقيل بمكة وعليه قيل بالدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخي الحجاج وقيل بالشعب شعب بني هاشم وذلك الحل يزار الآن، وقيل بالردم، وقيل ولد بعسفان. وفي السنة الثالثة من مولده شق صدره الشريف عند ظئره حليلة رضي الله تعالى عنها، وقيل كان في الرابعة، وفيها ولد أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بمنى. وفي السنة السادسة من مولده كانت وفاة أمه آمنة ودفنت بالأبواء، وقيل بشعب أبي ذئب بالحجون محل مقابر أهل مكة، وقيل في دار راتعة بالمعلاة، وفيها ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه. وفي السنة السابعة من مولده استقل بكفالة جده عبد المطلب، وفيها أصابه رمد شديد، وفيها استسقى عبد المطلب وهو معه بسبب رؤيا دقيقة، وفيها خرج عبد المطلب لتهنئة سيف بن ذي يزن الحميري بالملك. وفي السنة الثامنة من مولده كانت وفاة جده عبد المطلب وكفالة عمه وفي السنة الثانية عشرة من مولده كان حرب الفجار الثانية. وكان سفر عمه أبي طالب به إلى بصرى من أرض الشام على ما عليه الأكثر. وفي السنة الثالثة عشرة من مولده ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفي

السنة الرابعة عشرة من مولده كانت حرب الفجار الثالثة، وقيل كان عمره عشرين سنة. وفي السنة السابعة عشرة من مولده كان سفر عمه الزبير والعباس ابني عبد المطلب لليمن للتجارة، وصحبهما النبي. وفي السنة الخامسة والعشرين من مولده كان سفره إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها. وتزوج خديجة. وفي سنة ثلاثين من مولده ولد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الكعبة. وفي سنة أربع وثلاثين من مولده ولد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ومعاذ بن جبل رضي الله عنه. وفي سنة خمس وثلاثين من مولده هدمت قريش الكعبة وبنتها. وفي سنة سبع وثلاثين رأى الضوء والنور، وكان يسمع الأصوات. وفي السنة الأولى من النبوة كان نزول الوحي عليه في اليقظة بعد أن مكث ستة أشهر يوحى إليه في المنام. وفي السنة الثالثة من النبوة قيل توفي ورقة بن نوفل. وفي السنة الرابعة من النبوة كان إظهار الدعوة. وفي السنة الخامسة من النبوة ولدت عائشة رضي الله عنها وقيل ولدت في الرابعة. وفي السنة الخامسة أيضاً كانت الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة. وفيها ماتت سمية أم عمار بن ياسر رضي الله عنهم، وهي أول شهيدة في الإسلام. وفي السنة السادسة من النبوة أسلم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقيل أسلموا رضي الله عنهما في سنة خمس، وكان إسلام حمزة رضي الله عنه قبل إسلام عمر رضي الله عنه بثلاثة أيام. وفي السنة السابعة من النبوة تقاسمت قريش وتعاهدت على معاداة بني هاشم وبني المطلب وقيل كان ذلك في السادسة، وقيل في الخامسة، وقيل في وفي السنة الحادية عشرة من النبوة كان ابتداء إسلام الأنصار رضي الله عنهم. وفي السنة الثانية عشرة من النبوة كان الإسراء والمعراج. وفيها وقعت بيعة العقبة الأولى. وفي السنة الثالثة عشرة من النبوة كانت بيعة العقبة الثانية التي هي الكبرى، وبعضهم يسميها العقبة الثالثة، ويسمى إسلام الأنصار عقبة مع أنه لا مبايعة فيه. وفي هذه السنة أراد أبو بكر رضي الله عنه أن يهاجر للحبشة، فلما بلغ برك الغماد رده ربيعة بن الدغنة سيد القارة. وفي السنة الرابعة عشرة من النبوة وهي السنة الأولى من الهجرة إلى المدينة، فكانت الهجرة فيها في صفر أو في غرة ربيع الأول. وفيها كان بناء المسجد ومسأكنه ومسجد قباء، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، قيل وكان ابتداء خدمة أنس رضي الله عنه له. فقد جاء أنه لما قدم المدينة صارت الأنصار يبعثون إليه بالهدايا رجالهم ونسأؤهم، وكانت أم أنس رضي الله عنهما لا شيء لها تهديه له فكانت

تأسف، فأخذت يوماً بيد أنس رضي الله عنه وقالت: يا رسول الله هذا يخدمك . وجاء أن زوجها أبا طلحة رضي الله عنه جاء به إلى رسول الله وقال: يا رسول الله إن أنساً غلام كيس فليخدمك . وجمع بأن أمه جاءت به أولاً ثم جاء به أبو طلحة ثانياً لأنه وليه وعصبته، قال في (الخميس) وهذا غير مجيئه به لخدمته في غزوة خيبر . وفيها كما في الأصل، وقيل في السنة الثانية زيد في صلاة الحضر ركعتان وتركت صلاة الفجر وصلاة المغرب لأنها وتر النهار، وأقرت صلاة السفر، وتركت على الفريضة الأولى كذا قيل . وفي هذه السنة مات من مشركي مكة الوليد بن المغيرة . ولما احتضر جزع، فقال أبو جهل لعنة الله: يا عم ما جزعك ؟ فقال: والله ما بي من جزع من الموت ولكن أخاف أن يظهر دين ابن أبي كبشة بمكة، فقال أبو سفيان رضي الله عنه: لا تخف، إني ضامن وفي السنة الخامسة عشرة من النبوة والثانية من الهجرة تزوج علي كرم الله وجهه بفاطمة رضي الله عنها وتكنيته بأبي تراب، وغزوة بواط وغزوة العشيرة، وسرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى بطن نخلة، وتحويل القبلة، وتجديد بناء مسجد قباء، وفرض رمضان وغزوة بدر الكبرى، ووفاة رقية بنت النبي ورضي عنها، وقتل عصماء وفرض زكاة الفطر، وشروع صلاة عيده . وفرض زكاة الأموال، وغزوة قرقرة الكدر . وسرية سالم بن عمير رضي الله عنه . وغزوة بني قينقاع . وغزوة السويق، وموت عثمان بن مظعون رضي الله عنه، والتضحية وصلاة عيدها . وفي السنة السادسة عشرة من النبوة والثالثة من الهجرة سرية محمد بن مسلمة رضي الله عنه لقتل كعب بن الأشرق لعنه الله . وتزوج عثمان رضي الله عنه أم كلثوم رضي الله عنها، وغزوة غطفان وغزوة بجران، وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى قردة . وتزوج حفصة رضي الله عنها، وتزوج زينب بنت خزيمة رضي الله عنها، وولادة الحسن، وغزوة أحد، وغزوة حمراء الأسد، وعلوق فاطمة بالحسين رضي الله عنهما . وفي السنة السابعة عشرة من النبوة والرابعة من الهجرة سرية أبي سلمة رضي الله عنه إلى قطن . ووفاته . وسرية عبد الله بن أنيس رضي الله عنه إلى عرنة لقتل سنان بن خالد . وسرية القراء رضي الله عنهم إلى بئر معونة . وقصة الرجيع . وسرية عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه إلى مكة لقتل أبي سفيان رضي الله عنه، وغزوة بني النضير، ووفاة زينب بنت خزيمة، وغزوة ذات الرقاع، وصلاة الخوف، وولادة الحسين رضي الله عنه، وغزوة بدر الصغرى، وتزوج أم سلمة رضي الله عنها، وتحريم الخمر

عند بعضهم . وفي السنة الثامنة عشرة من النبوة والخامسة من الهجرة غزوة دومة الجندل، وغزوة المريسيع، ونزول آية التيمم، وتزوج جويرية رضي الله عنها، وقصة الإفك، وغزوة الخندق، وغزوة وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى العيص، وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى الطرف، وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى وادي القري، وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى أم قرفة، وسرية عبد الله بن عتيك رضي الله عنه لقتل أبي رافع، وسرية عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى أسير ابن رزام اليهودي بخيبر، وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى حسمى، وغزوة الحديبية، ونزول حكم الظهار، وتخريم الخمر، وتوجه أم حبيبة رضي الله عنها . وفي السنة العشرين من النبوة والسابعة من الهجرة، كان اتخاذ الخاتم، وإرسال الرسل إلى الملوك، ووقوع السحر به وغزوة خيبر، وفتح وادي القري، والدخول بأم حبيبة رضي الله عنها، وسرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى طائفة من هوازن، وعمرة القضاء، وتزوج ميمونة رضي الله عنها، وسرية ابن أبي العوجاء رضي الله عنه إلى بني سليم . وفي السنة الحادية والعشرين من النبوة والثامنة من الهجرة، كان إسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه وعمرو بن العاص رضي الله عنه وعثمان بن طلحة رضي الله عنه، وسرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه إلى بني الملوخ وسريته إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد رضي الله عنه بفدك، واتخاذ المنبر الشريف، وسرية شجاع بن وهب رضي الله عنه إلى بني عامر، وسرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح، وسرية مؤتة، وسرية عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى ذات السلاسل؛ وسرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى سيف البحر، وسرية أبي قتادة رضي الله عنه إلى بطن أضم، وسرية عبد الله بن أبي حدرد رضي الله عنه إلى الغابة، وغزوة فتح مكة شرفها الله تعالى، وسرية خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى العزى بنخلة، وسرية عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى سواع صنم هذيل، وسرية سعد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه إلى وسرية علقمة بن محرز رضي الله عنه إلى أهل الحبشة، وبعث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى القلس، وبعث عكاشة بن محصن رضي الله عنه إلى الجباب، وإسلام كعب بن زهير، وهجره لنسائه، وغزوة تبوك، وسرية خالد بن الوليد رضي الله عنه من تبوك إلى أكيدر، وإرسال كتابه من تبوك إلى هرقل، وهدم مسجد الضرار، وقصة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم، وقصة اللعان، وإسلام ثقيف،

ورجم الغامدية، ووفاة النجاشي، ووفاة أم كلثوم رضي الله عنها، وموت عبد الله بن أبي بن سلول، وحج أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وفي السنة الثالثة والعشرين من النبوة وهي العاشرة من الهجرة قدوم عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه، وبعث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ومعاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن، وبعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وبعث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى اليمن، وبعث جرير بن عبد الله البجلي إلى تخريب ذي الخلصة، وبعث جرير بن عبد الله أيضا رضي الله عنه إلى ذي الكلاع، وبعث أبي عبيدة بن الجراح، رضي الله عنه إلى أهل نجران، وقصة بديل وتميم الداري، ووفاة ولده إبراهيم، وخروجه للحج. وفي السنة الرابعة والعشرين من النبوة وهي الحادية عشرة من الهجرة، قدوم وفد النخع، وسرية أسامة بن زيد رضي الله عنهما إلى أبي، وقصة الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب وسجاح وطليحة، وما وقع في ابتداء مرضه، ومدة مرضه، ووقت مرضه. وموته وغسله وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه وشرف وكرم، والله أعلم.

وفاة رسول الله عليه السلام

وفاة جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله لما لها من أثر كبير في وجدان الأمة الإسلامية ها هو ذا ملخصها كما ذكرها الدكتور محمد رأفت سعيد حيث قال: الوفاة: الموت، فإذا أضيف إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه قد جرى على النبي صلى الله عليه وسلم ما يجري على الناس في قوله تعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) وقد ذكر به أبو بكر رضي الله عنه المؤمنين الذين اشتد بهم الحزن بموت الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: أما بعد، من كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت. قال الله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن ماتا أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) ومع هذه الحقيقة فإن الحزن الشديد قد أخذ بالناس كل مأخذ لحبهم الشديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي عبر فيه أنس رضي الله عنه بقوله: "لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء فيها كل شيء، ولما مات أظلم منها كل شيء" ولذلك وجدنا عمر رضي الله عنه مع قوته وشدة يكلم الناس قبل أبي بكر رضي الله عنه منكر موت الرسول صلى الله عليه وسلم

وبعد أن سمع تذكير أبي بكر بالقرآن جلس على الأرض لاثمله قدماءه ، وكانهم لم يسمعوا الآية إلا تلك الساعة . والسيدة فاطمة رضي الله عنها قالت وهو في مرض الوفاة : وأكرب أباها ، فقال لها : ليس على أهلك كربا بعد اليوم فقالت بعد الوفاة : يا أباها . أجابا ربا دعاه ، يا أباها في جنة الفردوس ماواه يا أباها إلى جبريل نعاها .

وسبق موت النبي صلى الله عليه وسلم الاطمئنان على أمته بعد أن أكمل الله الدين ، وأتم النعمة حيث كشف في صلاة الفجر يوم وفاته ستر حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها ونظر إلى المسلمين وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم وضحك وكأنه يودعهم ، وهم المسلمون أن يعبروا عن فرحتهم بخروجه ، وتأخر أبو بكر رضي الله عنه حيث ظن أن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد الخروج للصلاة فأشار الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم بيده أن أتموا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخصي الستر . وكان عندما حضره الموت مستندا إلى صدر أم المؤمنين عائشة ، وكان يدخل يده في إناء الماء كي يمسح وجهه ويقول : لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات ، وأخذته حجة وهو يقول : (مع الذين أنعم الله عليهم) ويقول : "اللهم في الرفيق الأعلى" فعرفت السيدة عائشة أنه يخير ، وأنه يختار الرفيق الأعلى . ولحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى وترك للناس ما إن تمسكوا به لن يضلوا أبدا ، كتاب الله وسنة نبيه .

من صور حزن الصحابة على الرسول

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاها الكرب ، فقالت فاطمة : وأكرب أباها فقال لها : ليس على أهلك كرب بعد اليوم . فلما مات قالت : يا أباها ، أجاب ربا دعاه ، يا أباها جنة الفردوس ماواه ، يا أباها ، إلى جبريل نعاها . فلما دفن قالت : يا أنس ، كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب . وروى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال أبو بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ، فلما اتھينا إليها بكت ، فقالا لها : ما يبكيك ؟ ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أبكي أن الوحي انقطع من السماء ، فهيجتهما

على البكاء ، فجعل يبكيان معها . وعن ابن عباس ، قال : والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامد إلى حاجة له ، وفي يده الدرة وما معه غيري ، وهو يحدث نفسه ، ويضرب وحشي قدمه بدرته إذ التفت إلى فقال : يا ابن عباس ، هل تدري ما كان حملي على مقاتلي التي قلت حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : لا أدري يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم . قال : فإنه والله إن كان الذي حملي على ذلك إلا أنني كنت أقرأ هذه الآية : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " ، فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بأخر أعمالها ، فإنه للذي حملي على أن قلت ما قلت .

(قلت) ومن المراثيات التي رثاه بها الصحابة مرثية سيدنا حسان بن ثابت والتي يقول فيها :

رثاء حسان بن ثابت للرسول

بَطِيْبَةٌ رَسَمُ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ	مُنِيرٌ وَقَدْ تَغْفُو الرِّسْمُ وَنَهْمُ
وَلَا تَمْحِي الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ	بَهَا مُنْبِرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ صَعْدُ
وَوَاضِحُ أَثَارِ وَبَاقِي مَعَالِمِ	وَرُبَّعٍ لَهُ فِيهِ مُصَلًى وَمَسْجِدُ
بَهَا حُجَرَاتٍ كَأَن يَنْزِلُ وَسُطْحًا	مِنْ اللَّهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
مَعَارِفُ لَمْ تَطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ أَيُّهَا	أَتَاهَا الْبَلَى فَالْآيُ مِنْهَا تَجَدَّدُ
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرِّسُولِ وَعَهْدُهُ	وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مُلْحَدُ
ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكِي الرِّسُولَ فَاسْعَدْتُ	عُيُونٌ وَمِثْلَاهَا مِنْ الْجَفْنِ تَسْعَدُ
يُذَكِّرُنِ الْآءَ الرِّسُولِ وَمَا أَرَى	لَهَا مُحْصِيَا نَفْسِي فَنَفْسِي تَبْلُدُ
مُفْجَعَةٌ قَدْ شَفَهَا فَقَدْ أَحْمَدُ	فَظَلَّتْ لِآءِ الرِّسُولِ تَعْدُدُ
وَمَا بَلَغْتُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِيرَةً	وَلَكِنْ لِنَفْسِي بَعْدُ مَا قَدْ تَوَجَّدُ
أَطَالَتُ وَقُوفًا تَذْرِفُ الْعَيْنُ جَهْدَهَا	عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحْمَدُ
فَبُورِكَتِ يَا قَبْرَ الرِّسُولِ وَبُورِكَتُ	بِلَادُ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ
وَبُورِكَ لِحْدُ مِنْكَ ضُمْنٌ طَيِّبًا	عَلَيْهِ بَنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدُ
تَهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبُ أَيْدٍ وَأَعْيُنُ	عَلَيْهِ وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعَدُ

لَقَدْ غَيَّبُوا حِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً
 وَإِرْحَاوَا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيُّهُمْ
 يُبْكُونَ مَنْ تَبَكَى السَّمَوَاتُ يَوْمَهُ
 وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةً هَالِكًا
 تَقْطِيعَ فِيهِ مُنْزَلَ الْوَحْيِ عَنْهُمْ
 يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يُقْتَدَى بِهِ
 إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقَّ جَاهِدًا
 عَفْوًا عَنِ الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ
 وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمْلِهِ
 فَبَيْنَا هُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ
 عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُورُوا عَنْ الْهُدَى
 عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يَنْتِي جَنَاحَهُ
 فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ التَّيُّورِ إِذْ غَدَا
 فَأَصْبَحَ مُحَمَّدًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا
 وَأُمْسَتْ بِلَادُ الْحَرَمِ وَحِشًا بِقَاعُهَا
 قَفَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافِهَا
 وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لَفَقَدَهُ
 وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ ثُمَّ أَوْحِشَتْ
 فَأَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ يَا عَيْنُ عِبْرَةٍ
 وَمَالِكَ لَا تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي
 فَجُودِي عَلَيْهِ بِالْدُمُوعِ وَأَعْيُوبِي
 وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
 أَعَفَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ

عَشِيَّةَ عَلَوُهُ الشَّرَى لَا يُوسَدُ
 وَقَدْ وَهَنْتَ مِنْهُمْ ظُهُورُ وَأَعْضُدُ
 وَمَنْ قَدْ بَكَتْهُ الْأَرْضُ فَالْنَّاسُ أَكْمَدُ
 رَزِيَّةً يَوْمَ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ
 وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيُنْجَدُ
 وَيُنْقَذُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشَدُ
 مُعَلِّمُ صَدَقَ إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا
 وَإِنْ يُحْسِنُوا فَاللَّهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ
 فَمَنْ عِنْدَهُ تَيْسِيرٌ مَا يَتَشَدَّدُ
 دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ
 حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
 إِلَى كَيْفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَهْدُ
 إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصَدُ
 يُبْكِيهِ جَفْنُ الْمُرْسَلَاتِ وَيَحْمَدُ
 لَغِيْبَةٍ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعْهَدُ
 فَقِيدُ بَيْكِهِ بِلَاطٍ وَغُرْقَدُ
 خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
 دِيَارُ وَعَرَصَاتُ وَرَبْعٌ وَمَوْلَدُ
 وَلَا أَعْرِفُنَاكَ الدَّهْرَ دَمْعَكَ يَجْمَدُ
 عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَغْمَدُ
 لَفَقَدَ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوجَدُ
 وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ
 وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لَا يُنْكَدُ

وَأَبْذَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدَ
وَأَكْرَمَ صَيْتًا فِي الْبُيُوتِ إِذَا اتَّمَى
وَأَمْنَعَ ذُرُواتِ وَأَثْبَتَ فِي الْعُلَا
وَأَثْبَتَ فَرْعًا فِي الْفُرُوعِ وَمُنْبَتًا
رَبَاهُ وَلِيدًا فَاسْتَنْتَمَ تَمَامُهُ
تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ
أَقُولُ وَلَا يَلْقَى لِقَوْلِي عَائِبَ
وَلَيْسَ هَوَايَ نَازِعًا عَنْ ثَنَائِهِ
مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِذَلِكَ جَوَارَهُ

إِذَا ضَنَّ مَعْطَاءُ بِمَا كَانَ يُتْلَدُ
وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا بِسَوْدُ
دَعَائِمَ عَزْ شَاهِقَاتٍ تَشِيدُ
وَعُودًا غَذَاهُ الْمَزْنُ فَالْعُودُ أُغِيدُ
عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبِّ مُمَجِّدُ
فَلَا الْعِلْمُ مُحْيُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يُفْنَدُ
مِنَ النَّاسِ إِلَّا عَازِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ
لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلَدُ
وَفِي ثِيْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ

اخلاقه وشمائله الطاهرة

كان النبي صلى الله عليه وسلم يمتاز من جمال خلقه وكمال خلقه بما لا يحيط بوصفه البيان، وكان من أثره أن القلوب فاضت بإجلاله، والرجال تفتانوا في حياطته وإكباره، بما لا تعرف الدنيا لرجل غيره فالذين عاشروه أحبه إلى حد الهيام، ولم يبالوا أن تندق أعناقهم ولا يخذش له ظفر. وصدق فيه قول البوصيري:

خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتدل الطول، فلم يكن قصيرا، ولم يكن طويلا طولا مفرطا، وكانت بشرته بيضاء مشربة بحمرة، عيونه سوداء واسعة، جفونه طويلة الشعر. وكان مستدير الوجه، سواء البطن والصدر، عريض الصدر، عظيم رءوس العظام كالرفقين والكفين والركبتين، مع تناسب ذلك مع باقي أعضاء جسمه. قالت أم معبد الخزاعية ضمن ما قالت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهي تصفه لزوجها، حين مر بنخيمتها مهاجرا: ظاهر الوضاعة، أبلج (أي مضى) الوجه، حسن الخلق، إذا صمت علاه الوقار، وإن تكلم علاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنهم وأحلامهم من قريب، حلوا المنطق، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر

تبادروا إلى أمره. وقال علي بن أبي طالب. وهو ينعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: بين كفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين، أجود الناس كفاً، وأجراً الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة (أي سلس المعاملة) وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة (أي فجأة) هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته (يعني كل من يصفه): لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم. وقال البراء: كان أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً. وسئل: أكان وجه النبي صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر. وقالت الربيع بنت معوذ: لو رأيته رأيت الشمس طالعة. وقال أبو هريرة: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأنما الأرض تطوي له، وإنا لنجهد أنفسنا، وإنه لغير مكترث. وقال كعب بن مالك: كان إذا سرائر وجهه، حتى كأنه قطعة قمر. وعرق مرة وهو عند عائشة، فجعلت تبرق أسارير وجهه، فتمثلت له بقول أبي كبير الهذلي.

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل
وكان أبو بكر إذا رآه يقول:

أمين مصطفى بالخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام
وكان عمر ينشد قول زهير في هرم بن سنان:

لو كنت من شئ سوى البشر كنت المضى ليللة البدر
ثم يقول: كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان إذا غضب احمر وجهه، حتى كأنما فقيء في وجنتيه حب الرمان وقال جابر بن سمرة: كان لا يضحك إلا تبسماً، وكنت إذا نظرت قلت: أكحل العينين، وليس بأكحل. قال ابن العباس: كان إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه. وقال أنس: ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي صلى الله عليه وسلم، وما شمت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال أبو جحيفة: أخذت بيده، فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك. وقال أنس: كأن عرقه اللؤلؤ. وقالت أم سليم: هو من أطيب الطيب. وقال جابر: لم يسلك طريقاً فيتبعه أحد إلا عرف أنه قد سلكه من

طيب عرفه (قال) اما عن كماله فقد كان صلى الله عليه وسلم يمتاز بفصاحة اللسان، وبلاغة القول، وكان من ذلك بالحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع، ونصاعة لفظ، وجزالة (أي فصاحة) قول، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم السنة العرب، يخاطب كل قبيلة بلسانها، ويحاورها بلغتها، اجتمعت له قوة عارضة البادية وجزالتها، ونصاعة الفاظ الحاضرة ورواق كلامها، إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي. وكان الحلم والاحتمال والعفو عند المقدرة، والصبر على المكاره، صفات أدبه الله بها، وكل حلیم قد عرفت منه زلة، وحفظت عنه هفوة، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبرا، وعلى إسراف الجاهل إلا حلما. قالت عائشة: ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم بها، وكان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا. وكان من صفة الجود والكرم على ما لا يقادر قدره، كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، قال ابن عباس: كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة، وقال جابر: ما سئل شيئا قط فقال لا. وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يجهل، كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة، وفر عنه الكماة (أي الشجعان) والأبطال غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر، ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة (أي موقف جبن فيه) وحفظت عنه جولة سواء صلى الله عليه وسلم، قال علي: كما إذا حمي البأس واحمرت الحديق (الحدق: العيون، كناية عن شدة الخوف) اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه. قال أنس: فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عري، في عنقه السيف، وهو يقول: لم تراعوا، لم تراعوا. وكان أشد الناس حياء، قال أبو سعيد الخدري: كان أشد حياء من العذراء في خدرها (أي فراشها) وإذا كره شيئا عرف في وجهه، وكان لا يثبت نظره في وجه أحد، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل (أي أكثر) نظره الملاحظة، لا يشافه أحدا بما يكره حياء وكرم

نفس، وكان لا يسمى رجلا بلغ عنه شيء يكرهه، بل يقول: ما بال أقوام يصنعون كذا وكذا، وكان أحق الناس بقول الفرزدق:

يغضي حياء ويغضي من مهايته فلا يكلم إلا حين يتسم
وكان أعدل الناس، وأعفهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، اعترف له بذلك محاوروه وأعداؤه، وكان يسمى قبل نبوته الأمين، ويتحاكم إليه في الجاهلية قبل الإسلام، وروى الترمذي عن علي أن أبا جهل قال له: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله تعالى فيهم (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وسأل هرقل أبا سفيان: هل تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا. وكان أشد الناس تواضعا وأبعدهم عن الكبر، يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك، وكان يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويحيب دعوة العبد، ويجلس في أصحابه كأحدهم، قالت عائشة: كان يخصف نعله (أي يصلح) ويخيط ثوبه، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته، وكان بشرا من البشر يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه. وكان أوفى الناس بالعهد، وأوصلهم للرحم، وأعظم شفقة ورافة ورحمة بالناس، أحسن الناس عشرة وأدبا، وأبسط الناس خلقا، أبعد الناس من سوء الأخلاق، لم يكن فاحشا، ولا متفحشا ولا لعانا، ولا صخابا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، وكان لا يدع أحدا يمشي خلفه، وكان لا يترفع على عبيده وإمائه في مأكل ولا ملبس، ويخدم من خدمه، ولم يقل لخدمته أف قط، ولم يعاتبه على فعل شيء أو تركه، وكان يحب المساكين ويجالسهم، ويشهد جنازتهم، ولا يحقر فقيرا فقره. كان في بعض أسفاره فأمر بإصلاح شاة (يعني بتجهيزها للأكل) فقال رجل: علي ذبحها وقال آخر: علي سلقها، وقال آخر: علي طبخها، فقال صلى الله عليه وسلم: وعلي جمع الحطب، فقالوا: نحن نكفيك، فقال: قد علمت أنكم تكفوني، ولكني أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه، وقام وجمع الحطب. ولنترك هند بن أبي هالة يصف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال هند فيما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه. لا بأطراف فمه. ويتكلم بجوامع الكلم، فصلا (أي كلاما محمدا واضحا) لا فضول فيه (الفضول: ما يمكن الاستغناء عنه) ولا تقصير، دمثا ليس بالجافي ولا بالمهين،

يعظم النعمة وإن دقت (أي قلت) لا يذم شيئاً، ولم يكن يذم ذواقاً (أي طعاماً) ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشئ، حتى ينتصر له، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها. سماحة. وإذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غص طرفه، جل ضحكته التبس، ويفتر عن مثل حب الغمام (يصف أسنانه بأنها شديدة البياض كالسحاب) وكان يخزن لسانه (أي يكفه) إلا عما يعنيه، يؤلف أصحابه ولا يفرقهم، يكرم كريم كل قوم ويوليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره. يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويصوبه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر، غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حال عنده عتاد (يعني أنه حسن التصرف في كل المواقف) لا يقصر على الحق، ولا يجاوزه إلى غيره، الذين يلونه من الناس خيارهم، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة. كان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن (أي لا يميز لنفسه مكاناً) إذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه؛ حتى لا يحسب جلساه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو أقامه لحاجته صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سألته حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، وقد وسع الناس خلقه فصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحق متقاربين، يتفاضلون عنده بالتقوى، ويوقرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويرفدون (أي يعطون) ذا الحاجة، ويؤنسون الغريب. كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عتاب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يقنط منه (القنوط: اليأس) قد ترك نفسه من ثلاث: الرياء، والإكثار (يعني من عرض الدنيا) وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: لا يذم أحداً، ولا يعيره، ولا يطلب عورته (أي لا يسعى لفضحته) ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير (يعني شد انتباههم) وإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويعجب مما يعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق، ويقول: إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فاردوه (أي أعطوه) ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ. وقال خارجه بن زيد: كان النبي صلى الله عليه وسلم أوفر الناس في مجلسه، لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه، وكان كثير

السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يعرض عن تكلم من غير جميل، وكان ضحكه تبسما، وكلامه فصلا، لا فضول ولا تقصير، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم، توقيرا له واقتداء به. وعلى الجملة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم محلى بصفات الكمال المنقطعة النظير، أدبه ربه فأحسن تأديبه، حتى خاطبه مثنيا عليه فقال: (وإنك لعلى خلق عظيم) وكانت هذه الخلال مما قرب إليه النفوس، وحببه إلى القلوب، وصيره قائدا تهوى إليه الأفئدة، والآن من شكيمة قومه (أي الآن طباعهم) بعد الإباء حتى دخلوا في دين الله أفواجا. وهذه الخلال التي أتينا على ذكرها خطوط قصار من مظاهر كمال وعظيم صفاته، أما حقيقة ما كان عليه من الأجماد والشمالك فأمر لا تدرك حقيقته، ومن يستطيع معرفة كنه أعظم بشر في الوجود بلغ أعلى قمة من الكمال، استضاء بنور ربه، حتى صار خلقه القرآن؟ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

الوردة الجنية في خصائص الرسول الفقيه

بما أن جدنا وسيدنا محمدا رسول الله عليه الصلاة والسلام تتعلق به خصائص لا بد من معرفتها فإنني ولإفادة قارئ هذا الكتاب سأوردها هنا لينتفع بها قراؤه. وعليه فهذه هي مجموعة في أرجوزة (الفريدة الجنية) لسيدي محمد بن عبد الرحمن الديسي وقد وجدت عند الشيخ محمد بوخلخال بخط شيخنا عامر محفوظي ونصها كما يأتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحمدُه من خصَّ أحمدًا بما	شرف قدره به وعظما
مصليا مسلما على الدوام	عليه والآل وصحبه الكرام
وهذه الخصائص الكريمة	نظمتها أرجو بها الغنيمه
أجعلها ذخيرة للآخرة	لأنها من المساعي الفاخرة
سميتها: بـ (الوردة الجنية)	في النظم للخصائص الفقيهه

(الواجب) (المباح) (الحرام)
بقدره المعظم النبويه
فالعلم يجلو كل شبهة ترى
أجارنا منها اللطيف الباري

وهي على ثلاثة أقسام
قد ذكرت في الفقه للتنويه
ليأمن المكلف التحيرا
إذ جهلها من موجبات النار

الواجبات عليه صلى الله عليه وسلم

ضحى . تهجد . ووتر مجزر
ومثله التخيير للزوجات
في غير ما يرجع للأحكام
إن مات مع كفاية لأهله
يغير المنكر من غير مهل

فواجب عليه أكرم البشر
كذلك السواك للصلاة
وأن يشاور ذوي الأحلام
قضاء دين معسر من ماله
يصابر العدو . يثبت العمل

الواجب علينا له صلى الله عليه وسلم

للسيد المفضل الأجل
صلى عليه ربنا وما رغب
أعلمه تزويجه إياها
من فئة الضلال شر قوم

وواجب إجابة المصلي
وواجب طلاق من فيها رغب
وأما زينب فإن الله
فكتم الأمر حذرا للوم

المباح له صلى الله عليه وسلم

لنفسه أو نسله أو الرضى
مع الجنازة لخير سيد
وبإتدائه بها القتال
وبالتزوج بلفظ الهبة

وبإباحة الوصال . والقضا
وبالحما . وبدخول المسجد
وبدخول مكة حلالا
كذلك قد خص بترك القسمة

كذلك بالإحرام أو بلا ولي
أو من يشاء بما يشاء بلا رضا
وزائد عن أربع للأكرم
ولا شهود وبلا مهر يلي
صلى عليه الله ما بدر أضا
وخمسة الخمس ورأس المغنم

الحرام عليه صلى الله عليه وسلم

قد حرم الله عليه الصدقة
وأكله كالثوم أو يورى
ونزع لأمته حتى يحكما
أو يمسه التي تختار عنه
ودفع ما قل لأخذ ما كثر
نكاحه الأمة والكنايه
والله بينه وبين المؤمنين
متاع دنيا بل تبين منه
كذلك إبطان خلاف ما ظهر
محرم عليه هبها جارية

الحرام علينا له صلى الله عليه وسلم

ويحرم اللاتي بهن قد دخل
وأن يكون أحد بحكمه
وأن ينادى باسمه أو من ورا
ورفع صوت أحد على الكريم
على سواه فهو ذوقدر أجل
يحكم بينه وبين خصمه
بيوته قد ذم من منه جرى
كذا على حديثه السامي الفخيم

خاتمة المقصود

لا يورث النبي بل ما تركه
إذ نظمت في مسجد الأستاذ
قطب الوجود رحمة الأنعام
(محمد بن قاسم) الأواه
ثم صلاة الله قدر حبه
صدقة (تمت) وفيها بركه
شيخى وأنسى عمدتي ملاذي
غوث البرايا حجة الإسلام
لا زال محروسا بعين الله
على النبي وآله وصحبه

مدح رسول الله

بما ان ما قيل في مدح سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم لا يفي بالغاية وكيف يمدح من مدحه القرآن ولذلك فاني أتبرك هنا فقط برائدة الامام البوصيري المسماة بالبردة او البراة كما يحلو لبعضهم أن يسميها وذلك لما لها من خصوصيات ومواظ وحكم وتوجيه وقيم وتعبير بليغ . الأمر الذي بسببه أحببت ان لا يحلوا كتابي هذا منها وقد اذن لنا في انشادها واستماعها شيخنا سيدي محمد بلقائد قدس الله سره وقد كنت في الصغر أسمعها من مشايخي رحمهم الله تعالى ورضي عنهم وكم سمعت انشادها من سيدي قويدر الود الابلوي رحمه الله وهي بتمامها كما يأتي :

البردة

أَمِنْ تَذَكُّرٍ جِرَانٍ بِذِي سَلَمٍ
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تُلُقَاءٍ كَاطَمَةٍ
فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ أَكْهَفَا هَمًّا
أَيُّ حَسَبِ الصَّبِّ إِنْ الْحُبِّ مُنْكَمُ
لَوْلَا الْهُوَى لَمْ تَرَقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ
فَكَيْفَ تَنْكَرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ
وَأَثَبْتَ الْوَجْدَ خَطِيئَةً وَضَنَى
نَعَمْ سَرَى طَيْفٌ مِنْ أَهْوَى فَارَقَنِي
يَا لَأَتَمِّي فِي الْهُوَى الْعُذْرِيَّ مُعْذَرَةً
عَدْتُكَ حَالِي لَا سَرِيَّ بِمُسْتَرٍ
مَحْضَتْنِي النَّصِيحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
إِنِّي أَتَهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلٍ
فَإِنْ أَمَارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتْعَظْتُ

مَزَجْتُ دَمْعًا جَرِيَّ مِنْ مُقَلَّةٍ بِدَمٍ
وَأَوْمَضُ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَقَى يَهُمٍ
مَا بَيْنَ مَنْسَجَمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرَمٍ
وَلَا أَرَقْتُ لَذِكْرِ الْبَانَ وَالْعَلَمِ
بِهِ عَلَيْكَ عَدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ
مِثْلُ الْبَهَارِ عَلَى خَدَيْكَ وَالْعَنَمِ
وَالْحُبِّ يُعْرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ
مَنْبِي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتُ لَمْ تَلَمْ
عَنْ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْحَسِمِ
إِنَّ الْمَحَبَّ عَنْ الْعُذَالِ فِي صَمِّمِ
وَالشَّيْبِ أَبْعَدُ فِي نَصِيحٍ عَنْ التَّهَمِ
مَنْ جَهَلَهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفَعْلِ الْجَمِيلِ قَرَى
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أَوْقَرُهُ
مَنْ لِي بِرَدِّ جَمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا
فَلَا تَرْمِ بِالْمِعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا
وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تَهْمَلُهُ شَبَّ عَلَى
فَاصْرَفْ هَوَاهَا وَحَازِرْ أَنْ تَوَكِّيهُ
وَرَاعِهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ
كَمْ حَسَنَتْ لَذَّةَ لِلْمَرْءِ قَاتِلَةٌ
وَإِخْشَاءَ الدَّسَائِسِ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ
وَاسْتَفْرِغِ الدِّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ أُمْتَلَأَتْ
وَخَالَفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِمَا
وَلَا تُطْعِمُ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ بِإِلَاعَمَلٍ
أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا أَتَمَرْتُ بِهِ
وَلَا تَزَوِّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً
ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى
وَشَدَّ مِنْ سَغَبِ أَحْشَاءِهِ وَطَوَى
وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ
وَأَكْدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتَهُ
وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةٌ مِنْ
مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْنِ
نَبِيِّنَا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ
هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ

ضَيْفُ الْمِرْأَسِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ
كُنْتُ سَرًّا بَدَأَ لِي مِنْهُ بِالِكْتِمِ
كَمَا يُرَدُّ جَمَاحُ الْخَيْلِ بِاللَّجْمِ
إِنَّ الطَّعَامَ يُقْوِي شَهْوَةَ النَّهْمِ
حُبُّ الرِّضَاعِ وَإِنْ نَفَطْمُهُ يَنْفَطِمُ
إِنَّ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يُصْمُ أَوْ يَضْمُ
وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتِ الْمَرْعَى فَلَا تَسْمُ
مَنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرَ أَنَّ السُّمَّ فِي الدِّسَمِ
فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التَّخَمِ
مِنْ الْمَحَارِمِ وَالزِّمِّ حَمِيَّةَ النَّدَمِ
وَإِنْ هُمَا مُحَضَّاكُ النَّصْحِ فَاتَهُمَا
فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ
لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لَذِي عَقَمِ
وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ
وَلَمْ أَصِلْ سِوَى فَرَضٍ وَلَمْ أَصِمِ
أَنْ أَشْتَكْتَ قَدَمَاهُ الضَّرْمَ مِنْ وَرَمِ
تَحْتَ الْحَجَارَةِ كَشْحًا مُتَرَفِّ الْأَدَمِ
عَنْ نَفْسِهِ فَارَاهَا أَيْمًا شَمَمِ
إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعَصَمِ
لَوْلَاهُ لَمْ تَخْرُجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ
مَنْ وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
أَبْرَ فِي قَوْلٍ «لَا» مِنْهُ وَلَا «نَعَمْ»
لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحَمِ

دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَسْكُونَ بِهِ
فِإِقَ التَّبَيِّنِ فِي خُلُقٍ وَفِي خُلُقٍ
وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ
وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ
فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ
مُنَزَّهٌ عَنِ شَرِيكَ فِي مَحَاسِنِهِ
دَعَا مَا أَدْعَاهُ التَّصَارُّي فِي بَنِيهِمْ
وَأَنسَبُ إِلَى ذَاتِهِ مَا شَتَّ مِنْ شَرَفٍ
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ
لَوْ نَاسَبَتْ قُدْرُهُ آيَاتُهُ عَظُمًا
لَمْ يَمْتَحِنَا بِمَا نَغِيَا الْعُقُولُ بِهِ
أَعْيَا الْوَرَى فِهِمْ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى
كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بَعْدِ
وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ
فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ
وَكُلُّ أَيْ اتَى الرَّسُولُ الْكَرَامُ بِهِ
فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا
أَكْرَمُ بِخُلُقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقٍ
كَالزَّهْرِ فِي تَرْفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرَفٍ
كَأَنَّهُ هُوَ فَرْدٌ مِنْ جَلَالَتِهِ
كَأَنَّمَا اللُّوْلُؤُ الْمَكُونُ فِي صَدَفٍ
لَا طِيبَ يَعْدِلُ تَرْبَا ضَمَّ أَعْظَمَهُ
أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ

مُسْتَسْكُونَ بِجَبَلٍ غَيْرِ مُنْقَصٍ
وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ
غَرَفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيَمِ
مِنْ نَقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحَكَمِ
ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئًا النَّسَمِ
فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسَمٍ
وَإِحْكَمُ بِمَا شَتَّ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكَمِ
وَأَنسَبُ إِلَى قَدْرِهِ مَا شَتَّ مِنْ عَظَمِ
حَدٍّ فَيُعْرَبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ
أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ
حَرَصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَكَمْ نِهِمِ
فِي الْقُرْبِ وَالبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ
صَغِيرَةٍ وَتَكُلُّ الطَّرْفُ مِنْ أَمَمِ
قَوْمٍ نِيَامٌ تَسْلَوُا عَنْهُ بِالْحِلْمِ
وَأَنَّهُ خَيْرُ خُلُقٍ لِقَائِهِ كُلِّهِمْ
فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ
يُظْهِرُنْ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ
بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٌ بِالبَشَرِ مُتَسِمِ
وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هَمَمِ
فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمِ
مِنْ مَعْدِنِي مُنْطَقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسِمِ
طُوبَى لِمَنْ تَشَقَّ مِنْهُ وَمُتَمِّمِ
يَا طِيبَ مُبْتَدَأٍ مِنْهُ وَمُخْتَمِ

يَوْمَ تَقْرَسَ فِيهِ الْفُرسُ أَنَّهُمْ
وَبَاتَ إِيوان كَسْرَى وَهُوَ مُنْصَدَعٌ
وَالنَّارُ خَامِدَةٌ الْأَنْفاسُ مِنْ أَسْفٍ
وَسَاءَ سَاوَةٌ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا
كَأَنَّ النَّارَ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ
وَالْحِنْ تُهْتَفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ
عَمُوا وَصَمُوا فَأَعْلَانِ الْبَشَائِرُ لَمْ
مِنْ بَعْدَ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ
وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا فِي الْأَفْقِ مِنْ شُهَبٍ
حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُنْهَزِمٌ
كَأَنَّهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ أَبْرَهَةَ
نَبَذَا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحِ بَيْطَنَهُمَا
جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الْأَشْجَارُ سَاجِدَةٌ
كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرًا لَمَّا كَتَبَتْ
مِثْلَ الْغَمَامَةِ أَنِّي سَارَ سَائِرَةٌ
أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ
وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمَنْ كَرَمٍ
فَالصَّدِّقُ فِي الْغَارِ وَالصَّدِّيقُ لَمْ يَرِ مَا
ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى
وَقَايَةِ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةِ
مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْمًا وَاسْتَجَرْتُ بِهِ
وَلَا التَّمَسْتُ غَنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ
لَا تُنْكَرِ الْوَحْيِ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ

قَدْ أَنْذَرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنِّقَمِ
كَشَمَلُ أَصْحَابِ كَسْرَى غَيْرَ مُلْتَمِ
عَلَيْهِ وَالتَّهَرُّ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمٍ
وَرَدَّ وَارْدُهَا بِالْغَيْظِ حِينَ ظَمِي
حُزْنًا وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمٍ
وَالْحَقُّ يُظْهِرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمٍ
تَسْمَعُ وَبَارِقَةُ الْإِنْذَارِ لَمْ تَشْمِ
بِأَنَّ دِينَهُمُ الْمُعْجُجَ لَمْ يَقِمِ
مُنْقَضَةٌ وَفَقَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَنْمٍ
مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُوا ثَرَمُ مُنْهَزِمٍ
أَوْ عَسْكَرُ الْحَصَى مِنْ رَاحَتِيهِ رُمِي
نَبَذَ الْمَسِيحُ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْكِهِ
تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِالْإِقْدَامِ
فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ فِي اللَّقَمِ
تَقِيهِ حَرَّ وَطَيْسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي
مِنْ قَلْبِهِ نَسْبَةٌ مِيرُورَةِ الْقَسَمِ
وَكُلَّ طَرَفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي
وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرَمٍ
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ لَمْ تُسْجِجْ وَلَمْ تُحْمِ
مِنْ الدَّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأَطِمِ
إِلَّا وَنَلْتُ جَوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضْمِ
إِلَّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ
قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنْمِ

وذاك حين بلوغ من نبوته
تبارك الله ما وحي بكتسب
كم أبرأت وصبا باللمس راحته
وأحييت السنة الشهباء دعوته
بعارض جاد أو خلت البطاح بها
دعني ووصفي آيات له ظهرت
فالدري زاد حسنا وهو منتظم
فما تطاول أمال المديح إلى
آيات حق من الرحمن محدقة
لم تقترن بزمان وهي تخبرنا
دامت لدينا ففاقت كل معجزة
محكمات فما تبقي من شبه
ما حوربت قط إلا عاد من حرب
ردت بلاغتها دغوى معارضها
لها معان كموج البحر في مدد
فما تعد ولا تخصي عجائبها
قرت بها عين قاريها فقلت له
إن تتلها خيفة من حر نار لظى
كانها الحوض تبيض الوجه به
وكالصراط وكالميزان معدلة
لا تعجبن لحسود راح ينكرها
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
يا خير من يمم العافون ساحة

فليس ينكر فيه حال محتلم
ولا نبى علي غيب بميتهم
وأطلقت أربا من رقة اللمم
حتى حك غرة في الأعصر الدهم
سب من اليم أو سيل من العرم
ظهور نار القرى ليلا على علم
وليس ينقص قدرا غير منتظم
ما فيه من كرم الأخلاق والشيم
قدية صفة الموصوف بالقدم
عن المعاد وعن عاد وعن إرم
من النبيين إذ جاءت ولم تدم
لذي شقاق وما تبغين من حكم
أعدى الأعادي إليها ملقي السلم
رد الغيور يد الجاني عن الحرم
وفوق جوهره في الحسن والقيم
ولا تسام على الإكثار بالسام
لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم
أطفأت نار لظى من وردها الشجم
من العصاة وقد جاءوه كالحمم
فالقسط من غيرها في الناس لم يقم
تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم
وينكر الفم طعم الماء من سقم
سعا وفوق متون الأينق الرسم

وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ
سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ
وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نَلْتَ مَنْزِلَةً
وَقَدَّمْتُكَ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا
وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ
حَتَّى إِذَا لَمْ تَدْعُ شَأْوًا مُسْتَبَقٍ
خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ
كَيْمَا تَفُوزُ بِوَصْلِ أَيْ مُسْتَرٍ
فَحَزَنْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرِ مُشْتَرَكٍ
وَجَلَّ مَقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ
بُشْرَى لَنَا مَعَشَرَ الْإِسْلَامِ إِنْ لَنَا
لَمَّا دَعَا اللَّهُ دَاعِينَا لَطَاعَتَهُ
رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاءُ بَعْثِهِ
مَا زَالِ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ
وَدُّوا الْفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ
تَمْضِي اللَّيَالِي وَلَا يَذَرُونَ عِدَّتَهَا
كَأَنَّمَا الدِّينَ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ
يَجْرُ بِحَرِّ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ
مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلَّهِ مُحْتَسِبٍ
حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ
مَكْفُولَةٌ أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ آبٍ
هُمْ الْجِبَالُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مُصَادِمُهُمْ
وَسَلَّ حُنَيْنًا وَسَلَّ بَدْرًا وَسَلَّ أَحَدًا

وَمَنْ هُوَ التَّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُعْتَبِرٍ
كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دِاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
مَنْ قَابَ قَوْسَيْنِ لَمْ تَدْرِكْ وَلَمْ تَرَمْ
وَالرُّسُلَ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمٍ
فِي مَوْكَبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعِلْمِ
مَنْ الدُّنُوُّ وَلَا مَرْقَبِي لِمُسْتَنَمٍ
نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمَفْرَدِ الْعِلْمِ
عَنِ الْعِيُونِ وَسَرَّايَ مُكْتَمٍ
وَجُرْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرِ مُزْدَحَمٍ
وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيتَ مِنْ نَعَمٍ
مِنْ الْعِنَاةِ رَكْنًا غَيْرَ مُنْهَدَمٍ
بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ
كَبَاءُ أَجْفَلَتْ غَفْلًا مِنَ الْغَنَمِ
حَتَّى حَكَّوْا بِالْقَنَا لِحِمَا عَلَى وَضَمٍ
أَشْلَاشًا لَمَعَ الْعَقْبَانِ وَالرَّخَمِ
مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ
كُلَّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِدَا قَرَمٍ
يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْإِبْطَالِ مُلْتَطَمٍ
يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكَفْرِ مُصْطَلَمٍ
مَنْ بَعْدَ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةُ الرَّحَمِ
وَخَيْرُ بَعْلٍ فَلَمْ يُتِمَّ وَلَمْ تَمَّ
مَاذَا رَأَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَلَمٍ
فُصُولٌ حَتَّى لَمْ أَذْهَبْ مِنَ الْوَحْمِ

المصدري البيض حُمرًا بعدما وردت
 والكاتين بسُمر الخط ما تركت
 شاكي السلاح لهم سيمى تميزهم
 تهدي إليك رياح النَّصر نشرهم
 كأنهم في ظهور الخيل بُت ربا
 طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا
 ومن تكن برسول الله نصرته
 ولن تری من ولي غير منتصر
 حل أمته في حرز ملته
 كم جدلت كلمات الله من جدل
 كفالك بالعلم في الأمي معجزة
 خدُمته بمدح أسَّتَقِيل به
 إذ قلداني ما تخشى عواقبه
 أطعت غي الصبا في الحالتين وما
 فيا خسارة نفس في تجارتهما
 ومن بيع آجاله بعاجله
 إن آت ذنبا فما عهدي بمنقُص
 فإن لي ذمة منه بسُميتي
 إن لم يكن في معادي أخذا بيدي
 حاشاه أن يحرم الرأجي مكارمه
 ومنذ الرُمت أفكاري مدائحهُ
 ولن يفوت الغنى منه يدا تربت
 ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت

من العدا كل مُسود من اللَم
 أقلامهم حرف جسم غير مُنعجم
 والورد يمتاز بالسيمي عن السلم
 فتحسب الزهر في الأكمام كل كمي
 من شدة الحزم لا من شدة الحزم
 فما تفرق بين البهم والبهم
 إن تلقه الأسد في آجامها تجم
 به ولا من عدو غير مُنعجم
 كاللث حل مع الأشبال في أجم
 فيه وكم خصم البرهان من خصم
 في الجاهلية والتأديب في اليتيم
 ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم
 كأنني بهما هدي من النعم
 حصلت إلا على الآثام والتدم
 لم تشتري الدين بالدنيا ولم تسم
 يبن له الغبن في بيع وفي سلم
 من النبي ولا حبلي بمنصرم
 محمدا وهو الخليل بالذمم
 فضلا ولا فقل يا زلة القدم
 أويرجع الجار منه غير مُحترم
 وجدته لخلاصي خير ملتزم
 إن الحيا يُبت الأزهار في الأكَم
 يدا زهير بما أنشأ على هرم

سَوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ
إِذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى بِاسْمِ مَنْتَقِمِ
وَمَنْ عُلُومِكَ عَلِمَ اللُّوحَ وَالْقَلَمِ
إِنَّ الْكِبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ
تَأْتِي عَلَى حَسْبِ الْعَصِيَّانِ فِي الْقِسَمِ
لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حَسَابِي غَيْرَ مُنْخَرَمِ
صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَتَهَزَمِ
عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍ وَمُنْسَجَمِ
وَأُطْرِبَ الْعَيْسَ حَادِي الْعَيْسِ بِالنَّغَمِ

يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ مَا لِي مَنِ الْوَذْبِ
وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي
فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا
يَا نَفْسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ
لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا
يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكَسِ
وَالْطُّفُفُ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ
وَأَذِنَ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ
مَا رَنَحَتْ عَذَابَاتِ الْبَآنِ رِيحُ صَبَاً

أقول وهنا أضيفت آيات أخر كثيرة متنوعة من طرف بعض العلماء يمكن مراجعتها في كتابات القصيدة وبعض المنشدين فليأمل هذا . ومنها قولهم :

وعن علي وعن عثمان ذي الكرم
أهل التقى والنقا والحلم والكرم
واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم
يتلوه في المسجد الأقصى وفي الحرم
واسمه قسم من أعظم القسم
والحمد لله في بدء وفي ختم
فرج بها كربنا يا واسع الكرم

ثم الرضى عن أبي بكر وعن عمر
والآل والصحب ثم التابعين فهم
يارب بالمصطفى بلغ مقاصدنا
واغفر إلهي لكل المسلمين بما
بجاه من بيته في طيبة حرم
وهذه بردة المختار قد ختمت
آياتها قد أتت ستين مع مائة

قلت وكان سي قويدر الود رحمه الله يبدأ البردة بقوله :
أعوذ بالله من الشيطان

بسم الله الرحيم الرحمن

تخميس البردة

(قلت) وخمس البردة هذه أحد المشايخ وقد سمعت ذلك التخميس من منشدین مصريين كما أنه موجود عندي في مخطوطة قديمة أفادني بها البركة الحاج علي بن سالم المعيلي المايدي ومن بينه قوله :

ما بال قلبك لا ينـفك ذا ألم مذ بان أهل الحمى والماء والعلم

وانهل منذ معك القاني بمنسجم

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

أم زاد معك فيضا لوم لائمة ونوح ورق عن الاغصان قائمة

ام شوق نفس إلى الأحباب هائمة

أم هبت الريح من تلقاء كاضمة وأومض البرق في الظلماء من إضم

نهج البردة

في شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم انشأ أمير الشعراء احمد شوقي بك المصري هذه القصيدة الرائعة المسماة بـ (نهج البردة) يقول فيها :

أحلّ سفك دمي في الأشهر الحرم
يا ساكن القاع، أدرك ساكن الأجم
يا ويح جنبك، بالسهم المصيب رمي
جرح الأوبة عندي غير ذي ألم
إذا رزقت التماس العذر في الشيم
لوشفك الوجد لم تعذل ولم تلم
وربّ منتصت والقلب في صمم
أسهرت مضناك في حفظ الهوى، فتم
أغراك بالبخل من أغراه بالكرم
وربّ فضل على العشاق للحلم

ريم على القاع بين البان والعلم
رمى القضاء بعيني جؤذرا أسدا
لما رنا حدثني النفس قائلة
جحدتها، وكمت السهم في كبدي
رزقت أسمح ما في الناس من خلق
يا لائم في هواه والهوى قدر
لقد أنلك أذنا غير واعية
يا ناعس الطرف، لا ذقت الهوى أبدا
أفديك إلفا، ولا آلو الخيال فدي
سرى، فصادف جرحا داميا، فأسا

مِنَ الْمَوَاسِّ بَانَا بِالرُّبَى وَقَنَا
 السَّافِرَاتُ كَأَمْثَالِ الْبُذُورِ ضَحَى
 الْقَاتِلَاتُ بِأَجْفَانٍ بِهَا سَقَمُ
 الْعَاقِرَاتُ بِالْبَابِ الرَّجَالِ، وَمَا
 الْمَضْرَمَاتُ خُدُودًا، أَسْفَرَتْ، وَجَلَتْ
 الْحَامِلَاتُ لَوَاءَ الْحَسَنِ مُخْتَلِفًا
 مِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ أَوْ سَمَرَاءٍ زَيْنًا
 يُرَعْنَ لِلْبَصْرِ السَّامِي، وَمَنْ عَجَبَ
 وَضَعْتَ خُدَيَّ، وَقَسَمْتَ الْفُؤَادَ رَبِّ
 يَا بِنْتَ ذِي اللَّبَدِ الْحَمِيِّ جَانِبُهُ
 مَا كُنْتُ أَعْلَمُ حَتَّى عَنْ مَسْكَنِهِ
 مَنْ أَنْبَتَ الْغَصْنَ مِنْ صَمَامَةٍ ذَكَرَ
 بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ سُمْرِ الْقَنَا حُجْبٌ
 لَمْ أَغْشِ مَغْنَاكَ إِلَّا فِي غَضُونِ كَرِيٍّ
 يَا نَفْسُ، دُنْيَاكَ تَخْفِي كُلَّ مُبْكِيَةٍ
 فَضِي بِتَقْوَاكِ فَاهَا كَلِمَا ضَحَكَتُ
 مَخْطُوبَةٌ - مَنْذُ كَانَ النَّاسُ - خَاطِبَةٌ
 يَفْنَى الزَّمَانُ، وَيَبْقَى مِنْ إِسَاءَتِهَا
 لَا تَحْفَلِي بِجَنَائِهَا، أَوْ جَنَائِهَا
 كَمْ نَائِمٌ لَا يَرَاهَا، وَهِيَ سَاهِرَةٌ
 طَوْرًا تَمِدُّكَ فِي نَعْمَى وَعَافِيَةٍ كَمْ
 كَمْ ضَلَلْتَكِ، وَمَنْ تَحْجَبُ بِصِيرَتِهِ
 يَا وَيْلَتَاهُ لِنَفْسِي! رَاعَهَا وَدَهْ

اللَّاعِبَاتُ بِرُوحِي، السَّافِحَاتُ دَمِي
 يُغْرَنُ شَمْسُ الضُّحَى بِالْحَلِيِّ وَالْعَصَمِ
 وَلِلْمَنِينِ أَسْبَابُ مِنَ السَّقَمِ
 أَقْلَنَ مِنْ عَثَرَاتِ الدَّلِّ فِي الرَّسَمِ
 عَنْ قَنَةٍ، تَسْلُمُ الْأَكْبَادَ لِلضَّرَمِ
 أَشْكَالُهُ، وَهُوَ فَرْدٌ غَيْرُ مُنْقَسَمِ
 لِلْعَيْنِ، وَالْحُسْنُ فِي الْآرَامِ كَالْعَصَمِ
 إِذَا أَشْرَنَ أَسْرَنَ اللَّيْثُ بِالْعَنَمِ
 يَرْتَعَنُ فِي كُنُسٍ مِنْهُ وَفِي أَكْمِ
 الْقَاكِ فِي الْغَابِ، أَمْ الْقَاكِ فِي الْأَطَمِ
 أَنْ الْمُنَى وَالْمَنَايَا مُضْرَبُ الْخَيْمِ
 وَأَخْرِجِ الرِّيمَ مِنْ ضَرْغَامَةِ قَرَمِ
 وَمِثْلَهَا عَفَّةٌ عُذْرِيَّةُ الْعَصَمِ
 مَغْنَاكَ أَبْعَدُ لِلْمَشْتَاكِ مَنْ إِرَمِ
 وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا حُسْنٌ مُبْتَسِمِ
 كَمَا يُفِضُ أَذَى الرِّقْشَاءِ بِالْثَرَمِ
 مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ لَمْ تَرْمَلِ، وَلَمْ تَمِ
 جَرَحُ بِأَدَمٍ يَبْكِي مِنْهُ فِي الْأَدَمِ
 الْمَوْتُ بِالزَّهْرِ مِثْلُ الْمَوْتِ بِالْفَحَمِ
 لَوْلَا الْأَمَانِيُّ وَالْأَحْلَامُ لَمْ يَنْمِ
 وَتَارَةً فِي قَرَارِ الْبُؤْسِ وَالْوَصَمِ
 إِنْ يَلْقَ صَابًا يَرُدُّ، أَوْ عُلْقَمًا يَسُمِ
 مُسَوَّدَةُ الصُّحُفِ فِي مُيِضَةِ اللَّمَمِ

رَكَضَتْهَا فِي مَرِيحِ الْمَعِصِيَّاتِ، وَمَا
هَامَتْ عَلَى أَثَرِ اللَّذَاتِ تَطْلُبُهَا
صَلَاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ
وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَافِيَةٍ
تَطْفِئُ إِذَا مُكِّنَتْ مِنْ لَذَّةٍ وَهْوَى
إِنْ جَلَّ ذَنْبِي عَنِ الْغَفْرَانِ لِي أَمَلُ
الْقِي رَجَائِي إِذَا عَزَّ الْمَجِيرُ عَلَيَّ
إِذَا خَفَضَتْ جَنَاحَ الذَّلِّ أَسْأَلُهُ
وَإِنْ تَقَدَّمَ ذُو تَقْوَى بِصَالِحَةٍ
لَزِمْتُ بَابَ أَمِيرِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمَنْ
كُلَّ فَضْلٍ، وَاحْسَنَ، وَعَارَفَةَ
عَلَقْتُ مِنْ مَدْحِهِ حَبْلًا أَعَزُّ بِهِ
يُزْرِي قَرِيضِي زُهَيْرًا حِينَ أَمْدَحُهُ
مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَارِي، وَرَحْمَتُهُ
وَصَاحِبُ الْحَوْضِ يَوْمَ الرُّسُلِ سَائِلَةٌ
سَنَاؤُهُ وَسَنَاؤُ الشَّمْسِ طَالِعَةٌ
قَدْ أَخْطَأَ النِّجْمَ مَا نَالَتْ أَبْوْثُهُ
نُمُوًا إِلَيْهِ، فَزَادُوا فِي الْيُورَى شَرْفًا
حَوَاهِ فِي سُبُحاتِ الطَّهْرِ قَبْلَهُمْ
لَمَّا رَأَاهُ بِحَيْرٍ قَالَ: نَعْرِفُهُ
سَائِلُ حَرَاءٍ، وَرُوحُ الْقُدُسِ: هَلْ عَلِمَا
كَمْ جَيَّةٌ وَذَهَابٌ شُرِّفَتْ بِهِمَا
وَوَحْشَةٌ لِابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بَيْنَهُمَا

أَخَذْتُ مِنْ حُمِيَةِ الطَّاعَاتِ لِلتَّخَمِ
وَالنَّفْسِ إِنْ يَدْعُهَا دَاعِي الصَّبَا تَهْمُ
فَقَوْمِ النَّفْسِ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِمُ
وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعٍ وَخِمِ
طَغْيِ الْجِيَادِ إِذَا عَصَتْ عَلَى الشُّكْمِ
فِي اللَّهِ يَجْعَلُنِي فِي خَيْرٍ مُعْتَصِمِ
مُفَرِّجِ الْكَرْبِ فِي الدَّارَيْنِ وَالْغَمِّ
عَزَّ الشِّفَاعَةُ؛ لَمْ أَسْأَلْ سِوَى أُمِّ
قَدَمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَبْرَةَ النَّدَمِ
يُمَسِّكُ بِمِفْتَاحِ بَابِ اللَّهِ يَغْنَمُ
فَمَا بَيْنَ مُسْتَلَمٍ مِنْهُ وَمُتْلَزِمِ
فِي يَوْمٍ لَا عَزَّ بِالْأَنْسَابِ وَاللَّحْمِ
وَلَا يَقَاسُ إِلَى جُودِي لَدَى هَرَمِ
وَبَغِيَّةِ اللَّهِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْ نِسَمِ
مَتَى الْوُرُودُ؟ وَجَبْرِيلُ الْأَمِينِ ظَمِي
فَالْجَرْمُ فِي فَلَكَ، وَالضُّوْءُ فِي عِلْمِ
مَنْ سَوَّدَ بِأَذْخٍ فِي مَظْهَرِ سَنَمِ
وَرُبَّ أَصْلٍ لَفَرَعَ فِي الْفَخَارِ نَمِي
نُورَانٍ قَامَا مَقَامَ الصُّلْبِ وَالرَّحِمِ
مَا حَفَظْنَا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالسَّيَمِ
مَصُونٍ سَرَّ عَنْ الْإِدْرَاكِ مُنْكَتَمِ
بَطْحَاءُ مَكَّةَ فِي الْإِصْبَاحِ وَالْغَسَمِ
أَشْهَى مِنَ الْأَنْسِ بِالْأَحْسَابِ وَالْحَشَمِ

يُسامِر الوحيَ فيها قبل مهبطه
لما دَعَا الصَّحْبُ يَسْتَسْقُونَ مِنْ ظَمِإٍ
ووظلته، فصارت تستظل به
إنَّ الشَّمالَ إن رَقَّتْ يَكَادِ بِهَا
وَنُودِي: اقْرَأْ تَعَالَى اللَّهُ قَائِلُهَا
هَذَا أَذْنٌ لِلرَّحْمَنِ، فامتلأت
فلاتسل عن قریش كيف حيرتها
تساءلوا عن عظيم قد ألم بهم
يا جاهلين على الهادي ودعوته
لقبتموه أَمِينَ الْقَوْمِ فِي صَغَرٍ
فاق البدور، وفاق الأنبياء، فكم
جاء النبيون بالآيات، فانصرفت
آياته كلما طال المدى جُدُدُ
يكاد في لفظة منه مشرفة
يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة
حكيت من عطل جيد البيان به
بكل قول كريم أنت قائله
سَرتُ بِشَائِرُ الْهَادِي وَمَوْلده
تخطف مُهَجَ الطاغين من عرب
ريعت لها شرفُ الإيوان، فانصدعت
أتيت والناس فوضي لا تمر بهم
والأرض مملوءة جوراً، مُسَخَّرَةٌ
مُسَيَّطَرُ الْفَرَسِ يَغِي فِي رَعِيَّتِهِ

وَمَنْ يَبْشُرُ بِسَيِّمِ الْخَيْرِ يَتَسَمَّ
فاضت يده من التسنيم بالسَّئم
غمامة جذبتها خيرة الدِّيمِ
يُغْرَى الْجَمَادُ، وَيُغْرَى كُلُّ ذِي نَسَمٍ
لم تصل قبل من قبلت له بضم
أَسْمَاعُ مَكَّةَ مِنْ قَدْسِيَّةِ النَّعْمِ
وكيف فترتها في السهل والعلم
رمى المشايخ والولدان باللم
هل تجهلون مكان الصادق العلم
وما الأمين على قول بتم
بالخلق والخلق من حسن ومن عظم
وجئنا بحكيم غير منصرم
يزينهن جلال العتق والقدم
يوصيك بالحق، والتقوى، وبالرحم
حديثك الشَّهْدُ عند الذائق الفهم
في كل مُنتَشِرٍ فِي حَسَنِ مُنْتَظَمٍ
تحيي القلوب، وتحيي مَيِّتَ الْهَمَمِ
في الشرق والغرب مسرى النور في الظلم
وطيرت أنفس الباغين من عجم
من صدمة الحق، لا من صدمة القدم
إلا على صنم، قد هام في صنم
لكل طاغية في الخلق مُحْتَكَمِ
وقيصر الروم من كبر أصم عم

يُغْذِبَانِ عِبَادَ اللَّهِ فِي شُبْهِ
وَالْخَلْقَ يَفْتِكُ أَقْوَاهُمْ بِأَضْعَفِهِمْ
أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لِيَلَا، إِذْ مَلَأَتْكَ
لَمَّا خَطَرْتَ بِهِ التَّقْوَى بِسَيِّدِهِمْ
صَلَى وَرَاءَكَ مِنْهُمْ كُلِّ ذِي خَطَرٍ
جُبَّتِ السَّمَاوَاتُ أَوْ مَا فَوْقَهُنَّ بِهِمْ
رَكُوبَةٌ لَكَ مِنْ عَزٍّ وَمِنْ شَرَفٍ
مَشِيئَةُ الْخَالِقِ الْبَارِي، وَصَنَعَتْ
حَتَّى بَلَغَتْ سَمَاءً لَا يُطَارُ لَهَا
وَقِيلَ: كُلُّ نَبِيٍّ عِنْدَ رَتْبَتِهِ
خَطَطَتْ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا عُلُومَهُمَا
أَحْطَتْ بَيْنَهُمَا بِالسِّرِّ، وَانْكَشَفَتْ
وَضَاعَفَ الْقَرَبَ مَا قَلَدَتْ مِنْ مَنَنْ
سَلَّ عَصْبَةُ الشَّرْكَ حَوْلَ الْغَارِ سَائِمَةً
هَلْ أَبْصَرُوا الْأَثَرَ الْوَضَاءَ، أَمْ سَمِعُوا
وَهَلْ تَمَثَّلَ نَسِيجُ الْعَنْكَبُوتِ لَهُمْ
فَادْبَرُوا، وَوَجَّهُوا الْأَرْضَ تَلْعَنُهُمْ
لَوْلَا يَدُ اللَّهِ بِالْجَارِئِينَ مَا سَلِمَا
تَوَارَى بِجَنَاحِ اللَّهِ، وَاسْتَتَرَا
يَا أَحْمَدَ الْخَيْرِ، لِي جَاءَ بِتَسْمِيَّتِي
الْمَادِحُونَ وَأَرْبَابُ الْهَوَى تَبَعَ
مِدْيَحُهُ فَيْكَ حُبٌّ خَالِصٌ وَهَوًى
اللَّهُ يَشْهَدُ أَنِّي لَا أُعَارِضُهُ

وَيُذَبِّحَانِ كَمَا ضَحَّيْتَ بِالْغَنَمِ
كَالْلَيْثِ بِالْبَهْمِ، أَوْ كَالْحَوْتِ بِالْبَلَمِ
وَالرُّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ
كَالشُّهْبِ بِالْبَدْرِ، أَوْ كَالْجُنْدِ بِالْعِلْمِ
وَمَنْ يَفْزِ بِجَبِيبِ اللَّهِ يَأْتِمُ
عَلَى مَنْوَرَةٍ دَرَبَةً لِلْجَمِ
لَا فِي الْجِيَادِ، وَلَا فِي الْأَيْتُنِ الرَّسِيمِ
وَقُدْرَةُ اللَّهِ فَوْقَ الشَّكِّ وَالْتِهَمِ
عَلَى جَنَاحٍ، وَلَا يُسَعَى عَلَى قَدَمِ
وَيَا مُحَمَّدٌ، هَذَا الْعَرْشُ فَاسْتَلِمِ
يَا قَارِئَ الْوَحْيِ، بَلِّ يَا لَامِسَ الْقَلَمِ
لَكَ الْخَزَائِنُ مِنْ عِلْمٍ، وَمِنْ حَكَمِ
بِلَا عِدَادٍ، وَمَا طَوَّقَتْ مِنْ نِعَمِ
لَوْلَا مَطَارِدَةُ الْمُخْتَارِ لَمْ تَسْمِ
هَمْسَ التَّسَابِيحِ وَالْقُرْآنِ مِنْ أُمِّ
كَالْغَابِ، وَالْحَائِمَاتُ الزُّغْبُ كَالرَّخَمِ
كَبَاطِلٍ مِنْ جَلَالِ الْحَقِّ مِنْهَزِمِ
وَعَيْنُهُ حَوْلَ رُكْنِ الدِّينِ؛ لَمْ يَقِمِ
وَمَنْ يَضُمُّ جَنَاحَ اللَّهِ لَا يَضُمُّ
وَكَيْفَ لَا يَتَسَامَى بِالرُّسُولِ سَمِي
لِصَاحِبِ الْبُرْدَةِ الْفِيحَاءِ ذِي الْقَدَمِ
وَصَادِقِ الْحُبِّ يَمْلِي صَادِقَ الْكَلَمِ
مَنْ يِعَارِضُ صَوْبَ الْعَارِضِ الْعَرَمِ

وَإِنَّمَا أَنَا بَعْضُ الْغَابِطِينَ، وَمَنْ
هَذَا مَقَامُ مِنَ الرَّحْمَنِ مُقْتَبَسٌ
الْبَدْرُ دُونَكَ فِي حَسَنِ وَفِي شَرَفِ
شَمِّ الْجِبَالِ إِذَا طَاوَلَتْهَا انْخَفَضَتْ
وَاللِّثْ دُونَكَ بِأَسَا عِنْدَ وَثْبَتِهِ
تَهْفُو إِلَيْكَ وَإِنْ أَدْمَيْتَ حَبَّتَهَا
مَحَبَّةُ اللَّهِ الْقَاهِيَا، وَهَيْبَتِهِ
كَأَنَّ وَجْهَكَ تَحْتَ النَّقْعِ بَدْرٌ دُجِي
بَدْرٌ تَطْلُعُ فِي بَدْرِ فَعَرَّتْهُ
ذُكُرْتُ بِالْيَتَمِّ فِي الْقُرْآنِ تَكْرِمَةً
اللَّهُ قَسَمَ بَيْنَ النَّاسِ رِزْقَهُمْ
إِنْ قُلْتُ فِي الْأَمْرِ «لَا»، أَوْ قُلْتُ فِيهِ:
«نَعَمْ» أَخَوَكَ عَيْسَى دَعَا مَيْتًا، فَقَامَ لَهُ
قَالُوا غَزَوْتَ وَرَسَلَ اللَّهُ مَا بَعَثُوا
جَهْلًا، وَتَضَلَّلَ أَحْلَامُ، وَسَفْسُطَةُ
لَمَّا أَتَى لَكَ عَفْوًا كُلَّ ذِي حَسَبٍ
وَالشَّرُّ إِنْ تَلَقَّه بِالْخَيْرِ ضَقَّتْ بِهِ
سَلَّ الْمَسِيحِيَّةَ الْغُرَاءَ: كَمْ شَرِبْتَ
طَرِيدَةَ الشَّرْكِ، يُؤْذِيهَا، وَيُوسَعُهَا
وَلَا حُمَاةً لَهَا هَبُّوا لِنَصْرَتِهَا
لَوْلَا مَكَانُ لَعِيسَى عِنْدَ مُرْسَلِهِ
لَسُمِّرَ الْبَدَنُ الطَّهْرُ الشَّرِيفُ عَلَى
جِلِّ الْمَسِيحِ، وَذَاقَ الصَّلْبَ شَانَهُ

يَغْبِطُ وَلِيكَ لَا يَذْمُ وَلَا يَلِمْ
تَرْمِي مَهَابَتَهُ سَحْبَانُ بِالْبَكْمِ
وَالْبَحْرُ دُونَكَ فِي خَيْرٍ وَفِي كَرَمِ
وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ مَا وَاسَمَتْهَا تَسْمِ
إِذَا مَشَيْتَ إِلَى شَاكِي السِّلَاحِ كَمِي
فِي الْحَرْبِ أَفْدَةُ الْأَبْطَالِ وَالْبِهِمِ
عَلَى ابْنِ أَمْنَةٍ فِي كُلِّ مُصْطَلَمِ
يَضِيءُ مُلْتَمَسًا، أَوْ غَيْرَ مُلْتَمَسِ
كَغَرَّةِ النَّصْرِ، تَجْلُو دَاغِي الظُّلَمِ
وَقِيمَةُ الْوُلُوِّ الْمَكُونِ فِي الْيَتَمِ
وَأَنْتَ خَيْرْتُ فِي الْأَرْزَاقِ وَالْقَسَمِ
فَخَيْرَةُ اللَّهِ فِي «لَا» مِنْكَ أَوْ «نَعَمْ»
وَأَنْتَ أَحْيَيْتَ أَجْيَالًا مِنَ الزَّمَنِ
لَقَتْلِ نَفْسٍ وَلَا جَاؤُوا لَسَفْكَ دَمِ
فَتَحَّتْ بِالسَّيْفِ بَعْدَ الْفَتْحِ بِالْقَلَمِ
تَكْفَلُ السَّيْفُ بِالْجَهَالِ وَالْعَمَمِ
ذُرْعَا، وَإِنْ تَلَقَّه بِالشَّرِّ يَنْحَسِمِ
بِالصَّيَابِ مِنْ شَهَوَاتِ الظَّالِمِ الْغَلَمِ
فِي كُلِّ حِينٍ، قَتَالًا سَاطِعَ الْحَدَمِ
بِالسَّيْفِ مَا أَنْتَفَعْتَ بِالرَّفَقِ وَالرُّحَمِ
وَحُرْمَةٍ وَجَبَتْ لِلرُّوحِ فِي الْقَدَمِ
لَوْحَيْنِ، لَمْ يَخْشَ مُؤْذِيَهُ، وَلَمْ يَجْمِ
إِنْ الْعِقَابُ بِقَدْرِ الذَّنْبِ وَالْجَرَمِ

أَخُو النَّبِيِّ، وَرُوحُ اللَّهِ فِي نُزُلٍ
عَلَّمَتْهُمْ كُلَّ شَيْءٍ يَجْهَلُونَ بِهِ
دَعْوَتَهُمْ لَجَهَادٍ فِيهِ سَوَّدَ دُهُمُ
لَوْلَاهُ لَمْ نَرِ لِلدُّوَلَاتِ فِي زَمَنِ
تِلْكَ الشُّوَاهِدُ تَرَى كُلَّ أَوْنَةٍ
بِالْأَمْسِ مَالَتْ عَرُوشُ، وَاعْتَلَتْ سُرُرُ
أَشْيَاعِ عَيْسَى أَعْدُوا كُلَّ قَاصِمَةٍ
مَهْمَا دُعِيتَ إِلَى الْهِجَاءِ قُتِلَ لَهَا
عَلَى لَوَائِكَ مِنْهُمْ كُلُّ مُنْتَقِمٍ
مُسَبِّحٍ لِلْقَاءِ اللَّهِ، مُضْطَرِمٍ
لَوْ صَادَفَ الدَّهْرَ يَبْغِي نَقْلَةً، فَرَمَى
بِيضُ، مَقَالِيلٍ مِنْ فِعْلِ الْحُرُوبِ بِهِمْ
كَمْ فِي التَّرَابِ إِذَا فَتَشْتَ عَنْ رَجُلٍ
لَوْلَا مَوَاهِبُ فِي بَعْضِ الْأَنَامِ لَمَّا
يَلُوحُ حَوْلَ سَنَا التَّوْحِيدِ جَوْهَرُهَا
غَرَاءُ حَامَتْ عَلَيْهَا أَنْفُسُ، وَنَهَى
نُورُ السَّبِيلِ يَسَاسَ الْعَالَمُونَ بِهَا
يَجْرِي الزَّمَانُ وَأَحْكَامُ الزَّمَانِ عَلَى
لَمَّا اعْتَلَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ وَاتَسَّعَتْ
وَعَلِمَتْ أُمَّةٌ بِالْقَفْرِ نَازِلَةٌ
كَمْ شَيْدَ الْمُصْلِحُونَ الْعَامِلُونَ بِهَا
لِلْعِلْمِ وَالْعَدْلِ، وَالتَّمْدِينِ مَا عَزَمُوا
سَرَّعَانَ مَا فَتَحُوا الدُّنْيَا لِمَلَّتْهُمْ

فَوْقَ السَّمَاءِ وَدُونَ الْعَرْشِ مُحِيطٌ
حَتَّى الْقِتَالِ وَمَا فِيهِ مِنَ الذِّمِّ
وَالْحَرْبِ أَسْ نِظَامِ الْكُونِ وَالْأُمِّ
مَا طَالَ مِنْ عَمْدٍ، أَوْ قَرَمِنْ دُعْمٍ
فِي الْأَعْصَرِ الْغَرِّ، لَا فِي الْأَعْصَرِ الدُّهْمِ
لَوْلَا الْقَذَائِفُ لَمْ تَثْلُمُ، وَلَمْ تَصْمِ
وَلَمْ نَعْدْ سِوَى حَالَاتٍ مُنْقَصِمِ
تَرْمِي بِأَسَدٍ، وَيَرْمِي اللَّهَ بِالرُّجْمِ
لِلَّهِ، مُسْتَقْتَلٌ فِي اللَّهِ، مُعْتَزِمٌ
شَوْقًا، عَلَى سَابِجٍ كَالْبَرْقِ مُضْطَرِمٍ
بِعِزْمِهِ فِي رِحَالِ الدَّهْرِ لَمْ يَرِمِ
مِنْ أَسَيْفِ اللَّهِ، لَا الْهِنْدِيَّةَ الْخِذْمِ
مِنْ مَاتَ بِالْعَهْدِ، أَوْ مِنْ مَاتَ بِالْقِسَمِ
تَفَاوَتْ النَّاسُ فِي الْأَقْدَارِ وَالْقِيَمِ
كَالْحَلِيِّ لِلسَّيْفِ أَوْ كَالْوَشْيِ لِلْعِلْمِ
وَمِنْ يَجِدُ سَلَسَلًا مِنْ حِكْمَةٍ يَحْمِ
تَكْفَلَتْ بِشَبَابِ الدَّهْرِ وَالْهَرَمِ
حُكْمَ لَهَا، نَافِذٌ فِي الْخَلْقِ، مُرْتَسِمِ
مَشَتْ مَمَالِكُهُ فِي نُورِهَا التَّمِ
رَغْبَى الْقِيَا ضَرَبَ بَعْدَ الشَّاءِ وَالنَّعَمِ
فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مُلْكًا بِأَذْخِ الْعِظَمِ
مِنْ الْأُمُورِ، وَمَا شَدُّوا مِنَ الْحَزْمِ
وَأَنْهَلُوا النَّاسَ مِنْ سَلَسَلِهَا الشَّبِمِ

ساروا عليها هُداة الناس، فُهي بهم
لا يهدم الدهر رُكناً شاد عدلهم
نالوا السعادة في الدارين، واجتمعوا
دع عنك روما، وأثينا، وما حوتها
وخيل كسرى، وإوانا يدل به
واترك رعمسيس، إن الملك مظهره
دار الشرائع روما كلما ذكرت
ما صار عتها بيانا عند ملتم
ولا احتوت في طراز من قياصرها
من الذين إذا سارت كاثبهم
ويجلسون إلى علم ومعرفة
يطأ طيء العلماء الهام إن نبسوا
ويمطرون، فما بال أرض من محل
خلائف الله جلوا عن موازنة
من في البرية كالفاروق معدلة
وكالإمام إذا مافض مزدحم
الزاهر العذب في علم وفي أدب
أو كابن عفان والقرآن في يده
ويجمع الآي ترتيباً وينظمها
جرحان في كبد الإسلام ما التأم
وما بلاء أبي بكر بمتهم
بالحزم والعزم حاط الدين في محن
وحدن بالراشد الفاروق عن رشد

إلى الفلاح طريق واضح العظم
وحائط البغي إن تلمسه ينهدم
علي عميم من الرضوان مقتسم
كل اليواقيت في بغداد والتوم
هوى على أثر النيران والأيم
في نهضة العدل، لا في نهضة الهرم
دار السلام لها ألفت يد السلم
ولا حكها قضاء عند مختصم
على رشيد، ومأمون، ومعتصم
صرقوا بحدود الأرض والتخم
فلا يدانن في عقل ولا فهم
من هبة العلم، لا من هبة الحكم
ولا بمن بات فوق الأرض من عدم
فلا تقيسن أملاك الورى بهم
وكان عبد العزيز الخاشع الحشم
بدمع في مآقي القوم مزدحم
والناصر التذب في حرب وفي سلم
يحنو عليه كما تحنو على الفطم
عقدًا بجيد الليالي غير منفصم
جرح الشهيد، وجرح الكتاب دمي
بعد الجلائل في الأفعال والخدم
أضلت الحلم من كهل ومحتم
في الموت، وهو يقين غير منهم

يُجَادِلُ الْقَوْمَ مُسْتَلًا مَهْتَدَةً
لَا تَعْذُلُوهُ إِذَا طَافَ الذَّهُولُ بِهِ
يَا رَبِّ صَلِّ وَسَلِّمْ مَا أَرَدْتَ عَلَى
مُحْيِي اللَّيَالِي صَلَاةً، لَا يَقْطَعُهَا
مُسَبِّحًا لَكَ جُنْحَ اللَّيْلِ، مُحْتَمِلٍ
رُضِيَّةَ نَفْسِهِ، لَا تَشْتَكِي سَاءَ مَا
وَصَلَ رَبِّي عَلَى آلٍ لَهُ نَخَبٌ
بِضُّ الْوَجْهِ، وَوَجْهُ الدَّهْرِ ذُو حَلَكٍ
وَأَهْدَ خَيْرَ صَلَاةٍ مِنْكَ أَرْبَعَةً
الرَّاكِبِينَ إِذَا نَادَى النَّبِيُّ بِهِمْ
الصَّابِرِينَ وَنَفْسُ الْأَرْضِ وَاجِفَةٌ
يَا رَبِّ هَبْتَ شُعُوبٌ مِنْ مَنِيَّتِهَا
سَعْدٌ، وَنَحْسٌ، وَمُلْكٌ أَنْتَ مَا لَكَ
رَأْيٌ قِضَاؤُكَ فِينَا رَأْيَ حَكَمَتِهِ
فَالطُّفُ لَأَجَلَ رَسُولِ الْعَالَمِينَ بِنَا
يَا رَبِّ أَحْسَنْتَ بَدَأَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ

فِي أَعْظَمِ الرُّسُلِ قِدْرًا، كَيْفَ لَمْ يَدِمِ
مَاتَ الْحَبِيبُ، فَضَّلَ الصَّبُّ عَنْ رَغَمِ
نَزِيلِ عَرْشِكَ خَيْرَ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ
إِلَّا بَدَعَ مَعَ مِنَ الْإِشْفَاقِ مُنْسَجِمِ
ضُرًّا مِنَ السَّهْدِ، أَوْ ضُرًّا مِنَ الْوَرَمِ
وَمَا مَعَ الْحَبِّ إِنْ أَخْلَصْتَ مِنْ سَاءِ مَا
جَعَلْتَ فِيهِمْ لَوَاءَ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ
شُمُّ الْأَنْوَفِ، وَأَنْفُ الْحَادِثَاتِ حَمِي
فِي الصَّحْبِ، صُحْبَتُهُمْ مَرْغِيَّةُ الْحَرَمِ
مَا هَالُ مِنْ جَلَلٍ، وَاشْتَدَّ مِنْ عَمَمِ
الضَّاحِكِينَ إِلَى الْأَخْطَارِ وَالْقَحَمِ
وَاسْتَيْقَظَتْ أُمٌّ مِنْ رَقْدَةِ الْعَدَمِ
تَدِيلٌ مِنْ نَعَمٍ فِيهِ، وَمِنْ نَقَمِ
كِرْمٍ بِوَجْهِكَ مِنْ قَاضٍ وَمِنْ قَتَمِ
وَلَا تَزِدْ قَوْمَهُ خَسْفًا، وَلَا تَبْسِمِ
فَتَمِّمِ الْفَضْلَ وَامْنَحْ حُسْنَ مُخْتَمِ

بانت سعاد

وهنا لا بد من ذكر قصيدة لكعب بن زهير بن أبي سلمى وهي:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت
شجت بذبي شبنم من ماء مَحْنِيَةٍ
متيم إثرها لم يجز مكبول
إلا أغن غضيض الطرف مكحول
كانه منهل بالراح معلول
صاف بأبطح أضحى وهو مشمول

تَجْلُو الرِّيحُ الْقَذَى عَنْهُ وَأَفْرَطُهُ
يَا وَيْحَهَا خُلَّةٌ لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ
لَكُنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سَيْطَمَنْ دَمَهَا
فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا
وَمَا تَمَسَّكَ بِالْوَصْلِ الَّذِي زَعَمْتَ
كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا
أَرْجُو وَأَمَلُ أَنْ تَعْجَلَنَّ فِي أَبَدٍ
فَلَا يَغْرُتُكَ مَا مَنَنْتُ وَمَا وَعَدْتُ
أَمَسْتُ سُبْعًا دُ بَارِضٍ لَا يَبْلُغُهَا
وَلَنْ يَبْلُغَهَا إِلَّا عَذَابُ فَرَةٍ
مِنْ كُلِّ نَضَاجَةِ الذَّفَرِيِّ إِذَا عَرَقَتْ
تَرْمِي الْغُيُوبَ بَعَيْنِي مُفْرَدٌ لَهَا قُ
ضُخْمٌ مُقْلَدُهَا فَعَمَّ مُقْتَدُهَا
حَرْفُ أَخْوَاهَا أَبْوَاهَا مِنْ مَهْجَنَةٍ
يَمْشِي الْقِرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزَلِّقُهَا
عَيْرَانَةٌ قَذَفَتْ فِي اللَّحْمِ عَنْ عُرْضٍ
كَأَنَّ مَا فَاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحَهَا
تَمَرٌ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ
قَنْبَوَاءُ فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا
تَخْذِي عَلَى يَسْرَاتٍ وَهِيَ لَاحِقَةٌ
سُمْرُ الْعُجَابَاتِ تَتَرَكَّنُ الْحَصَى زَيْمًا
يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْحَرْبَاءُ مُصْطَحِمًا
كَأَنَّ أَوْبَ ذَوَاعِيهَا وَقَدْ عَرَقَتْ

مِنْ صَوْبٍ سَارِيَةٍ بَيْضُ يَعَالِيلٍ
مَا وَعَدْتُ أَوْلَوَانَ النَّصْحِ مَقْبُولٍ
فَجَعُوعٌ وَوَلَعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلُ
كَمَا تَلَوْنُ فِي أَثَوَابِهَا الْغَوْلُ
إِلَّا كَمَا تَمَسَّكَ الْمَاءُ الْغَرَائِيلُ
وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْبَاطِلُ
وَمَا لَهْنُ طَوَالِ الدَّهْرِ تَعْجِيلُ
إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ
إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجِيَّاتِ الْمُرَاسِيلُ
فِيهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتُبْغِيلُ
عُرْضَتُهَا طَامَسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُولُ
إِذَا تَوَقَّعْتَ الْحُزْنَ وَالْمِيزْلُ
فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ
وَعَمُّهَا خَالُهَا قَوْدَاءُ شَمْلِيلُ
مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابُ زَهَالِيلُ
مَرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَقُولُ
مَنْ خَطَمَهَا وَمِنْ اللَّحْيَيْنِ بَرُّ طِيلُ
فِي عَارِزٍ لَمْ تَخُونَهُ الْأَحَالِيلُ
عَتَقُ مُبِينٌ فِي الْحَدِيدِ تَسْهِيلُ
ذَوَابِلُ وَقَعَهُنَّ الْأَرْضُ تَحْلِيلُ
لَمْ يَقْهَنَّ رُؤُوسَ الْأَكْمِ تَنْعِيلُ
كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالنَّارِ مَمْلُولُ
وَقَدْ تَلْفَعُ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ

وقال للقوم حاديههم وقد جعلت
 شدَّ النهار ذراعاً عيطل نصف
 نواحة رهوة الضبعين ليس لها
 تفري اللبان بكفيها ومدرعها
 يسعى الوشاة بجنيها وقولهم
 وقال كيل خليل كت أمله
 فقلت خلوا طريقي لا أبا لكم
 كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
 أنبت أن رسول الله أو غدي
 مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ
 لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
 لقد أقوم مقاماً لو يقوم به
 لظل يرعد إلا أن يكون له
 حتى وضعت يميني لا كزاز عه
 لذاك أهيب عني إذ أكلته
 من ضيغم من ضراء الأسد مخدره
 يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما
 إذا يساور قرننا لا يحل له
 منه تظل حمير الوحش ضامزة
 ولا يزال بوادييه أخو ثقة
 إن الرسول لسيف به
 في غصبة من قریش قال قائلهم
 زالوا فمزال انكاس ولا كشف

ورُق الجنادب يركضن الحصى قيلول
 قامت فجأوبها نكد مأكيل
 لما نعي بكرها الناعون معقول
 مشفق عن تراقبها رعائيل
 إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول
 لا الفينك إني عنك مشغول
 فكل ما قدر الرحمن مفعول
 يوماً على آله حدباء محمول
 والعفو عند رسول الله مأمول
 قرآن فيها مواعيط وتفصيل
 أذنب ولو كثرت عني الأقاويل
 أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
 من الرسول بإذن الله تنويل
 في كف ذي ثقات قيله القيل
 وقيل إنك مسبور ومسؤول
 ببطن عثر غيل دونه غيل
 لحم من القوم مغفور خراذيل
 أن يترك القرن إلا وهو مفلول
 ولا تمشي بوادييه الأراجيل
 مطرح البز والدُرسان مأكول
 مهنّد من سيوف الله مسلول
 ببطن مكة لما أسلموا زولوا
 عند اللقاء ولا ميل معازيل

شُمُ الْعَرَانِينَ أَبْطَالَ لُبُوسُهُمْ
بَيْضُ سَوَابِغٍ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقُ
يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزُّهْرِ يَعْصُمُهُمْ
لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالَتْ رِمَاحُهُمْ
لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ مَا

مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَائِيلُ
كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ
ضَرْبُ إِذَا عَرَدَ السُّودُ التَّنَائِيلُ
قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِعًا إِذَا نِيلُوا
إِنْ لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

قال سيدنا علي كرم الله وجهه

الْأَطْرَقَ النَّاعِي بَلِيلُ فِرَاعِنِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ الَّذِي أَتَى
فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ أَحْمَدُ مَا مَشَتْ
وَكُنْتُ مَتَى أَهْبَطُ مِنَ الْأَرْضِ تَلْعَةً
جَوَادُ تَشْطَى الْخَيْلُ عَنْهُ كَأَنَّمَا
مِنَ الْأَسَدِ قَدْ أَحْمَى الْعَرَيْنَ مَهَابَةً
شَدِيدُ جَرِيءِ النَّفْسِ نَهْدُ مُصَدَّرٍ
أَتَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ خَيْلَ مُغِيرَةٍ
إِلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ صَفٌّ مُقَدَّمٍ

وَأَرْقَنِي لَمَّا اسْتَهَلَّ مُنَادِيَا
أَغْيَرَ رَسُولُ اللَّهِ أَصْبَحْتَ نَاعِيَا
بِي الْعَيْشُ فِي أَرْضٍ وَجَاوَزْتُ وَادِيَا
أَجْدُ أَثَرًا مِنْهُ جَدِيدًا وَعَافِيَا
يَرِينُ بِهِ لَيْثًا عَلَيْنَهُ ضَارِيَا
تَفَادَى سَبَاعُ الْأَرْضِ مِنْهُ تَفَادِيَا
هُوَ الْمَوْتُ مَعْدُوٌّ عَلَيْهِ وَعَادِيَا
تُشْرِغُبَارَا كَالضَّبَابَةِ كَايَا
إِذَا كَانَ ضَرْبُ الْهَامِ نَفَقًا تَفَانِيَا

من أحاديث رسول الله

الأربعون النووية

نختم هذا الفصل بأحاديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وبما أن متن الأربعين النووية متن
عظيم في الأحاديث الجامعة وقد صنفه الإمام النووي رحمه الله تعالى ليكون للمبتدئين عوناً على
حفظ مجامع لسنة المطهرة ها هو ذا نصه بتمامه ومعه بعض الشروح :

الحديث الأول

عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" مفردات الحديث: "الحفص": الأسد، وأبو حفص: كنية لعمر بن الخطاب رضي الله عنه. "إلى الله": إلى محل رضاه نية وقصدا. "فهجرته إلى الله ورسوله": قبولاً وجزاءً. "لدنيا يصيبها": لغرض دنيوي يريد تحصيله.

الحديث 2

عن عمر رضي الله عنه أيضاً قال "بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال صدقت. فعجبنا له وسأله ويصدق، ثم قال فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال صدقت. ثم قال فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. ثم قال فأخبرني عن الساعة قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: أن تلد الأمة ربها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء تطاولون في البنيان، ثم انطلق، فلبث ملياً، ثم قال يا عمر، أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم". رواه مسلم مفردات الحديث: ووضع كفيه على فخذيه: أي فخذيه نفسه كهيئة المتأدب. وفي رواية النسائي: "فوضع يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم". والرواية الأولى أصح وأشهر. "فعجبنا له يسأله ويصدق": أي أصابنا العجب من حاله وهو يسأل سؤال العارف المحقق المصدق. أو عجبنا لأن سؤاله يدل على جهله بالمسؤول عنه، وتصديقه يدل على علمه به. "أن تؤمن بالله": الإيمان لغة

التصديق والجزم في القلب، وشرعاً: التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم. "أماراتها": بفتح الهمزة جمع أماره: وهي العلامة. والمراد علاماتها التي تسبق قيامها. "أن تلد الأمة ربتها": أي سيدتها. وفي رواية "ربها" أي سيدها. والمعنى أن من علامات الساعة كثرة اتخاذ الإماء ووطئهن بملك اليمين، فيأتين بأولادهم أحراراً كآبائهم، فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها، لأن ملك الوالد صائر إلى ولده فهو ربتها من هذه الجهة. وهناك معان أخرى غير هذا. "العالة": جمع عائل، وهو الفقير. "قلبتُ ملياً": انتظرتُ وقتاً طويلاً؛ أي: غبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث ليالٍ كما في رواية، ثم لقيته.

الحديث 3

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامَ لَصَلَاةٍ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. مفردات الحديث: "على خَمْسٍ": وفي رواية "على خمسة" أي خمس دعائم أو خمسة أركان، و"على" بمعنى: من "إِقَامِ الصَّلَاةِ": المداومة عليها، وفعلها كاملة الشروط والأركان، مستوفية السنن والآداب.

الحديث 4

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: إِنْ أَحَدُكُمْ يَجْمَعُ خَلْقَهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَظْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلِكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ. وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنْ أَحَدُكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا. وَإِنْ أَحَدُكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا " رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. مفردات الحديث: "المصدوق": فيما أوحى إليه، لأن الملك جبريل يأتيه بالصدق، والله سبحانه وتعالى يصدقه فيما وعده به. "يُجْمَعُ" يُضْمُ وَيُحْفَظُ، وقيل:

يُقَدَّرُ وَيُجْمَعُ. "في بطن أمه": في رحمها. "نظفة": أصل النظفة الماء الصافي، والمراد هنا: منياً. "علقة": قطعة دم لم تيبس، "فيسبق عليه الكتاب": الذي سبق في علم الله تعالى.

الحديث 5

عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". رواه البخاري ومسلم. وفي رواية لمسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد". مفردات الحديث: "من أحدث": أنشأ واخترع من قبل نفسه وهواه. "في أمرنا": في ديننا وشرعنا الذي ارتضاه الله لنا "فهو رد": مردود على فاعله لبطلانه وعدم الإعتداد به.

الحديث 6

عن أبي عبد الله التُّعْمَانُ بنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمن كثير من الناس، فمن انتفى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" رواه البخاري ومسلم. مفردات الحديث "بين": ظاهر "مشبهات": جمع مشبه، وهو المشكل لما فيه من عدم الوضوح في الحل والحرمة "لا يعلمن": لا يعلم حكمها. "انتفى الشبهات": ابتعد عنها، وجعل بينه وبين كل شبهة أو مشكلة وقاية "استبرأ لدينه وعرضه": طلب البراءة أو حصل عليها لعرضه من الطعن ولدينه من النقص، وأشار بذلك إلى ما يتعلق بالناس وما يتعلق بالله عز وجل "الحمى": الحمي، وهو المحذور على غير مالكة. "أن يرتع فيه": أن تأكل منه ماشيته وتقيم فيه. "مضغة": قطعة من اللحم قدر ما يُمضغ في الفم.

الحديث 7

عن أبي رُقَيْة تَمِيم بن أَوْس الدَّارِي رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الدين النصيحة". قلنا: لمن؟ قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، وللائمة المسلمين، وعامتهم" رواه مسلم.

مفردات الحديث: المراد بالدين هنا: الإسلام والإيمان والإحسان "النصيحة": كلمة يعبر بها عن إرادة الخير للمنصوح له. "أئمة المسلمين": حكامهم. "عامتهم": سائر المسلمين غير الحكام.

الحديث 8

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى". رواه البخاري ومسلم. مفردات الحديث: "أمرت": أمرني الله تعالى. "الناس": هم عبدة الأوثان والمشركون. "يقيموا الصلاة": يأتوا بها على الوجه المأمور به، أو يداوموا عليها. "يؤتوا الزكاة": يدفعوها إلى مستحقيها. "عصموا": حفظوا ومنعوا. "وحسابهم على الله": حساب بواطنهم وصدق قلوبهم على الله تعالى، لأنه سبحانه هو المطلع على ما فيها.

الحديث 9

عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم" رواه البخاري ومسلم. مفردات الحديث: "نهيتكم عنه": طلبت منكم الكف عن فعله، والنهي: المنع. "فاجتنبوه": أي اتركوه. "فأتوا" فافعلوا. "ما استطعتم": ما قدرتم عليه وتيسر لكم فعله دون كبير مشقة. "أهلك": صار سبب الهلاك. "كثرة مسائلهم": أسألهم الكثيرة، لا سيما فيما لا حاجة إليه ولا ضرورة.

الحديث 10

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً) وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذاه بالحرام، فأني يستجاب له". رواه مسلم. مفردات الحديث: "إن الله طيب": أي طاهر منزّه عن النقائص. "لا يقبل

إلا طيباً": لا يقبل من الأعمال والأموال إلا ما كان خالصاً من المفسدة، أو حلالاً. و"أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين": سَوَّى بينهم في الخطاب بوجوب أكل الحلال. "أشعث": جَعَدَ شعر الرأس لعدم تمشيطه. "أغبر": غَيَّرَ الغبار لون شعره لطول سفره في الطاعات كحج وجهاد. "يمد يديه إلى السماء" يرفع يديه إلى السماء داعياً وسائلاً الله تعالى. "فأني يُستجاب له": كيف ومن أين يُستجاب لمن كانت هذه صفته .

الحديث 11

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، سَبَّطَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرِيحَاتَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَفَظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "دَعُ مَا يَرْبِكَ إِلَى مَا لَا يَرْبِكَ" رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالتَّسَائِيُّ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. مفردات الحديث: "دع ما يربك": دع ما تشك فيه من الشبهات. "إلى ما لا يربك" إلى ما لا تشك فيه من الحلال البين .

الحديث 12

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ حَسَنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ تَرَكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ". حديث حسن، رواه الترمذي وغيره. مفردات الحديث: "من حسن إسلام المرء": من كمال إسلامه وتماحه، وعلامات صدق إيمانه، والمرء يُراد به الإنسان، ذكرًا كان أم أنثى. "ما لا يعنيه": ما لا يهمه من أمر الدين والدنيا .

الحديث 13

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَادِمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا يُؤْمَنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. مفردات الحديث: "لا يؤمن" الإيمان الكامل. "أحدكم": من يدعي الإيمان والإسلام منكم. "لأخيه": المسلم والمسلمة، وقيل: لأخيه الإنسان. "ما يحب لنفسه": مثل الذي يحبه لنفسه من الخير .

الحديث 14

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا يَأْخُذَ ثَلَاثٌ: الثِّبْتُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ

المُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. مفردات الحديث: "لا يحل دم": أي لا تحل إراقته، والمراد: القتل. "الثيب الزاني": الثيب: من ليس بيبكر، يطلق على الذكر والأنثى، يقال: رجل ثيب، وامرأة ثيب، وإطلاقه على المرأة أكثر، والزاني هو في اللغة الفاجر وشرعا: وطء الرجل المرأة الحية في قبلها من غير عقد شرعي. "التارك لدينه": هو الخارج من الدين بالارتداد، والمراد بالدين: الإسلام. "المفارق للجماعة": التارك للجماعة المسلمين بالردة.

الحديث 15

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ ضَيْفَهُ". رواه البخاري ومسلم. مفردات الحديث: "يؤمن": المقصود بالإيمان هنا: الإيمان الكامل، وأصل الإيمان التصديق والإذعان. "اليوم الآخر": يوم القيامة. "يصمت": يسكت. "فليكرم جاره": يُحَصِّلْ له الخير، ويكف عنه الأذى والشر. "فليكرم ضيفه": يقدم له الضيافة من طعام أو شراب ويحسن إليه.

الحديث 16

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبى صلى الله عليه وسلم أوصني، قال: "لا تغضب"، فردد مراراً، قال: "لا تغضب". رواه البخاري. مفردات الحديث: "رجلاً": قيل: هو أبو الدرداء رضي الله عنه. وقيل جارية بن قدامة رضي الله عنه "أوصني": دلي على عمل ينفعني. "لا تغضب": اجتنب أسباب الغضب ولا تعرض لمجلبه. "فردد مراراً": كرر طلبه للوصية أكثر من مرة.

الحديث 17

عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلِإِحْدَاكُمْ شَفْرَتُهُ وَلِإِخْرَاجِ ذَبِيحَتِهِ". رواه مسلم. مفردات الحديث: "كتب": طلب وأوجب. "الإحسان": مصدر أحسن إذا أتى بالحسن، ويكون بإتقان العمل. "القتلة": بكسر القاف، طريقة القتل "شفرته" السكين وما يذبح بها، وشفرتها: حدها.

الحديث 18

عن أبي ذرٍّ جُنْدُب بن جُنَادَةَ، وأبي عبد الرحمن مُعَاذ بن جَبَل رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بحلق حسن". رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وفي بعض النسخ: حسن صحيح. مفردات الحديث "اتق الله": التقوى في اللغة: اتخاذ وقاية وحاجز يمنعك ويحفظك مما تخاف منه وتحذره، وتقوى الله عز وجل: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخشاه من عقاب الله وقاية تقيه وتحفظه منه، ويكون ذلك بامثال أوامره واجتناب نواهيه. "حيثما كنت": أي في أي زمان ومكان كنت فيه، وحدك أو في جمع، رآك الناس أم لم يروك. "أتبع": ألحق، وافعل عقبها مباشرة. "السيئة": الذنب الذي يصدر منك "تمحها": تزيلها من صحائف الملائكة الكاتبين وترفع المؤاخذة عنها "خالق": جاهد نفسك وتكلف المجاملة "بخلق": الخلق الطبع والمزاج الذي ينتج عنه السلوك.

الحديث 19

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كُتِبَ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فقال: "يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف". رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وفي رواية الإمام أحمد: "احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا" مفردات الحديث: "احفظ الله": اعرف حدوده وقف عندها "يحفظك": يصونك ويحميك في نفسك وأهلك، ودينك ودنياك. "تجاهك": أمامك، أي تجده معك بالحفظ والتأييد، والنصرة والمعونة حيثما كنت. "رفعت الأقلام": تركت الكتابة بها، والمراد أنه قد قدر كل شيء في علم الله تعالى وانتهى. "جفت الصحف": المراد بالصحف ما كتب فيه مقادير المخلوقات كاللوح المحفوظ، وجفافها: انتهاء الأمر واستقراره، فلا تبدل فيها ولا تغيير.

الحديث 20

عن أبي مسعود عُقْبَةَ بْنِ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إِنَّ مَا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأَوَّلَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِيْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ". رواه البخاري مفردات الحديث: "من كلام النبوة": مما اتفق عليه الأنبياء، ومما ندب إليه الأنبياء. "فاصنع ما شئت": صيغة الأمر هنا: إما أن تكون على معنى التهديد والوعيد، والمعنى: إذا نزع منك الحياء فافعل ما شئت فإنك مجازي عليه. وإما أن تكون على معنى الإباحة، والمعنى: إذا أردت فعل شيء وكان مما لا تستحي من فعله أمام الله والناس فافعله.

الحديث 21

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوباتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلَائِلَ، وَحَرَمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَيَّ ذَلِكَ شَيْئًا، أَذْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: "نَعَمْ". رواه مسلم. ومعنى حرمت الحرام: اجنبته، ومعنى أحللت الحلال: فعلته معتقداً. مفردات الحديث: "رجلاً": هو النعمان بن قوطل الخزاعي "أرأيت" الهمزة للاستفهام، ورأى مأخوذة من الرأي، والمراد: أخبرني وأفيتني "المكوبات": لمفروضات، وهي الصلوات الخمس. "الحلال": هو المأذون في فعله شرعاً. "الحرام": كل ما منع الشرع من فعله على سبيل الحتم. "أدخل الجنة؟": مع السابقين، من غير سبق عذاب.

الحديث 22

عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها". رواه مسلم. مفردات الحديث: الطهور: فعل يترتب عليه رفع حدث - كالوضوء والغسل -، أو إزالة نجس، كتطهير الثوب والبدن والمكان، أو المراد الوضوء فقط. "شطر": نصف. "الحمد لله": الثناء الحسن على الله تعالى لما أعطى من نعم، والمراد هنا: ثواب لفظ الحمد لله. "الميزان": كفة الحسنات من الميزان الذي توزن به أعمال العباد يوم

القيامة. "سبحان الله": تعظيم الله تعالى وتنزيهه عن النقائص، والمراد هنا ثواب لفظ سبحان الله. "الصلاة نور": أي تهدي إلى فعل الخير كما يهدي النور إلى الطريق السليم. "برهان": دليل على صدق الإيمان. "الصبر": حبس النفس عما تتمنى، وتحملها ما يشق عليها، وثباتها على الحق رغم المصائب. "ضياء": هوشدة النور، أي بالصبر تكشف الكُربات. "حجة": برهان ودليل ومرشد ومدافع عنك. "يغدو": يذهب باكرا يسعى لنفسه. "بائع نفسه": لله تعالى بطاعته، أولشيطانه وهواه بمعصية الله تعالى وسخطه. "مُعتهها": مخلصها من الخزي في الدنيا، والعذاب في الآخرة "موقفها": مهلكها بارتكاب المعاصي وما يترتب عليها من الخزي والعذاب .

الحديث 23

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا. يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم. يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي كلكم غار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم. يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي إنكم لن تبخلوا ضري قيصروني، ولن تبخلوا نفعي فتتفعوني. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب واحد منكم ما نقص من ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل واحد مسأله ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه" رواه مسلم. مفردات الحديث "حرمت الظلم": الظلم لغة: وضع الشيء في غير محله. وهو مجاوزة الحد أو التصرف فيحق الناس بغير حق. وهو مستحيل على الله تعالى. ومعنى حرمت الظلم على نفسي: أي لا يقع مني، بل تعاليت عنه وتقدس "ضال": غافل عن الشرائع قبل إرسال الرسل. "إلا من هديته": أرشدته إلى ما جاء به الرسل ووقفه إليه. "فاستهدوني": اطلبوا مني الهداية. "صعيد واحد": أرض واحدة ومقام

واحد . "المخيط" بكسر الميم وسكون الحاء الإبرة . "أحصيها لكم" : أضبطها لكم بعلمي وملائكتي الحفظة . "أوفيكُم إياها" : أوفيكُم جزاءها في الآخرة .

الحديث 24

عن أبي ذر رضي الله عنه : "أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ ، نُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَنُصُومُونَ كَمَا نُصُومُ وَنَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ . قَالَ : "أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ ؟ إِنْ لَكُمْ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ ، وَفِي بُضْعٍ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ أَتَى أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ قَالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ ، أَكَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَالَلِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ رواه مسلم . مفردات الحديث : "أَنَّ نَاسًا" : الأناس والناس بمعنى واحد ، وهؤلاء الناس هم فقراء المهاجرين . "الدُّثُور" : جمع دثر ، وهو المال الكثير . "فُضُولُ أَمْوَالِهِمْ" : أموالهم الزائدة عن كفايتهم وحاجاتهم "تصدقون" : تتصدقون به "تسبيحة" : أي قول : سبحان الله "تكبيرة" : قول : الله أكبر "تحميدة" قول : الحمد لله . "تهليلة" : قول : لا إله إلا الله . "صدقة" : أجر كأجر الصدقة "بُضْع" : البُضْع : الجماع "شهوته" : لذته . "وزر" : إثم وعقاب .

الحديث 25

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ : تُعَدُّ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ، وَتَعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ، وَتَمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ" رواه البخاري ومسلم . مفردات الحديث : "سُلَامَى" : السُلَامَى : عظام الكف والأصابع والأرجل ، والمراد في هذا الحديث جميع أعضاء جسم الإنسان ومفاصله . "تعدل بين اثنين" : تحكم بالعدل بين متخاصمين . "وتعين الرجل في دابته" : وفي معنى الدابة السفينة والسيارة وسائر ما يحمل عليه . "فتحمله عليها" : أي تحمله ، أو تعينه في الركوب ، أو في إصلاحها . "وبكل

خَطْوَةٌ: الخطوة: بفتح الحاء: المرة من المشي، وبضمها: بُعد ما بين القدمين. "وتميط الأذى": بفتح التاء وضمها: تزيل، من ماط وأماط: أزال. والأذى: كل ما يؤذي المارة من حسك وغيره.

الحديث 26

عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْكَ النَّاسُ" رواه مسلم. مفردات الحديث: "البر": بكسر الباء اسم جامع للخير وكل فعل مرضي. "حسن الخلق": التخلق بالأخلاق الشريفة. "والإثم": الذنب بسائر أنواعه. "ما حاك في النفس": ما لم ينشرح له الصدر ولم يطمئن إليه القلب.

الحديث 27

عن وَابِصَةَ بِنْتِ مَعْبَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "جِئْتِ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟" قُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: "اسْتَقْتِ قَلْبَكَ، الْبِرُّ مَا أَطْمَأْنَنَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَأَطْمَأْنَنَ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَقْتَاكَ النَّاسُ وَأَقْتَوُكَ". حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَيْنَاهُ فِي مُسْنَدِي الْإِمَامَيْنِ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَالدَّارِمِيُّ يَأْتِيَانِ بِهَذَا حَسَنًا. مفردات الحديث: "البر": بكسر الباء، اسم جامع للخير وكل فعل مرضي. "حسن الخلق": التخلق بالأخلاق الشريفة. "والإثم": الذنب بسائر أنواعه. "ما حاك في النفس": ما لم ينشرح له الصدر ولم يطمئن إليه القلب.

الحديث 28

عن أَبِي نَجِيحٍ الْعَرَبِيُّ بْنُ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَتْ مَوْعِظَةٌ مُودَّعٍ، فَأَوْصِنَا. قَالَ: "أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مِنْ يَعِشُ مِنْكُمْ فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، عَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ" رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. مفردات الحديث: "موعظة": من الوعظ، وهو التذكير بالعواقب. "وجلت": بكسر الجيم خافت "ذرفت": سالت. "الراشدين": جمع راشد، وهو من عرف الحق واتبعه. "النواجذ": جمع ناجذ، وهو آخر الأضراس الذي يدل ظهوره على العقل، والأمر بالعض على السنة بالنواجذ كناية عن

شدة التمسك بها . "محدثات الأمور" : الأمور المحدثثة في الدين، وليس لها أصل في الشريعة . "بدعة" : البدعة لغة: ما كان مخترعاً على غير مثال سابق، وشرعاً: ما أحدث على خلاف أمر الشرع ودليله "ضلالة" : بُعِدُ عن الحق

الحديث 29

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار. قال: "لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسيرٌ على من يسره الله تعالى عليه: تعبدُ الله لا تشرك به شيئاً، وتقيمُ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصومُ رمضان، وتحجُّ البيت". ثم قال: "الأدلك على أبواب الخير؟ الصومُ جنةٌ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا (تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) حتى بلغ قوله تعالى (يَعْمَلُونَ) ثم قال: "ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد". ثم قال: "ألا أخبرك بملاكٍ كله؟" فقلت بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: "كفَّ عليك هذا" قلت يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما تكلم به؟! فقال: "ثكلتك أمك، وهل يكبُ الناس في النار على وجوههم - أو قال "على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم". رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. مفردات الحديث: "الصوم جنة": الصوم وقاية من النار. "الصدقة تطفئ الخطيئة": أي تطفئ أثر الخطيئة فلا يبقى لها أثر. "جوف الليل": وسطه، أو أثناؤه. "تجافى": ترتفع وتتبعد. "عن المضاجع": عن الفرش والمرقد. "ذروة سنامه": السنام: ما ارتفع من ظهر الجمل، والذروة: أعلى الشيء، وذروة سنام الأمر: كناية عن أعلاه. "ثكلتك أمك": هذا دعاء بالموت على ظاهره، ولا يراد وقوعه، بل هو تنبيه من الغفلة وتعجب للأمر. "يكبُ": يُلقي في النار "حصائد ألسنتهم": ما تكلمت به ألسنتهم من الإثم.

الحديث 30

عن أبي ثعلبة الخشني جُرثوم بن ناشر رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تعالى فرضَ فرائضَ فلا تضيعوها، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها، وحَرَّمَ أشياءَ فلا تنتهكوها وسكَّتَ عن أشياءَ - رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرِ نَسْيَانٍ - فلا تَبْحَثُوا عنها". حديث حسن رواه الدارقطني

وغيره . حسنه النووي رحمه الله تعالى ، ووافقه عليه الحافظ العراقي ، والحافظ ابن حجر ، وصححه ابن الصلاح . مفردات الحديث " فرض الفرائض " : أوجبها . " فلا تضيعوها " : فلا تتركوها أو تهانوا فيها حتى يخرج وقتها . " حد حدودا " : الحدود جمع حد ، وهو لغة : الحاجز بين الشيئين ، وشرعا : عقوبة مُقدَّرة من الشارع تُجرُّ عن المعصية . " فلا تعتدوها " : لا تزيدوا فيها عما أمر به الشرع ، أو لا تتجاوزوها وقفوا عندها . " فلا تنتهكوها " : لا تقعوا فيها ولا تقربوها . و " سكت عن أشياء " : أي لم يحكم فيها بوجوب أو حرمة ، فهي شرعا على الإباحة الأصلية .

الحديث 31

عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، دُلِّي على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس . فقال : " ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس " . حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة . مفردات الحديث : " أحبني الله " : أثابني وأحسن إلي " وأحبني الناس " : مالوا إلي ميلا طبعيا ، لأن محبتهم تابعة لمحبة الله ، فإذا أحبه الله ألقى محبته في قلوب خلقه . " ازهد " : من الزهد ، وهو لغة : الإعراض عن الشيء احتقارا له ، وشرعا : أخذ قدر الضرورة من الحلال المتيقن الحل . " يحبك الله " بفتح الباء المشددة ، مجزوم في جواب الأمر .

الحديث 32

عن أبي سعيد سعد بن سنان الخدري رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا ضرر ولا ضرار " . حديث حسن ، رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندا . مفردات الحديث الضرر أن يلحق الإنسان أذى بمن لم يؤذِهِ ، والضرار أن يلحق أذى بمن قد آذاه على وجه غير مشروع .

الحديث 33

عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لو أعطى الناس بدعواهم لادَّعى رجال أموال قوم ودماءهم لكن البينة على المدعى واليمين على من أنكر " . حديث حسن ، رواه البيهقي وغيره هكذا ، وبعضه في الصحيحين . مفردات الحديث : " لادَّعى رجال " : أي لاستباح بعض الناس دماء غيرهم وأموالهم وطلبوها دون حق . " البينة " : هي الشهود ، مأخوذة من البيان وهو

الكشف والإظهار، أو إقرار المدعى عليه وتصديقه للمدعي. "على المدعى": وهو من يدعي الحق على غيره يطالبه به. "اليمين": الحلف على نفي ما ادعى به عليه. "على من أنكر": منكر الدعوى وهو المدعى عليه.

الحديث 34

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ". رواه مسلم. مفردات الحديث: "منكم": أي من المسلمين المكلفين، فهو خطاب لجميع الأمة. "منكرًا": وهو ترك واجب أو فعل حرام ولو كان صغيرة. "فليغيره": فليزيله ويذهبه ويغيره إلى طاعة. "بيده": إن توقف تغييره عليها ككسر آلات اللهو وإراقة الخمر ومنع ظالم عن ضرب ونحوه.

الحديث 35

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُنُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ" رواه مسلم مفردات الحديث: "لا تحاسدوا": أي لا يمتنى بعضكم زوال نعمة بعض. "لا تناجشوا": والنجش في اللغة: الخداع أو الارتفاع والزيادة. وفي الشرع: أن يزيد في ثمن سلعة ينادي عليها في السوق ونحوه ولا رغبة له في شرائها، بل يقصد أن يضر غيره. "لا تدابروا": لا تدابروا، والتدابير: المصارمة والهجران. "لا يخذله": لا يترك نصرته عند قيامه بالأمر بالمعروف أو نهيهِ عن المنكر، أو عند مطالبته بحق من الحقوق، بل ينصره ويعينه ويدفع عنه الأذى ما استطاع. "لا يكذبه": لا يخبره بأمر على خلاف الواقع. "لا يحقره": لا يستصغر شأنه ويضع من قدره. "بحسب امرئ من الشر": يكفيه من الشر أن يحقر أخاه، يعني أن هذا شر عظيم يكفي فاعله عقوبة هذا الذنب. "وعرضه": العرض هو موضع المدح والذم من الإنسان.

الحديث 36

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ. وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ. وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ. رَوَاهُ بِهَذَا اللَّفْظِ مُسْلِمٌ. مفردات الحديث: "نفس": خفف. و"الكربة": الشدة العظيمة التي توقع من نزلت فيه بغم شديد. "يسر على معسر": المعسر: من أثقلته الديون وعجز عن وفائها، والتيسير عليه مساعدته على إبراء ذمته من تلك الديون. "ستر مسلماً": بأن رآه على فعل قبيح شرعاً فلم يظهر أمره للناس "ستره الله": حفظه من الزلات في الدنيا. "سلك": مشى، وأخذ بالأسباب "طريقاً": مادية كالمشي إلى مجالس العلم وقطع المسافات بينه وبينها. أو معنوية كالكتابة والحفظ والفهم والمطالعة والمذاكرة وما إلى ذلك، مما يتوصل به إلى تحصيل العلم. "يلتمس": يطلب فيه: في غايته. "علماً": نافعاً. "له": لطالب العلم. "به": بسبب سلوكه الطريق المذكور "طريقاً إلى الجنة": أي يكشف له طرق الهداية ويهيئ له أسباب الطاعة في الدنيا، فيسهل عليه دخول الجنة في الآخرة "بيوت الله": المساجد. "يتدارسونهم بينهم" يقرأ كل منهم جزءاً منه بتدبر وخشوع ويحاولون فهم معانيه وإدراك مرامييه. "السكينة": ما يطمئن به القلب وتسكن له النفس. "غشيتهم" غطتهم وعمتهم. "الرحمة": الإحسان من الله تبارك وتعالى والفضل والرضوان. "حفتهم" أحاطت بهم من كل جهة. "الملائكة": الملتصقون للذكر، والذين ينزلون البركة والرحمة إلى الأرض "ذكرهم الله فيمن عنده": باهى بهم ملائكة السماء وأثنى عليهم "بطأ به عمله": كان عمله الصالح ناقصاً وقليلاً فقصر عن رتبة الكمال "لم يسرع به نسبه": لا يعلي من شأنه شرف النسب.

الحديث 37

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَّ: فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً

كاملة، وإن هم بها فعلها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يفعلها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعلها كتبها الله سيئة واحدة". رواه البخاري ومسلم في صحيحهما بهذه الحروف. مفردات الحديث: "كتب الحسنات والسيئات": أمر الملائكة الحفظة بكتابتهما كما في علمه على وفق الواقع. "هم": أراد وقصد. "بحسنة": بطاعة مفروضة أو مندوبة. "ضعف": مثل. "سيئة": بمعصية صغيرة كانت أو كبيرة.

الحديث 38

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه". رواه البخاري. مفردات الحديث: "عادى": أذى وأبغض وأغضب بالقول أو الفعل. المراد بولي الله العالم بالله تعالى، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته. "فقد آذنته بالحرب": آذنته: أعلمته والمعنى أن من آذى مؤمناً فقد آذنه الله أنه محارب له، والله تعالى إذا حارب العبد أهلكه. "النوافل": ما زاد على الفرائض من العبادات. "استعاذني": طلب العوذ والحفظ مما يخاف منه. "لأعيذنه": لأحفظه مما يخاف.

الحديث 39

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه". مفردات الحديث: "تجاوز": عفا. "لي": لأجلي وتعظيم أمري ورفع قدري "أمتي": أمة الإجابة، وهي كل من آمن به صلى الله عليه وسلم واستجاب لدعوته "الخطأ": ضد العمد لا ضد الصواب. "النسيان": ضد الذكر. "استكرهوا عليه": يقال: أكرهته على كذا إذا حملته عليه قهراً.

الحديث 40

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ". وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: إِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صَحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. مفردات الحديث: "أَخَذَ": أمسك. "بِمَنْكِبِي" بتشديد الياء، مثني منكب، والمنكب: مجتمع رأس العضد والكتف "إِذَا أُمْسَيْتَ": دخلت في المساء وهو من الزوال إلى نصف الليل. "إِذَا أَصْبَحْتَ" دخلت في الصباح، وهو من نصف الليل إلى الزوال.

الحديث 41

عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ" حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَيْنَاهُ فِي "كِتَابِ الْحُجَّةِ" بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ. مفردات الحديث "لَا يُؤْمِنُ": لا يكمل إيمانه، أو لا يصح. "هواه": ما تحبه نفسه ويميل إليه قلبه ويرغبه طبعه. "تبعًا": تابعا له بحيث يصح اتباعه كالطبع له "لَمَّا جِئْتُ بِهِ": ما أرسلني الله تعالى به من الشريعة الكاملة.

الحديث 42

عن أنس رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغْتَ ذَنْبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ. يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَا تُبَيِّنُكَ بِقَرَابِهَا مَغْفَرَةً". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. مفردات الحديث "مَا دَعَوْتَنِي" ما دمت تسألني مغفرة ذنوبك وغيرها و"مَا": زمانية ظرفية أي مدة دوام دعائك "رَجَوْتَنِي": خفت من عقوبي ورجوت مغفرتي، وطمعت في رحمتي، وخشيت من عظمتي. "عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ" مع ما وقع منك من الذنوب الكثيرة، الصغيرة والكبيرة. و"لَا أَبَالِي": أي لا تعظم كثرتها علي. "بَلَغْتَ": وصلت من كثرة كميتها، أو من عظمة كيفيتها. "عنان": هو السحاب، وقيل ما انتهى إليه البصر منها. "اسْتَغْفَرْتَنِي": طلبت مني المغفرة. "قَرَابِ الْأَرْضِ": ملؤها، أو ما يقارب ملأها "لَقَيْتَنِي": أي

مت ولقيتني يوم القيامة. "لا تشرك بي شيئاً": اعتقاداً ولا عملاً، أي تعتقد أنه لا شريك لي في ملكي ولا ولد لي ولا والد، ولا تعمل عملاً تبغي به غيري. "مغفرة": هي إزالة العقاب وإيصال الثواب. انتهى ونختم هذا الفصل بذكر نبذة عن الصحابة لأنهم أسيدنا الذين آمنوا بالله ربنا وبالنبي رسولا وبالإسلام ديننا وحملوا لواء التوحيد إلى أجيال العالم بأمانة غير متناهية وعليه فأقول:

الصحابة

الصحابة كما قال الدكتور عبد العزيز غنيم عبد القادر: اصطلاحاً: هم هؤلاء الأعلام الذين عرفوا من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم ما جعلهم يهرعون إليه ويضعون مقاليدهم بين يديه ينغمسون في فيضه الذي بهر منهم الأبصار وأزال عنهم الأكدار، وصيرهم أهلاً لمجالسته ومحادثته ومرافقته ومخالطته، حتى آثروه على أنفسهم وأموالهم وأزواجهم وأولادهم، وبلغ من محبتهم له وإيثارهم الموت في سبيله أن هان عليهم اقتحام المنية كراهة أن يجدوه في موقف مؤذ أو كربة يغض من قدره. ولما للصحابة من الفضل العظيم فإن الله تعالى ذكرهم فيما أنزل من الكتب؛ حتى لا يذهب ذكرهم ولا تمحى من رؤوس القبائل والشعوب ما أثرهم فقال: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ الفتح: 29. وقال تعالى ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين﴾ الواقعة: 10-14. ثم قال تعالى: ﴿في سورة الواقعة أيضاً﴾ ﴿إنا أنشأناهم إنشأاً فجعلناهم أئبكاراً عرباً أتراباً لأصحاب اليمين ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين﴾ الواقعة: 35-40 (قال) ويتضح من الآيات السابقة، وما يجري في فلكها، أن الصحابة درجات بعضها فوق بعض، فالسابقون الأولون الذين أسلموا وجوههم إلى الله، ولبوا مناديه إلى الإيمان، وكل من على سطح هذه المعمورة مخالف لهم هم كبار الصحابة الذين اصطنعهم سيدهم بنفسه، ورباهم تحت سمعه وبصره عبر ثلاث عشرة سنة قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في

مكة، وقال فيهم ورحى الحرب دائرة فى بدر (اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض) وقال أيضا (الله الله فى أصحابى، فلو أن أحدكم تصدق بمثل أحد ذهب ما ساوى مده ولا نصيفه) رواه البخارى . ويلى هؤلاء السابقين من المهاجرين ، السابقون من الأنصار وهم الذين بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة على أن يمنعوه من الأسود والأحمر، والإنس والجن . يقول تعالى ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ التوبة: 100 . وما سوى الصحابة الكبار طبقات بعضها أفضل من بعض ، فالذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا أفضل من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، يقول تعالى ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير ﴾ الحديد: 10 . وواضح من الآية السابقة وما يشبهها أن الله تعالى قد جعل لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مقياسا تقاس به أقدارهم وميزانا توزن به منازلهم ومراتبهم ، فالسابقون الأولون من المهاجرين هم الكبار الذين لا يسمو إليهم غيرهم ، ومن عداهم من الصحابة الكرام متفاوتون تبعا لأعمالهم فى نصرة الإسلام ، وجهادهم تحت ألوته وراياته ، فأفضلهم الذين شهدوا بدرا ودافعوا عن النبى صلى الله عليه وسلم ودينه فيها . ويليه من شهد أحدا والخندق، وهكذا حتى غروة تبوك . وهناك عدة ثوابت تعم الصحابة، منها: 1- الصحابة كلهم عدول ، لا يجوز تجريحهم ولا تعديل البعض منهم دون البعض . 2- الصحابة كالنجوم يهدون الحائر، ويرشدون الضال ، وفيهم يقول النبى صلى الله عليه وسلم (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) . 3- الصحابة لم يذكرهم الله تعالى فى كتابه إلا وأثنى عليهم وأجزل الأجر والمثوبة لهم ، ولم يفرق بين فرد منهم وفرد ولا بين طائفة وطائفة . وفيهم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (خير القرون قرنى، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) (رواه البخارى) .

ويتضمن الفصول الآتية: الفصل الأول في ذكر العترة . والفصل الثاني في ذكر أحكام أهل البيت
والفصل الثالث في ذكر سيدتنا فاطمة الزهراء . والفصل الرابع في ذكر سيدنا علي .

✱

الفصل الأول

في

العترة الشريفة

يقال عترة الرجل وهم أقرباؤه من ولد وغيره ، وقيل : هم قومه دنيا ، وقيل : هم رهطه وعشيرته الأذنون
من ماضي منهم ومن غير . وعترة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ولد فاطمة رضي الله عنها هذا
قول ابن سيده . قال الأزهري رحمه الله ، وفي حديث زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم (إني تارك فيكم الثقلين خلفي : كتاب الله وعترتي فإنهما لن يفرقا حتى يردا علي الحوض)
وقال : قال محمد بن إسحق وهذا حديث صحيح ورفعه نحوه زيد بن أرقم وأبو سعيد الخدري ، وفي
بعضها : إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فجعل العترة أهل البيت . وقال أبو عبيد
وغيره : عترة الرجل وأسرته وفصيلته رهطه الأذنون . ابن الأثير : عترة الرجل أخص أقاربه . وقال ابن
الأعرابي : العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه ، قال : فعترة النبي صلى الله عليه وسلم ولد
فاطمة البتول رضي الله عنها . وروي عن أبي سعيد قال : العترة ساق الشجرة ، قال : وعترة النبي
صلى الله عليه وسلم عبد المطلب وولده ، وقيل : عترة أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعلي وأولاده
وقيل : عترة الأقربون والأبعدون منهم ، وقيل : عترة الرجل أقرباؤه من ولد عمه دنيا ؛ ومنه حديث أبي
بكر رضي الله عنه ، قال للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، حين شاور أصحابه في أسارى بدر : عترتك
وقومك ؛ أراد بعترة العباس ومن كان فيهم من بني هاشم ، وقومه قريشا . والمشهور المعروف أن
عترة أهل بيته وهم الذين حرمت عليهم الزكاة والصدقة المفروضة وهم ذوو القربى الذين لهم خمس
الخمس المذكور في سورة الأنفال .

اهل البيت

اختلف أهل العلم في أهل البيت من هم؟ فقال عطاء وعكرمة وابن عباس: هم زوجاته صلى الله عليه وسلم خاصة لا رجل معهن وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن﴾ وذهبت فرقة منهم أبو سعيد الخدرى وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة والزحشرى والكلبى أنهم: على وفاطمة والحسن والحسين خاصة وذهب فريق منهم الفخر الرازى والقسطلانى وآخرون إلى أنهم أولاده وأزواجه والحسن والحسين وعلى منهم لمعاشرته فاطمة وملازمة النبي صلى الله عليه وسلم. وذهب زيد بن أرقم إلى أنهم من تحرم عليهم الصدقة وهم آل على، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس، وهو الراجح الذي سأذكره بعد .

مَن هم الأشراف

أهل بيت الرسول عليه السلام هم الأشراف حقيقة في سائر الأعصار وهو ما عليه الجمهور، وهو معنى رواية مسلم عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما بعد: أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيب وأنا تارك بينكم ثقلين: أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به) فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: (وأهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى) قالها ثلاثاً، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد. أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: آل على وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس رضى الله عنهم. (قال) والشيعة يخصون أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم بعلى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم، لكن رواية زيد السابقة تدل على أن آله من حُرِّم الصدقة، أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط بل هم مع آله.

علو منزلة أهل البيت

جاء في فتاوى الشيخ مقبل الوادعي قوله: يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجُكُمْ كُنَّ كُنَّ تَرْدُنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا . وَإِنْ كُنْتُنَّ تَرْدُنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْأَرْوَاحَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمَحْسَنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا . يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مِنْ يَأْتِ

منكنّ بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً . ومن يقنت منكنّ لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعدنا لها رزقاً كريماً . يانساء النبيّ لستنّ كأحد من النساء إن اتقيتنّ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلنّ قولا معروفاً . وقرن في بيوتكنّ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً . واذكرن ما يتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً ﴿ وروى الإمام مسلم في "صحيحه" عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من حديث (وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي) وروى البخاري في "صحيحه" عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه موقوفاً عليه: ارقبوا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أهل بيته وقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لأن أصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحب إليّ من أن أصل قرابتي . ففي هذا دليل على علو منزلة أهل بيت النبوة، وروى الإمام مسلم في "صحيحه" عن عائشة رضي الله عنها: دعا النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعليّ خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) وهذا الحديث من طريق مصعب بن شيبه وقد قال فيه النسائي: إنه منكر الحديث لكن الحديث مروي عن سلمه بن الأكوع بهذا المعنى، وجاء أيضاً عن جماعة من الصحابة كما في "تفسير ابن كثير"، ومصعب بن شيبه وإن كان قال فيه النسائي: إنه منكر الحديث، فقد وثقه غيره، وزيادة على هذا أن الدارقطني انتقد على البخاري ومسلم أحاديث، ولم ينتقد هذا الحديث .

مدى أفضلية أهل البيت

قال الوادعي وهذا الحديث من الأحاديث التي تدل على منزلة أهل بيت النبوة الرفيعة وذلك الفضل في زمن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبعده إلى أن يأتي المهدي، فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول في شأن المهدي وهو من ولد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أي ينتسب إلى فاطمة وعلي (إنه سيخرج ويملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً) وفي هذا الحديث رد على

من قال إن أهل بيت النبوة قد انقضوا وأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يخلف أحداً واستدلوا على ذلك بقول الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ يقولون فعلى هذا فالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يخلف أحداً ولا يجوز أن ينتسب إليه أحد ولكن هذه للحسن والحسين ولمن انتسب إليهما، فقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الحسن (إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) وهذا الحديث يعتبر علماً من أعلام النبوة فقد حقن الله دماء المسلمين بسبب الحسن بن علي فقد وجد جيشان جيش مع الحسن وجيش مع معاوية، فرأى الحسن أنه سيفني المسلمون وتنازل لله عز وجل وترك الإمارة لمعاوية. فهذا دليل على أن الحسن والحسين ينتسبان إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وجاء في "مسند الإمام أحمد" عن ابن عباس قال: رأيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المنام بنصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه أو يتبع فيها شيئاً، قال: قلت: يا رسول الله ما هذا؟ قال: (دم الحسين وأصحابه، لم أزل أتبعه منذ اليوم) فهذا دليل على أن الحسين تجوز نسبتهما إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بخلاف بقية الناس فإن الشاعر يقول:

بنونا بنو آبائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

يعني: بنونا أولاد آبائنا هم أولادنا، أما بناتنا إذا تزوجن فأولادهن أولاد أزواجهن. لكن هذه خصوصية للحسين. وجاء في "مسند الإمام أحمد": كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال: ((صدق الله ورسوله (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما)). (قال) وجاء في "صحيح البخاري": أن رجلاً سأل ابن عمر عن دم البعوض إذا قتله الشخص وهو محرم فأصابه الدم فقال: ممن أنت، فقال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: (هما ريحائني من الدنيا) وجاء في "صحيح البخاري" من حديث البراء رضي الله عنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم والحسن بن علي عاتقه يقول: (اللهم إني

أحبّه فأحبّه) وجاء في "جامع الترمذي" من حديث حذيفة أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة) فمُنزلتهما رفيعة، وقد ذكر العلماء رحمهم الله الشيء الكثير من مناقب أهل بيت النبوة. فالحسن والحسين وذريتهم المستقيمون منزلتهم رفيعة. أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يقول له (ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبيّ بعدي) رواه البخاري.

الأهل والآل والفرق بينهما

هنا كما قال الشيخ الوادعي سؤال يتبادر إلى الذهن وهو من هم أهل بيت النبوة؟. إنهم: آل علي، وآل عقيل، وآل عباس، ومن حرمت عليهم الصدقة، فإن قال قائل: فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: (اللهم هؤلاء أهل بيتي) وأشار إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين، فهذا يدل على منزلتهم الرفيعة، ولكنه لا يدل على أن الآخرين ليسوا من أهل البيت، ونسأؤه أيضا داخلات في أهل البيت، لأنهن في السياق، حتى كان عكرمة مولى ابن عباس يخرج في الأسواق ويصيح: من شاء باهله أن أهل بيت النبوة هم نسأؤه. فلا، ليس الأمر كما يقول عكرمة، بل نسأؤه من أهل بيته وقال بعضهم: لو كان نسأؤه من أهل بيته لقال الله سبحانه وتعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس؟)، ولأتى بضمير المؤنث. فالجواب: أن أهل البيت ذكور وإناث، وغلب الذكور كشأن كثير من الآيات كقوله تعالى: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) يشمل الرجال والنساء.

هل يشترط للفضائل الإستقامة

وسئل الوادعي عن الفضائل المتقدمة هل هي تشمل من لم يكن مستقيماً؟ فإما أن يكون مبغضاً للسنة، وإما أن يكون هاشمياً وقد أصبح (شيوعياً، أو عريداً. أو مرتشياً، أو مديراً للمؤسسات ربوية) فهل يشمله هذا؟ فقال إننا لا نستطيع أن ننفي نسبه إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لكن الفضيلة لا تشمله. بل الفضيلة للمتمسكين بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أهل بيت النبوة، وأسعد الناس من كان من أهل بيت النبوة وهو من أهل السنة فنحن ندعوهم إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم،

الشرف والإقدام على الشر

وإذا كان (أناس) من أهل بيت النبوة وهو مقدمون في الشر فهل نقول (عنهم): إن هؤلاء لهم شرف أهل بيت النبوة؟ لا، لا، لا، قال الله سبحانه وتعالى في شأن نوح عندما قال: (رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إنني أعظك أن تكون من الجاهلين) وقال سبحانه وتعالى: (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وقال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) وقال الله سبحانه وتعالى: (ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخاتماهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين) والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: ((من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)) ويقول أيضاً لبني هاشم (لا يأتيني الناس بأعمالهم، وتأتوني بأنسابكم) وفي "الصحيحين" من حديث عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحم أبلاها) يعني أصلها بصلتها وأما حديث: (كل سبب ونسب ينقطع إلا سببي ونسبي) وظاهره التعارض مع قول الله عز وجل (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وهو حديث صحيح وقد كت أقول بضعفه، لأنني لم أستوعب طرقة. وهذا الحديث يدل على أن من كان مستقيماً في هذا الزمن، فإنه يشمل هذا الحديث، وليس مجرد زهد وهو يختلس أموال الناس بالحروز والعزائم (قال) فنريد أن نسلك مسلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفاطمة الزاهدة التقية، وهكذا الحسن والحسين رضي الله عنهما .

نصيحة لأهل البيت

(قال الباحث) والذي أنصح به إخواننا الأفاضل من أهل بيت النبوة ونحن منهم أن يحمدا الله فإننا ندعوهم إلى التمسك بسنة جدهم، وتعالوا حتى تلمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي هو جدكم ويعتبر شرفاً لكم. كما ننصحهم أن يلتحقوا بمعاقل العلم ويدرسوا الكتاب والسنة، فمارفَع الله شأن إلا بالعلم وتمسكهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله .

ما معنى نزول قوله تعالى إنما وليكم

يقال : إن هذه الآية التي يقول الله تعالى فيها : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهل هذا صحيح . والجواب : أن هذا ليس بصحيح ، والآية بصيغة الجمع (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) أي خاضعون لله عز وجل ، وليس كما جاء أن علياً تصدق بخاتم وهو راعك ، فسبب نزول الآية في علي بن أبي طالب لا يثبت .

هل زوجات النبي من بيت النبوة

(قال) وهل عائشة تعد من أهل بيت النبوة ؟ الجواب : قد تكلمنا على هذا فيما سبق وهو أن نساء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم داخلات ، ومن أهل العلم من يقول : إن أهل بيت النبي هن أزواجه ، وليس بصحيح ، بل هن داخلات في أهل بيت النبوة

هل يطلق على أهل البيت أنهم سادة

(قال) وهل يجوز أن نطلق على من يرجع نسبه إلى أهل البيت بأنهم سادة ؟ الجواب : لا ، هذا ليس بمشروع وهذا لم يأت إلا في القرن السادس من بعض المترلفين إلى أهل بيت النبوة ولم يثبت أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم خصهم . والسيد في اللغة من ساد قومه ، وأما إذا كان ليس له من السيادة شيء فلا . وفي مكة ربما يطلقون عليه الشريف ، وهذه التسميات محدثة ما أنزل الله بها من سلطان ،

هل من وسيلة يعرف بها الشرف

(قال) وإذا شك شخص هل هو من أهل البيت أم لا ؟ فماذا يفعل وهل تعلمون من وسيلة يتأكد بها الشخص ما إذا كان من أهل البيت أم لا ؟ الجواب : الأحوط ألا يلحق نسبه بأهل البيت إلا إذا كان متأكداً . والله المستعان .

آل البيت ومن هم

(قلت) وإذا كان ما سبق من خلاف وارد في (أهل البيت) بالهاء فإن الناس قد تنازعوا في (آل) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (بالمدة) من هم فقيل : أمته وهذا قول طائفة من أصحاب النبي

صلى الله عليه وسلم ومالك وغيرهم ، وقيل : المتقون من أمته ، وإليه ذهب طائفة من أصحاب أحمد وغيرهم واستدلوا بحديث موضوع هو (آل محمد كل مؤمن تقى) وبنى على ذلك طائفة من الصوفية وقالوا إن آل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هم خواص الأولياء كما ذكره الحكيم الترمذى . لكن الصحيح أن آل محمد هم أهل بيته صلى الله عليه وسلم وهو المنقول عن الشافعى وأحمد رحمهما الله . أقول - وكما سبق أن ذكرت في مقدمات هذا الكتاب - قال بعض أهل العلم : آل المصطفى صلى الله عليه وسلم هم في مقام الزكاة : بنوهاشم على ما عند المالكية ، وبنوهاشم والمطلب على ما عند الشافعية . وآل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وآل الحارث على ما عند الحنفية أما في مقام الدعاء فجميع أتباعه الملتزمين بالعمل الصالح لكن المصطلح عليه عند علماء النسب هم أبناء الفرق الخمسة المذكورة انفا دون سواهم . وهم بالذات أهل بيت رسول الله عليه السلام الذين يجب توقيفهم وإيثارهم والتجاوز عن مساوئهم قال الله جل شاناه (نما يريد الله ليزهد عنكم الرجز أهل البيت ويظهركم تطهيرا) وينبغي أن يعلم أن ذلك لا يعني أبدا أن يكونوا متواكلين على خصوصية النسب دون مصاحبة عمل صالح له بل يجب عليهم أن يكونوا هم أولى من يمثل أوامر الله تعالى وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم وكما قال السموال :

قصيدة السموال

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضهُ	فكل رداء يرتديه جميلُ
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها	فليس إلى حسن الثناء سبيلُ
تغيرنا أنا قليل عديدنا	فقلت لها : إن الكرام قليلُ
وما قل من كانت بقايا مثلنا	شباب تسامى للعلو وكهولُ
وما ضربنا أنا قليل وجارنا	عزيز وجار الأكثرين ذليلُ
لنا جبل يحتله من نجيره	منيع يرد الطرف وهو كليلُ
رسا أصله تحت الثرى وسما به	إلى النجم فرع لا ينال طويلُ
هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره	يعز علي من رامه ويطولُ
وإننا لقوم لا نرى القتل سبة	إذا ما رآته عامر وسلولُ

يَقْرَبُ حُبُّ الْمَوْتِ أَجَالَنَا لَنَا
وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتَّى أَنْفَهُ
تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نُفُوسُنَا
صَفُونَا فَلَمْ نَكْدُرْ وَأَخْلَصَ سِرَّتَنَا
عَدُونَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَطَّنَا
فَنَحْنُ كَمَاءِ الْمَزْنِ مَا فِي نَصَابِنَا
وَنُكْرُ إِنْ شُئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلُهُمْ
إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدٌ
وَمَا أَخَذَتْ نَارُنَا دُونَ طَارِقِ
وَأَيُّمُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُونَنَا
وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ
مَعْوَدَةٌ إِلَّا تَسْلُ نَصَالُهَا
سَلِي إِنْ جَهَلْتَ النَّاسَ عَنَّا
فَلِإِنْ بَنِي الرِّيَاسِ قَطْبُ لِقَوْمِهِمْ

وَتَكْرَهُهُ أَجَالُهُمْ قَطُّوْلُ
وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ
وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسِيلُ
إِنَاثُ أَطَابَتْ حَمَلَنَا وَفُجُولُ
لَوْ قَتَلْنَا إِلَى خَيْرِ الْبَطُونِ نَزُولُ
كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بَخِيلُ
وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ يَقُولُ
قَوْلُ لِمَا قَالَ الْكَرَامُ فَعُولُ
وَلَا ذَمَّمْنَا فِي النَّازِلِينَ نَزِيلُ
لَهَا غُرْرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ
بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِ عَيْنُ فَلُولُ
فَتَغْمَدُ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ
وَعَنْهُمْ فَلَيْسَ سِوَاءَ عَالَمٍ وَجُوهُولُ
تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُولُ

الفصل الثاني

في

أحكام آل البيت الفقهية

كما سبق إن هناك أحكاماً فقهية تتعلق بآل البيت لا بد من ذكرها وعليه فقد جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية ما يلي :

(أولاً) للآل إطلاق خاص في عبارات الصلاة على النبي وآله صلى الله عليه وسلم فالأكثر على أن المراد بهم قرابته عليه الصلاة والسلام الذين حرمت عليهم الصدقة وقيل هم جميع أمة الإجابة ، وإليه

مال مالك , واختاره الأزهرى والنووي من الشافعية , والحققون من الحنفية وهو القول المقدم عند الحنابلة وعبارة صاحب المغني : آل محمد صلى الله عليه وسلم أتباعه على دينه .

(ثانيا) حكم أخذ آل البيت من الصدقة المفروضة إن آل محمد صلى الله عليه وسلم المذكورين لا يجوز دفع الزكاة المفروضة إليهم باتفاق فقهاء المذاهب الأربعة , لقوله عليه الصلاة والسلام (يا بني هاشم إن الله تعالى حرم عليكم غسالة الناس وأوساخهم , وعوضكم عنها بخمس الخمس) والذين ذكروا ينسبون إلى هاشم بن عبد مناف , ونسبة القبيلة إليه . وخرج أبو لهب وإن كان من آل فيجوز الدفع إلى بنيه وأعقابهم المسلمين لأن النص أبطل قرابته وهو قوله صلى الله عليه وسلم (لا قرابة بيني وبين أبي لهب فإنه أثر علينا الأفجرين) ولأن حرمة الصدقة على بني هاشم كرامة من الله لهم ولذريتهم حيث نصره صلى الله عليه وسلم في جاهليتهم وفي إسلامهم وأبو لهب كان حريصا على أذى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يستحقها بنوه . وهذا هو المذهب عند كل من الحنفية والحنابلة وفي قول آخر في كلا المذهبين : يحرم إعطاء من أسلم من آل أبي لهب لأن مناط الحكم كونهم من بني هاشم .

(ثالثا) اختلف في بني المطلب أخي هاشم هل تدفع الزكاة إليهم ؟ فمذهب الحنفية , والمشهور عند المالكية , وإحدى روايتين عند الحنابلة أنهم يأخذون من الزكاة لأنهم دخلوا في عموم قوله تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) لكن خرج بنو هاشم لقول النبي صلى الله عليه وسلم (إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد) فيجب أن يختص المنع بهم . ولا يصح قياس بني المطلب على بني هاشم , لأن بني هاشم أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأشرف , وهم آل النبي صلى الله عليه وسلم ومشاركة بني المطلب لهم في خمس الخمس لم يستحقوه بمجرد القرابة بدليل أن بني عبد شمس وبني نوفل يساؤونهم في القرابة ولم يعطوا شيئا وإنما شاركوهم بالنصرة أو بهما جميعا والنصرة لا تقتضي منع الزكاة . ومذهب الشافعية والقول غير المشهور عند المالكية وإحدى الروايتين عن الحنابلة أنه ليس لبني المطلب الأخذ من الزكاة , لقول النبي صلى الله عليه وسلم (إنا وبنو المطلب لم نفترق في جاهلية ولا إسلام . إنما نحن وهم شيء واحد) وفي رواية (إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه) ولأنهم يستحقون من خمس الخمس , فلم يكن لهم الأخذ كبني هاشم وقد أكد ذلك ما

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم علل منعهم الصدقة باستغنائهم عنها بخمس الخمس، فقال صلى الله عليه وسلم (أليس في خمس الخمس ما يغنيكم؟) هذا وقد روى أبو عصمة عن أبي حنيفة أنه يجوز الدفع إلى بني هاشم في زمانه والمشهور عند المالكية أن محل عدم إعطاء بني هاشم من الزكاة إذا أعطوا ما يستحقونه من بيت المال، فإن لم يعطوا وأضربهم الفقر أعطوا منها. وإعطاؤهم حينئذ أفضل من إعطاء غيرهم. وقيده الباجي بما إذا وصلوا إلى حالة يباح لهم فيها أكل الميتة لا مجرد ضرر. والظاهر خلافه وأنهم يعطون عند الاحتياج ولو لم يصلوا إلى حالة إباحة أكل الميتة، إذ أعطوا وهم أفضل من خدمتهم لذمي أو ظالم. وقال الشافعية: إنه لا يحل لآل محمد صلى الله عليه وسلم الزكاة، وإن حبس عنهم الخمس، إذ ليس منعهم منه يحل لهم ما حرم عليهم من الصدقة، خلافاً لأبي سعيد الإصطخري الذي قال: إن منعوا حقهم من الخمس جاز الدفع إليهم، لأنهم إنما حرموا الزكاة لحقهم في الخمس، فإذا منعوا منه وجب أن يدفع إليهم والظاهر من إطلاق المنع عند الحنابلة أنه تحرم على آل الصدقة وإن منعوا حقهم في الخمس.

(رابعاً) اختلف في أخذ الآل من الكفارات والنذور وجزاء الصيد وعشر الأرض وغلة الوقف فذهب الحنفية والمالكية والشافعية إلى أنه لا يحل لآل محمد صلى الله عليه وسلم الأخذ من كفارة اليمين والظهار والقتل وجزاء الصيد وعشر الأرض وغلة الوقف. وهو رواية عند الحنابلة في الكفارات لأنها أشبهت الزكاة. وعن أبي يوسف من الحنفية أنه يجوز لهم أخذ غلة الوقف إذا كان الوقف عليهم، لأن الوقف عليهم حينئذ بمنزلة الوقف على الأغنياء. فإن كان على الفقراء ولم يسم بني هاشم، لا يجوز. وصرح في الكافي بدفع صدقة الوقف إليهم على أنه بيان المذهب من غير نقل خلاف فقال وأما التطوع والوقف فيجوز الصرف إليهم، لأن المؤدى في الواجب يطهر نفسه بإسقاط الفرض فيتدنس المال المؤدى كالماء المستعمل وفي النفل يتبرع بما ليس عليه فلا يتدنس به المؤدى. قال صاحب فتح القدير: والحق الذي يقتضيه النظر إجراء صدقة الوقف بحري النافلة، فإن ثبت في النافلة جواز الدفع، يجب دفع الوقف، وإلا فلا، إذ لا شك في أن الواقف متبرع بتصدقه بالوقف، إذ لا إيقاف واجب. وذهب الحنابلة إلى جواز أخذ الآل من الوصايا لأنها تطوع، وكذا النذور، لأنها في

الأصل تطوع , فأشبهه ما لو وصى لهم وعلى ذلك يجوز لهم الأخذ منهما . وفي الكفارة عندهم وجه آخر بالجواز لأنها ليست بزكاة ولا هي أوساخ الناس , فأشبهت صدقة التطوع .

(خامسا) حكم أخذ الآل من صدقة التطوع : للفقهاء فيه ثلاثة اتجاهات : الأول : الجواز مطلقا وهو قول عند الحنفية والشافعية ورواية عن أحمد , لأنها ليست من أوساخ الناس تشبيها لها بالوضوء على الوضوء . الثاني : المنع مطلقا , وهو قول عند الحنفية والشافعية , ورواية عن أحمد أيضا وهي الأظهر عند الحنابلة , لأن النصوص الواردة في النهي عن أخذ آل البيت من الصدقة عامة , فتشمل المفروضة والنافلة الثالث : الجواز مع الكراهة , وهو مذهب المالكية , جمعا بين الأدلة .

(سادسا) في موالى آل البيت . قال الحنفية , والحنابلة , وهو الأصح عند الشافعية وقول عند المالكية , إن موالى آل النبي صلى الله عليه وسلم وهم من أعتقهم هاشمي أو مطلب , حسب الخلاف السابق , لا يعطون من الزكاة , مستدلين بما روى أبو رافع (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا من بني مخزوم على الصدقة , فقال لأبي رافع : اصحبني كيما تصيب منها . فقال : لا , حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله , فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله , فقال : إنا لا نحل لنا الصدقة , وإن مولى القوم منهم) ولأنهم ممن يرثهم بنوهاشم بالتعصيب فلم يجوز دفع الصدقة إليهم كبنى هاشم وهم بمنزلة القرابة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم (الولاء لحمه كالحمة النسب) وثبت لهم حكم القرابة من الإرث والعقل والنفقة , فلا يمتنع تحريم الصدقة عليهم . وإذا حرمت الصدقة على موالى الآل , فأرقاؤهم ومكاتبهم أولى بالمنع , لأن تمليك الرقيق يقع لمولاه , بخلاف العتيق . والمعتمد عند المالكية جواز دفع الصدقة لموالى آل البيت , لأنهم ليسوا بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يمنعوا الصدقة , كسائر الناس ولأنهم لم يعوضوا عنها بخمس الخمس , فإنهم لا يعطون منه , فلم يجوز أن يحرموها , كسائر الناس .

(سابعاً) دفع الهاشمي زكاته لهاشمي مختلف فيه فيرى أبو يوسف من الحنفية , وهو رواية عن الإمام أنه يجوز لهاشمي أن يدفع زكاته إلى هاشمي مثله , قائلين : إن قوله عليه الصلاة والسلام (يا بني هاشم إن الله كره لكم غسالة أيدي الناس وأوساخهم , وعوضكم منها بخمس الخمس) لا ينفيه , للقطع بأن المراد من " الناس " غيرهم لأنهم المخاطبون بالخطاب المذكور , والتعويض بخمس الخمس عن

صدقات الناس لا يستلزم كونه عوضا عن صدقات أنفسهم . ولم نهتد إلى حكم ذلك في غير مذهب الحنفية .

(ثامنا) في عمالة الهاشمي على الصدقة بأجر منها : قال الحنفية في الأصح عندهم والمالكية والشافعية وبعض الحنابلة , وهو ظاهر قول الخرقي إنه لا يحل للهاشمي أن يكون عاملا على الصدقات بأجر منها , تنزيها لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم عن شبهة الوسخ , ولما روى (عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث , أنه اجتمع ربيعة والعباس بن عبد المطلب , فقالا : لو بعثنا هذين الغلامين لي وللفضل بن العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهما على الصدقة , فأصابا منها كما يصيب الناس . فقال علي لا ترسلوهما . فانطلقنا حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ عند زينب بنت جحش , فقلنا : يا رسول الله , قد بلغنا النكاح وأنت أبر الناس وأوصل الناس , وجئناك لتؤمرنا على هذه الصدقات , فنؤدي إليك كما يؤدي الناس ونصيب كما يصيبون . قال : فسكت طويلا , ثم قال : إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد , إنما هي أوساخ الناس) وفي قول للحنفية : إن أخذ الهاشمي العامل على الصدقات مكروه تحريما لا حرام . وجوز الشافعية أن يكون الحمال والكيال والوزان والحافظ هاشميا أو مطلبيا وأكثر الحنابلة على أنه يباح للآل الأخذ من الزكاة عمالة , لأن ما يأخذونه أجر , فجاز لهم أخذه كالحمال وصاحب المخزن إذا أجرهم مخزنه .

(تاسعا) حق آل البيت في الغنيمة والفية : لا خلاف بين فقهاء المذاهب الأربعة في أن الغنيمة تقسم خمسة أخماس : أربعة منها للغنمين , والخامس لمن ذكروا في قوله تعالى (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه) الآية . لكنهم اختلفوا في مصرف الخمس بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام , فقال الشافعية , وهو رواية عن الإمام أحمد , إن خمس الغنيمة الخامس يقسم خمسة أسهم . الأول : سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم للآية , ولا يسقط بوفاته , بل يصرف بعده لمصالح المسلمين وعمارة الثغور والمساجد . والثاني : سهم لذوي القربى , وهم بنو هاشم وبنو المطلب , دون بني عبد شمس وبني نوفل , لاقتصاره صلى الله عليه وسلم على بني الأولين مع سؤال بني الآخرين , ولأنهم لم يفارقوه لا في جاهلية ولا إسلام . ويشترك فيه الغني والفقير , والرجال والنساء . ويفضل الذكر على الأنثى , كالإرث وحكى الإمام الشافعي فيه إجماع الصحابة . والأسهم الثلاثة الباقية لليتامى والمساكين وابن

السبيل . والرواية الأخرى عن الإمام أحمد أن سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يختص بأهل الديوان , لأن النبي صلى الله عليه وسلم استحقه بحصول النصره , فيكون لمن يقوم مقامه في النصره . وعنه أنه يصرف في السلاح والكراع . والفيء عند الشافعية , وفي رواية عن الإمام أحمد , يخمس ومصرف الخمس منه كمصرف خمس الغنيمة . والظاهر عند الحنابلة أنه لا يخمس , ويكون لجميع المسلمين , يصرف في مصالحهم . وقال الحنفية : إن الخمس الذي لله ولرسوله إلخ يقسم على ثلاثة أسهم : سهم لليتامى وسهم للمساكين , وسهم لأبناء السبيل . ويدخل فقراء ذوي القربى فيهم , يعطون كفايتهم , ولا يدفع إلى أغنيائهم شيء وذوو القربى الذين يدفع إلى فقرائهم هم بنو هاشم وبنو المطلب والفيء لا يخمس عندهم . وقال المالكية : إن خمس الغنيمة كلها والركاز والفيء والجزية وخراج الأرض المفتوحة عنوة أو صلحا وعشور أهل الذمة محله بيت مال المسلمين , يصرفه الإمام في مصارفه , باجتهاده فيبدأ من ذلك بآل النبي عليه الصلاة والسلام استحبابا , ثم يصرف للمصالح العائد نفعها على المسلمين , كبناء المساجد والفيء لا يخمس عندهم . والآل الذين يبدأ بهم هم بنو هاشم فقط .

(عاشرا) في الصلاة على آل النبي صلى الله عليه وسلم الفقهاء في المذاهب الأربعة مجمعون على أنه لا يصلى على غير الأنبياء والملائكة إلا تبعا , لكنهم اختلفوا في حكم الصلاة على الآل تبعا . فأحد رأيين عند الشافعية والحنابلة أن الصلاة على الآل في الصلاة واجبة , تبعا للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مستدلين بما روي من حديث كعب بن عجرة قال (إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا . فقلنا : يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك , فكيف نصلي عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد وآل محمد , كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم) فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه وعلى آله , والأمر يقتضي الوجوب . والرواية الأخرى في المذهبين أنها سنة , وهو قول الحنفية , وأحد قولين للمالكية , واستدلوا بحديث ابن مسعود (أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه التشهد ثم قال إذا قلت هذا , أو قضيت هذا , فقد تمت صلاتك) وفي لفظ (فقد قضيت صلاتك فإن شئت أن تقوم فقم) والرأي الآخر عند المالكية أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والآل تبعا , فضيلة .

(حادي عشر) آل البيت والإمامة الكبرى والصغرى لم يشترط جمهور الفقهاء أن يكون إمام المسلمين (ال خليفة) من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ويستدلون على ذلك بأن الخلفاء أبا بكر وعمر وعثمان لم يكونوا من أهل البيت بل كانوا من قريش ومقتضى مراعاة شرف النسب أنه في الإمامة الصغرى إن استووا هم وغيرهم في الصفات قدموا باعتبارهم أشرف نسبا .

(ثاني عشر) حكم سب آل البيت أجمع فقهاء المذاهب على أن من شتم أحدا من آل الله صلى الله عليه وسلم مثل مشاتمة الناس فإنه يضرب ضربا شديدا وينكل به ولا يصير كافرا بالشتم .

(ثالث عشر) الاتساب إلى آل البيت كذبا قالوا من انتسب كاذبا إلى آل النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا , ويحبس طويلا حتى تظهر توبته , لأنه استخفاف بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) وسيأتي مزيد من الكلام في باب (الغفارة) وأسبابها ومتعلقاتها .

وجوب محبة آل البيت

آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم يجب حبهم ومحبتهم لما ورد من نصوص فقد أخرج ابن سعد قوله صلى الله عليه وسلم (استوصوا بأهل بيتي خيرا فيأني أخاصمكم عنهم غدا، ومن أكن خصمه خصمه الله) ونقل القرطبي عن ابن عباس في قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال: رضا محمد ألا يدخل أحد من أهل بيته النار . وأخرج البخاري عن ابن عمر قال قال أبو بكر: خطب النبي فقال (أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثا) وروى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله سائلكم كيف خلقتهم في كتاب الله وأهل بيتي) وروى الحاكم والترمذي قوله صلى الله عليه وسلم (أحبوا الله لما يغذوكم به واحبوني بحب الله . وأحبوا أهل بيتي بحبي) وهناك آثار كثيرة تدل على وجوب حب آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم . وكما قال الكمي:

وما لي إلا آل أحمد شيعة وما لي إلا مذهب الحق مذهب
بأي كتاب أم بأي سنة يرى حبهم عار علي ويحسب

بغض آل البيت

كثير من الآثار تدل على تحريم بغض آل البيت ومنها: ما أخرجه الطبراني والبيهقي وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي؟ ومن آذى نسبي

وذوى رحمى فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله) وروى أحمد مرفوعاً: (من أبغض أهل البيت فهو منافق). وروى أبو الشيخ: قوله صلى الله عليه وسلم (ما بال رجال يؤذوننى فى أهل بيتى؟ والذى نفسى بيده، لا يؤمن عبد حتى يحببني، ولا يحببني حتى يحب ذريتى). وروى الحاكم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار) وقد بلغ من عظيم أدب السلف الصالح أنهم كانوا لا يقرءون فى الصلاة بسورة (المسد) حفاظاً على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفسه، مع أنها قرآن منزل. والله أعلم.

مدح الفرزدق للحسين وبيته

قال الفرزدق يمدح زين العابدين بن سيدنا الحسين وهو من آل رسول الله اذ هو ابن الحسين، وذلك عندما قال احد الامراء الامويين من هذا وقد رآه يطوف بالبيت والناس يتبعونه:

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائِفُهُ	وَالْبَيْتُ يُعْرِفُهُ وَالْحَلِي وَالْحَرَمُ
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ	هَذَا التَّقِيُّ التَّقِي الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ، إِنْ كُنْتَ جَاهِلُهُ	جَدُّهُ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا
وَكَيْسَ قَوْلُكَ: مَنْ هَذَا؟ بِضَائِرِهِ	الْعَرَبُ تَعْرِفُ مِنْ أَنْكَرَتْ وَالْعَجَمُ
كَلَّا يَدِيهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا	يُسْتَوَكِّفَانِ، وَلَا يَعْرِوهُمَا عَدَمُ
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ، لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ	يَزِينُهُ اثْنَانِ: حُسْنُ الْخَلْقِ وَالشِّيمُ
حَمَالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ، إِذَا اقْدَحُوا	حَلُّو الشَّمَائِلِ، تَحْلُو عَنْدَهُ نَعَمُ
مَا قَالَ: لَا قُطْ، إِلَّا فِي تَشْهَدِهِ	لَوْ لَا التَّشْهَدُ كَانَتْ لَاءُهُ نَعَمُ
عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ، فَانْقَشَعَتْ	عَنْهَا الْغِيَاهِبُ وَالْإِمْلَاقُ وَالْعَدَمُ
إِذْ رَأَتْهُ قَرِيْشٌ قَالَ قَاتِلُهَا	إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
يُغْضِي حَيَاءً، وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ	فَمَا يَكْلَمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ
بَكْفِهِ خَيْرُ رَأْيٍ رِيحُهُ عَبَقُ	مِنْ كَفِّ أَرْوَعٍ، فِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ
يَكَادُ يُنْسِكُهُ عَرْفَانُ رَاحَتِهِ	رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
اللَّهُ شَرَفَهُ قَدَمًا، وَعَظَّمَهُ	جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ

أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ
 مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يَشْكُرُ أَوْلِيَّةَ ذَا
 يُنْمَى إِلَى ذُرْوَةِ الدِّينِ الَّتِي قَصُرَتْ
 مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ
 مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ بُعِثَتْهُ
 يَنْشَقُّ ثَوْبُ الدَّجَى عَنْ نَوْرِ غُرَّتِهِ
 مِنْ مَعَشَرِ حُبِّهِمْ دِينَ، وَبُغْضِهِمْ
 مُقَدِّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
 إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقَى كَانُوا أُمَّتَهُمْ
 لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بَعْدَ جُودِهِمْ
 هُمْ الْغُيُوثُ، إِذَا مَا أَزْمَةُ أَزَمَتْ
 لَا يَنْقُصُ الْعُسْرُ بَسْطًا مِنْ أَكْفِهِمْ
 يُسْتَدْفَعُ الشَّرُّ وَالْبَلَاءُ بِمُحِبِّهِمْ

لَأَوْلِيَّةَ هَذَا أَوْلَاهُ نَعَمْ
 فَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ
 عَنْهَا الْأَكْفُ وَعَنْ إِدْرَاكِهَا الْقَدَمُ
 وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمَمُ
 طَابَتْ مَغَارِسُهُ وَالْحَيْمُ وَالشَّيْمُ
 كَالشَّمْسِ تَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلُمُ
 كُفِرُوا وَقُرْبُهُمْ مَنْجَى وَمُعْتَصِمُ
 فِي كُلِّ بَدْءٍ، وَمَخْتَوْمٌ بِهِ الْكَلَمُ
 أَوْ قِيلَ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ؟ قِيلَ:
 هُمْ وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا
 وَالْأَسَدُ أَسَدُ الشَّرَى وَالْبَاسُ مُحْتَدُمُ
 سَيَّانِ ذِكِّ: إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدُمُوا
 وَيُسْتَرْبُّ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّعَمُ

من مكارم اهل البيت

قال الامام محمد بن إسحاق كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون ومن يعطيهم فلما مات علي زين العابدين بن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به ولما مات وجدوا في ظهره وأكفاه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين في الليل وقيل إنه كان يعول مائة أهل بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات ودخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد يعود فبكى ابن أسامة فقال له ما يبكيك قال علي دين قال وكم هو قال خمسة عشر ألف دينار وفي رواية سبعة عشر ألف دينار فقال هي علي وقال علي بن الحسين كان أبو بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته بمنزلتهما منه بعد وفاته ونال منه رجل يوما فجعل يتغافل عنه يريه أنه لم يسمعه فقال له الرجل إياك أعني فقال له علي وعنك أغضي وخرج يوما من المسجد فسبه رجل

فاتدب الناس إليه فقال دعوه ثم أقبل عليه فقال ما ستره الله عنك من عيوبنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها فاستحيا الرجل فألقى إليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول إنك من أولاد الأنبياء قالوا واختصم علي بن الحسين والحسن بن الحسن وكان بينهما منافسة فنال منه الحسن بن الحسن وهو ساكت فلما كان الليل ذهب علي بن الحسين إلى منزل الحسن بن الحسن فقال يا ابن عم إن كنت صادقاً يغفر الله لي وإن كنت كاذباً يغفر الله لك والسلام عليك ثم رجع فلحقه فصالحه . وقيل له من أعظم الناس خطراً فقال من لم ير الدنيا لنفسه قدراً وقال أيضاً الفكرة مرآة تري المؤمن حسناته وسيئاته وقال فقد الأوبة غربة وكان يقول إن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وآخرون عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار وآخرون عبدوه محبة وشكراً فتلك عبادة الأحرار الأخيار وقال لابنه يا بني لا تصحب فاسقاً فإنه يبيعك بأكلة واقل منها يطعم فيها ثم لا ينالها ولا يخيل أنه يحذلك في ماله أحوج ما تكون إليه ولا كذا فإنه كالسراب يقرب منك البعيد ويباعد عنك القريب ولا أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ولا قاطع رحم فإنه ملعون في كتاب الله قال تعالى (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) وكان علي بن الحسين إذا دخل المسجد تخطى الناس حتى يجلس في حلقة زيد ابن أسلم فقال له نافع بن جبير بن مطعم غفر الله لك أنت سيد الناس تأتي تخطي حلق أهل العلم وقريش حتى تجلس مع هذا العبد الأسود فقال له علي بن الحسين إنما يجلس الرجل حيث ينتفع وإن العلم يطلب حيث كان وقال الأعمش عن مسعود بن مالك قال قال لي علي بن الحسين أتستطيع أن تجمع بيني وبين سعيد بن جبير فقلت ما تصنع به قال أريد أسأله عن أشياء ينفعنا الله بها ولا منقصة إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء وأشار بيده إلى العراق .

التشيع لآل البيت

قال الشيخ محمد حسن بن مخلوف السني المصري ما ملخصه (الشيعة من أكبر الفرق الإسلامية الشيعة، وهم الذين اتحلوا التشيع لعلى كرم الله وجهه وقالوا إنه الإمام بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بالنص الجلي أو الخفي وأنه الوصي بعده بالاسم أو الوصف دون الصديق وعمر وعثمان، وأن

الإمامة لا تخرج عنه ولا عن أولاده وإن خرجت فبظلم من غيرهم أو ببقية منه أو من أولاده . والشيعية مع تعدد فرقها تنحصر أصولها في ثلاث غلاة وزيدية وإمامية .

(أ) غلاة الشيعة والغلاة عدة فرق تطرفت في التشيع حتى خرجت عن رتبة الإسلام بمزاعم مكفرة ومعتقدات باطلة . ومنها فرقة تزعم ألوهية محمد وعلى وفاطمة والحسن، والحسين وأنهم شيء واحد، وأن الروح حالة فيهم بالسوية لا مزية لواحد منهم على الآخر ويسمون هؤلاء الخمسة أهل العباء .^١ ومنها فرقة تزعم أن الإله قد حل في على وأولاده وأنه قد ظهر بصورتهم ونطق بالسنتهم وعمل بأيديهم ومنها الباطنية وتسمى الإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق أو إلى زعيمهم محمد ابن إسماعيل .^٢ والقرامطة والحرمية لإباحتهم المحرمات والحارم، والسبعية لزعمهم أن الرسل سبعة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ومحمد المهدي، وأن بين كل اثنين منهم سبعة أئمة يحمون الشريعة، ولا بد في كل عصر من سبعة بهم يقتدى وبهم يهتدى وقد نشأت الإسماعيلية في بلاد الفرس وأسست دعوتهم على الإباحية المطلقة واستعجال اللذائذ والشهوات وتأويل التكليف الشرعية بما يفضى إلى إبطال الشرائع وعودة المجوسية إلى سيرتها الأولى .

(ب) الشيعة الزيدية وأما الزيدية فينسبون إلى زيد بن علي زين العابدين، ومقرهم اليمن وأكثرهم يرجع في الأصول إلى عقائد المعتزلة وفي الفروع إلى مذهب أبي حنيفة إلا في مسائل وهم بالإجمال أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة والجماعة .

(ج) الشيعة الإمامية (قال) وأما الإمامية فيزعمون أن الرسول قد نص نصا جليا على إمامة على بعده وأنه هو وصيه ويطعنون في سائر الصحابة وخاصة الشيخين بل منهم من يكفرهم وساق عامتهم الإمامة من على في بنيه إلى جعفر الصادق وفريق كبير منهم ساقها من جعفر الصادق إلى ابنه موسى الكاظم، ثم إلى ابنه على الرضى، ثم ابنه محمد التقي، ثم إلى ابنه على التقي، ثم إلى ابنه الحسن الزكي المعروف بالحسن العسكري ثم إلى ابنه محمد الذي يزعمون أنه الإمام المنتظر، وأنه المهدي الذي يظهر آخر الزمان فكان الأئمة عندهم اثني عشر وآخرهم اختفى في سنة 226 هجرية ولا يزال حيا وسيظهر آخر الزمان، ومن ذلك سمو الإثنى عشرية وزعموا - أن الإمامة لا بد أن يكون هاشميا عالما بجميع مسائل الدين معصوما، ولهم في أبي بكر وعمر مطاعن ومثالب يظهرونها فيما بينهم عند

الأمن ويخفونها تقية عند الخوف وكلها كذب وبهتان ويقدمون كربلاء والنجف الأشرف وما فيهما من مشاهد، ويحملون من أرضها قطعاً يسجدون عليها في الصلاة) .

انصراف بن أبي حرب

قال بن إسحاق عن الحسن بن علي بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي قال كنا جلوساً عند أبي عمرو بن العلاء فتذاكرنا السيد الحسن السبط فجاء فجلس وحضنا في ذكر الزرع والنخل ساعة فنهض فقلنا يا أبا هاشم مم القيام فقال إني لأكره أن أطيل بمجلس لا ذكر فيه لفضل آل محمد . لا ذكر فيه لأحمد ووصيه وبنيه . ذلك مجلس نطف ردي إن الذي ينسأهم في مجلس حتى يفارقه لغير مسدد (قلت) ونعود الآن إلى ما نحن بصدده فنقول :

الفصل الثالث

في

ذكر فاطمة الزهراء ومناقبها

فاطمة الزهراء

فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت رضي الله عنها تكنى أم أيها بكسر الموحدة بعدها تحتانية ساكنة ونقل بن فتحون عن بعضهم بسكون الموحدة بعدها نون وهو تصحيف وتلقب الزهراء روت عن أبيها وروى عنها ابناها وأبوهما وعائشة وأم سلمة وسلمى أم رافع وأنس وأرسلت عنها فاطمة بنت الحسين وغيرها قال عبد الرزاق عن بن جريج قال لي غير واحد كانت فاطمة أصغر بنات النبي صلى الله عليه وسلم وأحبهن إليه . وقال أبو عمر اختلفوا أيتها أصغر والذي يسكن إليه اليقين أن أكبرهن زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة واختلف في سنة مولدها فروى الواقدي عن طريق أبي جعفر الباقر قال قال العباس ولدت فاطمة والكعبة تبنى والنبي صلى الله عليه وسلم بن خمس وثلاثين سنة وبهذا جزم المدائني ونقل أبو عمر عن عبيد الله الهاشمي أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وكان مولدها قبل البعثة بقليل نحو سنة

أو أكثر وهي أسن من عائشة بنحو خمس سنين وتزوجها علي أوائل الحرم سنة اثنتين بعد زواج عائشة بأربعة أشهر وقيل غير ذلك وانقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من فاطمة .

زواج فاطمة

ذكر ابن إسحاق في المغازي الكبرى عن علي أنه خطب فاطمة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل عندك من شيء قال لا قال فما فعلت الدرع التي أصبتها يعني من مغنم بدر وقال بن سعد ان عليا أصدق فاطمة درعا من حديد . وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي حين زوجه فاطمة أعطها درعك الحطمية قالوا وسمع علي يقول أردت أن أخطب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فقلت والله مالي من شيء ثم ذكرت صبيته وعائدته فخطبتها إليه فقال وهل عندك شيء (قلت) لا قال فأين درعك الحطمية التي أعطيتك يوم كذا وكذا قلت هو عندي قال فأعطها وأخرج بن سعد عن الواقدي من طريق أبي جعفر قال نزل النبي صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب فلما تزوج علي فاطمة قال له التمس منزلا فاصابه مستأخرا فبنى بها فيه فجاء إليها فقالت له كلم حارثة بن النعمان فقال قد تحول حارثة حتى استحبيبت منه فبلغ حارثة فجاء فقال يا رسول الله والذي تأخذ أحب إلي من الذي تدع فقال صدقت بارك الله فيك فتحول حارثة من بيت له فسكنه علي بفاطمة ومن طريق عمر ابن علي قال تزوج علي فاطمة في رجب سنة مقدمهم المدينة وبنى بها مرجعه من بدر ولها يومئذ ثمان عشرة سنة وفي الصحيح عن علي قصة الشارفين لما ذبحهما حمزة وكان علي أراد أن يبنى بفاطمة فهذا يدفع قول من زعم أن تزويجه بها كان بعد أحد فإن حمزة قتل بأحد قال يزيد ابن زريع قالت عائشة ما رأيت قط أحدا أفضل من فاطمة غير أبيها قال بن سعد عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحاءين وسقاءين

فضليات النساء

قال عكرمة عن ابن عباس خط النبي صلى الله عليه وسلم أربعة خطوط فقال أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية وقال أبو يزيد المدائني عن أبي هريرة مرفوعا خير نساء العالمين أربع مريم وآسية وخديجة وفاطمة وقال الشعبي عن جابر حسبك من نساء العالمين أربع فذكرهن وقال بن أبي نعيم عن أبي سعيد الخدري مرفوعا سيدة نساء أهل الجنة فاطمة إلا ما كان من مريم .

فاطمة بضعة منه عليه السلام

في الصحيحين عن المسور بن مخرمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويريني ما رابها وعن علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن علي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة إن الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك وأخرج الدولابي في الذرية الطاهرة بسند جيد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بنى علي بفاطمة لا تحدث شيئا حتى تلقاني فدعا بماء فتوضأ منه ثم أفرغه عليهما وقال اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما وقالت أم سلمة في بيتي نزلت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية قالت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين فقال هؤلاء أهل بيتي الحديث أخرجه الترمذي والحاكم في المستدرک وأخرج الترمذي من حديث زيد ابن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علي وفاطمة والحسن والحسين أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم .

مسارة رسول الله لفاطمة

قال مسروق عن عائشة أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بابنتي ثم أجلسها عن يمينه ثم أسر إليها حديثا فبكت ثم أسر إليها حديثا فضحكت فقلت ما رأيت كالיום أقرب فرحا من حزن فسألتهما عما قال فقالت ما كنت لأفشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره فلما قبض سألتها فأخبرتني أنه قال إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين وما أراه إلا قد حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحوقا بي ونعم السلف أنا لك فبكيت فقال ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين فضحكت . وقالت أم سلمة جاءت فاطمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألتهما عنه فقالت أخبرني أنه مقبوض في هذه السنة فبكيت فقال أما يسرك أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم فضحكت أخرجه أبو يعلى

طلب علي وفاطمة المساعدة

قال سيدنا علي لفاطمة يوما لقد سنوت حتى اشتكيت صدري وقد جاء الله بسبي فاذهبي فاستخدمي فقالت وأنا والله قد طحنت حتى تجلت يداي فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما

جاء بك أي بنية فقالت جئت لأسلم عليك واستحيت أن تسأله ورجعت فأتياه جميعا فذكر له علي حالهما قال لا والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تتلوى بطونهم لأجد ما أنفق عليهم ولكن أبيع وأنفق عليهم أثمانهم فرجعا فأتاهما وقد دخلا قطيفتهما إذا غطيا رؤوسهما بدت أقدامهما وإذا غطيا أقدامهما انكشفت رؤوسهما فثارا فقال مكانكما ألا أخبركما بخير مما سألتما فقلنا بلى فقال كلمات علمني بهن جبريل تسبحان في دبر كل صلاة عشرا وتحمدان عشرا وتكبران عشرا وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين قال علي فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن وقال له بن الكواء ولا ليلة صفين فقال قاتلكم الله يا أهل الطروق ولا ليلة صفين

شكوى فاطمة في علي

قال عمرو بن سعيد كان في علي شدة على فاطمة فقالت والله لأشكونك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقت وانطلق علي في أثرها فكلمته فقال أي بنية اسمعي واستمعي واعقلي إنه لا امرأة تأتي هوى زوجها وهو ساكت قال علي فكففت عما كنت أصنع وقلت والله لا أتى شيئا تكرهينه أبدا وعن حبيب بن أبي ثابت قال كان بين علي وفاطمة كلام فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل حتى أصلح بينهما ثم خرج قال فقل له دخلت وأنت على حال وخرجت ونحن نرى البشري وجهك فقال وما يمنعني وقد أصلحت بين أحب اثنين إلي .

الفواطم

الفواطم التي ذكرن في بعض الآثار هن فاطمة الزهراء، وفاطمة بنت أسد أم علي . وفاطمة بنت حمزة، وفاطمة بنت عتبة ابن ربيعة . والفواطم اللاتي ولدن النبي، صلى الله عليه وسلم هن فاطمة القرشية والفاطمات القيسيات، والفاطمات اليمانيات، وفاطمة الأزديّة، وفاطمة الخزاعيّة .

وفاة فاطمة

قد ثبت في الصحيح عن عائشة أن فاطمة عاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر وعن أم رافع قال مرضت فاطمة فلما كان اليوم الذي توفيت قالت لي يا أمة اسكبي لي غسلا فاغتسلت كأحسن ما كانت تغسل ثم لبست ثيابا لها جددا ثم قالت اجعلي فراشي وسط البيت فاضطجعت عليه واستقبلت القبلة وقالت يا أمة أني مقبوضة الساعة وقد اغتسلت فلا يكشفني لي

أحد كفا فماتت فجاء علي فأخبرته فاحتملها ودفنها وقال الواقدي توفيت فاطمة ليلة الثلاثاء
لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وقال الواقدي قلت لعبد الرحمن بن أبي الموالى إن
الناس يقولون إن قبر فاطمة بالبقيع فقال ما دفنت إلا في زاوية في دار عقيل وبين قبرها وبين الطريق
سبعة أذرع. رضي الله عنها وارضاهها .

وصف فاطمة لابن الحرمة

في وصف السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام قال
الشيخ أحمد بن الحرمة في برهان ولاية غرداية :

جبت القول اعلى فاطيمه	رضي الله عنها
تعرنا يوم القيامه	نتحرر في حرمتها
البارح فاطمه جاتني	وابكيت اعلى ركبته
بادخول الجنه هنتني	ضمنت بشفاعت بوها
ليلت جمعا ياسادتي	جتي فاطما لمباتي
قالت راك امن اوليداتي	نار اعدابك نطفها
قالت لي بنت القريشي	افرح وامدح بي عاشي
زين الزهره ماري توشي	سبحان اللي صورها
بنت الهادي خطفت عقلي	ربي يهديها ترجعلي
تبريني من ضرا هبالي	تشرح صدري بدواها
هدفت عندي بعد القطسا	نلقاها في ديوان انسا
منهم عانس ومكروسا	في ظني قرابتها
يلقوني مخلوع وفاجع	ما ظنوني زين انواجع
نور اعلى فاطمه اساطع	مصباح اعلى جبهتها
ابعيني ما هيشي عاكس	طلقت ثيث اكحل مداكس
احرير اقمارايبان يتباقص	مطيب ريحت ظفرتها

راني في الغشوه نسعجب
 سي انعاج امعاه الرايب
 لمالك احواجب جروهم
 ارماش الهدبه غطوهم
 فاطمه من شافك يحشم
 تفارج باللفم املقم
 اسنانك يا صافي المبسم
 مثل استبرق الله عالم
 عنق الزهره زين امركب
 دقلت نور اتمرها طايب
 بدتك ثاث وشاش اكميما
 اثمار اجمار اعليه الما
 ذاك الساق ايبان امسلس
 واخلاخل اردوف اتسدس
 الباس اللي هي مذكوره
 تضحك ما هيشي منقوره
 اشكيتلها دار الدنيا
 اللي ينظر هذا البيا
 ترضي عن شيخ الشعارا
 شكر الدنيا غير اخسارا
 تساهل لشكار الزينا
 من حوضو الطاهر تسقينا
 في شان اعلامك عدينا

برق اسطع بين اسحايب
 اماتو كي حلبوها
 كحل وسود وكي كنبوهم
 يفهم من حقق بها
 وجهك والمنقار امسقم
 ذكر الله في شفتها
 تبروري رعدو يتكلم
 لايمثل حاشاها
 قايد باشا قومو تلعب
 ثقلت من جر اخلها
 واصباعك طلحات اقلوما
 سيل الكوثر غذاها
 مكسي بعبارق وسندس
 واصباعات ال ذرعتها
 دار ابدار ابيض بخضوره
 والحوريات امعاها
 ظموني في ذيك وذا
 ما يحقر في حرمتها
 نشكر فاطمه صبارا
 يا قلبي توب اخطها
 غدوه بوها يشفع فينا
 حيدر يتلقى بها
 يا فاطما لاتنسينا

في الجنة الخضره هنيئا
 يا طفله يا ذيك البهجا
 نبرا من دايا تفاجا
 ابن الحرمه ينسب ليكم
 من صغري والبع باغناكم
 في المحشر فاطمه تشفع
 كان انتايا تشوف وتسمع
 كي توصل لل هل البيت اوقف
 البيضاوي ثاني الف
 اهل السنه كل اتفقو
 كيما ظنوفيهما يلحقو
 لحسن والحسين العمدا
 فرض اعليتنا لا تعدى
 من جد ال جد ليهم كبرا
 من عاداهم سهم الحقرا
 يا فاطيمه ليك الهربه
 السيات اتجني مكتوبه
 عدك لاتهديني باير
 فاطيمه بيكم تعاير
 غيثن يا يوم القيامه
 اسماء احمد ابن الحرمه
 الناس الحساد اكثيرا
 لاتهدي ليهم تاثيرا
 ابحاه جاهك نسكها
 اسقيني راني في وهجا
 شاف نعرف طلقتها
 لله روفي عن شاعر كم
 حتى الدنيا تاركها
 ابلا شك اتخط وترفع
 سورت لحزاب اقراها
 في الخازن فسرهما واعرف
 الربعه قالوا بها
 بشفاعت فاطيمه نطقو
 كي هي كي ذريتها
 ليهم ثاني بالمودا
 قربى للهادي طاهها
 ذريت فاطمه الزهرا
 جهنم يدخلها
 يوم المحشر يوم الغلبه
 في ذمتنا تمحها
 احبي عني كل اكباير
 هذا النطفه تحموها
 قولي وين اقصير القامه
 نقرح في بيتك نرها
 لا يخفوكش في البصيرا
 جد مارتهم نخيها

نسي غالي ما هو دوني	ما عدوني ما عرفوني
متوجد لي للندها	بن خيره غير امساميني
حاميني في الندها بادر	انا شيخي عبد القادر
قوم اهل الله تدرسها	يجمل عدياني في نادر
عديان احمد ايجو في حما	بجاهي السادات الكرما
تحسيني ال نخصدها	ربي شافينا بالكرما
ارفعهم كما رفعونا	ربي كافي من كفونا
واحببتهم تقبلها	عل شان اللي حبونا
بالف اصلاة اعلى محمد	نختم ذالمدحه تتعمد
من شاو الدنيا لآخرها	اهلي واجميع اللي شهد
عطف عنا حزب احبا بك	ياربي العزه سبحانهك
واحو ايجنا تقضها	وافتح لي في وجهي بابك
انموت اعلى حسن الخاتيمه	بجاهي اثاريت فاطيمه
محمد يحضر فيها	لا اله الا الله ديمها
نور الهدى يا محمد	صلى الله اعلى محمد
والشفاعه يضمنها	يشفع فينا يوم الموعد

على ذكر الغوث الشيخ سيدي عبد القادر البغدادى بن موسى وابن خيره في هذه القصيدة اقول
 إن الشيخ عبد القادر هو صوفي وعالم ومؤلف له كتاب (الغنيه) واشعار عظيمة ومن اقواله التي سمعتها
 بمجلس الشيخ سيدي محمد بلقايد قوله :

تجرد عريانا ولو كان كاسيا	اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى
ولا خير فيمن كان لله عاصيا	وخير ثياب المرء طاعة ربه

الفصل الرابع في ذكر سيدنا علي ومناقبه

سيدنا علي

جدنا وسيدنا علي كرم الله وجهه هو «علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المغيرة بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام، وأمه «فاطمة بنت أسد بن هاشم» وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً، وقد أسلمت وهاجرت إلى «المدينة»، وهو ابن عم النبي (صلى الله عليه وسلم)، وتربى في بيته، لأن أباه كان كثير العيال قليل المال، فأراد النبي أن يخفف عن عمه أعباء المعيشة، فأخذ «علياً» ليعيش معه في بيته وكان عمره يومئذ ست سنوات، فشاءت إرادة الله أن ينشأ «علي» في بيت النبوة، فوقاه الله أرجاس الجاهلية، فلم يسجد لصنم قط، وكان أول من أسلم من الصبيان.

صفة سيدنا علي

كان رضي الله عنه ربعة من الرجال، يميل إلى القصر، أسمر اللون، حسن الوجه واسع العينين، أصلع الرأس، عريض المنكبين، غزير اللحية، قوى الجسم. عُرف بالشجاعة. والعلم الغزير، والزهد في الدنيا مع القدرة عليها، وكان واحداً ممن حفظوا القرآن كله من الصحابة، وعرضوه على النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومن أكثرهم معرفة بالقرآن وتفسيره وأسباب نزوله وأحكامه وكان من كتاب الوحي، ولذا اختص في سيرته بلقب «الإمام» لأفضليته العلمية والفقهية وكان أقضى الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، واشتهر بالفصاحة والخطابة وقوة الحججة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وقد تأخى الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع علي بعد الهجرة، ثم زوجه ابنته «فاطمة»، وأنجب منها «الحسن» و«الحسين»، وهما اللذان حفظا نسل الرسول (صلى الله

عليه وسلم). وشهد «علي» المشاهد كلها عدا تبوك مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكان في طليعة من صرعوا المشركين في «بدر»، وواحد من الذين ثبتوا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في غزوة «أحد»، وحمل اللواء عندما سقط من يد «مصعب بن عمير» بعد استشهاده، حمله بيده اليسرى، وظل يقاتل بيده اليمنى، وصرع في غزوة الخندق «عمرو بن عبد ود» فارس «قريش» والعرب كلها عندما لم يقدم أحد على مبارزته وأعطاه الرسول (صلى الله عليه وسلم) الراية يوم «خيبر»، وقال: «لأعطين اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، وأخبر أن الفتح سيكون على يديه، وتحقق ذلك، وثبت مع من ثبتوا مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في «حنين». وفي غزوة «تبوك» خلفه النبي (صلى الله عليه وسلم) في أهله يرعى مصالحهم وشؤونهم، ولما تأذى من ذلك وقال: يا رسول الله، تخلفني في النساء والصبيان فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم): أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، إشارة من النبي إلى أن موسى عندما ذهب لمناجاة ربه، ترك أخاه هارون، خلفاً له في قومه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ وكان رضى الله عنه موضع ثقة واحترام من الصحابة جميعاً، فكان من أكبر أعوان أبي بكر الصديق في قمع حروب الردة، ولأزم «عمر بن الخطاب» فكان لا يقطع أمراً دون مشاورته، والاستشارة برأيه، وكان عمر يقول: قضية ولا أبا حسن لها وعاون عثمان بالرأى والمشورة مثلما كان يفعل مع أبي بكر وعمر فلم يحجب عنه نصحه ومؤازرته في الفتنة التي أطبقت على الأمة، وأرسل أولاده مع بقية أولاد الصحابة لحراسته والدفاع عنه، ثم ذهب بنفسه لمواجهة الأشرار.

بيعة علي بالخلافة

رُوِّعت «مدينة» رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمقتل أمير المؤمنين «عثمان بن عفان» رضى الله عنه وعم الناس الهلع والرعب، لهذه الجريمة التي أقدم عليها هؤلاء الأشرار وسيطر الثائرون على «المدينة»، وظل «الغافقي بن حرب» زعيم ثوار «مصر»، وأحد كبار زعماء الفتنة يصلى بالناس إماماً في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خمسة أيام، والدولة كلها بدون

خليفة، ولم يكن فى وسع أحد من الثوار أن يرشح نفسه لها، لأنهم يعلمون أن هذا الأمر يخص المهاجرين وحدهم. وبدأ الثائرون يعرضون منصب الخلافة على كبار الصحابة: «على بن أبى طالب»، و«طلحة بن عبيد الله»، و«سعد بن أبى وقاص»، و«الزبير بن العوام»، و«عبد الله ابن عمر بن الخطاب»، فرفضوا جميعاً، وسماهم «على بن أبى طالب» الثائرين ولعنهم على فعلتهم الشنعاء، فهددهم الثائرون بقتلهم جميعاً كما قتلوا «عثمان» إن لم يقبل أحدهم منصب الخلافة. وفى مثل هذه الظروف العصيبة كان لابد من رجل شجاع غير هياب، يتقدم الصفوف لحمل الأمانة وسط الأخطار المحدقة بها، واتجهت الأنظار إلى «على بن أبى طالب»، وتعلقت به الآمال، ترجوه تحمل المسؤولية، وقيادة الركب إلى بر الأمان، وألح عليه كبار الصحابة إلحاحاً شديداً لتولى المنصب الشاغر، منصب الخلافة الجليل، فقبل تجشم تبعاتها فى هذه الظروف الدقيقة، وكان قبوله لها ضرباً من ضروب الفروسية والشجاعة، والاحتساب عند الله، والنزول على رغبة كبار الصحابة.

خطبة علي يوم البيعة

كان سيدنا على بن أبى طالب هو أول خليفة يخطب قبل البيعة، وكانت خطبة قصيرة أشهد الله عليهم وأشهدهم على أنفسهم أنهم هم الذين ألحوا عليه تقبل أمر كان له كارهاً لتبعاته ومسئوليته فلما وافقوا بايعوه ولهذا كان عليه أن يخطب مرة أخرى خطبة يوضح فيها أسلوبه فى الحكم فقال: «إن الله أنزل كتاباً هادياً، بين فيه الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر، الفرائض الفرائض أدوها إلى الله تعالى يؤدكم إلى الجنة، إن الله حرم حرمات غير مجهولة، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق لا يحل دم امرئ مسلم إلا بما يجب، بادروا أمر العامة، وخاصة أحدكم الموت، فإن الناس أمامكم، وإن من خلفكم الساعة تحذوكم تحنفوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس أخراهم، اتقوا الله عباد الله فى بلاده وعباده، إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله فلا تعصوه ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض﴾»

خطبة قصيرة مناسبة للمقام وللظرف الذى قيلت فيه، فقد بدأها بالتذكير بالله، وحث المسلمين على عمل الخير وتجنب الشر، وحذرهم حرمات الله والوقوع فيها، وأهمها حرمة دم المسلم، ولعله بذلك يعرض بقتلة «عثمان» ويحدد موقفه من هذه الفعلة الشنعاء، وأنه لن يتساهل فى القصاص منهم، وإقامة الحد عليهم.

على والقرارات الصعبة

تمت بيعة سيدنا على بن أبى طالب فى اليوم الخامس والعشرين من شهر ذى الحجة سنة (35 هـ) فاستقبل بخلافته عام (36 هـ)، وكان عليه أن يواجه الموقف العصيب الذى نتج عن استشهاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان باتخاذ قرارات صعبة تجاه عدد من المعضلات، التى كان: أولها - القصاص من قتلة عثمان رضى الله عنه وكان ذلك مطلب الصحابة، وفى أول يوم من خلافته ذهب إليه «طلحة» و«الزبير»، وطالباه بإقامة الحد على القتلة، وكان هو مقتنعاً بذلك، ولذلك قال لهما: «يا إخواناه إنى لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟ ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم أى يعيشون بينكم يسومونكم ما شاءوا أى يسيطرون عليكم فهل ترون موضعاً لقدرة على شىء مما تريدون؟ قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه أبداً ويتضح من هذا أن سيدنا علياً بن أبى طالب لم يكن أقل من غيره حرصاً على إقامة الحد على قتلة عثمان ولكن الظرف الذى هم فيه لا يمكنه من ذلك، فإذا كان الذين نفذوا القتل فى عثمان عدداً محدوداً، وهم الغافقى بن حرب ومعه سودان بن حمران وكنانة بن بشر التجيبى فإن وراءهم نحو عشرة آلاف من الثوار الذين ضللوهم، وهم مستعدون للدفاع عنهم، ولذلك عندما كانوا يسمعون قائلاً يقول: من قتل عثمان . كان هؤلاء جميعاً يصيحون: نحن جميعاً قتلناه ولذا كان رأى الإمام علي التريث حتى تهدأ الأمور ويعود الناس إلى بلادهم حتى يتمكن من التحقيق فى الأمر وإقامة الحد وقد اقتنع الصحابة بهذا الحل لكن الأمور تطورت تطوراً آخر على غير ما يهوى الجميع.

ثانيها - تغيير كل ولاية عثمان على الولايات الكبرى: مصر والشام والكوفة والبصرة حتى تهدأ الفتنة. وقد اتخذ علي بالفعل قراراً بذلك، فعزل معاوية بن أبى سفيان عن الشام وعين بدلاً منه

سهل بن حنيف وعزل عبدالله بن سعد بن أبي السرح عن مصر وعين بدلامنه قيس بن سعد بن عبادة وعزل عبدالله بن عامر عن البصرة وعين بدلامنه عثمان بن حنيف وعزل أبا موسى الأشعري عن الكوفة وعين بدلامنه عمار بن شهاب. وهذا القرار الخطير راجعه فيه أقرب الناس وأخلصهم له ابن عمه عبدالله بن عباس ونصحه بالانتظار فترة ولو لمدة سنة، لتكون الأمور قد هدأت واستقرت، ويتم التغيير في ظرف مناسب، لكن الإمام أصر على تنفيذ قراره محتجاً بأن هؤلاء الثوار ثاروا غضباً من ولاية عثمان سواء أكانوا مخطئين أم مصيبين، ولن تهدأ ثورتهم إلا إذا عزلوا. وإزاء إصرار علي رضي الله عنه على تنفيذ قراره، اقترح ابن عباس أمراً آخر، بأن يعزل من يشاء من الولاة، ويبقى معاوية على ولاية الشام، وكان اقتراحاً ذكياً وجيهاً فمعاوية لم يكن موضع شكوى أحد من رعيته، ولم يشترك أهل الشام في الثورة على عثمان وقتله وعلى هذا فلو أقره علي في ولاية الشام، فلن يلومه أحد، وكان ابن عباس يعرف من ناحية أخرى أن معاوية لن يذعن لقرار العزل وسيبقى في لايته مسبباً متاعب كثيرة ومع هذا صمم الإمام علي بن أبي طالب على عزل ولاية عثمان جميعاً بما فيهم معاوية وبدأ الولاة الجدد يتجهون إلى ولاياتهم لمباشرة أعمالهم، فذهب قيس بن سعد إلى مصر ودخلها بدون متاعب لأن واليها القديم عبدالله بن سعد تركها منذ علمه بمقتل عثمان وذهب إلى فلسطين واعتزل الفتنة وبقي هناك حتى مات في مدينة عسقلان سنة (37هـ). وكذلك دخل عثمان بن حنيف البصرة وتولى شؤونها بدون مشاكل لأن واليها عبدالله بن عامر كان قد تركها وذهب إلى مكة أما عمار بن شهاب فلم يملكه أهل الكوفة من دخولها وتمسكوا بواليتهم أبي موسى الأشعري فوافق الإمام علي ذلك، وأقر عليهم أبا موسى الأشعري وكذلك لم يستطع سهل بن حنيف دخول الشام، فقد منعه معاوية بن أبي سفيان رافضاً قرار العزل. وهنا لم يعامل الإمام علي الشام معاملة الكوفة فإنه رفض إقرار معاوية في ولاية الشام مع أن تمسك أهلها به كان أشد من تمسك أهل الكوفة بأبي موسى الأشعري.

بين على ومعاوية

دارت مراسلات عديدة بين «على» و«معاوية» رضى الله عنهما يطلب الأول من الآخر مبايعته بالخلافة والإذعان لأوامره، باعتباره الخليفة الشرعى الذى بايعه معظم الصحابة فى «المدينة» على حين يطلب الثانى من الأول القصاص من قتلة «عثمان»، باعتباره ولى دمه، لأنه ابن عمه وبعدها ينظر فى بيعته. ولم تكن وجهة نظر الإمام فى قضية القصاص رافضة، لكنه كان يرغب فى تأجيلها حتى تنهى الظروف المناسبة، ولكن «معاوية» تمسك بالقصاص أولاً، وجعله شرطاً لازماً يسبق البيعة. ولما لم تؤد الاتصالات بينهما إلى نتيجة، وصلت رسالة من «معاوية» إلى «على» تتضمن جملة واحدة، هى: «من معاوية إلى على»، بعثها «معاوية» بيضاء مع رجل يدعى «قبيصة» من «بنى عبس»، وأمره أن يدخل بها «المدينة»، رافعاً يده حتى يراها الناس، ويعلموا أن «معاوية» لم يبايع «عليّاً»، إذ يخاطبه باسمه فقط دون أن يصفه بأمر المؤمنين. وأدرك على رضى الله عنه أن حمل معاوية على البيعة سلماً غير ممكن، فأخذ يعد العدة لحملة على البيعة بالقوة، باعتباره خارجاً على طاعة الخليفة، على الرغم من أن كثيرين نصحوه بعدم اللجوء إلى الحرب لعواقبها الوخيمة، ومن بينهم ابنه «الحسن» لكن الإمام «على» أصر على موقفه، وبينما هو يستعد لذلك، جاءت أخبار أخرى مفزعة من «مكة»، تخبره بمسير «عائشة» وجماعتها إلى «البصرة»

فتنة لجمال (36هـ)

كانت أم المؤمنين «عائشة» - رضى الله عنها - عائدة من أداء فريضة الحج، وسمعت بمقتل «عثمان» فعادت من الطريق إلى «مكة»، وأعلنت سخطها على قتله، وأخذت تردد «قتل والله عثمان مظلوماً لأطلين بدمه»، ثم وافاها فى «مكة» «طلحة» و«الزبير» رضى الله عنهما و«بنو أمية»، وكل من أغضبه مقتل «عثمان»، وراحوا يتباحثون فى الأمر، وهداهم تفكيرهم إلى تجهيز جيش للأخذ بالثأر من قتلة «عثمان» والسير به إلى «البصرة»، باعتبارها أقرب بلد إليهم من البلاد التى اشترك أهلها فى الثورة على «عثمان» وقتله، وكان هذا اجتهاداً منهم مجانباً للصواب، لأنهم بهذا العمل كأنهم أقاموا حكومة أخرى غير حكومة الإمام، المبايع شرعاً من الأمة، والمنوط به وحده إقامة الحدود والقصاص من القتلة، وربما كان الأفضل من هذا أن

يتوجهوا إلى «المدينة»، ليشدوا من أزر الخليفة في هذا الوقت العصيب الذي تمر الأمة به ويتشاوروا معه في إيجاد طريقة لحل المشكلات التي تواجهها الأمة. وصلت أخبار سير «عائشة» ومن معها إلى «علي» وهويتأهب للخروج إلى الشام لقتال «معاوية»، فاضطر إلى تغيير خطته فلم يعد ممكناً أن يذهب إلى الشام ويترك هؤلاء يذهبون إلى «البصرة»، فاستعد للذهاب إلى هناك خرجت السيدة «عائشة» رضي الله عنها ومعها في البداية نحو ألف رجل لكن هذا العدد تضاعف عدة مرات، بانضمام كثيرين إلى الجيش، نظراً إلى مكانة «عائشة»، فلما اقتربوا من «البصرة»، أرسل واليها «عثمان بن حنيف» إلى أم المؤمنين «عائشة» رسولين من عنده، هما «عمران بن حصين» و«أبو الأسود الدؤلي» يسألانها عن سبب مجيئها. فقالت لهما: «إن الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأحدثوا فيه الأحداث وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا لعنة الله ورسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء وكذلك سأل الرسولان «طلحة» و«الزبير» رضي الله عنهما عن سبب مجيئهما، فقالا: «الطلب بدم عثمان»، فرجع الرجلان وأخبرا «عثمان بن حنيف»، فقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون دارت رحى الإسلام ورب الكعبة»، وأصرَّ على منعهم من دخول «البصرة»، فساءت الأحوال بينهما عن اجتهاد ثم تنادوا إلى الصلح والكف عن الفتنة، وانتظار قدوم الإمام «علي» إلى «البصرة»، وتم الصلح على أن يتركوا للوالى دار الإمارة والمسجد وبيت المال وينزلوا هم في أى مكان بالبصرة.

وصول علي إلى البصرة

وصل سيدنا علي إلى البصرة وعلم بما حدث بين الفريقين وهاله ذلك، فأرسل علي الفور «القعقاع بن عمرو التميمي» إلى معسكر «عائشة» و«طلحة» و«الزبير»، ليعرف ماذا يريدون فقالت «عائشة» رضي الله عنها «خرجنا لنصلح بين الناس»، وكذلك قال «طلحة» و«الزبير» فسألهم «ما وجه الإصلاح الذي تريدون»، قالوا: «قتلة عثمان»، قال: «لقد قتلتم ستمائة من قتلة عثمان، فغضب لهم ستة آلاف من قبائلهم، وكنتم قبل ذلك أقرب إلى السلامة منكم الآن» قالوا: «فماذا ترى أنت؟»، قال: «أرى أن هذا الأمر دواؤه التسكين»، واقترح عليهم تحديد

البيعة لعلی، ومقابلته، والتفكير بعد ذلك فيما يصلح المسلمين، فقبلوا. ومعنى ذلك أن الجميع كانوا راغبين، فى الإصلاح كل على حسب اجتهاده لكن عناصر الشر التى كانت لاتزال فى معسكر على هى التى أفسدت السعى الذى قام به القعقاع.

أتباع ابن سبأ يفسدون الصلح ويبدؤون المعركة

كانت نقطة الضعف التى فى معسكر الإمام «على» هى وجود كثيرين ممن اشتركوا فى قتل «عثمان» والتخطيط له، وعلى رأسهم «عبد الله بن سبأ»، و«الأشتر النخعى»، ولم يكن لعلی حيلة فى وجودهم معه ولا قدرة على إبعادهم، لكونهم قوة كبيرة تساندتهم عصبات قبلية، وقد أدرك زعماءهم الذين تولوا كبر الثورة على «عثمان» أن الصلح بين الفريقين سيجعل «علياً» يتقوى بانضمام الفريق الآخر إليه، ويقيم الحد عليهم باعتبارهم قتلة «عثمان»، فعزموا على إفساد الأمر كله. وترتب على هذا العزم أن عقد «ابن سبأ» لهم مؤتمراً تدارسوا فيه الأمر فاقترح «الأشتر» أن يقتلوا «علياً» كما قتلوا «عثمان» من قبل، فتهيج الدنيا من جديد، ولا يقدر عليهم أحد، لكن هذا الاقتراح لم يعجب «ابن سبأ»، فهو يريد أن يدخل الأمة كلها فى حرب طاحنة، لأن يقتل فرد واحد وإن كان خليفة المسلمين، فأمرهم بشن هجوم فى ظلام الليل على جيش «عائشة» و«طلحة» و«الزبير»، بدون علم الإمام «على»، فاستجابوا لرأيه، وبينما الناس نائمون مطمئنون بعد أن رأوا بواد الصلح تلوح فى الأفق، إذا بهم يفاجئون بقعة السلاح، وكانت هذه هى بداية حرب «الجملة» المشؤمة التى راح ضحيتها خيرة الصحابة «طلحة» و«الزبير» المبشرين بالجنة، ونحو عشرين ألفاً من المسلمين.

أسباب خروج عائشة ومن معها

لم تكن أم المؤمنين «عائشة»، ولا «طلحة» ولا «الزبير» ولا أمير المؤمنين «على» يريدون سفك الدماء ولا يتصورون حدوث ذلك، وكل ما دفع السيدة «عائشة» ومن معها إلى الخروج إنما هو اقتناعهم بأن «عثمان» قتل مظلوماً، وعليهم تقع مسؤولية إقامة الحد على قتلته، ولم يكونوا أبداً معادين لعلی، أو معترضين على خلافة، وقد رأينا ميلهم جميعاً إلى الصلح، لولا أن أتباع «ابن سبأ» (السبئية) أفسدوا كل شىء وأشعلوا الحرب، ولقد ندمت السيدة «عائشة» ندماً شديداً

على ما حدث، وقالت: «والله لو ددت أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة» وخلاصة القول أن تبعة هذه المأساة تقع على عاتق «السبئية»، فهم الذين أشعلوا الفتنة من البداية، وقتلوا خليفة المسلمين ظلمًا، وأشعلوا حرب «الجمال»، أما الصحابة، فقد وصف «ابن خلدون» موقفهم وصفًا دقيقًا، فقال: «وإذا نظرت بعين الإنصاف عذرت القوم أجمعين، وعلمت أنها كانت فتنة ابتلى الله بها الأمة» (قال الراوي) وبعد حادثة «الجمال» توجه «على ابن أبى طالب» بجيش يبلغ عدده نحو مائة ألف إلى «صفين»، واستعد «معاوية» لمقابلته بجيش يقاربه فى العدد، ودارت بينهما معركة شرسة فى شهر صفر سنة (37هـ) قتل فيها من الجانبين نحو سبعين ألفًا، خمسة وعشرين ألفًا من جيش «على»، وخمسة وأربعين ألفًا من جيش «معاوية»، ولما رأى الناس كثرة القتلى من الجانبين تنادوا يطلبون وقف القتال وبعد نداءات نادى بها الطرفان جاءت فكرة التحكيم

(الميلود قويسم) ولو أنى أوردت هذا الكلام فإنى أكذب التاريخ فى هذه الحثيثة ومثيلايتها وجميع وقائعها وأعتبرها من تلفيقات الخراصين المكيدين للإسلام وتاريخه الأصيل .

التحكيم

رفع جيش «معاوية» المصاحف للاحتكام إليها، ووقف القتال فورًا، بدلا من سفك الدماء وكانت فكرة التحكيم من عند «عمرو بن العاص»، وقد قبلها الطرفان، وأوقفت الحرب، بعد أن فرغ الناس لكثرة عدد القتلى. أوقفت الحرب، وطلب من «على» و«معاوية» أن ينيب كل منهما شخصا يتفاوض باسمه، للفصل فى القضايا محل الخلاف، فأناب «معاوية» «عمرو بن العاص»، وأناب «على» «أبا موسى الأشعرى» على كره منه وذلك فى شهر صفر (37هـ) وكان علي قد حاول أن ينيب عنه «عبد الله بن عباس»، لكن أنصاره، وبخاصة من أبناء «اليمن» بزعامه «الأشعث بن قيس»، رفضوا ذلك بحجة عصبية، وأعلنوها صراحة، كيف يكون الخلاف بين رجلين من «قريش»، ثم يكون الحكمان رجلين من «قريش» أيضا، لقد حسدوا قريشًا على زعامتها للدولة الإسلامية التى استحققتها بسابقتها فى الإسلام، لانبسبها فقط. واتفق على أن يأخذ الطرفان مهلة مدتها ستة أشهر، تهدأ فيها النفوس، ويجتمع الحكمان

للتباحث والوصول إلى حل، وبعد مفاوضات طويلة وصل الحكمان إلى نتيجة رأياها أفضل الحلول وهي عزل «علي» رضى الله عنه عن الخلافة، ورد الأمر إلى الأمة تختار من تشاء، أما التصرف العملى فى إدارة البلاد التى كانت تحت يد كل من الرجلين المتحاربين، فيبقى كما كان «علي» يتصرف فى البلاد التى تحت حكمه (وهى كل الدولة الإسلامية عدا الشام) و«معاوية» يتصرف فى البلاد التى تحت حكمه (الشام) .

موقف على وأنصاره من التحكيم

اجتهد الحكمان فيما توصلا إليه، وأعلناه على الناس، غير أن «عليًا» رضى الله عنه لم يقبل تلك النتيجة، واعتبر الحكيمين قد تجاوزا حدودهما؛ لأن الخلاف لم يكن على منصب الخلافة وإنما على إقامة الحد على قتلة عثمان وبيعة معاوية له، أيهما يسبق الآخر، ولذلك عدّ نفسه فى حل من هذه النتيجة فعادت الأمور إلى ما كانت عليه قبل التحكيم أى إلى حالة الحرب .

ظهور الخوارج والشيعة

حاول على أن يدعو أنصاره إلى حرب معاوية من جديد لكنهم كانوا قد ملوا القتال، وتقاعسوا عنه بل إنهم انقسموا إلى «شيعة» وافقوه على ما صنع «وخوارج» اعتبروا التحكيم كان خاطئاً من أساسه، مع أنهم هم الذين فرضوه عليه، ثم تجاوزوا ذلك إلى ما هو أكثر تطرفاً، فاتهموا علياً بالكفر، لأنه حكم الرجال فى القرآن، وصاغوا شعاراً أخذوا يرددونه الحكم لله لا لك يا على وكان هو يقول لهم: «كلمة حق أريد بها باطل»، وطالبوه بأن يعلن كفره ويتوب ويسلم من جديد، حتى يعودوا إليه ويقا تلوا معه فإذا لم يفعل فسوف يقا تلونه ولا يمكن لمسلم أن يتصور كيف يكفر رجل من صحابة رسول الله المبشرين بالجنة ومن رضى الله عنهم تحت الشجرة فى بيعة الرضوان وإزاء هذا التطرف من «الخوارج» اضطر الإمام أن يحاربهم فى معركة شهيرة تسمى معركة «النهران» بالقرب من «الكوفة»، وبعدها لم يستطع أن يجمع شمل أنصاره لقتال «معاوية» من جديد كما كان يريد، بل أجبرته الظروف على التفاهم والاتفاق معه .

الاتفاق بين على ومعاوية

وبعد انقسام جبهة «علي» إلى «شيعة» و«خوارج» ازداد موقفه ضعفاً لأن صراعه مع «الخوارج» كبده متاعب جسيمة وفي الوقت نفسه كان موقف «معاوية» يزداد قوة، وبخاصة بعد أن استطاع الاستيلاء على مصر سنة (38هـ)، بجيش قاده فاتحها الأول عمرو بن العاص ونشر قوات له في أطراف العراق وضم اليمن إليه، وأصبحت دولته تتسع بمرور الزمن، في الوقت الذي تضيق فيه دولة علي وانتهى الأمر بأن جرت بينهما مفاوضات طويلة، اتفقا على وضع الحرب بينهما وتكون لعلى العراق وبلاد فارس وللمعاوية الشام فلا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة وتراضيا على ذلك وهكذا أجبرت الظروف التي تكون أحياناً أقوى من الرجال على بن أبي طالب أن يصالح معاوية ويسلم له بنصف الدولة الإسلامية تقريباً يحكمها حكماً مستقلاً وهو الذي رفض في بادئ الأمر إبقاءه والياً على الشام وحدها يآثر بأمره وينتهي بنهيه.

إدارة الدولة وتثبيت الفتوحات في عهده

على الرغم من الظروف الصعبة التي واجهت الإمام علياً رضى الله عنه فإنه أدار الدولة باقتدار وعدالة ونزاهة وتجرد، ولم يقصر في شأن من شؤونها، واتخذ من «الكوفة» عاصمة لدولته منذ أن خرج من «المدينة» إلى «البصرة» وبعد معركة «الجمل»، وظل يحكم منها إلى أن لقى الله، وعهد بإدارة بقية أجزاء دولته إلى أقرب الناس إليه، وأخلصهم له، فجعل «عبدالله بن عباس» والياً على «البصرة» وأخاه «عبيد الله بن عباس» والياً على «اليمن»، وأخاهما الثالث «قثم بن عباس» والياً على «مكة» و«الطائف»، وعزل «قيس بن سعد» عن «مصر»، وولى مكانه «محمد بن أبي بكر الصديق».

ولا لوم على «عثمان» و«علي» إذا وليا أهل قرابتهما؛ لأن كل واحد منهما اجتهد لمصلحة الأمة وكان أميناً عليها، فعهد بإدارة الدولة إلى من رأى أنهم ينفذون سياسته، ولم يول أي منهما أحداً محاباة أو لقرابة. ولم تشغل الإمام علياً مشكلات الدولة الداخلية عن التصدي لمحاولات الانتفاض التي حدثت في بلاد فارس، فقد حاول الفرس تكرار ما فعلوه بعد استشهاد عمر بن الخطاب فأرسل إليهم زياد بن أبيه في جمع كثير فوطئ بهم أهل فارس وكانت قد اضطربت فلم يزل يبعث إلى رؤوسهم يعد من ينصره ويعينه ويخوف من امتنع عليه وضرب بعضهم ببعض

فدل بعضهم على عورة بعض، وهربت طائفة وأقامت طائفة فقتل بعضهم بعضاً وصفت له فارس فلم يلق منهم جمعاً ولا حرباً. أما الروم فلم يتحركوا لأن الإمبراطور قنسطانز لما عرض عليه بعض قواده أن ينتهزوا فرصة الحروب التي جرت بين علي وأصحاب الجمل وبينه وبين معاوية ويغيروا من جديد على مصر والشام رفض الإمبراطور معللاً ذلك بأن غزوه لمصر والشام سيجعل المسلمين يتصالحون ويتحدون ويقاثلوننا جميعاً ولن نقوى عليهم فخير لنا أن نتركهم يقتل بعضهم بعضاً حتى يضعف شأنهم.

استشهاد سيدنا علي

جاءت نهاية الإمام «علي بن أبي طالب» على يد «الخوارج»، أنصاره السابقين، الذين بلغ بهم الغلو والتطرف حداً اعتبروا فيه «عليّاً» و«معاوية» و«عمرو بن العاص» أئمة ضلالة، وحملوهم مسؤولية ما حدث، وقرروا قتل الثلاثة جميعاً، وانفقوا أن يتم التنفيذ في وقت واحد، هو فجر اليوم السابع عشر من شهر رمضان سنة (40هـ)؛ تيمناً بذكرى معركة «بدر» حسب تصور نفوسهم المريضة وعقولهم الفاسدة وانتدبوا ثلاثة للقيام بهذه المهمة هم «عبد الرحمن بن ملجم» و«البرك ابن عبد الله»، و«عمرو بن بكر»، علي أن يذهب الأول إلى «الكوفة» لقتل «علي»، والثاني إلى «دمشق» لقتل «معاوية»، والثالث إلى «مصر» لقتل «عمرو بن العاص» وشاءت إرادة الله تعالى أن ينجو «معاوية» و«عمرو» من القتل، وأن تكون الشهادة من نصيب «علي»، حيث ضربه «عبد الرحمن بن ملجم» بسيف مسموم في جبهته، فشققها فمات من أثر الضربة بعد وقت يسير، بعد أن قضى أربع سنوات وبضعة شهور، لم يذق فيها طعم الراحة، وحاصرتة المشكلات والمتاعب، وأنهكت الحروب من كل جانب.

زوجات علي

أول زوجه تزوجها سيدنا علي رضي الله عنه هي فاطمة بنت رسول الله بنى بها بعد وقعة بدر فولدت له (الحسن والحسين ومحسن وزينب الكبرى وأم كلثوم) ولم يتزوج علي فاطمة حتى توفيت بعد رسول الله بستة أشهر على الخلاف فلما ماتت تزوج بعدها بزوجات كثيرة منهن من توفيت في حياته ومنهن من طلقها وتوفي عن أربع فممن زوجاته.

- 1 - بالإضافة لفاطمة الزهراء .
- 2 - أم البنين بنت الحل فولدت له (العباس وجعفر وعبد الله وعثمان) وقد قتل هؤلاء مع أخيهما الحسين بكر بلاء ولا عقب لهم سوى العباس .
- 3 - ومنهن ليلى بنت مسعود فولدت له (عبيد الله وأبا بكر) قال هشام بن الكلبي وقد قتل بكر بلاء أيضا وزعم الواقدي أن عبيد الله قتله المختارين بن أبي عبيد يوم الدار .
- 4 - ومنهن أسماء بنت عميس الخثعمية فولدت له (يحيى ومحمدا الأصغر ويحيى وعونا) .
- 5 - ومنهن أم حبيبة بنت زمعة وولدت له (عمر) وقد عمر خمسا وثلاثين سنة (ورقية) .
- 6 - ومنهن أم سعيد بنت عروة بن مسعود وولدت له (أم الحسن ورملة الكبرى) .
- 7 - ومنهن ابنة أمري القيس بن عدي وولدت له (جارية) فكانت تخرج مع علي إلى المسجد وهي صغيرة فيقال لها من أخوالك فتقول وه وه تعني بني كلب .
- 8 - ومنهن أمهم بنت أبي العاص وأما زينب بنت رسول الله وهي التي كان رسول الله يحملها وهو في الصلاة إذا قام حملها وإذا سجد وضعها وولدت له (محمدا الأوسط) .
- 9 - ومنهن خولة بنت جعفر بن قيس وولدت له (محمدا بن الحنفية) وهذا من الشيعة من يدعي فيه الإمامة والعصمة وقد كان من سادات المسلمين بالريب .

أولاد سيدنا علي

كما سبق أن ذكرت فإنه قد كان لسيدنا علي أولاد كثيرون من زوجات متعدّدات ومنهم (الحسن والحسين . ومحسن . وزينب الكبرى . وأم كلثوم . والعباس . وجعفر . وعبد الله . وعثمان . وعبيد الله . وأبو بكر . ويحيى . ومحمد الأصغر . ومحمد بن الحنفية . ويحيى . وعون . وعمر . ورقية . وأم الحسن . ورملة الكبرى . وأم هانئ . وميمونة . وزينب الصغرى . ورملة الصغرى . وأم كلثوم الصغرى . وفاطمة . وإمامة . وخديجة . وأم الكرام . وأم جعفر . وأم سلمة . وجمانة . وجارية) قال ابن جرير فجميع ولد علي (أربعة عشر ذكرا وسبع عشرة أنثى) قال الواقدي وإنما كان النسل من خمسة وهو (الحسن . والحسين . ومحمد بن الحنفية . والعباس . وعمر) رضي الله عنهم أجمعين .

من كلام سيدنا علي

قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لكميل بن زياد النخعي: يا كميل، إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير، والناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجا، وهمج رعاع أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق، ثم قال: إن ههنا لعلماء - وأشار بيده إلى صدره - لو أصبت له حملة لقد أصبت لقنا غير مأمون يستعمل الدين للدنيا، ويستظهر بحجج الله على كتابه وينعمه على معاصيه، أف الحامل حق لا بصيرة له، ينقذ الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، لا يدري أين الحق، إن قال خطأ وإن أخطأ لم يدرك، مشغوف بما لا يدري حقيقته، فهو فتنة لمن فتن به، وإن من الخير كله من عرفه الله دينه. وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف دينه.

من حكم سيدنا علي

قال سيدنا علي لابنه الحسن يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا فقر أشد من الجهل ولا مال أفضل من العقل. ولا وحدة أوحش من العجب. ولا مظاهرة أوثق من المشاورة. ولا عقل كالتيدير. ولا حسب كحسن الخلق. ولا ورع كال كف. ولا عبادة كال تفكر. ولا إيمان كالحياء. ورأس الإيمان الصبر. وآفة الحديث الكذب. وآفة العلم النسيان. وآفة الحلم السفه. وآفة العبادة الفتره. وآفة الطرف الصلف. وآفة الشجاعة البغى. وآفة السماحة المن. وآفة الجمال الخيلاء. وآفة الحب الفخر. ثم قال علي: يا بني لا تستخفن برجل تراه أبداً فإن كان أكبر منك فعده أباك وإن كان مثلك فهو أخاك وإن كان أصغر منك فاحسب أنه ابنك.

من شعر سيدنا علي

يقول في فضل العلم

الناس من جهة التمثال أكفاء	أبوهم آدم والأم حواء
وإنما أمهات الناس أوعية	مستودعات وللأحساب آباء
فإن يكن لهم من أصلهم شرف	يفخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء

فقم بعلم ولا تطلب به بدلاً
فالناس موتى وأهل العلم أحياء

ويقول أيضاً في ذم الجهل

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله
وإن امرءاً لم يحيي بالعلم ميت
وأجسادهم قبل القبور قبور
وليس له حتى النشور نشور

ويقول في آداب طالب العلم

العلم زين فكن للعلم مكتسباً
اركن إليه وثق بالله واغن به
لا تأثن فإما كنت منهمكاً
وكن قتي ماسكاً محض التقى ورعاً
فمن تخلق بالآداب ظل بها
واعلم هديت بأن العلم خير صفا
وكن له طالباً ما عشت مقبساً
وكن حليماً رزين العقل محترساً
في العلم يوماً وإما كنت منغمساً
للدين مغتتما للعلم مفترساً
رئيس قوم إذا ما فارق الرؤسا
أضحى لطلبه من فضله سلساً

ويقول في مدح العلم

إذا كنت ذا علم ولم تك عاقلاً
وإن كنت ذا عقل ولم تك عالماً
الإنما الإنسان غمد لعقله
فأنت كذي نعل وليس له رجل
فأنت كذي رجل وليس له نعل
ولا خير في غمد إذا لم يكن نصل

ويقول في الأصدقاء والزمن

تغيرت المودة والإخاء
وأسلمنى الزمان إلى صديق
ورب أخ وفيت له بحق
وقل الصدق وانقطع الرجاء
كثير الغدر ليس له رعاء
ولكن لا يدوم له وفاء

أخلاء إذا استغنيت عنهم
يديمون المودة ما رأوني
وكل مودة لله تصفو
وكل جراحة فلها دواء
وليس بدائم أبداً نعيم
إذا أنكرت عهداً من حميم
إذا ما رأس أهل البيت ولى

وأعداء إذا نزل البلاء
ويبقى الود ما بقي اللقاء
ولا يصفو مع الفسق الإخاء
وسوء الخلق ليس له دواء
كذلك البؤس ليس له بقاء
ففي نفسي التكرم والحياء
بدا لهم ومن الناس الجفاء

ويقول في اختيار الأصدقاء

وإذا الصديق رأيته متملقاً
لا خير في ودّ امرئ متملق
يلقاك يحلف إنه بك واثق
يعطيك من طرف اللسان حلاوة
واختر قرينك واصطفه تفاخراً
والفقر شين للرجال فإنه
واخفض جناحك للأقارب كلهم
ودع الكذب فلا يكن لك صاحباً
وذرا الحسود ولو صفا لك مرة

فهو العدو وحقه يتجنب
حلوا اللسان وقلبه يتلهب
وإذا توارى عنك فهو العقرب
ويروغ منك كما يروغ الثعلب
إن القرين إلى المقارن ينسب
يُزرى به الشهم الأديب الأنسب
بتذل واسمح لهم إن أذنبوا
إن الكذب لبئس خلا يصحب
أبعده عن رؤياك لا يستجلب

ويقول في موقف الإنسان من تقلبات الزمن

لئن ساءني دهرٌ لقد سرنى دهرٌ
لكن ساءني دهرٌ لقد سرنى دهرٌ

وإن مسني عسرٌ فقد مسني يسرٌ
فإن ساءني صبرٌ وإن سرنى شكرٌ

ويقول في الثبات أمام تصرفات الدهر

هي حالان شدة ورخاء	وسجالان نعمة وبلاء
والفتى الحاذق الأديب إذا ما	خانهُ الدهر لم يخنه عزاء
إن أملت ملامة بي فإني	في الملمات صخرة صماء
عالم بالبلاء علماً بأن ليـ	س يدوم النعيم الرخاء

ويقول في جمع المال

وكم ساع يُثري لم ينله	وآخر ما سعى خلق الثراء
وساع يجمع الأموال جمعاً	ليورثها أعاديه شقاء
وما سيان ذو خُبْر بصير	وأخرجاهل ليسا سواء
ومن يستعب الحداث يوماً	يكن ذاك العتاب له عناء
ويزري بالفتى الإعدام حتى	متى يُصبِ المقال يقلُ أساء

ويقول في فائدة كثرة المال

يغطي عيوب المرء كثرة ماله	يُصدّق فيما قال وهو كذوب
ويزري بعقل المرء قلة ماله	يحمّقه الأقوام وهو لبيب

ويقول في علاج الإسراف

إذا شئت أن تستقرض المال مُنفقاً	على شهوات النفس في زمن العسر
فسل نفسك الإنفاق من كنز صبرها	عليك وانظراً إلى زمن اليسر فكل
سمحت كنت الغني وإن أبت	منوع بعدها واسع العذر

ويقول في الكرم

سأمنح مالي كل مَنْ جاء طالباً
وأجعلُه وقفاً على القرض والقرض
فإما كريمٌ صنتُ بالمال عرضه
وإما لئيمٌ صنتُ عن لؤمِه عرضي

ويقول أيضاً في الكرم والإنفاق

إذا جادت الدنيا عليك فجُدْ بها
على الناس طرّاً إنها تتقلبُ
فلا الجودُ يُفنيها إذا هي أقبلتُ
ولا البخلُ يُبقيها إذا هي تذهبُ

من خطب سيدنا علي

خطب سيدنا علي رضي الله عنه ذات يوم فقال (عباد الله: الموت الموت ليس منه فوت. إن أقمتُم أخذكم. وإن فررتُم منه أدرككم. الموت معقود بنواصيكم. فالتجنا النجا والوحا الوحا فإن وراءكم طالبا حثيثا وهو القبر. ألا وإن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار. ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث كلمات فيقول: أنا بيت الظلمة أنا بيت الوحشة أنا بيت الديدان. ألا وإن وراء ذلك اليوم يوما أشد منه يوما يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. ألا وإن وراء ذلك اليوم يوما أشد منه فيه نار تتسعر حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد وماؤها صديد ليس لله فيها رحمة قال فبكى المسلمون بكاء شديدا ثم قال: ألا وإن وراء ذلك اليوم جنة عرضها كعرض لسموات والأرض أعدت للمتقين. أدخلنا الله وإياكم دار النعيم. وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم)

خطبة ثانية لسيدنا علي

الحمد لله على كل أمر وحال في الغدو والآصال وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ابتعثه رحمة للعباد وحياة للبلاد حين امتلأت الأرض فتنة واضطرب حيلها وعبد الشيطان في أكفافها واشتمل عدو الله إبليس على عقائد أهلها فكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي أطفأ الله به نيرانها وأخمد به شرارها ونزع به أوتادها وأقام به ميلها إمام الهدى والنبي المصطفى وآله وسلم فلقد

صدع بما أمر به وبلغ رسالات ربه فأصلح الله به ذات البين وأمن به السبل وحقن به الدماء وألف به بين
 ذوي الضغائن الواغرة في الصدور وحتى أتاه اليقين ثم قبضه الله إليه حميدا ثم استخلف الناس أبا
 بكر فم يأل جهده ثم استخلف أبو بكر عمر فلم يأل جهده ثم استخلف الناس عثمان فنال منكم ونلتهم
 منه حتى إذا كان من أمره ما كان اتيموني لتبايعوني فقلت لا حاجة لي في ذلك ودخلت منزلي
 فاستخرجتموني فقبضت يدي فبسطتموها وتداككتم علي حتى ظننت أنكم قاتلي وأن بعضكم
 قاتل بعض فبايعتموني وأنا غير مسرور بذلك ولا جذل وقد علم الله سبحانه أنني كنت كارها
 للحكومة بين أمة محمد وآله ولقد سمعته وآله يقول ما من وال يلي شيئا من أمر امتي إلا أنني به يوم
 القيامة مغلوله يداه إلى عنقه على رءوس الخلائق ثم ينشر كتابه فإن كان عادلا نجا وإن كان جائرا هوى
 حتى اجتمع على ملؤكم وبايعني طلحة والزبير وأنا أعرف الغدر في أوجههما والنكث في أعينهما ثم
 استأذناني في العمرة فأعلمتهما أن ليس العمرة يريدان فسارا إلى مكة واستخفا عائشة وخذعاها
 وشخص معهما أبناء الطلقاء فقدموا البصرة فقتلوا بها المسلمين وفعلوا المنكر ويا عجب الاستقامتهما
 لأبي بكر وعمر وبغيتهما علي وهما يعلمان أنني لست دون أحدهما ولو شئت أن أقول لقلت ولقد كان
 معاوية كتب إليهما من الشام كتابا يأخذ عهما فيه فكتماه عني وخرجا يوهمان الطعام أنهما يطلبان بدم
 عثمان والله ما أنكرا على منكرا ولا جعلنا بيني وبينهم نصفا وإن دم عثمان لمعصوب بهما ومطلوب
 منهما يا خيبة الداعي إلام دعا وبماذا أجيب والله إنهما لعلي ضلالة صماء وجهالة عمياء وإن
 الشيطان قد ذمر لها حزبه واستجلب منهما خيله ورجله ليعيد الجور إلى أوطانه ويرد الباطل إلى
 نصابه ثم رفع يديه فقال اللهم إن طلحة والزبير قطعاني وظلماني وألبا علي فاخلل ما عقدا وانكث ما
 أبرما ولا تغفر لهما أبدا وأرهما المساء فيما عملا وأملا ثم سكت (قال الراوي) فقام إليه الأشر
 فقال الحمد لله الذي من علينا فأفضل وأحسن إلينا فأجمل قد سمعنا كلامك يا أمير المؤمنين ولقد
 أصبت ووقفت وأنت ابن عم نبينا وصهره ووصيه وأول مصدق به ومصل معه شهدت مشاهدة كلها
 فكان لك الفضل فيها على جميع الأمة فمن اتبعك أصاب حظه واستبشر بفلجه ومن عصاك ورغب
 عنك فإلى أمه الهاوية لعمرى يا أمير المؤمنين ما أمر طلحة والزبير وعائشة علينا بمخيل ولقد دخل
 الرجلان فيما دخلا فيه وفارقا على غير حدث أحدثت ولا جور صنعت فإن زعما أنهما يطلبان

بدم عثمان فليقيدا من أنفسهما فإنهما أول من ألّب عليه وأغرى الناس بدمه وأشهد الله لئن لم يدخل
فيما خرجا منه لنلحقنهما بعثمان فإن سيوفنا في عواتقنا وقلوبنا في صدورنا ونحن اليوم كما كنا أمس
ثم قعد .

ما صحة قول النبي عليه السلام أنا مدينة العلم

ما صحة ما ينسب إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال (أنا مدينة العلم وعليّ بابها)
والجواب لقد اختلف أهل العلم في هذا الحديث فمنهم من يصححه، ومنهم من يحكم عليه بالحسن
ومنهم من يحكم عليه بالضعف، ومنهم من يحكم عليه بالوضع، والصحيح أنه موضوع، لأن علي بن
أبي طالب روى أحاديث كما روى غيره، فأبوهريرة روى نحو خمسة آلاف حديث أو أكثر، وعلي بن
أبي طالب روى نحو ست مائة حديث، فرواية أبي هريرة أكثر وإن كان علي بن أبي طالب أعلم من أبي
هريرة، وأفقه من أبي هريرة. لكن الحديث في سنده أبو الصلت الهروي واسمه عبد السلام بن صالح
وقد سرقه منه جمع .

ما هو يوم الغدير

سبب يوم الغدير الذي يحتفل به الشيعة هو أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند رجوعه من
حجة الوداع جمع الناس بماء يدعى خمًا ثم قال: (وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى
والنور) فاتخذ الشيعة من هذا عيداً . وليس فيه أننا نحتفل بذلك اليوم، ولسنا نحن أهل السنة ندري
أي يوم هذا،

هل يقال لسيدنا علي . كرم الله وجهه

هل من السنة أن نقول: علي كرم الله وجهه؟ الجواب: لم يثبت أن نخصص علياً بـ (كرم الله وجهه) أو
(عليه السلام) لكن لا يصل إلى حد البدعة، أما (عليه السلام) فقد وجد في "البخاري" وفي "مسند
أحمد" والأحسن أن يجري عليه كإخوانه من الصحابة وأن نقول: علي رضي الله عنه
(قلت) وسمعت في منطقنا الجلفاوية من بعض المشايخ أن جملة (كرم الله وجهه) قيلت لعلي دون
سواه لأنه هو الوحيد . ومنذ نشأته . الذي لم يقرب صنما ولا وثناً . فكان وجهه كرمه الله فلم يقابل به
صنما .

الشجعان الذين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام

الشجعان الذين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كثيرون منهم : حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله أسد الله وأسد رسوله قتل في غزاة أحد رماه وحشي مولى جبير بن مطعم بجربه فقتله وكان فارس قریش غير مدافع وبطلها غير ممانع وعظم قتله على النبي ونذر أن يقتل به سبعين رجلا من قریش وكبر عليه في الصلاة سبعين تكبيرة . ومنهم أمير المؤمنين علي بن طالب رضي الله عنه وكرم وجهه آية من آيات الله ومعجزة من معجزات رسول الله ومؤيد بالتأييد الإلهي كاشف الكروب ومجليها ومثبت قواعد الإسلام ومرسيها وهو المتقدم على ذوي الشجاعة كلهم بلامرية ولا خلاف روي عنه رضي الله عنه أنه قال والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من موته على فراش وقال بعض العرب ما لقينا كتيبه فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلا أوصى بعضنا على بعض وقال رضي الله عنه لمعاوية قد دعوت الناس إلى الحرب فدع الناس جانبا وأخرج إلي ليعلم أين المران على قلبه والمغطى على بصره وأنا أبو الحسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخا يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب ألقى عدوي وقيل له كرم الله وجهه إذا جالت خيل فأين نطلبك قال حيث تركموني وقيل له كيف تقتل الأبطال قال لأنني كنت أقي الرجل فأقدر أني أقتله ويقدر هو اني قتله فأكون أنا ونفسه عوناً عليه .

الكتاب السابع عشر

ويتضمن الفصول الآتية . الفصل الأول في ذكر سيدنا الإمام الحسن السبط . والفصل الثاني في ذكر ذرية سيدنا الحسن السبط وما يتفرع عن ذلك من أعقاب .

الفصل الأول

في

ذكر الحسن السبط

سيدنا الإمام الحسن السبط بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المغيرة ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن

يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام * وابن البتول فاطمة الزهراء بنت رسول الله بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المغيرة بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل ابن ابراهيم الخليل عليهما السلام . ولد سيدنا الحسن قبل الهجرة النبوية بست سنين . وبيع له بالخلافة بعد موت والده سيدنا علي . ومكث بها ستة أشهر فلم تهدأ الفتنة التي كانت بين أنصار معاوية وأنصار علي فرأى أن من مصلحة المسلمين أن يتنازل لمعاوية على شرط أن يكون هو ولي عهده فرضي معاوية . وتوفي الحسن في خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين هجرية .

أجوبة الحسن على أسئلة أبيه سيدنا علي

قال الامام أبو الفرج المعافى بن زكريا الحريري يروي أن سيدنا عليا سأل ابنه الحسن عن أشياء من المروءة فقال يا بني ما السداد قال يا أبت السداد دفع المنكر بالمعروف . قال فما الشرف قال اصطناع العشرة وحمل الجريرة . قال فما المروءة قال العفاف واصلاح المرء ماله . قال فما الدنية قال النظر في اليسير ومنع الحقير . قال فما اللوم قال احتراز المرء نفسه وبذله عرسه . قال فما السماحة قال البذل في العسر واليسر . قال فما الشح قال أن ترى ما في يدك سرفا وما أفقته تلفا . قال فما الاخاء قال الوفاء في الشدة والرخاء . قال فما الجبن قال الجرأة على الصديق والتكول عن العدو . قال فما الغنيمة قال الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا . قال فما الحلم قال كظم الغيظ وملك النفس . قال فما الغنى قال رضى النفس بما قسم الله لها وإن قل فانما الغنى غنى النفس . قال فما الفقر قال شره النفس في كل شيء . قال فما المنعة قال شدة البأس ومقارعة أشد الناس . قال فما الذل قال الفزع عند المصدوقية . قال فما الجرأة قال موافقة الأقران . قال فما الكلفة قال كلامك فيما لا يعينيك . قال فما المجد قال أن تعطى في الغرم وأن تغفو عن الجرم . قال فما العقل قال حفظ القلب كل ما استرعيته قال فما الخرق قال معاداتك أمانك ورفعك عليه كلامك . قال فما الثناء قال إتيان الجميل وترك القبيح . قال فما الحزم قال طول الأناة والرفق بالوالة والاحتراس من الناس بسوء الظن . قال فما الشرف قال موافقة الاخوان وحفظ الجيران . قال فما السفه قال اتباع الدناة ومصاحبة الغواة . قال

فما الغفلة قال تركك المسجد وطاعتك المفسد . قال فما الحرمان قال تركك حظك وقد عرض عليك . وقال علي بن العباس الطبراني كان علي خاتم الحسن بن علي مكتوباً :

قدم لنفسك ما استطعت من التقى إن المنية نازلة بك يا فتى
أصبحت ذا فرح كأنك لا ترى أحباب قلبك في المقابر والبلى

قال الامام أحمد عن ابن أبان قال قال الحسن بن علي لبنيه وبنى أخيه تعلموا فأنكم صغار قوم اليوم وتكونوا كبارهم غدا فمن لم يحفظ منكم فليكتب وعن عمرو لأصم قال قلت للحسن بن علي إن هذه الشيعة تزعم أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة قال كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله .

خلافة سيدنا الحسن السبط

(40 - 41هـ)

بعد وفاة الإمام علي بايع أنصاره ابنه الحسن ، وكان جندب بن عبد الله قد دخل على الخليفة بعد طعنه وتيقن الأمل في حياته وسأله: يا أمير المؤمنين إن فقدناك ولا نفقدك أنبايع للحسن فقال ما أمركم ولا أنهاكم، أتم أبصر ولم يوص لأحد من بعده بل قال لهم ولكن أدعوا الله تعالى أن يجمعكم بعدى على خيركم كما جمعنا بعد نبينا على خيرنا يقصد أبا بكر مرسخاً بذلك قاعدة الشورى التى اتبعت فى بيعته هو وبيعة الثلاثة الراشدين من قبله . وأراد أنصار الحسن أن يتأهبوا لقتال معاوية من جديد، لكنه رفض ورأى عدم جدوى ذلك بل إنه وقف ضد فكرة اقتتال المسلمين من البداية وراسل الحسن معاوية بشأن الصلح، فسر به سروراً عظيماً وجاء إلى الكوفة فى شهر ربيع الأول سنة (41هـ) بعد ستة أشهر من خلافة الحسن وبايعه الحسن و الحسين وتبعهما الناس وبهذا قامت الدولة الأموية رسمياً، وأصبح معاوية خليفة للأمة الإسلامية كلها، ولقب لأول مرة بأمير المؤمنين، وكان يلقب قبل ذلك بالأمير فقط .

(قال الراوي) واستبشر المسلمون خيراً بتلك المصالحة، وحمدوا الله على انتهاء الفتنة وسفك الدماء وسموا ذلك العام عام الجماعة وترك صنيع الحسن صدى طيباً عند جمهور المسلمين

وأثنى عليه كثير من علماء أهل السنة ورأوا فيما فعل تحقيقاً لنبوءة جده محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي قال «ابنى هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

تنازل الحسن عن الإمارة

كما سبق ذكره لما قتل سيدنا علي رضي الله عنه اجتمع أصحابه فبايعوا ابنه الحسن وأول من بايعه قيس بن سعد وقال أبسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله وقاتل الملحدين فقال الحسن: على كتاب الله وسنة رسوله. ويأتيان على كل شرط ثم بايعه الناس، فكان يشترط عليهم إنكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمته وتحاربون من حاربته فارتابوا وقالوا: ما هذا لكم بصاحب وما يريد القتال وبلغ الخبر بمقتل علي إلى معاوية فبويع بالخلافة ودعي بأمر المؤمنين، وكان قد بويع بها بعد اجتماع الحكمين ولأربعين ليلة بعد مقتل علي وكان علي قبل قتله قد تجهز بالمسلمين إلى الشام، وبايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت فلما بويع الحسن زحف معاوية في أهل الشام إلى الكوفة فسار الحسن في ذلك الجيش للقائه وعلى مقدمته قيس بن سعد في اثني عشر ألفاً وقيل بل كان عبد الله بن عباس على المقدمة وقيس في طلائعه فلما نزل الحسن في المدائن شاع في العسكر أن قيس بن سعد قتل واهتاج الناس وماج بعضهم في بعضى وجاءوا إلى سرادق الحسن ونهبوا ما حوله حتى نزعوه بساطه الذي كان عليه، واستلبوه رداءه، وطعنه بعضهم في فخذه. وقامت ربيعة وهمدان دونه واحتملوه على سرير إلى المدائن ودخل إلى القصر وكاد أمره أن ينحل فكتب إلى معاوية يذكر له النزول عن الأمر على أن يعطيه ما في بيت المال بالكوفة ومبلغه خمسة آلاف ألف ويعطيه خراج دارا مجرد من فارس وأن لا يشتم عليا وهو يسمع وأخبر بذلك أخاه الحسين وعبد الله بن جعفر وعذلاء فلم يرجع إليهما وبلغت صحيفته إلى معاوية فأمسكها، وكان قد بعث عبد الله بن عامر وعبد الله بن سمرة إلى الحسن ومعهما صحيفة بيضاء ختم في أسفلها وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة ما شئت فهو لك فاشترط فيها اضعاف ما كان في الصحيفة. فلما سلم له وطالبه في الشروط أعطاه ما في الصحيفة الأولى وقال هو الذي طلبت ثم نزعه أهل البصرة خراج دارا مجرد وقالوا هو فيئنا لا نعطيه. وخطب الحسن أهل العراق (وقال) سحت نفسي عنكم ثلاث: قتل أبي وطعني وانتهاج بيتي، ثم قال الا وقد أصبحتم بين قبيلتين، قبيل بصفين يكون له، وقبيل بالنهر وان يطلبون بثأره. وأما الباقي فخاذل وأما الباقي فتأثر

وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله بظبي السيف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضى . فناداه الناس من كل جانب البقية الباقية فأمضى الصلح . ثم باع لمعاوية لستة أشهر من بيعته، ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس . وكتب الحسن إلى قيس بن سعد يأمره بطاعة معاوية فقام قيس في أصحابه فقال: نحن بين القتال مع غير إمام أو طاعة إمام ضلالة فقال له الناس: طاعة الإمام أولى . وانصرفوا إلى معاوية فبايعوه وامتنع قيس وانصرف . فلما دخل معاوية الكوفة أشار عليه عمرو بن العاص أن يقيم الحسن للناس خطيبا ليبذروا للناس عيه فلما حمد الله وأثنى عليه قال: أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقق دماءكم بأخرنا وإن لهذا الأمر مدة وإن الدنيا دول والله عز وجل يقول لنبيه ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّ قُنَّةَ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ فقال له معاوية: إجلس . وعرف أنه خدع في رأيه ثم ارتحل الحسن في أهل بيته وحشمهم إلى المدينة وخرج أهل الكوفة لوداعه باكين فلم يزل مقيما بالمدينة إلى أن هلك سنة تسع وأربعين على فراشه بالمدينة . (وما ينقل من أن معاوية دس إليه السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة، وحاشا لمعاوية من ذلك) . وأقام قيس بن سعد على امتناعه من البيعة، وكان معاوية قد بعث عبد الله بن عامر في جيش إلى عبيد الله بن عباس لما كتب إليه في الأمان بنفسه فلقه ليلا وأمنه وسار معه إلى معاوية فقام بأمر العسكر بعده قيس بن سعد وتعاقدا على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة علي على دمائهم وأموالهم وما كانوا أصابوا في الفتنة وبلغ الخبر إلى معاوية وأشار عليه عمرو في قتاله، فقال معاوية: يقتل في ذلك أمثالهم من أهل الشام ولا خير فيه، ثم بعث إليه بصحيفة ختم في أسفلها وقال: اكتب في هذا ما شئت فهو لك: فكتب قيس له ولشيعة الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال ولم يسأل مالا، فأعطاه معاوية ذلك وبايعه قيس والشيعة الدين معه ثم جاء سعد بن أبي وقاص فبايعه واستقر الأمر لمعاوية واتفق الجماعة على بيعته وذلك في منتصف سنة إحدى وأربعين وسمى ذلك العام عام الجماعة من أجل ذلك ثم خرج عليه الخوارج من كل جهة من بقية أهل النهر وان وغيرهم، فقاتلهم واستلحمهم .

وصية الحسن لأخيه الحسين رضي الله عنهما

قال أبو عمر رويانا من وجوه أن الحسن بن علي لما حضرته الوفاة قال للحسين أخيه يا أخي إن أباك حين قبض رسول الله استشف لهذا الأمر ورجا أن يكون صاحبة فصرفه الله عنه ووليها أبو بكر فلما حضرت أبا بكر الوفاة تشوف لها أيضا فصرفت عنه إلى عمر فلما قبض عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدهم فلم يشك أنها لا تعرفه فصرفت عنه إلى عثمان فلما هلك عثمان ببيع له ثم نوزع حتى جرد السيف وطلبها فما وصل له شيء منها وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة فلا أعرف ما استخفك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك وقد كنت طلبت إلى عائشة إذا مات أن أدفن في بيتها مع رسول الله نعم وأنى لا أدري لعله كان ذلك منها حياء فإذا أنا مت فاطلب ذلك إليها فإن طابت نفسها فادفني في بيتها وما أظن إلا القوم سيمنعونك إذا أردت ذلك فإن فعلوا فلا تراجعهم في ذلك وادفني في بقيع الغرقد فإن لي بمن فيه أسوة فلما مات الحسن أتى الحسين عائشة يطلب ذلك أليها فقالت نعم حبا وكرامة فبلغ ذلك مروان فقال مروان كذب وكذبت والله لا يدفن هناك أبدا منعوا عثمان من دفنه في المقبرة ويريدون دفن الحسن في بيت عائشة فبلغ ذلك الحسين فدخل هو ومن معه في السلاح فبلغ ذلك مروان فاستلام في الحديد أيضا فبلغ ذلك أبا هريرة فقال والله ما هو إلا ظلم يمنع الحسن أن يدفن مع أبيه والله أنه لابن رسول الله وانطلق إلى الحسين فكلمه وناشده الله وقال له أليس قد قال أخوك أن خفت أن يكون قتال فردني إلى مقبرة المسلمين ولم يزل به حتى فعل وحمله إلى البقيع ولم يشهده يومئذ من بني أمية إلا سعيد بن العاص .

من خطب جدنا الحسن

لما دخل الحسن وعمار الكوفة اجتمع إليهما الناس فقام الحسن فاستنفر الناس فحمد الله وصلى على رسوله ثم قال أيها الناس إنا جننا ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله وإلى أفعه من تفقه من المسلمين وأعدل من تعدلون وأفضل من تفضلون وأوفى من تبايعون من لم يعبه القرآن ولم تجهله السنة ولم تقعد به السابقة إلى من قربه الله تعالى ورسوله قرابتين قرابة الدين وقرابة الرحم إلى من سبق الناس إلى كل مأثرة إلى من كفى الله ورسوله والناس متخاذلون فقرب منه وهم متباعدون وصلى معه وهم مشركون وقاتل معه وهم منهزمون وبارز معه وهم محجمون وصدقه وهم يكذبون إلى من لم ترد له ولا

تكافأ له سابقة وهو يسألكم النصر ويدعوكم إلى الحق ويأمركم بالمسير إليه لتوازيه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه ومثلوا بعماله وانتهبوا بيت ماله فاشخصوا إليه رحمكم الله فمروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر واحضروا بما يحضر به الصالحون .

خطبة أخرى للحسن

خطب سيدنا الحسن ذات مرة فقال : الحمد لله العزيز الجبار الواحد القهار الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار أحمدته على حسن البلاء وتظاهر النعماء وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدة ورخاء وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله امتن علينا بنبوته واختصه برسالته وأنزل عليه وحيه واصطفاه على جميع خلقه وأرسله إلى الإنس والجن حين عبدت الأوثان وأطيع الشيطان وجحد الرحمن وصلى الله عليه وعلى آله وجزاه أفضل ما جزى المسلمين أما بعد فإني لا أقول لكم إلا ما تعرفون إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أرشده الله أمره وأعزته نصره بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب وإلى العمل بالكتاب والجهاد في سبيل الله وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون فإن في آجله ما تحبون إن شاء الله ولقد علمتم أن عليا صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحده وأنه يوم صدق به لفي عاشرة من سنه ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله جميع مشاهدته وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله راضيا عنه حتى غمضه بيده وغسله وحده والملائكة أعوانه والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء ثم أدخله حفرته وأوصاه بقضاء دينه وعداته وغير ذلك من أموره كل ذلك من من الله عليه ثم والله ما دعا إلى نفسه ولقد تذاك الناس عليه تذاك الإبل الهيم عند ورودها فبايعوه طائعين ثم نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه ولا خلاف أتاه حسدا له وبغيا عليه فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته والجد والصبر والاستعانة بالله والخوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه وأهل طاعته وألهمنا وإياكم تقواه وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائه وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

دخول الحسن على معاوية

مما يحكى أن سيدنا الحسن بن علي وهو في حياته دخل ذات يوم على معاوية وهو ملك فواجهه معاوية بكلام جارح فخرج من عنده وهو يقول :

وما رست هذا الدهر خمسين حجة وخمسا ازجي قائلابعد قائل
فلانا في الدنيا بلغت جسيمها ولا في الذي اهوى كدحت بطائل
وقد شرعت دوني المنايا اكفها وايقنت اني رهن موت معاجل
الفصل الثاني

في

ذكر أولاد الإمام الحسن السبط رضي الله عنه

إن مولانا الامام الحسن السبط بن سيدنا عي أنجب (اثني عشرة ولدا) قالوا وخلفه في ابنين اثنين فقط وهما (الامام زيد الناسك) و (الامام الحسن المثنى) .

الامام زيد الناسك بن الحسن

سيدنا الامام زيد الناسك بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله خلف ابنا واحدا وحيدا وهو (الحسن المكرم)

الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن

الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما هذا أنجب ثمانية اولاد وهم (القاسم وعلي واسماعيل المهفوف واسحاق الكواكي وزيد الطاهر وبوعبد الله و ابراهيم والحسن) .

القاسم بن الحسن المكرم بن زيد

القاسم بن الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب اولادا كثيرين منهم (محمد قنحا وعبد الرحمن) .

محمد قتحا بن القاسم بن الحسن المكرم
محمد قتحا بن القاسم بن الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن سيدنا علي
ومولاتنا فاطمة رضي الله عنهما . انجب اولادا منهم ابراهيم .

ابراهيم بن محمد قتحا بن القاسم
ابراهيم بن محمد قتحا بن القاسم الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن علي وفاطمة
رضي الله عنهما له عقب كثيرون في بلدان متعددة .

عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن المكرم
عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله
عنهما انجب اولادا كثر ومنهم (علي ومحمد وجعفر) ولهم اعقاب منهم بنو المبعوث وبنو المغيث وبنو
ابن تفينه وبنو شكر وبنو داود .

علي بن الحسن المكرم
علي بن الحسن المكرم بن القاسم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما
انجب اولادا ومنهم عبد الله وعقبه من هذا فقط على ما ذكر .

اسماعيل المهفف بن الحسن المكرم
اسماعيل المهفف بن الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله
عنهما انجب اولادا منهم (محمد وعلي) محمد بن اسماعيل المهفف هذا انجب اولادا منهم زيد
ومنه عقبه . وعلي بن اسماعيل المهفف انجب اولادا ومن عقبه بنو المرجان .

اسحاق بن الحسن الكواكبي بن الحسن المكرم
اسحاق بن الحسن الكواكبي بن الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن علي وفاطمة
رضي الله عنهما انجب اولادا منهم هارون والحسن واسماعيل وعقبه منهم .

زيد الطاهر بن الحسن المكرم
زيد الطاهر بن الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن سيدنا علي ومولاتنا فاطمة رضي
الله عنهما انجب اعقابا وهم معروفون بالشرق والغرب .

عبد الله بن الحسن المكرم

عبد الله بن الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما انجب أولادا ومن أعقابهم أولاد عزوز الشريف ببيله وقسنطينه .

إبراهيم بن الحسن المكرم

إبراهيم بن الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما انجب أولادا وله اعقاب مذكورون بعدة نواحي في الجزائر وغيرها .

الحسن بن الحسن المكرم

الحسن بن الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن سيدنا علي ومولاتنا فاطمة رضي الله عنهما انجب اعقابا . ولهم ذكر في المشرق والمغرب .

الحسن المثنى بن الحسن السبط

الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المغيرة ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام - وابن فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد رسول الله بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المغيرة ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ، أنجب أولادا منهم : إبراهيم الغمري والحسن المثلث وداود وجعفر ومحمد وعلي وعبد الله الكامل .

إبراهيم بن الحسن المثنى

إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما انجب أولادا منهم اسماعيل وأنجب اسماعيل بن الحسن المثنى أولادا منهم الحسن وإبراهيم ولكل واحد منهما اعقاب منهم شرفاء طباطبا ومن عقبه يحي المهاب امام الزيدية .

الحسن المثلث بن الحسن المثنى

الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما انجب اولادا ومن عقبه شرفاء بالمشرق وشرفاء بالمنبع وشرفاء سملاله ومنهم الامام الجزولي صاحب دلائل الخيرات .

داود بن الحسن المثنى بن الحسن

داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما انجب اولادا ومن عقبهم أشراف بالديار المشرقية وبنو عجر والطاوس وغيرهم .

جعفر بن الحسن المثنى بن الحسن

جعفر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن سيدنا علي ومولاتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنهما انجب اولادا كثيرين ومن عقبهم بنو حضيئه وغيرهم .

عبد الله الكامل الحضر بن الحسن المثنى

عبد الله الكامل الحضر المتوفي سنة 144 بالعراق بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما . أنجب اولادا سبعة وهم (محمد النفس الزكية . والامام سليمان . والامام موسى الجوه . والامام ابراهيم . والامام عيسى . والامام يحيى . وزينب . والامام ادريس الأكبر) (قلت والامام إدريس الأكبر هذا) هو أصلنا الذي سنتابع ذكر نسبه فيما يأتي من فصول بعد .

محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل

محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل الحضر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما لما قويت شوكة بمكة وبايعه اهل المدينة بموافقة الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى حاربه بنو العباس فحاربهم بشدة الى ان استشهد حيث أن أبا جعفر المنصور بعث لحرب محمد النفس الزكية ابن عمه عيسى بن موسى العباسي فاستعد النفس الزكية للقتال وأدار على المدينة الخندق الذي حفره رسول الله يوم الأحزاب وقدمت جيوش العباسيين ونزلوا على المدينة وخرج إليهم النفس الزكية فيمن بايعه واقتل الناس قتالا شديدا وأبلى النفس الزكية في ذلك اليوم بلاء عظيما وقتل بيده سبعين رجلا ولما اشتد القتال وعان محال الاختلال وانصرف فاغتسل وتحنط وجمع بين الظهر

والعصر ومضى فأحرق الديوان الذي كان فيه أسماء من بايعه وجاء إلى السجن فقتل رباح بن عثمان عامل المنصور على المدينة وقتل معه جماعة كانوا مسجونين عنده ثم عاد إلى المعركة وقد تفرق عنه جل أصحابه ولم يبق معه إلا نحو ثلاثمائة فقال له بعضهم نحن اليوم في عدة أهل بدر ثم تقدم فقاتل حتى قتل ضرب فسقط لركبتيه وطعنه حميد بن قحطبة في صدره ثم احتز رأسه وأتى به عيسى بن موسى فبعث به إلى المنصور وكان مقتل النفس الزكية رحمه الله في منتصف رمضان سنة خمس وأربعين ومائة وقتل معه جماعة من أهل بيته وأصحابه . هذا الذي ذكره صاحب كتاب الإستقصا وخالفه غيره في هذا التحقيق وقالوا إن النفس الزكية استشهد بمعركة (فخ) (قلت) وقد انجب محمد النفس الزكية أولاداً منهم السبعة وهم (القاسم الأكبر . وعبدالله الأشتر . وعلي . والحسن . واحمد و ابراهيم . والطاهر) .

موقعة يوم فخ

فخ هو الوادي الذي بأصل ثنية البيضاء إلى بلدح وهو الوادي تطؤه في طريق جدة على يسار ذي طوى ويسمى وادي الزاهر ويروى قول بلال رضي الله عنه :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة بفخ وعندي إذ خرو وجليل

وسبب يوم فخ سيأتي له ذكر في فصل الأدارسة وملخصه هنا هو أن الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب . كان قد خرج يدعوا إلى نفسه في ذي القعدة سنة 169 وبايعه جماعة من العلويين بالخلافة بالمدينة وخرج إلى مكة فلما كان بـ (فخ) لقيته جيوش بني العباس وعليهم العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وغيره فالتقوا يوم التروية سنة 169 فبذلوا الأمان فيقال إن مباركا التركي رشقه بسهم فمات وحمل رأسه إلى الهادي وقتلوا جماعة من عسكره وأهل بيته فبقي قتلاهم ثلاثة أيام حتى أكلتهم السباع ولهذا يقال لم تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأفجع من فخ . وأنشد موسى بن داود في أصحاب فخ :

يا عين ابكي بدمع منك ———همر فقد رأيت الذي لاقى بنو حسن
صرعى بفخ تجر الريح فوقهم أذيا لها وغوادي دلح المزن
حتى عفت أعظم لو كان شاهدا محمد ذب عنها ثم لم تهن

قلت وحضر هذه الواقعة جمع كبير من آل البيت ومنهم عمنا (يحيى بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة . وجدنا (الإمام إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة) (قال الراوي) فأما يحيى فقد فر إلى بلاد الديلم في جهة الشرق ودعا الناس إلى بيعته فبايعوه واشتدت شوكة فلما سمع بذلك الفضل البرمكي أرسل إليه وبذل له الأمان وما يختاره فأجابه يحيى بن عبد الله إلى ذلك وطلب يمين الرشيد وأن يكون بخطه ويشهد فيه الأكابر ففعل ذلك وحضر يحيى بن عبد الله إلى بغداد فأكرمه الرشيد وأعطاه مالا كثيرا ثم حبسه حتى مات في السجن . وأما الإمام إدريس فإنه لما آل الأمر إلى ما آل إليه وقتل ابن عمه الحسين بن علي وفر أخوه يحيى إلى بلد الديلم . هرب إلى مصر واختفى بها إلى أن وجهه أميرها إلى المغرب فلما وصل إدريس إلى المغرب دعا لنفسه فأجابه من كان بها كما ستراه في فصل الأدارسة من هذا الكتاب فراجعته إن شئت (قلت) وفي (مكان فخ) هذا مدفون كثير من الصحابة منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

أولاد محمد النفس الزكية

كما سبق فإن من اولاد محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما : (القاسم الأكبر . وعبد الله الاشر . وعلي . والحسن واحمد . وابراهيم . والطاهر) وقد تفرعت فروعهم في جميع الاصقاع على أكثر من ستين فرعا خصوصا في المغرب العربي ومن فروعهم (1) الشجرة الحسنية العلوية المالكة بالمغرب (2) وبيت الشيخ سيدي احمد التيجاني صاحب عين ماضي بالأغواط في الجزائر ودفن محروسة فاس وغيرهم كثير .

الإمام سليمان بن عبد الله الكامل

الإمام سليمان بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما بعثه أخوه محمد النفس الزكية إلى مصر يدعوا الناس ولما رجع إلى أخيه النفس الزكية استشهد معه في معركة فخ وقد أنجب أولادا منهم ابنه محمد بن سليمان .

محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل

لما استشهد الامام سليمان بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما فرأبناه (محمد بن سليمان) الى بلاد النوبة ومنها انتقل الى السودان ثم رجع الى بلد الزاب وبعدها انتقل الى تاقدمت ثم الى تلمسان واستوطنها فترة ثم انتقل الى ناحية وهران وبقي بها الى ان وافته المنية وقد دفن بسفح الجبل هناك وقد كان قد تزوج وانجب عشرة اولاد وهم (الحسن الأول . والحسين . والناصر . ويوسف . وعلي . وعبد الرحمن . وعبد الله المحدث . واحمد والحسن الثاني . وادريس الخفيت) (قلت) وذكر أن أولاده (الحسن والحسين والناصر ويوسف وعلي وعبد الرحمن) لا عقب لهم كما قال حشلاف . وذكر أن أولاده (عبد الله المحدث واحمد والحسن الثاني وادريس) فقد اعقبوا . قال العارفون بالتراجم ومن اولاده هؤلاء تفرعت الشجرة السليمانية كما سيأتي ذكره وهم موجودون في عين الحوت وأتوات ووادي الشلف وتونس وآشكول وتيارت وتراره ووادي مليونه والشقراني ومستغانم . وفي مصر والسودان وتادله وسجلماسه وفشتاله والاحماس وفاس ووادي الرمان الى اخره

عبد الله المحدث واحمد والحسن الثاني

عبد الله المحدث وأحمد والحسن الثاني أبناء سليمان بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما فقد أعقبوا ومن اعقابهم اهل عين الحوت ومنها تفرقوا .

إدريس بن سليمان

إدريس بن سليمان بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما استوطن بجراره وانجب تسعة اولاد وهم (ابراهيم . وعيسى . والحسن . ويحيى وعلي . والحاش . ومحمد العابد . ويعقوب . وحمزة)

أبناء إدريس بن سليمان وفروعهم

ابراهيم وعيسى والحسن ويحيى وعلي والحاش ومحمد العابد ويعقوب وحمزة أبناء إدريس بن سليمان بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما قد

تفرقوا في عدة مواضع فنزل ابراهيم تونس . ونزل عيسى آشكول . ونزل الحسن تاهروت . ونزل يحيى اتوات . ونزل غلي وادي الشلف . ونزل الحاش إتراره . ونزل محمد العابد شقران بمستغانم . ونزل يعقوب مازونه . ونزل حمزه بيدربتلسمان .

من الفروع السلیمانية

(قال العارفون) ومن فروع الإمام سليمان بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أيضا (اولاد عبد الحي) بعضهم بتوات ادرار . وبعضهم بوادي الشلف . وبعضهم بفاس وبمازونه وبمغراوه وبتلسمان وولهاصه ووجده وفجيج .

من الفروع السلیمانية أيضا

(قالوا) وخرج من منطقة عين الحوت من عقب الإمام سليمان بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أيضا فرق كثيرة منها :

(1) (اولاد طاع الله) وهم بالقرارة يعرفون باولاد حسن ومنهم فرقة بازاء سعيدة يعرفون باولاد سي بلقاسم

(2) (بنو عبد الحي) وقد سكن فرق منهم توات بنواحي ادرار وفريق بوادي الشلف .

(3) (بنو ابراهيم) وقد سكن منهم فريق بتونس

(4) (اولاد عيسى القاهر) وسكن فرقة منهم آشكول ومنهم فرقة اولاد المنتصر

(5) (اولاد فطوش) وسكن فرقة منهم بلد تاهورت في ازواوه .

(6) (اولاد عبد الرحمن) سكن فريق منهم في تلغراس بسجلمانه ومنهم فرق سكنت كشم وواادي الرمان .

(7) (اولاد محمد العابد) سكن فرقة منهم شقراني مستغانم ومنهم فرقة ذهبت الى تونس وفرقة ذهبت الى تادله واصلهم من زواوه وفرقة ذهبت الى غماره وفرقة ذهبت الى تلسمان .

(8) (اولاد طاهر) وسكن فرقة منهم بنو يفرن سكنوا بمصرويتونس وفرقة منهم بشقراني مستغانم ومنهم اولاد سيدي يوسف سكنوا مجاهر والمطمر بمستغانم ومنهم فرقة في السودان تعرف باولاد محمد .

موسى الجون بن عبد الكامل المحض

موسى الجون بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب أولاداً منهم (ابراهيم السيد . وعبد الله الرضى) ولهما اعتاب في الديار الشرقية والعراق . وزنجبار . ونيف . وصبرستان . وغانه .

ابراهيم السيد بن موسى الجون

ابراهيم السيد بن موسى الجون بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب أولاداً ومن عقبهم (بنو الاخيزير) ملوك اليمامة .

عبد الله الرضى بن موسى الجون

عبد الله الرضى بن موسى الجون بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب أولاداً ومنهم (موسى الثاني . وسليمان . واحمد المشهور ويحيى الوسيقي . وصالح)

موسى الثاني بن عبد الله الرضى

موسى الثاني بن عبد الله الرضى بن موسى الجون بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب أولاداً ومن عقبه . ءال علقمه . والصالحيون والملوك الهواشم . وءال ابي الليل . وءال بدر . والزويد . وبنو الرومية . وبنو محمد . وبنو وفاء والصلاصله . وءال الشرقي . وءال نزال . وءال عطيه . والديسيه . والزارفيه . والصخور . وءال غبه . وأولاد الشيخ الغوث سيدي عبد القادر الجيلاني وهم (ابراهيم وعيسى وعبد الله وعبد الوهاب ويحيى ومحمد وموسى وعبد الرحمن وعبد الرزاق وعبد الجبار)

أولاد سيدي عبد القادر الجيلاني

أولاد سيدي عبد القادر الجيلاني (ابراهيم وعيسى وعبد الله وعبد الوهاب ويحيى ومحمد وموسى وعبد الرحمن وعبد الرزاق وعبد الجبار) أعقابهم موجودة بمناطق كثيرة ومنها: بغداد . والكوفه ومصر . وواسط . ودمشق . والجزائر . وزموره . والعين الصفراء . وتلمسان . والايض سيد الشيخ والبيض . وندرومه . وتبارت . والحراء . والمغرب . ووجد . وفاس . وبني سنوس . ولهامه

والاندلس . وغرناطة . وافريقية . ومنهم اولاد بن عليه بجبل الصحاري بالجلفة كما ستره في فصل
أولاد سيدي نايل فراجعته إن شئت .

سليمان بن عبد الله الرضى

سليمان بن عبد الله الرضى بن موسى الجون بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن
السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب أولادا ومن عقبه : بنو أبي عزيز ملوك مكة . وبنو
صرخه . والمصفحون . وبنو الحجازي . وءال صلب . وبنو الشماخ . والفاتكون . وءال عابد .
وءال هضام . وبنو غلا .

أحمد بن عبد الله الرضى

أحمد بن عبد الله الرضى بن موسى الجون بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن
السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب أولادا ومن عقبه : الاحمديون . والعمود . وءال عرفه
وءال حماز . وءال سلمه . وبنو الكشيش . وبنو السيراج . وءال العتيد . وءال حمزه . وءال محمد
والمغاربة . والمفاصله . وءال مسلم . واللبنون .

يحيى السويقي بن عبد الرضى

يحيى السويقي بن عبد الله الرضى بن موسى الجون بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن
السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب أولادا ومن عقبه : ءال داود . والسويقيون .

صالح بن عبد الله الرضى

صالح بن عبد الله الرضى بن موسى الجون بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن
السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب أولادا ومن عقبه : ءال الضحاك . وءال الحسن .
وءال هديم .

ابراهيم بن عبد الله الكامل المحض

ابراهيم بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله
عنهما فقد بعثه اخوه محمد النفس الزكية الى البصرة داعيا ثم وبعد مقاتلة لعيسى بن موسى
المنصوري قتل بسهم مسموم وقد انجب اولادا منهم الحسن .

عقب الحسن بن إبراهيم بن عبد الله الكامل

الحسن بن إبراهيم بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب (عبد الله السيد) وأنجب (عبد الله السيد) هذا ابنين هما (محمد الاعرابي و ابراهيم الازرق) وعقبهما موجودون بما وراء النهر . وخراسان . والعراق . والينبع .

يحيى بن عبد الله الكامل المحض

يحيى بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما فقد كان بعثه اخوه محمد النفس الزكية الى الديلم فلما قتل اخوه النفس الزكية بايعه اهل تلك الاقطار ولما قويت شوكة قتل بمكيدة في بغداد كما سبقت الإشارة إلى ذلك وقد أنجب محمد الانيش .

محمد الأنش بن يحيى

محمد الأنش بن يحيى بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب اولادا منهم : احمد . وعبد الله . وعيسى .

احمد وعبد الله وعيسى أبناء محمد الأنش

احمد وعبد الله وعيسى أبناء محمد الأنش بن يحيى بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجبوا اولادا وإليهم ينسب : بنو الصناد . والانيشيون ومنهم فروع في برنو وحوصه واقلال وفزان واغدايس وتنبو والانباط ومكة المشرفة .

عيسى بن عبد الله الكامل المحض

عيسى بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن سيدنا علي ومولانا سيدتنا فاطمة رضي الله عنهما لم يطلع على عقبه .

وَلَمْ قَادَةً قَدْ سَلَحُوا الْجَنْدَ أَوَّلَا
فَلَوْ خَيْرَ الْجَنْدِيِّ لَا سَنْتَمِرَ الثَّرَى
وَضَاغَ مِنَ السَّيْفِ الْيَمَانِيُّ مِنْجَلَا

زينب بنت عبد الله الكامل

زينب بنت عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما . تزوجها الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب قال الراوي

وكان يقال ليس بالمدينة زوج أعبد منهما يعنون بذلك الحسن المثلث بن الحسن المثنى وامرأته زينب بنت عبد الله الكامل (قال) وأنجب الحسن وزينب (الحسين) صاحب معركة (فخ) المذكورة أعلاه.

استراحة في فائدة العقل

نختم هذا الفصل بذكر فوائد العقل . قيل لسيدنا علي رضي الله عنه صف لنا العاقل قال هو الذي يضع الشيء موضعه . قيل فصف لنا الجاهل قال قد فعلت يعني الذي لا يضع الشيء موضعه . وقال المنصور لولده خذ عني ثنتين لا تقل من غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير . وقال أدرشير أربعة تحتاج إلى أربعة الحسب إلى الأدب والسرور إلى الأمن والقراءة إلى المودة والعقل إلى التجربة . وقال كسرى أنو شروان أربعة تؤدي إلى أربعة العقل إلى الرياسة والرأي إلى السياسة والعلم إلى التصدير والحلم إلى التوقير . وقال القاسم بن محمد من لم يكن عقله أغلب الخصال عليه كان حقه من أغلب الخصال عليه . وقيل أفضل العقل معرفة العاقل بنفسه وقيل ثلاثة هن رأس العقل مداراة الناس والاقتصاد في المعيشة والتجيب إلى الناس . وقيل من أعجب برأي نفسه بطل رأيه ومن ترك الاستماع من ذوي العقول مات عقله . وعن عمرو ابن العاص رضي الله تعالى عنه أنه قال أهل مصر أعقل الناس صغارا وارجهم كبارا . وقيل العاقل المحروم خير من الأحمق المرزوق . وقيل لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت ولا طعاما حتى يستمرئه ولا يثق بجليل حتى يستقرضه . وقيل طول اللحية أمان من العقل . وسئل بعضهم أيما أحمد في الصبا الحياء أم الخوف قال الحياء لأن الحياء يدل على العقل والخوف يدل على الخين . وقيل غضب العاقل على فعله وغضب الجاهل على قوله . وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه قال لي رسول الله يا عويمر ازدد عقلا تزدد من الله تعالى قربا قلت بأبي وأمي ومن لي بالعقل قال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله تعالى تكن عاقلا ثم تنقل إلى صالح الأعمال تزدد في الدنيا عقلا وتزدد من الله قربا وعزا . وحكى بعض أهل المعرفة قال حياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة القلب بالعقل وحياة العقل بالعلم . وقال بعض الحكماء العاقل من عقله في إرشاد ورأيه في إمداد .

الكتاب الثامن عشر

ويتضمن الفصل الآتية: الفصل الأول في ذكر النسب الإدريسي . والفصل الثاني في ذكر دخول الامام ادريس الأكبر الى ارض المغرب . والفصل الثالث في ذكر نشأة إدريس الأصغر . والفصل الرابع في ذكر أحداث أيام الأدارسة . والفصل الخامس في ذكر أعقاب إدريس الأصغر .

※

الفصل الأول

في

ذكر النسب الإدريسي

الخلافة وتآلباتها والأدارسة

قال في كتاب الاستقصا أعلم أنه قد ثبت في الصحيح أن رسول الله قال إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين وفيه أيضا أنه قال لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان . قال الحافظ ابن حجر لو فقد قرشي فكناني ثم رجل من بني إسماعيل ثم عجمي على ما في التهذيب أو جرهمي على ما في التتمة ثم رجل من بني إسحاق وأن يكون شجاعا ليغزو بنفسه ويعالج الجيوش ويقوى على فتح البلاد ويحمي البيضة وأن يكون أهلا للقضاء بأن يكون مسلما مكلفا حرا عدلا ذكرا مجتهدا ذا رأي وسمع وبصر ونطق وتعتقد الإمامة ببيعة أهل الحل والعقد من العلماء ووجوه الناس المتيسر اجتماعهم وباستخلاف الإمام من يعينه في حياته ويشترط القبول في حياته ليكون خليفة بعد موته وباستيلاء متغلب على الإمامة ولو غير أهل لها كصبي وامرأة إن قهر الناس بشوكة وجنده وذلك لينظم أمر المسلمين (قال) والخلفاء الأربعة رضي الله عنهم بعد النبي أطبق السلف على أن ترتيبهم في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة وأن ما كان من علي ومعاوية رضي الله عنهما وما صدر منهما كان اجتهادا محضا وطلباً للحق وأن الصواب كان مع علي رضي الله عنه والكل مأجور ولما قتل علي رضي الله عنه بايع أهل العراق ابنه الحسن رضي الله عنه وزحف إليه معاوية في أهل الشام ورأى الحسن ما في حق دماء المسلمين وجمع كلمتهم من الثواب عند الله

والكرامة لديه فاختر الأخرى على الدنيا وقدم الآجل على العاجل وسمل الأمر إلى معاوية على شروط معروفة وأصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين كما قال جده وحاز معاوية الخلافة وصفت له وتوارثها بنوا أمية من بعده بعد مقاتلات ومنازعات كانت من بني هاشم وغيرهم لهم بطول جلبها وكان السواد الأعظم من المسلمين يرون أن بني هاشم أحق بالأمر من بني أمية لأن بني هاشم هم آل بين النبي وعشيرته الأقربون وهم أهل العلم والدين والخصوصية الذين اجتباهم الله وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فهم أحق بمنصب رسول الله ثم غيرهم وهذا الرأي صواب غير أن ذلك ليس بطريق الوجوب عند أهل السنة بل بطريق الأحقية والأولية إذا توفرت الشروط فيهم وفي غيرهم من سائر بطون قريش وإلا فمن انفردت به الشروط وجب المصير إليه وكان شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوجبون الخلافة لبنيه دون من عداهم ويزعمون أن ذلك بوصية من النبي لعلي رضي الله عنه وهذه الوصية لم تثبت عند أهل السنة من طريق صحيح ومذاهب هؤلاء الشيعة في كيفية سوق الخلافة في عقب علي رضي الله عنه متعددة لا حاجة لنا بذكرها وكان بنو علي رضي الله عنه في الصدر الأول كثيرا ما يثورون في النواحي شرقا وغربا طالبن حقهم في الخلافة منازعين فيها بني أمية أولا ثم لبني العباس من بعدهم ثانيا وخبرهم في ذلك معروف وجلبه يطول إلى أن كان منهم عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وكان من سادة أهل البيت يومئذ وكان له عدة أولاد منهم (محمد المعروف بالنفس الزكية وإبراهيم ويحيى وسليمان وإدريس الأكبر) وغيرهم ولما صار أمر بني أمية إلى الاختلال أيام الحمار آخر خلفائهم اجتمع أهل البيت بالمدينة وتشاوروا فيمن يقدمونه للخلافة فوقع اختيارهم على محمد النفس الزكية بن عبد الله فبايعوا له بالخلافة وسلموا له الأمر بأجمعهم وحضر هذا العقد أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو المنصور وذلك قبل أن تنتقل الخلافة إلى بني العباس فبايع للنفس الزكية فيمن بايع له من أهل البيت وأجمعوا على ذلك لتقدمه فيهم لما علموا له من الفضل عليهم (قلت) وقد ذكرت ذلك بتمامه قبل هذا (قال) ولما انقرضت دولة بني أمية وجاءت دولة بني العباس وصار الأمر إلى أبي جعفر المنصور منهم سعى عنده بآل البيت وأن محمد النفس الزكية بن عبد الله يروم الخروج عليه وأن دعائه قد ظهروا بجراسان فأمر المنصور عامله على المدينة رباح بن عثمان المري بحبس

304

ذلك فبعث إليه المنصور عيسى بن موسى المذكور آنفاً فقاتله آخر ذي القعدة من السنة فانهزم إبراهيم وقتل رحمه الله بعد أن بايعه أكثر من مائة ألف ثم لما كانت سنة تسع وستين ومائة في أيام موسى الهادي ابن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور خرج بالمدينة الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان معه جماعة من أهل بيته منهم (إدريس الأكبر ويحيى وسليمان) أبناء عبد الله الكامل بن الحسن المثنى وهم أخوة محمد النفس الزكية فاشتد أمر الحسين المذكور بالمدينة وجرى بينه وبين عامل الهادي على المدينة وهو عمر بن عبد العزيز بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قتال فانهزم عمر المذكور وبايع الناس الحسين المذكور على كتاب الله وسنة بنيه للمرتضى من آل محمد وكانوا يكونون بذلك عن الإمام المستور إلى أن يقدر على إظهار أمره وأقام الحسين وأصحابه بالمدينة يتجهزون أياماً ثم خرجوا إلى مكة يوم السبت لست بقين من ذي القعدة فأنهى الحسين إلى مكة وانضم إليه جماعة من عبيدها وكان قد حج تلك السنة جماعة من وجوه بني العباس وشيعتهم فمنهم سليمان بن أبي جعفر المنصور ومحمد بن سليمان بن علي والعباس بن محمد بن علي وانضم إليهم من حج من قوادهم ومواليهم واقتتلوا مع الحسين المذكور يوم التروية فاحتزوا رأسه وأحضره أمام بني العباس وهو مضروب على قفاه وجبهته ثم جمعت رؤوس أصحابه فكانت مائة ونيفاً وكان فيها رأس سليمان بن عبد الله بن الحسن المثنى في قول واختلط المنهزمون بالحاج فذهبوا في كل وجه وكان مقتلهم بموضع يقال له فخ على ثلاثة أميال من مكة سنة تسع وستين ومائة كما قلنا ثم حمل رأس الحسين ومعه باقي الرؤوس إلى الهادي فأنكر عليهم حمل رأس الحسين ولم يعطهم جوائزهم غضباً عليهم وفريوماً الإمام إدريس الأكبر كما ذكرت قبل وكما سيأتي مزيد من ذكره في الفصول الموالية .

الفصل الثاني

في

ذكر دخول إدريس الأكبر بن عبد الله أرض المغرب الأقصى

قد تقدم لنا أن يحيى وإدريس ابني عبد الله الكامل حضرا وقعة فخ مع الحسين بن علي ولما صار ما صار فر يحيى إلى بلاد الديلم في جهة الشرق ودعا الناس إلى بيعته فبايعوه واشتدت شوكة فلما سمع

بذلك الفضل أرسل إليه وبذل له الأمان وما يختاره فأجابه يحيى بن عبد الله إلى ذلك وطلب يمين الرشيد وأن يكون بخطه ويشهد فيه الأكابر ففعل ذلك وحضر يحيى بن عبد الله إلى بغداد فأكرمه الرشيد وأعطاه ما لا كثيرا ثم حبسه حتى مات في السجن وأما إدريس فإنه فر من الواقعة المذكورة ولحق بمصر وعلى يريدها يومئذ واضح مولى صالح بن المنصور ويعرف بالمسكين وكان واضح يتشيع لآل البيت فعلم شأن إدريس وأتاه إلى الموضع الذي كان مستخفيا به ولم ير شيئا أخلص من أن يحمله على البريد إلى المغرب ففعل ولحق إدريس بالمغرب الأقصى هو ومعه رفيقه راشد بن مرشد القرشي ونزل بلمسان فترة قليلة ثم انتقل فنزل بمدينة ويلي سنة ثنتين وسبعين ومائة وبها يومئذ إسحاق بن محمد بن عبد الحميد أمير أوربة من البربر البرانس فأجاره وأكرمه وجميع البربر على القيام بدعوته وخلع الطاعة العباسية وكشف القناع في ذلك وزوجوه بـ (كنزة بنت السلطان عبد المجيد الزرهوني) وانتهى الخبر إلى الرشيد بما فعله واضح بشأن إدريس فقتله وصلبه .

مسير رحلة إدريس

قال ابن أبي زرع في كتاب القرطاس ذاكرة مسيرة إدريس الأكبر بطريقة مختلفة نوعا ما : إن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما لما قتلت عشيرته بفخ (كما سبقت الإشارة إليه) فر بنفسه متسترا في البلاد يريد المغرب فसार من مكة حتى وصل إلى مصر ومعه رفيقه راشد فدخلها والعامل عليها يومئذ لبني العباس هو علي بن سليمان الهاشمي فبينما إدريس وراشد يمشیان في شوارع مصر إذا مرأ بدار حسنة البناء فوقها يتأملانها وإذا بصاحب الدار قد خرج فسلم عليهما وقال ما الذي تنظرانه من هذه الدار فقال راشد أعجبنا حسن بنائها قال وأظنكما غريبين ليسا من هذه الدار فقال راشد جعلت فداك إن الأمر كما ذكرت قال فمن أي الأقاليم أنتمأ قالأ من الحجاز قال فمن أي بلاده قالأ من مكة قال وأخالكما من شيعة الحسينين الفارين من وقعة فخ فهما بالإنكار ثم توسما فيه الخير وقالأ رأيت إن أخبرناك من نحن أكنت تستر علينا قال نعم ورب الكعبة وأبذل الجهد في صلاح حالكما فقال راشد هذا إدريس بن عبد الله ابن الحسن وأنا مولاه راشد فررت به خوفا عليه من القتل ونحن قاصدون بلاد المغرب فقال الرجل لتطمئن نفوسكما فإنني من شيعة آل البيت وأول من كتم سرها فأتما من الآمنين ثم أدخلهما منزله وبالغ

في الإحسان إليهما فاتصل خبرهما بعلي بن سليمان صاحب مصر فبعث إلى الرجل الذي هما عنده فقال له إنه قد رفع إلى خبر الرجلين الذين عندك وإن أمير المؤمنين قد كتب إلي في طلب الحسين والبحث عنهم وقد بث عيونهم على الطرقات وجعل الرصاد على أطراف البلاد فلا يمر بهم أحد حتى يعرف نسبه وإنني أكره أن أعرض لدماء آل البيت فلك ولهم الأمان فاذهب إليهما وأعلمهما بمقالي وأمرهما بالخروج من عملي وقد أجلبتهما ثلاثا فسار الرجل فاشترى راحلتين لإدريس ومولاه واشترى لنفسه أخرى ووضع زادا يبلغهما إلى إفريقية وقال الراشد اخرج أنت مع الرفقة على الجادة وأخرج أنا وإدريس على طريق غامض لا تسلكه الرفاق وموعدا مدينة برقة فخرج راشد مع الرفقة في زبي التجار وخرج إدريس مع المصري فسلكا البرية حتى وصلا إلى برقة وأقاما بها حتى لحق بهما راشد ثم جدد المصري لهما زادا وودعهما وانصرف وسار إدريس وراشد يجدان السير حتى وصلا إلى القيروان فأقاما بها مدة ثم خرجا إلى المغرب الأقصى وكان راشد من أهل النجدة والحزم والدين والنصيحة لآل البيت فعمد إلى إدريس حين خرجا من القيروان فألبسه مدرعة صوف خشينة وعمامة كذلك وصيره كالخادم له يأمره وينهاه كل ذلك خوفا عليه وحيطة له ثم وصلا إلى مدينة تلمسان فأراحا بها أياما ثم ارتحلا نحو بلاد طنجة فسارا حتى عبرا وادي ملوية ودخلا بلاد السوس الأدنى وتقدما إلى مدينة طنجة وهي يومئذ قاعدة بلاد المغرب الأقصى وأم مدنه فأقاما بها أياما فلما لم يجد إدريس بها مراده خرج مع مولاه راشد حتى انتهيا إلى مدينة ويليلى قاعدة جبل زرهون وكانت مدينة متوسطة حصينة كثيرة المياه والغروس والزيتون وكان لها سور عظيم من بنيان الأواثل يقال إنها المسماة اليوم بقصر فرعون فنزل بها إدريس على صاحبها ابن عبد الحميد الأوروبي فأقبل عليه ابن عبد الحميد وبالغ في إكرامه وبره فعرفه إدريس بنفسه وأفضى إليه بسره فوافقه على مراده وأنزله معه في داره وتولى خدمته والقيام بشؤونه وكان دخول إدريس المغرب ونزوله على ابن عبد الحميد بمدينة ويليلى غرة ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين ومائة هجري .

بيعة الإمام إدريس الأكبر بن عبد الله

لما استقر إدريس بن عبد الله بمدينة ويليلى عند كبيرها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوروبي أقام ستة أشهر فلما دخل شهر رمضان من السنة جمع ابن عبد الحميد عشيرته من أوربة وعرفهم

بنسب إدريس وقرابته من رسول الله وقرر لهم فضله ودينه وعلمه واجتماع خصال الخير فيه فقالوا الحمد لله الذي أكرمنا به وشرفنا بجواره وهو سيدنا ونحن العبيد فما تريد منا قال تبايعونه قالوا ما منا من يتوقف عن بيعته فبايعوه بمدينة ولىلى يوم الجمعة رابع رمضان المعظم سنة اثنين وسبعين ومائة وكان أول من بايعه قبيلة أوربة على السمع والطاعة والقيام بأمره والاقتراء به في صلواتهم وغزواتهم وسائر أحكامهم وكانت أوربة يومئذ من أعظم قبائل البربر بالمغرب الأقصى وأكثرها عددا وتلتها في نصر إدريس والقيام بأمره مغيلة وصدينة وهما معا من ولد تامزيت بن ضرى ولما بوع إدريس رحمه الله خطب الناس فقال بعد حمد الله والصلاة على نبيه الناس لا تمدن الأعناق إلى غيرنا فإن الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا ثم بعد ذلك وفدت عليه قبائل زناتة والبربر مثل زواغة وزواوة وسدراتة وغياثة ومكناسة وغمارة وكافة البربر فبايعوه أيضا ودخلوا في طاعته فاستتب أمره وتمكن سلطانه وقويت شوكة ولحق به من اخوته سليمان بن عبد الله ونزل بأرض زناتة من تلمسان ونواحيها كذا عند ابن خلدون في أخبار الأدارسة والذي عنده في أخبار بني العباس والذي عند أبي الفداء أن سليمان بن عبد الله بن حسن قتل بوقعة فخ وجمع رأسه مع رؤوس القتلى والذي جاء إلى المغرب هو ابنه . والله أعلم بحقيقة ذلك .

غزو إدريس الأكبر بن عبد الله بلاد المغرب الأقصى وفتحها إياها

ثم إن إدريس الأكبر اتخذ جيشا كثيفا من وجوه (زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة وغيرهم) وخرج غاريا بلاد (تامسنا) ثم زحف إلى بلاد (تادلا) ففتح معاقلها وحصونها وكان أكثر أهل هذه البلاد لا زالوا على دين اليهودية والنصرانية وإنما الإسلام بها قليل فأسلم جميعهم على يده وقفل إلى مدينة (ولىلى) مؤيدا منصورا فدخلها أواخر ذي الحجة سنة اثنين وسبعين ومائة فأقام بها شهر محرم سنة ثلاث وسبعين ومائة ريثما استراح الناس ثم خرج برسم غزو من كان بقي من قبائل البربر بالمغرب على دين المجوسية واليهودية والنصرانية وكان قد بقي منهم بقية متحصنون في المعازل والجبال والحصون المنيعة فلم يزل إدريس رحمه الله يجاهدهم في حصونهم ويستنزلهم من معاقلهم حتى دخلوا في الإسلام طوعا وكرها ومن أبى الإسلام منهم أباده قتلا وسبيا وكانت البلاد التى غزاها في هذه المرة حصون

(فندلاوة) وحصون (مديونة) و (بهلولة) وقلاع (غياثة) وبلاد (فازان) ثم عاد إلى مدينة (وليلي) فدخلها في النصف من جمادى الآخرة من السنة المذكورة .

غزو إدريس الأكبر بن عبد الله أرض الجزائر وفتح مدينة تلمسان لما قفل إدريس الأكبر رضي الله عنه من غزو بلاد (المغرب الأقصى) سنة ثلاث وسبعين ومائة أقام بـ (وليلي) بقية جمادى الآخرة ونصف رجب التالي لها ريثما استراح جيشه ثم خرج منتصف رجب المذكور برسم غزو مدينة (تلمسان) ومن بها من قبائل (مغراوة) و (بني يفرن) فاتته إليها ونزل خارجها فخرج إليه صاحبها محمد بن خزر من ولد صولات المغراوي مستأمنًا ومبايعًا له فأمنه إدريس وقبل بيعته ودخل مدينة (تلمسان) فأمن أهلها ثم أمن سائر (زناتة) وبنى (مسجد تلمسان) وأتقنه وأمر بعمل منبر نصبه فيه وكتب عليه عبارة (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به الإمام إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي) رضي الله عنهم وذلك في شهر صفر سنة أربع وسبعين ومائة قال ابن خلدون واسم إدريس مخطوط في صفحة المنبر لهذا العهد اهـ . ثم رجع إدريس رحمه الله إلى مدينة (وليلي) فدخلها مؤيدًا منصورًا .

وفاة إدريس الأكبر بن عبد الله والسبب في ذلك

لما حصل لإدريس الأكبر رحمه الله ما حصل من التمكن والظهور اتصل خبر ذلك بالخليفة ببغداد وهو هارون الرشيد العباسي وبلغه أن إدريس قد استقام له أمر المغرب وأنه قد استفحل أمره وكثرت جنوده وقد فتح مدينة (تلمسان) وبنى مسجدها وأنه عازم على غزو (إفريقيا) فخاف الرشيد عاقبة ذلك وأنه إن لم يتدارك أمره الآن ربما عجز عنه في المستقبل مع ما يعلم من فضل إدريس خصوصًا ومحبة الناس في آل البيت عموماً فقلق الرشيد من ذلك واستشار وزيره يحيى بن خالد البرمكي وقال إن الرجل قد فتح (تلمسان) وهي باب (إفريقية) ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار وقد هممت أن أبعث إليه جيشًا ثم فكرت في بعد الشقة وعظم المشقة فرجعت عن ذلك فقال يحيى الرأي يا أمير المؤمنين أن تبعث إليه برجل داهية يحتمل عليه ويغاله وتستريح منه فأعجب الرشيد ذلك فوقع اختيارهما على رجل من موالي المهدي والد الرشيد واسم الرجل (سليمان بن جرير) ويعرف بـ (الشمخ) فأحضره يحيى وأعلمه بما يريد منه ووعدته على قتل إدريس الرفعة والمنزلة العالية

عند الرشيد وزوده مالا يستعين به على أمره وأصبحه الرشيد كتابا منه إلى واليه على إفريقية (إبراهيم بن الأغلب) كذا عند ابن خلدون وابن الخطيب وفيه أن ابن الأغلب لم يكن واليا على إفريقية في هذا التاريخ وإنما وليها سنة أربع وثمانين ومائة حسبا سبق (فوصل الشماخ إلى والي إفريقية بكتاب الرشيد فأجازه إلى المغرب وقدم الشماخ على إدريس بن عبد الله مظهرا النزوع إليه فيمن نزع إليه من وحدان العرب متبرئا من الدعوة العباسية منتحلا لدعوة الطالبية فاختصه إدريس رحمه الله وحلا بعينه وعظمت منزلته لديه وكان الشماخ ممثلا من الأدب والظرف والبلاغة عارفا بصناعة الجدل فكان إذا جلس الإمام إدريس إلى البربر ووجوه القبائل تكلم الشماخ فذكر فضل أهل البيت وعظيم بركتهم على الأمة ويقرر ذلك ويحتج لإمامة إدريس وأنه الإمام الحق دون غيره فكان يعجب إدريس ويقع منه الموقع فاستولى الشماخ عليه حتى صار من ملازميه ولا يأكل إلا معه وكان راشد كالنائب لإدريس ملازما له أيضا قلما ينفرد عنه لأنه كان يخاف عليه من مثل ما وقع فيه لكثرة أعداء آل البيت يومئذ وكان الشماخ يترصد الغرة من راشد ويتربص الفرصة في إدريس إلى أن غاب راشد ذات يوم في بعض حاجاته فدخل الشماخ على إدريس فجلس بين يديه على العادة وتحدا مليا ولما مير الشماخ راشدا بالحضرة انتهز الفرصة في إدريس . قيل إنه كانت مع الشماخ قارورة من طيب مسموم . فأخرجها وقال لإدريس هذا طيب كنت استصحبته معي وهو من جيد الطيب فرأيت أن الإمام أولى به مني وذلك من بعض ما يجب له علي ثم وضع القارورة بين يديه فشكره إدريس وتناول القارورة ففتحها واشتم ما فيها فصعد السم إلى خياشمه وانتهى إلى دماغه فغشي عليه وقام الشماخ للحين كأنه يريد حاجة الإنسان فخرج وأتى منزله فركب فرسا له عتيقا كان قد أعده لذلك وذهب لوجهه يريد المشرق واقتد الناس الإمام إدريس فإذا هو مغشي عليه لا يتكلم ولا يعلم أحد ما به وقيل إن الشماخ سمه في سنون والسنون بوزن صبور ما يستاك به وكان إدريس يشتكي وجع الأسنان واللثة وقيل سمه في الحوت الشابل وقيل في عنب أهده إليه في غير إبانة والله أعلم ولما اتصل خبر إدريس بمولاه راشد أقبل مسرعا فدخل عليه وهو يحرك شفثيه لا يبين كلاما قد أشرف على الموت فجلس عند رأسه متحيرا لا يدري ما دهاه واستمر إدريس على حالته تلك إلى عشي النهار فتوفي في مهل ربيع الآخر سنة سبع وسبعين ومائة وتفقده راشد الشماخ فلم يره فعلم أنه الذي اغتال إدريس ثم جاء

الخبر بأن الشماخ قد لقي على أميال من البلد فركب راشد في جمع من البربر واتبعوه وتقطعت الخيل في النواحي وطلبوه ليلتهم إلى الصباح فلحقه راشد بـ (وادي ملوية) عابرا فشد عليه راشد بالسيف وضربه ضربات قطع في بعضها يمناه وشججه في رأسه شجاجا ونجا الشماخ بجربعاء الذقن وأعياى فرس راشد مقطوع اليد ولما رجع راشد إلى منزله أخذ في تجهيز الإمام رضي الله عنه وصلى عليه ودفنه بصحن رابطة عند باب (وليلي) ليتبرك الناس بترته رحمه الله ورضي عنه .

أمر البربر بعد وفاة إدريس الأكبر بن عبد الله

قالوا إن الإمام إدريس الأكبر لما توفي لم يترك ولدا إلا حملا من زوجته كثره بنت السلطان عبد المجيد الزرهوني فلما فرغ راشد من جهازه ودفنه جمع رؤساء البربر ووجوه الناس فقال لهم إن إدريس لم يترك ولدا إلا حملا من أمته كثره وهي الآن في الشهر السابع من حملها فإن رأيتم أن تصبروا حتى تضع هذه الجارية حملها فإن كان ذكرا أحسنا تربيته حتى إذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه تمسكا بدعوة آل البيت وتبركا بذرية رسول الله وإن كان جارية نظرتم لأنفسكم فقالوا له أيها الشيخ المبارك ما لنا رأي إلا ما رأيت فإنك عندنا عوض من إدريس تقوم بأمورنا كما كان إدريس يقوم بها وتلي بنا وتقضي بيننا بكتاب الله وسنة رسوله ونصبر حتى تضع الجارية حملها ويكون ما أشرت به على أنها إن وضعت جارية كنت أحق الناس بهذا الأمر لفضلك ودينك وعلمك فشكرهم راشد على ذلك ودعا لهم وانصرفوا فقام راشد بأمر البربر تلك المدة ولما تمت للجارية أشهر حملها وضعت غلاما أشبه الناس بأبيه إدريس فأخرجه راشد إلى رؤساء البربر حتى نظروا إليه فقالوا هذا إدريس بعينه كأنه لم يميت فسماه راشد إدريس الأصغر .

الفصل الثالث

في

ذكر نشأة إدريس الأصغر

كانت ولادة إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي وفاطمة رضي الله عنهما . يوم الاثنين ثالث رجب سنة سبع وسبعين ومائة فكفله راشد مولى أبيه وقام بأمره أحسن قيام فأقرأه القرآن حتى حفظه وهو ابن ثمان سنين ثم علمه الحديث والسنة

والفقه في الدين والعربية ورواه الشعر وأمثال العرب وحكمها وأطلعها على سير الملوك وعرفه أيام الناس ودربه على ركوب الخيل والرمي بالسهام وغير ذلك من مكاييد الحرب فلم يمض له من العمر مقدار إحدى عشرة سنة إلا وقد اضطلع بما حمل وترشح للأمر واستحق لأن يباع فيبايعه البربر وآتوه صفقتهم عن طاعة منهم وإخلاص. قال ابن خلدون بايع البربر إدريس الصغير حملا ثم رضيعا ثم فصيلا إلى أن شب فبايعوه بجامع مدينة ويليلى سنة ثمان وثمانين ومائة وهو ابن إحدى عشرة سنة وكان إبراهيم بن الأغلب صاحب إفريقية قد دس إلى بعض البربر الأموال واستمالهم حتى قتلوا راشدا رفيقه سنة ست وثمانين ومائة وحملوا إليه رأسه وقام بكفالة إدريس من بعده أبو خالد يزيد بن إلياس العبدى ولم ينزل على ذلك إلى أن بايعوا لإدريس فقاموا بأمره وجددوا لأنفسهم رسوم الملك بتجديد طاعته. وفي القرطاس أن مقتل راشدا كان في السنة التي بوج فيها إدريس بن إدريس قال وكانت بيعة إدريس يوم الجمعة غرة ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائة بعد مقتل راشدا بعشرين يوما وإدريس يومئذ ابن إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر قاله عبد الملك الوراق في تاريخه وفيه بعض مخالفة لتاريخ الولادة المتقدم وفي قتل راشدا يقول إبراهيم بن الأغلب في بعض ما كتب به إلى الرشيد يعرفه بنصحه وكمال خدمته.

ألم ترن بالكيد أردت راشدا وإنني بأخري لابن إدريس راصد
تناوله عزمي على بعد داره بمحومة يحظى بها من يكابد
قفاه أخو عك بمقتل راشدا وقد كنت فيه شاهدا وهو راقدا

يريد بأخي عك محمد بن مقاتل العكي والي إفريقية فإنه لما حاول ابن الأغلب قتل راشدا وتم له ذلك كتب العكي إلى الرشيد يعلمه أنه هو الذي فعل ذلك فكتب صاحب البريد إلى الرشيد بحقيقة الأمر وأن ابن الأغلب هو الفاعل لذلك والمتولي له فثبت عند الرشيد كذب العكي وصدق ابن الأغلب فعزل الرشيد العكي عن إفريقية وولى ابن الأغلب عليها وإنما كان قبل ذلك عاملا للعكي عن إفريقية وتولية ابن الأغلب عليها كان في سنة أربع وثمانين ومائة قبل وفاة راشدا بسنتين أو بأربع سنين على الخلاف المتقدم وقال البكري والبرنسي إن راشدا لم يمت حتى أخذ البيعة لإدريس بالمغرب وإن

إدريس لما تم له من العمر إحدى عشرة سنة ظهر من وفور عقله ونباهته وفصاحته ما أذهل عقول الخاصة والعامة فأخذ له راشد البيعة على البربر يوم الجمعة سابع ربيع الأول من السنة المذكورة .

خطبة الامام إدريس الأصغر

لما أخذت لأدريس الأصغر البيعة يوم الجمعة سابع ربيع الأول سنة أربع وثمانين ومائة صعد إدريس المنبر وخطب الناس فقال الحمد لله أحمدته وأستغفره وأستعين به وأتوكل عليه وأعوذ به من شر نفسي ومن شر كل ذي شر وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله المبعوث إلى الثقلين بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله يأذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى آل بيته الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . أيها الناس إنا قد ولينا هذا الأمر الذي يضاعف فيه للمحسن الأجر وعلى المسيء الوزر ونحن والحمد لله على قصد فلاتمذوا الأعناق إلى غيرنا فإن الذي تطلبونه من إقامة الحق إنما تجدوه عندنا ثم دعا الناس إلى بيعته وحضهم على التمسك بطاعته فعجب الناس من فصاحته وقوة جأشه على صغر سنه ثم نزل فتسارع الناس إلى بيعته وازدحموا عليه يقبلون يده فبايعه كافة قبائل المغرب من زناتة وأوربة وصنهاجة وغمارة وسائر قبائل البربر فتمت له البيعة وبعد بيعته بقليل توفي مولاه راشد والله أعلم .

وفود العرب على إدريس الأصغر بن إدريس

لما استقام أمر المغرب لإدريس الأصغر بن إدريس الأكبر تزوج الحسناء بنت سليمان بن محمد ولما توطد ملكه وعظم سلطانه وكثرت جيوشه وأتباعه وفدت عليه الوفود من البلدان وقصد الناس حضرته من كل صقع ومكان فاستمر بقية سنة ثمان يصل الوفود ويبذل الأموال ويستميل الرؤساء والأقيال ولما دخلت سنة تسع وثمانين ومائة وفدت عليه وفود العرب من إفريقية والأندلس نازعين إليه وملتفين عليه فاجتمع لديه منهم نحو خمسمائة فارس من (قيس والأزد ومذحج وبحصب والصدف وغيرهم) فسر إدريس بوفادتهم وأجزل صلتهم وأدنى منزلتهم وجعلهم بطانة دون البربر فاعتز بهم وأنس بقربهم فإنه كان غريبا بين البربر فاستوزر منهم عمير بن مصعب الأزدي المعروف بالمجوم من ضربة ضربها في بعض حربهم وسمته على الخرطوم وكان عمير من فرسان العرب وسادتها ولأبيه مصعب مآثر إفريقية والأندلس ومواقف في غزو الفرنج واستقضى منهم عامر

ابن محمد بن سعيد القيشي وكان نم أهل الورع والفقه والدين سمع من مالك بن أنس وسفيان الثوري وروى عنهما كثيرا وكان قد خرج إلى الأندلس برسم الجهاد ثم أجاز غلى العدو فوفد بها على إدريس فيمن وفد عليه من العرب فاستقضاء واستكتب منهم أبا الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي ولم تنزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر حتى كثر الناس لديه وضائق بهم مدينة وليمى وانتهى إلى ابن الأغلب ما عليه إدريس من الإستفحال فأرهم عزمه للتضريب بين البربر واستفسادهم على إدريس فكان منهم بهلول بن عبد الواحد المضغري من خاصة إدريس ومن أركان دولته فكانت به ابن الغلب واستهواه بالمال حتى بايع الرشيد وانحرف عن إدريس واعتزله في قومه فصالحه إدريس وكتب إليه يستعطفه بقرابته من رسول الله فكف عنه وكان فيما كتب به إدريس إلى بهلول المذكور قوله

أبـهلول قد حملت نفسك خطة تبدلت منها ضلة برشاد
أضلك إبراهيم مع بعد داره فأصبحت منقادا بغير قياد
كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلب وقدم ما رمى بالكيد كل بلاد
ومن دون ما منك نفسك خاليا ومناك إبراهيم شوك قتاد

ثم أحس إدريس من إسحاق بن محمد الأوربي بانحراف عنه وموالاة لابن الأغلب فقتله سنة ثنتين وتسعين ومائة وصفا له المغرب وتمكن سلطانه به والله غالب على أمره .

بناء مدينة فاس

لما كثرت الوفود من العرب وغيرهم على إدريس رحمه الله وضائق بهم مدينة وليمى أراد أن يبني لنفسه مدينة يسكنها هو وخاصته ووجوه دولته فركب يوما في جماعة من حاشيته وخرج يتخير البقاع فوصل إلى جبل زالغ فأعجبه ارتفاعه وطيب هوائه وترتبه فاخط بسنده مدينة مما يلي الجوف وشرع في بنائها فبنى بعضا من الدور ونحو الثلث من السور فأتى السيل من أعلى الجبل في بعض الليالي فهدم السور والدور وحمل ما حول ذلك ثم الخيام والزروع وألقاها في نهر سبو فكف إدريس عن البناء واستمر الحال على ذلك مدة يسيرة ثم خرج ثانية يتصيد ويرتاد لنفسه موضعا يبني فيه ما قد عزم عليه فأتته إلى نهر سبو حيث هي اليوم حمة خولان فأعجبه الموضع لقربه من الماء ولأجل الحمة التي هناك والحمة كما في القاموس كل عين فيها ما حارينبع منها ويستشفى به فعزم إدريس على أن يبني هناك

مدينة وشرع في حفر الأساس وعمل الجيار وقطع الحشب وبدأ بالبناء ثم فكر في نهر سبو وما يأتي به من الممدود والسيول زمان الشتاء وما يحصل بذلك من الضرر العظيم للناس فكف عن البناء ورجع إلى ويلي ثم بعث وزيره عمير بن مصعب الأزدي يرتاد له موضعاً يبني فيه المدينة التي عزم عليها فسار عمير في جماعة يقص الجهات ويتخير البقاع والترب والمياه حتى انتهى إلى فحص سايس فأعجبه المحل فنزل هناك على عين ماء تترد في مرج أخضر فتوضاً وصلى الظهر هو وجماعة القوم الذين معه ثم دعا الله تعالى أن ييسر عليه مطلبه ثم ركب وحده وأمر الجماعة أن ينتظروه حتى يعود إليهم فنسبت العين إليه من يومئذ ودعيت عين عمير وعمير هذا هو جد بين الملجوم من بيوتات فاس وكبرائهم فأوغل عمير في فحص سايس حتى انتهى إلى العيون التي ينبع منها وادي فاس فرأى بها من عناصر الماء ما ينيف على الستين عنصراً ورأى مياهها تترد في فسيح من الأرض وحول العيون شعراء من شجر الطرفاء والطخش والعرجار والككج وغير ذلك فشرب من الماء فاستطابه ونظر إلى ما حوله من المزارع التي ليست على نهر سبو فأعجبه فأنحدر مع مسيل الوادي حتى انتهى إلى موضع مدينة فاس اليوم فنظر فإذا ما بين الجبلين غيضة ملتفة الأشجار مطردة العيون والأنهار وفي جانب منها خيام من شعريسكنها قوم من زواغة يعرفون بني الخير وقوم من زناتة يعرفون بني يرغش وكان بنو الخير ينزلون بعدوة القرويين وبنو يرغش ينزلون بعدوة الأندلس فرجع عمير إلى إدريس وأعلمه بما رأى من الغيضة وساكنيها وما وقع عليه اختياره فيها فجاء إدريس لينظر إلى البقعة واشترى منهم الغيضة بستة آلاف درهم فرضوا بذلك ودفع لهم الثمن وأشهد عليهم بذلك على يد كاتبه أبي الحسن عبد الله ابن مالك الخزرجي ثم ضرب أبنيتهم بكر واة وشرع في بناء المدينة فاخط عدوة الأندلس غرة ربيع الأول سنة اثنين وتسعين ومائة وفي سنة بعدها اختط عدوة القرويين وبنى مساكنه بها وانتقل إليها وقد كان أولاً قد أدار السور على عدوة الأندلس وبنى بها الجامع المعروف بجامع الأشياخ وأقام فيه الخطبة ثم انتقل ثانياً إلى عدوة القرويين كما قلنا ونزل بالموضع المعروف بالمقرمدة وضرب فيه قيطونة وأخذ في بناء جامع الشرفاء وأقام فيه الخطبة أيضاً ثم شرع في بناء داره بدار القيطون التي يسكنها الشرفاء الجوطيون من ولده ثم بنى القيسارية إلى جانب المسجد الجامع وأدار الأسواق حوله وأمر الناس بالبناء وقال لهم من بنى موضعاً أو اغترسه قبل تمام السور فهو له فبنى الناس من ذلك شيئاً

كثيرا واغترسوا ووفد عليه جماعة من الفرس من أرض العراق فأنزلهم بغیضة هناك كانت على العين المعروفة بعین علون وكان علون عبدا أسود یاوي إلى تلك الغیضة ويقطع الطريق بها على المارة فتحامى الناس غیضته وتناذروها فأعلم إدريس رحمه الله بشأنه فبعث في طلبه خيلا قبضوا عليه وجاءوا به إليه فأمر بقتله وصلبه على شجرة كانت على العين فأضيفت إليه العين من يومئذ وقيل عين علون ثم أدار إدريس السور على عدوة القرويين وكانت من لدن باب السلسلة إلى غدير الجوزاء قال عبد الملك الوراق كانت مدينة فاس بلدين لكل بلد منهما سور يحيط به وأبواب تختص به والنهر فاصل بينهما وسميت إحدى العدوتين عدوة القرويين لنزول العرب الوافدين من القيروان بها وكانوا ثلاثمائة أهل بيت وسميت الأخرى عدوة الأندلس لنزول العرب الوافدين من الأندلس بها وكانوا جما غفيرا يقال أربعة آلاف أهل بيت وكان الحكم بن هشام الأموي صاحب الأندلس صدرت منه لأول إمارته هنات أوجبت قيام جماعة من أهل الورع عليه فيهم يحيى بن يحيى الليثي صاحب مالک وراوي الموطأ عنه وطالوت الفقيه وغيرهما فخلعوا الحكم وبيعوا بعض قرابته وكانوا بالربض الغربي من قرطبة فقاتلهم الحكم وكثروه وكادوا يأتون عليه ثم أظفروه الله بهم ووضع فيهم السيف ثلاثة أيام وهدم دورهم ومساجدهم وفر الباقيون منهم فلاحقوا بفاس فأنزلهم إدريس رحمه الله بعدوة الأندلس فأضيفت إليهم وأما اللاحتون بالإسكندرية فثاروا بها بعد حين فرحف إليهم عبد الله بن طاهر الخزاعي صاحب مصر من قبل المأمون بن الرشيد فقاتلهم ونفاهم إلى جزيرة إقريطش فلم يزالوا بها إلى أن ملكها الفرنج من أيديهم بعد مدة .

(قلت) وحدثني والدي الشيخ بن عيسى بن الهدار الجلفاوي الذي استقر بفاس ست عشرة سنة أنه رأى وشاهد واد فاس عند فيضانه أنه يرق ماؤه ويقل موجه لما يصل المضيق حيث يوجد قبر سيدي القاضي ابن العربي وبمجرد ما يتجاوزه يستأنف موجه وتياره قال وهذه كرامة لذلك العالم الجليل (قلت) وكان والدي يستقر بفاس المهراس (أي العتيقة) وبقي بها ولمدة أربع سنوات يدير شأن الزاوية القادرية هناك وقد تزوج في الفترة من 1946 إلى 1952م بالسيدة فاطمة بنت محمد التسولي .

خطبة الإمام إدريس الأصغر

ذكر ابن غالب في تاريخه : أن الإمام إدريس لما فرغ من بناء مدينة فاس وحضرت الجمعة الأولى صعد المنبر وخطب الناس ثم رفع يديه في آخر الخطبة فقال اللهم إنك تعلم أنني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا رياء ولا سمعة ولا مكابرة وإنما أردت أن تعبد بها ويتلى بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد بقيت الدنيا اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعنيهم عليه واكفهم مؤنة أعدائهم وأدر عليهم الأرزاق وأعمد عنهم سيف الفتنة والشقاق إنك على كل شيء قدير فأمن الناس على دعائه فكثرت الخيرات بالمدينة وظهرت بها البركات

من محاسن فاس

ذكر ابن غالب في تاريخه ومن محاسن فاس أن نهرها يشقها بنصفين وتشعب جدوله في دورها وحماماتها وشوارعها وأسواقها وتطحن به أرحاؤها ثم يخرج منها وقد حمل أقذارها وازبالها إلى غير ذلك من عيون الماء التي تنبع بداخلها وتتفرج من بيوتها تجاوز الحصر كثرة . (قلت) قال الإدريسي صاحب : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق واصفا فاس في عصره : ومدينة فاس مدينتان بينهما نهر كبير يأتي من عيون تسمى عيون صنهاجة وعليه في داخل المدينة أرحاء كثيرة تطحن بها الحنطة بلا ثمن له خطر والمدينة الشمالية منهما تسمى القرويين وتسمى الجنوبية الأندلس والأندلس ماؤها قليل لكن يشقها نهر واحد يمر بأعلاها وينتفع منه ببعضها وأما مدينة القرويين فمياها كثيرة تجري منها في كل شارع وفي كل رزاق ساقية متى شاء أهل الموضع فجروها فغسلوا مكانهم منها ليلا فتصبح أرزاقهم ورحابهم مغسولة وفي كل دار منها صغيره كانت أو كبيرة ساقية ماء نقيا كان أو غير نقي وفي كل مدينة منهما جامع ومنبر وإمام وبين المدينتين أبدا فتن ومقاتلات وبالجملة إن أهل مدينة فاس يقتل فتيانها بعضهم بعضا ومدينة فاس ضياع ومعاش ومبان سامية ودور وقصور ولأهلها اهتمام بجوائجهم ومبانيهم وجميع آلاتهم ونعمها كثيرة والحنطة بها رخيصة الأسعار جدا دون غيرها من البلاد القريبة منها وفواكهها كثيرة وخصبها زائد وبها في كل مكان منها عيون نابعة ومياه جارية وعليها قباب مبنية ودواميس محنية ونقوش وضروب من الزينة وبجارجها الماء مطرد نابع من عيون غزيرة وجهاتها

مخضرة مؤنقة وساتينها عامرة وحدائقها ملققة وفي أهلها عزة ومنعة. (قلت) وفي مطالعتي بالجلفة سنة 2007م وجدت في كتاب المحاضرات في اللغة والأدب قائل يقول في فاس :

يا فاس حيا الله أرضك من ثرى وسقاك من صوب الغمام المسبل
يا جنة الدنيا التي أربت على عدن بمنظرها البهي الأجمل
غرف على غرف ويجري تحتها ماء أذ من الرحيق السلسل
وفاة إدريس الأصغر بن إدريس

قال ابن خلدون انتظمت لإدريس الأصغر بن إدريس الأكبر كلمة البربر ومحبي دعوة الخوارج منهم واقتطع المغربين عن دعوة العباسيين من لدن (السوس) الأقصى إلى (وادي الشلف) ودافع إبراهيم ابن الأغلب عن حماه بعد ما ضايقه بالمكايد واستفساد الأولياء حتى قتلوا راشد مولاه وارتاب إدريس بالبربر فصالح بن الأغلب وسكن من غربه وضرب السكة باسمه وعجز الأغلبة بعد ذلك عن مدافعة هؤلاء الأدارسة ودافعوا خلفاء بين العباس بالمعاذير الباطلة وصفا ملك المغرب لإدريس واستمر بدار ملكه من (فاس) ساكنا وادعا مقتعدا أريكة مجتنيا ثمرته إلى أن توفاه الله ثاني جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ومائتين وعمره نحو ست وثلاثين سنة ودفن بمسجده بإزاء الحائط الشرقي منه وقال البرنسي إنه توفي بمدينة ويلي ودفن إلى جنب أبيه وكان سبب وفاته أنه أكل عنباً فشرق بحية منه فمات لحينه وخلف من الولد كثيرا منهم (محمد . وعبد الله . وعيسى . وإدريس الصغير . وأحمد . وجعفر . والقاسم . وعمران . وعمر . وعلي . وداود . وإبراهيم . ويحيى وحمزة وكثير) كذا في القرطاس وزاد ابن حزم (الحسن الرابع . والحسين المثلث) وولي الأمر منهم بعده ابنه (محمد) وهو أكبرهم .

دولة محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر

لما توفي إدريس الأصغر الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة . قام بالأمر بعده ابنه (محمد) بعهد منه إليه ولما ولي قسم بلاد المغرب بين أخوته وذلك بإشارة جدته كثرزة أم إدريس فاخص القاسم منها بـ (طنجة وسبتة وقصر مصمودة وقلعة حجر النسر وتطوان) وما انضم إلى ذلك من القبائل والبلاد واختص عمر منها بـ (تيكاس

وترغة) وما بينهما من قبائل صنهاجة وغمارة واختص داود بـ (بلاد هوارة وتسول وتازا) وما بين ذلك من قبائل مكناسة وغيثة واختص يحيى بـ (أصيلا والعراشش والبصرة وبلاد ورغة) وما إلى ذلك من القبائل واختص حمزة بـ (مدينة ويلي) وأعمالها واختص أحمد بـ (مدينة مكناسة ومدينة تادالا) وما بينهما من بلاد فازاز واختص عبد الله بـ (أغمات وبلد نفيس وجبال المصامدة وبلاد لمطة والسوس الأقصى) وأبقى الآخرين في كفالته وكفالة جدتهم كنزة لصغرهم وبقيت (تلمسان) لولد عمه سليمان بن عبد الله حيث أن إدريس الأصغر بن إدريس لما غزا (تلمسان) وأقام بها ثلاث سنين كما سبق ودوخ بلاد زناتة واستوسقت له طاعتهم عقد عليها لبني عمه سليمان بن عبد الله فلما توفي إدريس واقتسم بنوه أعمال المغرب كانت (تلمسان) في سهم عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله واستمرت بأيديهم إلى أن تلاشى أمرهم بدخول العبيدين عليهم قاله ابن خلدون وأقام محمد بن إدريس بـ (دار مكة) من فاس مقتعدا على أريكته وأخوته ولاة على بلاد المغرب قد ضبطوا أعمالها وسدوا ثغورها وأمنوا سبلها وحسنت سيرتهم في ذلك إلى أن كان ما ذكره الآن.

حدوث الفتنة بين بني إدريس الأصغر

بعد ما سبق من توطيد وتوطيد خرج على (محمد بن إدريس) أخوه (عيسى) بمدينة (آزمور) ونبذ طاعته وطلب الأمر لنفسه فكتب (محمد) إلى أخيه (القاسم) صاحب (طنجة) يأمره بحرب (عيسى) فامتنع من ذلك فكتب (محمد) إلى أخيه (عمر) صاحب (تيكاس) بمثل ما كتب به إلى (القاسم) فامتلأ أمره وزحف إلى (عيسى) في قبائل البربر وأمدّه (محمد) بألف فارس من وناة فأوقع (عمر) بـ (عيسى) وهزمه وطرده عن عمله وكتب إلى الأمير (محمد) بالفتح فشكره على ذلك وولاه على ما فتحه من عمل (عيسى) وأمره مع ذلك بالسير إلى قتال (القاسم) الذي عصى أمره أولا فزحف (عمر) إلى (القاسم) ونزل عليه بظاهر (طنجة) فخرج إليه (القاسم) ودارت بينهما حرب شديدة هزم فيها (القاسم) واستولى (عمر) على ما بيده من البلاد فصار الريف البحري كله في عمل (عمر) من (تيكساس) وبلاد (غمارة) إلى (سبتة) ثم إلى (طنجة) وهذا (ساحل البحر الرومي) ثم ينعطف إلى (أصيلا) و(العرايش) ثم إلى (سلا) ثم (آزمور) وبلاد (تامسنا) وهذا (ساحل البحر قرب أصيلا) بموضع يعرف بـ (تاهدرات) على ضفة النهر

هناك وأعرض عن الدنيا وأقام يعبد الله إلى أن مات رحمه الله واتسعت ولاية (عمر بن إدريس) وخلصت طويته لأخيه (محمد) الأمير إلى أن توفي (عمر) بموضع يعرف بـ (فج الفرس) من بلاد صنهاجة في دولة أخيه (محمد) سنة عشرين ومائتين فحمل إلى (فاس) وصلى عليه الأمير (محمد) ودفن مع أبيه قال و (عمر) هذا هو جد الأشراف الحموديين المالكين للأندلس بعد بني أمية وعقد الأمير (محمد) على عمله لولده (علي بن عمر) إلى أن كان من أمره ما نذكره وأما (عيسى) فيقال إنه توفي بـ (آيت عتاب) وله بها ذرية والله أعلم (قال) وأقام الأمير (محمد بن إدريس) بعد وفاة أخيه (عمر) سبعة أشهر وتوفي بمدينة (فاس) في ربيع الثاني سنة إحدى وعشرين ومائتين ودفن بشرقى جامعها مع أبيه وأخيه بعد أن عهد بالأمر لابنه (علي حيدرة بن محمد) على ما سيأتي :

دولة علي حيدرة بن محمد بن إدريس الأصغر

لما توفي (محمد بن إدريس) بايع لابنه (علي حيدرة بن محمد) بعهد منه إليه ويلقب علي هذا بحيدرة على لقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو جد الأشراف (1) العلميين أهل (جبل العلم) ومنهم المشيشيون أولاد مولانا (عبد السلام بن مشيش) رضي الله عنه والأشراف (2) الوزانيين أولاد مولانا (عبد الله الشريف) وينتهي نسب هؤلاء إلى المولى (بلمح بن مشيش) أخي المولى (عبد السلام بن مشيش) وكان سن (علي حيدرة) يوم بويع تسع سنين وأربعة أشهر فقام بأمره الأولياء والحاشية من العرب والبربر وأحسنوا كفاله وطاعته وكانت أيامه خير أيام وقال ابن أبي زرع ظهر لـ (علي) هذا من الذكاء والفضل ما يقتضيه شرفه وسار بسيرة أبيه وجده في العدل فكان الناس في أيامه في أمن ودعة إلى أن توفي في شهر رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين وعهد بالأمر لأخيه (يحيى بن محمد) على ما سيأتي قال ابن خلدون وقام (يحيى بن محمد بن إدريس) بالأمر وامتد سلطانه وعظمت دولته وحسنت آثار أيامه واستبحر عمران (فاس) وبنيت بها الحمامات والفنادق للتجار وبنيت خارجها الأرباض ورحل إليها الناس من الثغور القاصية وقال ابن أبي زرع قصد إليها الناس من الأندلس وإفريقية وجميع بلاد المغرب .

بناء مسجد القرويين بفاس

قال ابن أبي زرع كان موضع مسجد القرويين أرضا بيضاء لرجل من هواره كان والده قد حازها أيام بناء فاس ولما قدم وفد القيروان على (إدريس الأصغر) حسبما تقدم كان فيهم امرأة اسمها (فاطمة بنت محمد الفهري) وتكنى (أم البنين) فنزلت في أهل بيتها بالقرب من موضع المسجد المذكور ثم مات زوجها وإخوانها فورثت منهم مالا جسيما وكان من حلال فأرادت أن تنفقه في وجوه الخير وكانت لها نية صالحة فعزمت على بناء مسجد تجد ثوابه عند الله فاشتريت البقعة من مالها وشرعت في حفر أساس المسجد وبناء جدرانه وذلك يوم السبت فاتح رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومائتين فبنته بالطابية والكدان وكانت الطريقة التي سلكتها في بنائه أنها التزمت أن تأخذ التراب وغيره من مادة البناء من نفس البقعة دون غيرها مما هو خارج عن مساحتها فحفرت في أعماقها كهوفا وجعلت تستخرج منها التراب الجيد والحجر الكدان وتبني به وأنبتت بها بئرا يستقى منها الماء للبناء والشرب وغير ذلك وكان ذلك كله تحريا منها أن لا تدخل في بناء المسجد شبهة فعادت بركة نيتها وورعها على المسجد المذكور حتى كان منه ما ترى قالوا ولم تنزل فاطمة المذكورة صائمة من يوم شرع في بنائه إلى أن تم وصلت فيه شكرا لله تعالى وكانت مساحة المسجد يوم بني أربع بلاطات وصحنا صغيرا وجعلت محرابه في موضع الثريا الكبرى وجعلت طوله من الغرب إلى الشرق مائة وخمسين شبرا وبنت به صومعة غير مرتفعة بموضع القبة التي على رأس العنزة اليوم واستمر الحال على ذلك إلى أن انقرضت (دولة الأدارسة) وجاءت (دولة زناتة) من بعدها وأداروا السور على العدوتين معا القرويين والأندلس وزادوا في مسجديهما زيادة كثيرة فنقلوا الخطبة من مسجد الشرفاء إلى مسجد القرويين ومن مسجد الأشياخ إلى مسجد الأندلس وذلك صدر المائة الرابعة ثم لما استولى (عبد الرحمن الناصر) صاحب الأندلس على فاس وبلاد العدو استعمل على فاس عاملا له اسمه أحمد بن أبي بكر الزناتي ثم اليفرني فاستأذن الناصر في إصلاح مسجد القرويين والزيادة فيه فأذن له وبعث إليه بمال من خمس الغنائم فزاد فيه زيادة بينة وأزال الصومعة القديمة عن موضعها وبنى الصومعة وكتب على بابها في مربعة بالحص واللازورد (هذا ما أمر به أحمد بن أبي بكر الزناتي هداه الله ووفقه ابتغاء ثواب الله وجزيل إحسانه) وابتدأ العمل في هذه الصومعة يوم الاثنين غرة رجب سنة

أربع وأربعين وثلاثمائة وفرغ من بنائها في شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وركب في أعلى المنارة سيف (الإمام إدريس بن إدريس) تبركا به وذلك أن بعض حفدة (إدريس) رحمه الله تنازعوا في السيف المذكور وأراد كل أن يحوزه لنفسه فقال لهم الأمير (أحمد بن أبي بكر) هل لكم في أن تبيعوني هذا السيف قالوا وما نصنع به قال أجله في أعلى المنارة فقالوا أما إذا أردت هذا فنحن نهبه لك مجانا فوهبوه له فركبه في أعلى المنارة وكانت مبنية من الحجر المنجور وفيها ثقب يشعشع فيها الطير من الحمام والزرزور وغيرهما ويتأذى المسجد والناس بها واستمر الحال على ذلك إلى أن كانت سنة ثمان وثمانين وستمائة أيام السلطان (يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني) فاستأذن القاضي (أبو عبد الله بن أبي الصبر) السلطان (يوسف) المذكور في تلبس المنارة وتبييضها فأذن له فلبسها وببيضها ودلكها حتى صارت كالمرآة الصقلية. وقال ابن خلدون ثم أوسع في خطه المسجد المذكور المنصور بن أبي عامر صاحب الأندلس وأعد له السقاية والسلسلة بـ (باب الحفافة) ثم أوسع في خطه علي بن يوسف اللمتوني ثم ملوك الموحدين وبني مرين واستمرت العمارة به وانصرفت همهم إلى تشييده والمنافسة في الاهتبال به فبلغ الاحتفال فيه ما شاء حسبما هو مذكور في تواريخ المغرب .

فاس بتحقيق عصري

ما سبق ذكره حول فاس جاء في كتب قديمة وبما أن فاس لنا بها تعلق من حيث التأسيس والآثار فإني أدرج هنا تقريرا عصريا يلم بجوانبها المعاصرة كلها وعليه فقد جاء في أطلس الحاسوب قول كاتبه : فاس Fez;Fés . مدينة مغربية تقع في أقصى الشمال الشرقي من المملكة المغربية . وهي تقع على خط طول 4 54 غربا و 34 6 شمالا . وهي تشغل الطرق السهلة التي تصل بين ساحل المغرب المطل على المحيط الأطلنطي ووسطه ، ويوجد جنوب فاس واحد من أقصر الطرق ويمر بوسط جبال أطلس إلى الجنوب عبر طريق سفرو . وطرق الاتصال بين فاس وكل من ساحل البحر المتوسط أو مضيق جبل طارق على قدر كبير من السهولة ويعود تاريخ مدينة فاس إلى القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي عندما قام إدريس الأصغر بن إدريس بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسة عام 172هـ / 789م ببناء مدينة على الضفة اليمنى لنهر فاس لتكون بدلا للعاصمة القديمة ولتلي أيضا تلك العاصمة القديمة التي كانت قد ازدحمت

بالسكان. ثم وفد إليها عشرات العائلات العربية من القرويين ليقموا أول الأحياء وعرف بعدوة القرويين. كما وفد إليها الأندلسيون الذين أرغموا على الهجرة من الأندلس ليكونوا عدوة الأندلسيين. وكان هناك حي خاص لليهود وهو حي الملاح، وقد كان اختيار المكان موقفا فهو مكان فسيح تحيط به الأشجار والحشائش. وقد ظلت المدينة هكذا إلى أن دخلها المرابطون فأمر يوسف بن تاشفين بتوحيد المدينتين وجعلهما مدينة واحدة فصارت القاعدة الحربية الرئيسية في شمال المغرب. ومدينة فاس كانت أحد ركائز الصراع بين الأمويين في الأندلس والفاطميين في إفريقيا، وظلت المدينة تحت سيطرة الأمويين في الأندلس لمدة تزيد على الثلاثين عاما، وتمتعت المدينة خلال تلك المدة بالازدهار. وعندما غابت شمس الخلافة الأموية بقرطبة وقعت مدينة فاس تحت سيطرة أمراء زناته الذين كانوا على خلاف مستمر فيما بينهم. وظلت هكذا إلى قدوم المرابطين، ومن بعدهم الموحدين، وكذلك بنو مرين الذين اتخذوها مركزا لهم بدلا من مراكش، وأنشؤا مدينة ملكية وإدارية جديدة عرفت بالمدينة البيضاء. وأصبحت فاس مرة أخرى مركزا حضاريا حيث تميزت بالازدهار السياسي والاقتصادي والفكري بين سائر بلاد المغرب. وظلت فاس القديمة مركزا للنشاط الاقتصادي بخلاف فاس الجديدة التي ظلت مركزا للحكم. ولموقع فاس ميزة ذات أهمية خاصة في المغرب وهي غزارة مياهها حيث تمتص الطبقات الكلسية في الأطلس الأوسط المياه لتكون منطقة من المياه الجوفية تتفجر منها في سهل يسمى سهل سايس ينابيع كثيرة تتجمع وتتحد لتغذي نهر فاس أو على الأصح أنهار فاس يضاف إلى ذلك الينابيع التي تتفجر من العدوات الشديدة الانحدار التي حفرها نهر فاس مسيلا له. وتمتد بمدينة فاس قنوات المياه مثل الشرايين لتصل إلى كل مسجد ومدرسة وبيت، ويتفجر فيها عيون نهر سبو وروافده. وهو ما يجعل المدينة ذات موقع إستراتيجي إذ تستطيع المدينة أن تصمد أمام أي حصار. وتقع فاس في واد خصيب وكأنها واسطة العقد بين التلال المحيطة بها من كل الجهات. ويوجد قرب المدينة الغابات التي تتوفر فيها أشجار البلوط والأرز والتي يستخرج منها أخشاب عالية الجودة، وتحيط بها أراض كثيرة صالحة لكافة أنواع الزراعة حيث تنمو الحبوب والكروم والزيتون وأنواع عديدة من أشجار

الفاكهة . ولكثرة بساتين البرتقال والتين والرمان والزيتون بصورة خاصة تبدو المدينة زمردية اللون محاطة بعقود من الحدائق والبساتين وبجبال خضراء داكنة متوجة بشجر الأرز والصبير وزهر عود السند . ومن الارتفاعات العالية يبدو اللون الأخضر هو الغالب على كل الألوان بينما تتخلله نقاط بيضاء ما هي إلا الخراف والماعز والأبقار التي تنتشر في المراعي ويوجد بفاس معالم أثرية تدل على حضارتها عبر العصور الإسلامية، ومن أهم ما بقي من هذه الآثار السور وبواباته الثمانية بأقواسها الرائعة والنقوش والتخريم البارز فوقها والتي ترجع إلى عهد المرينين . وقد تجدد بعضها في العصور التالية ولكنها ظلت محتفظة بطابعها . وفي داخل الأسوار تميزت المدينة بوجود عشرة آلاف بناية أصلية وسبعين كيلو متر من القنوات المتدفقة من مياه الوادي والعيون، وبها أربعة آلاف نافورة وسقاية وتميزت المدينة بقصورها التي شيدها المرينيون على التلال التي تطل على فاس من جهة الشمال، وكذلك المنازل القديمة المكونة من طابقين حولها أفنية ضيقة لكنها تكسى بحشوات من الفسيفساء الخزفية، والأبواب المزخرفة بزخارف جصية محفورة، ويحاط بعض المنازل بالحدائق والبساتين . البيمارستانات: تعددت بفاس المستشفيات وكثرت ، وكان الغرباء يسكنون فيها ثلاثة أيام، ويوجد عدد كبير من المستشفيات في خارج أبواب المدينة إلا أنها تقل جمالا عن تلك التي كانت بداخلها . وكانت هذه المستشفيات غنية جدا إلا أنه في أيام حرب سعيد عندما كان السلطان في أشد الحاجة إلى المال أشاروا عليه ببيع إيراداتها وأملأها، وبقيت المستشفيات فقيرة محرومة تقريبا من وسائل العمل . وكان بالقرب من سوق العطارين وسوق الحناء مكان يقيم به المرضى بأمراض عقلية ، وكان بناؤه قديما يرجع تأسيسه إلى عهد سلاطين بني مرين ، حيث بنى أبو يعقوب يوسف بن يعقوب هذا المارستان لما تولى الملك سنة 685هـ / 1286م، وعهد إدارته إلى أشهر الأطباء وخصص له الأوقاف الكثيرة من العقار للصرف عليه، ولما عظم أمر المارستان واتسعت أعماله أدخل عليه السلطان أبو عنان زيادات عظيمة . وفي سنة 900هـ / 1495م لما أقام أهل الأندلس من المسلمين في فاس تولى رئاسة هذا البيمارستان طبيب من بني الأحمر يسمى فرج الخزرجي ولذلك سمي بيمارستان فرج، فأصلح فيه وجعل الموسيقين يعزفون أمام

المرضى. وبالنسبة للمساجد فقد انتشرت بفاس العديد من المساجد إلا أن أشهرها على الإطلاق هو جامع القرويين الذي أسس في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي حيث كانت مساحته صغيرة ثم هدم وقام بتشيده علي بن يوسف المرابطي وزاد في مساحته زيادة كبيرة، وقام بزخرفته صنّاع أندلسيون، وقد بنى مئذنته الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر على نفقته الخاصة. وما زال مسجد القرويين يحتفظ بمنبره المصنوع من الخشب الحفور والمطعم. ويعد هذا المنبر ثاني المنابر المغربية، وقد زود هذا المسجد بثريا فخمة وحجارة للوضوء. أما صحن جامعة القرويين فمتحف فني خالد بهندسته المعمارية العربية المحضة وفنون النحت والتصوير على الخشب والفسيفساء والنقش المعدني البارز بأروع الصور والأشكال وصناعة الخزف في فاس نوعا ما صناعة الفخار كالجرار والأباريق والمزهريات وصناعة الخزف كالصحن والأطباق. ومن أجمل الآثار الباقية جامع الأندلسيين وهو من التحف الخالدة حيث تميز بسقف المصلى، وهو أثر فني خالد بجمال نقوشه وفسيفساء نوافذه الزجاجية التي تجتمع في رسومها ألوان شتى تأسر العيون كما تميز بالنجفة النحاسية المدلاة من السقف وجمال تخريمها الذي لا يمكن تقليده في هذا العصر لأنه يحتاج إلى زمن طويل. وقد أعيد بناؤه في عهد محمد الناصر وشيده تشيدا عظيما. كما يوجد أيضا العديد من المساجد مثل مسجد الحمراء، ومسجد الرصيف وغيرها من المساجد المنتشرة في أنحاء المدينة وجميعها لا تقل روعة معمارها عن مسجد الأندلسيين. وكما وجدت فيها البنايات المقيمة والحمامات التي صممت وفق التخطيطات البسيطة جدا للحمامات الأندلسية. وتحاط المدينة بسور كبير أعاد الموحدون بناءه وبهذا السور ثمانية أبواب ضخمة بواقع أربعة أبواب في كل جانب. وكانت الأبواب تفتح من الداخل فتقضي إلى الطرق والأزقة الضيقة التي تنتشر فيها الأسواق. ومن أشهر حرفها معاصر الزيتون والمدابع وصنع الأواني الخزفية والمصنوعات الجلدية كالسروج والأعنة وصناعة الأسلحة كالسيوف والرماح والأسنة والأقواس والدروع والتروس وأمثالها، وصناعة السلال باليد والأنوال، وتخريم النحاس والفضة، والصاغة، وصناعة الحلويات. وكما ظلت فاس محتفظة بأسبقيتها بصناعة السجاد والنسيج والصباغة وديغ الجلود على مر

العصور رغم أن الدار البيضاء فيما بعد انتزعت لواء الزعامة الاقتصادية منها . ويوجد في مدينة فاس واحد من أعرق وأقدم المؤسسات العلمية وهو جامع القرويين الذي أسسته السيدة فاطمة بنت محمد الفهري عام 245هـ / 859م بعد تأسيس المدينة بمدة (51) عاما . وقد بقي الجامع والجامعة العلمية الملحقه به مركزا للنشاط الفكري والثقافي والديني قرابة الألف سنة . وبعد أن وسعه أبو يوسف يعقوب المريني صار الجامع يستوعب (22) ألف مصل . كما صار يدخل إليه من (17) بابا منها بابان لدخول النساء ، وكان هذا الجامع الفريد في بنائه وهندسته يضاء في عصوره الأولى ب (509) مصباح قائم فوق قواعد قد يزيد وزنها على (700) كيلو جراما . وتعتبر جامعة القرويين في العصر الحديث أقدم جامعة ثقافية في العالم حيث تخرج فيها معظم علماء الغرب وفيها تعلم جربت دي لوفرينه الثاني الذي أصبح فيما بعد سلفستر الثاني . وفيها تعلم (الصفري العربي) في علم الحساب وهو الذي نشر ذلك في أوروبا . كما درس له في جامع القرويين أيضا ابن الشيخ الفيلسوف الرئيس موسى بن ميمون اليهودي القرطبي الذي كان من أعظم الأطباء في عصره والذي غادر الأندلس إلى المشرق وعين طبيباً لصلاح الدين الأيوبي ثم عين مدرسا بالقاهرة وفضلا عن هذا الجامع فإن فاس كانت تضم (785) مسجدا جميعها أو معظمها كانت مدارس بالضبط كمساجد البصرة والكوفة تدرس فيها علوم الدين وعلوم اللغة والتاريخ وغير ذلك من العلوم ولعل من أكبر مدارس فاس مدرسة السلطان أبو عنان المريني التي أسسها عام 756هـ / 1355م وكان قد ألحق بها مسجدا للصلاة يتحلى بمنارة "مؤذنة" لا مثيل لها في الجمال والأناقة . وتميزت فاس بمدارسها التي بنيت حول جامع القرويين وانتشرت في أنحاء المدينة خصوصا في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي على يد العديد من الأمراء ، وقد زينت هذه المدارس بزخارف فني رفيع ومتنوع وهي تشكل واحدة من أروع التشكيلات الزخرفية في مدينة فاس . ويأتي في مقدمة هذه المدارس مدرسة فاس ، والمدرسة المصباحية التي أسسها أبو الحسن سنة 743هـ / 1343م ، والمدرسة التي أسسها أبو عنان وهي المدرسة الوحيدة المزودة بمنبر ومؤذنة ، وغيرها كثير من المدارس . أما أقدم مدارس فاس فهي مدرسة الصفارين التي أمر

ببنائها أبو يوسف المريني عام 678هـ / 1280م وزودها بمكتبة ثرية وقد نقلت فيما بعد إلى جامعة مسجد القرويين . وتعتبر مدرسة العطارين أصغر مدرسة في زمانها ولكنها كانت من حيث الهندسة المعمارية من أجملها وأبهاها وكانت تقع عند طرف سوق العطارين ومؤسسها هو السلطان أبو سيد . وكانت هذه المدارس تدرس فيها العلوم الابتدائية بدءاً من القرآن والكتابة والقراءة إلى مبادئ الحساب وغيرها ثم يلتحقون بعدها بالجامعة وكانت مدة الدراسة في جامعة القرويين تستغرق بين خمسة أعوام و15 عاماً وكان الطلاب يختارون بمحض إرادتهم أساتذتهم كل أستاذ حسب اختصاصه في مادة أو أكثر فيجلسون في حلقات حول الأستاذ الذي كان يستند بظهره إلى سارية من سواري المسجد . وكان كل من السلطان أبي الحسن والسلطان أبي عنان يهتم بتثقيف الناشئة والأساتذة ويرعى شؤون المسلمين رعاية بالغة وقد أعطيا كل اهتمامهما إلى تدريس القرآن الكريم والحديث وعلوم اللغة . ولقد اشتهر من فاس جماعة من أهل العلم ونسبوا إليها منهم أبو عمرو عمران بن موسى الفاسي فقيه أهل القيروان في وقته . وأبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الشهير بابن البناء وهو أشهر رياضي في عصره، وأبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ الشهير بابن باجة وكان ممن نبغوا في علوم كثيرة منها اللغة العربية والطب وكان قد هاجر من الأندلس وتوفي بفاس . ومن العلماء الذين أقاموا بفاس ودرسوا بجامعة ابن خلدون المؤرخ ومؤسس علم الاجتماع، ولسان الدين بن الخطيب، وابن عربي الحكيم وابن مرزوق .

ولاية يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس

لما توفي (يحيى بن محمد بن إدريس الأصغر) الذي بنى مسجد القرويين في أيامه ولي الأمر من بعده ابنه (يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس الأصغر) فاساء السيرة وكثر عيثه في الحرم ودخل على جارية من بنات اليهود في الحمام وكانت بارعة في الجمال فراودها عن نفسها فاستغاثت وبادر الناس إليها بالإنكار وثابت العامة عليه وتولى كبر ذلك (عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي) وكانت زوجة (يحيى) المذكور وهي (عاتكة بنت علي بن عمر بن إدريس) صاحب الريف والسواحل أشارت عليه

بالاختفاء بـ (عدوة الأندلس) ريثما تسكن الفتنة فتواري بها فمات من ليلته أسفا على ما صنع بنفسه وما وقع فيه من العار .

استيلاء بن سهل على فاس

بعد (يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس) استولى (عبد الرحمن بن أبي سهل) على فاس وقام بأمرها فكُتبت (عاتكة بنت علي بن عمر بن إدريس) زوجة (يحيى بن يحيى) إلى أبيها (علي بن عمر بن إدريس) تعلمه بالخبر واستدعاه مع ذلك أهل الدولة من العرب والبربر والموالي فجمع حشمه وجيشه وجاء إلى (فاس) فاستولى عليها وانقطع الملك من عقب (محمد بن إدريس) وصار بعد هذا تارة يكون في عقب (عمر بن إدريس) صاحب الريف وتارة يكون في عقب (القاسم بن إدريس) الزاهد على ما نذكره (ولما) دخول علي بن عمر مدينة فاس . بعد الإطاحة بـ (عبد الرحمن بن سهل) دخل (علي بن عمر بن إدريس) مدينة (فاس) واستقر بها بايعه الناس ودخلت الكافة في طاعته وخطب له على جميع منابر المغرب واستقام له الأمر إلى أن ثار عليه (عبد الرزاق الفهري) وكان من (الخوارج الصفرية) وأصله من (وشقة) بلد بالأندلس فقام بـ (جبال مديونة) من أعمال (فاس) على مسيرة يوم ونصف منها فتبعه خلق كثير من البربر من مديونة وغياثة وغيرهم فبنى قلعة منيعة ببعض جبال مديونة وسماها وشقه باسم بلده قال ابن أبي زرع وهي باقية بتلك الناحية حتى الآن ثم زحف إلى قرية (صفرون) فدخلها وبايعه كافة البربر الصفرونية ثم زحف بهم إلى (فاس) فخرج إليه (علي بن عمر بن إدريس) في عسكر ضخم فكانت بينهم حرب شديدة كان الظفر في آخرها لـ (عبد الرزاق) فانهزم (علي بن عمر) وقتل خلق كثير من جنده وفر بنفسه إلى بلاد (أورية) فدخل (عبد الرزاق) مدينة (فاس) وملك (عدوة الأندلس) وخطب لها بها وامتنع منه أهل (عدوة القرويين) (ولما) فر (علي بن عمر) عن فاس واستولى (عبد الرزاق الصفري) على (عدوة الأندلس) بعث (أهل فاس) إلى (يحيى العدم بن القاسم بن إدريس) فوصل إليهم فبايعوه وولوه على أنفسهم قال (يحيى العدم) هذا هو جد الأشراف الجوطيين بفاس فإنهم (أولاد يحيى الجوطي بن محمد بن يحيى العدم) وإنما قيل له الجوطي نسبة إلى جوطه بضم الجيم وبالطاء المهملة قرية كانت على (نهر سبو) بـ (العدوة الجنوبية) منه نزلها (يحيى بن محمد) فنسب إليها وقبره معروف بها إلى الآن

ولما استقل (يحيى العدم بن القاسم) بالأمر قاتل (عبد الرزاق) حتى أخرجه من (عدوة الأندلس) فدخلها وبايعه أهلها وجميع من نزل بها من أهل (الأندلس) الربضيين ربض (قرطبة) واستعمل (يحيى العدم بن القاسم) عليهم (ثعلبة بن محارب بن عبد الله الأزدي) من ولد المهلب بن أبي صفرة وهو ربضي أيضا فلم يزل واليا على عدوة الأندلس إلى أن توفي فاستعمل (يحيى العدم) مكانه ولده (محارب بن عبود بن ثعلبة) وخرج الأمي (ريحي العدم بن القاسم) إلى قتال الصفرية فكانت له معهم حروب ووقائع كثيرة ولم يزل أميرا على (فاس) وأعمالها إلى أن اغتاله (الربيع بن سليمان) سنة اثنين وتسعين ومائتين.

الفصل الرابع

في

ذكر أحداث أيام الأمراء الأدارسة

كانت في أيام هؤلاء الأمراء الأدارسة أحداث نذكرها فيما يلي إحقاقا للحق حسب ما جاء في المدونات وهي :

(وفي) سنة ثلاث وخمسين ومائتين كان ببلاد العدو والأندلس قحط شديد نضبت منه المياه واستمر إلى سنة ستين .

(وفي) سنة أربع وخمسين كسف القمر كله من أول الليل حتى أصبح ولم ينجل .

(وفي) سنة ستين ومائتين عم القحط والغلاء جميع بلاد الأندلس والمغرب وإفريقية ومصر والحجاز حتى رحل الناس عن مكة إلى الشام ولم يبق بها إلا نفر يسير مع سدنة الكعبة .

(ثم) كان بالمغرب والأندلس وباء عظيم مع غلاء في الأسعار وعدمت الأقوات فهلك خلق كثير (وفي) سنة ست وستين ومائتين كانت بالسماء حمرة شديدة من أول الليل إلى آخره لم يعهد قبلها مثلها وذلك ليلة السبت لتسع بقين من صفر من السنة المذكورة .

(وفي) سنة سبع وستين ومائتين في يوم الخميس الثاني والعشرين من شوال منها كانت زلزلة عظيمة لم يسمع بمثلها تهدمت منها القصور وانحطت منها الصخور من الجبال وفر الناس من المنطقة إلى البرية من شدة اضطراب الأرض وتساقطت السقوف والحيطان وفرت الطيور عن أوكارها وماجت في

السماء زمانا حتى سكنت الزلزلة وعم هذه الرجفة جميع بلاد الأندلس سهلها وجبالها وجميع بلاد العدو من تلمسان إلى طنجة ومن البحر الرومي إلى أقصى المغرب إلا أنها لم يمت فيها أحد لظفا من الله تعالى بحلقه .

(وفي) سنة ست وسبعين ومائتين طبقت الفتنة جميع آفاق الأندلس والمغرب وإفريقية .
(وفي) سنة خمس وثمانين ومائتين كانت الجماعة الشديدة التي عمت جميع بلاد الأندلس وبلاد العدو حتى أكل الناس بعضهم بعضا ثم عقب ذلك وباء ومرض وموت كبير هلك فيه من الخلق ما لا يحصى فكان يدفن في القبر الواحد عدد من الناس لكثرة الموتى وقلة من يقوم بهم وكانوا يدفنون من غير غسل ولا صلاة والأمر لله وحده .

تولية يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس

لما قتل (يحيى العدام) في التاريخ المتقدم ولي الأمر من بعده (يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس) فبايعه أهل عدوة (فاس) وخطب له بهما وامتد ملكه على جميع أعمال المغرب وخطب له على سائر منابرهم وكان (يحيى) هذا (واسطة) عقد البيت الإدريسي أعلاهم قدرا وأبعدهم ذكرا وأكثرهم عدلا وأغزرهم فضلا وأوسعهم ملكا وكان فقيها حافظا للحديث ذا فصاحة وبيان بطلا شجاعا حازما ذا صلاح ودين وورع . قال الن خلدون لم يبلغ أحد من الأدراسة مبلغه في الدولة والسلطان إلى أن طما على ملكه عباب (العبيدين) القائمين بـ (إفريقية) فأغرقه . (قلت) ولعل بهذا انقضى عهد مملكة الأدراسة .

الفصل الخامس

في

ذكر فروع وأعقاب إدريس الأصغر

بعد هذه العجالة حول دولة الأدراسة ومراحل وقائعها نعود الآن إلى ذكر النسب فنقول : إن أولاد إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي بن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله

عليه وآله وسلم وهم كما سبق أن ذكرتهم (إدريس . وجعفر . وعلي . وداود . وإبراهيم . وحمزة . وكثير وعيسى . وعمر . وأحمد . وعبد الله . وموسى . ويحيى . والقاسم . وعمران . ومحمد وهو أكبرهم) ولهم اعقاب كثيرة ومنها ما يلي :

إدريس الثالث وجعفر وعلي وداود وإبراهيم وحمزة وكثير

(إدريس الثالث وجعفر وعلي وداود وإبراهيم وحمزة وكثير) أبناء بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي بن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) و ابن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . ذريتهم لم أطلع على أنسابهم في حين أطلعت على عقب باقي إخوانهم وهم كما يلي مرتبا مختصرا .

عيسى بن إدريس الأصغر

عيسى بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي بن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . أنجب اولادا لهم اعقاب ومنهم (المناليون وهم بفاس وتمطيط . ومنهم اليعقوبيون وهم بمناطق كثيرة كفاس والديس والشلف ومستغانم وملويه واطاظ ومغراوه واولاد سيدي اعفيف والهجارس وسور الغزلان وبوسعادة وام عسكر واولاد علي بن الشرقي . ومنهم الشنويون . ومنهم العرهبون بفجيج وبفاس . ومنهم الدباغيون بفاس ومراكش وسلا واولاد ميمون . ومنهم العمراويون بفاس . ومنهم البوزيديون (أبناء سيدي بوزيد) بن علي كما ساذكره في فصل اولادنايل . ومنهم اولاد يعقوب دفين جبل الديس .

عمر بن إدريس الأصغر

عمر (المتوفي بفاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي بن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم . له اعقاب كثيرة بفاس وغماره وسلجماسه . ومنهم اولاد
أمري . ومنهم الحمديون وهم بفاس . ومنهم القيثيون وهم بتقلاط وغماره وتادله ودكاله . ومنهم
ابوالحسن الشاذلي الصوفي . والحصاريون والداوديون . ومنهم الهرغيون وهم بسوس الاقصا وبيت
عبدالرحمن بن عيسى وابناء عامر واولاد ابراهيم الراشدي وبنوراشد بمعسكر وشرفاء غريس
ولكن قالوا ان شرفاء غريس بعضهم من الأدارسة وبعضهم من بيت الامام جعفر الصادق . وشرفاء
ام عسكر . ومنهم الامير عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر بن
احمد بن المختار بن عبد القادر بن احمد المشهور بابن خده .

احمد بن إدريس الأصغر

احمد بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل
(دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي بن أبي
طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينه البقيع) بنت (رسول الله)
صلى الله عليه وآله وسلم . انجب اولادا بهسكوره وفازاز وزواوه وغيرها والصحرء وتطوان
ومدشر الكاف وفاس وفرنده واتقاد ووادي مكره وجبل العمور والعين الصفراء والسوق وهلاصه
وغريس وتلمسان والجعاره وجيجل والدرغاويون واولاد عبد النبي وبنوزروال واولاد بوشنوفه
واولاد غراس الخيل واولاد خمليس واولاد مخروق الشاهد واولاد فتحا الخيش واولاد رضيع الحنش
واولاد سيدي محمد ابن احمد واولاد عايشه واولاد سيدي ابراهيم المغراوي واولاد اكثير واولاد
ابراهيم بن العباس واشراف اليعقوبين واكسال وام راشد وبجال وجيجل واولاد بواشريط
واولاد عامر واولاد سيدي الحاج عيسى مولى الاغواط وبيت عثمان بن عمر الموجودين بغريس .

عبد الله بن إدريس الأصغر

عبد الله بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله
الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن
مولانا علي بن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينه البقيع) بنت (رسول الله)
صلى الله عليه وآله وسلم . انجب اولادا ومن عقبهم اولاد عمران واهل الفحص وبنو

شداد وتبيلوط واولاد النجار واولاد التبر والمنصريون واولاد بن تسعدنت واولاد الغريب
 والمشاريون واولاد بوقشابه والمغاربيون والشغرشنبون والسبعيون والمنجريون واولاد بن معزوز
 واولاد راشد بن احمد واولاد جلال واولاد خالد وبنو اعقيق وبنو اكسال وبنو معزى وشرفاء دار
 البقره واولاد الاخوة السبعة واشراف غزوان وابناء عبد الوارث والاحماس واولاد الهاشمي
 واولاد علي بن وارث واولاد بلخير وشرفاء سطيف واولاد المنصور واولاد الشرقي واولاد الغزواني
 واولاد يوسف وشرفاء بجاية وباديس واولاد شعيب وبنو عامر واولاد بوحنشه واولاد موسى
 العنبري واولاد حم واولاد يغموس وبنو لول واولاد قايد واولاد الحاج علي واولاد وادفل واولاد
 عبد الحليم وشرفاء من عين الصفراء وتلمسان وقبائل بني ورند وبني السنوس واولاد عبو بن احمد
 واولاد احمد وشرفاء جبل بني بزناسن والشلالة ووطن بني خالد وصفرو وجبل ازواوه وجبال
 عمال وجرجره وبجاية واولاد بو علي وشرفاء الكاف الاخضر وشرفاء غريس وفرع من اولاد بن
 خده ويقال ان اولاد سيدي الناصر من هذا الفرع لكن قال حشلاف الصحيح انهم من فروع الحسين
 الشهيد كما ذكرته هناك

موسى بن ادريس الاصغر

موسى بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله
 الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي
 بن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم) انجب اولادا ومنهم محمد واحمد وعبد الرحمن ومن فروعهم اولاد
 بنوعنان والداغيون والقصاريون والتونسيون والرويشيون واولاد جباره واولاد بن ثابت وشرفاء
 مجاجه والشلف وبيت الحمياني وبيت سيدي علي بن البهلول وشرفاء غرناطه

يحيى بن ادريس الاصغر

يحيى بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل
 (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي بن أبي
 طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله)

صلى الله عليه وآله وسلم انجب اولادا ومنهم تفرعت فروعه ومن فروعه شرفاء حاحه المعروفون بالذكراوين وهم بفاس وكرف ومنهم فرقة بيني ملال ازاء واد الزنان .

القاسم بن ادريس الاصغر

القاسم بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي بن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انجب اولادا منهم ابو عبد الله ويحي ومن فروعهم الجوطيون والشبهيون والطاهريون والفرجيون والغالبون والعمرانيون والطالبيون والكانونيون واولاد ابي العيش وبنو جرمون والداوديون واولاد الشدادي واولاد الشماع واولاد المصدر واولاد ابي سرغين والزجاريون والوكاليون .

عمران بن ادريس الاصغر بن ادريس الاكبر

عمران بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي بن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انجب اولادا ومنهم فروع المقارنه بوادي الذهب ومنهم البراكه بالمديه وفاس ومراكش وحومة القصور والخطايون بمستغانم والطواهرية والشلف ووادي مينه وغليزان واقلية ومجاهر ومالف وشافع وبواكمال والجبل الاخضر بلبيا ومنهم بيت السنوسي وبيت الداني وبيت القايد .

محمد بن ادريس الاصغر بن ادريس الاكبر

جدنا (محمد) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي بن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم . لما توفي سنة (221 هـ) انجب اولادا من بينهم (علي واحمد و ابراهيم وعبد الله والقاسم والمهدي ويحيى) .

عبد الله بن محمد

عبد الله بن محمد بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . انجب اولادا منهم احمد .

أحمد بن عبد الله

احمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) ابن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم انجب اولادا منهم محمد ،

محمد بن أحمد

محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . انجب اولادا منهم علي حيدرة .

علي حيدرة بن محمد

علي حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا

فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . أنجب اولادا منهم مزوار .

مزوار بن علي حيدرة

مزوار بن علي حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . أنجب اولادا منهم سليمان سلام .

سليمان سلام بن مزوار

سليمان سلام بن مزوار بن علي حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . أنجب اولادا منهم أبو عيسى ،

أبو عيسى بن سليمان سلام

أبو عيسى بن سليمان سلام بن مزوار بن علي حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . أنجب اولادا منهم محمد حرمة ،

محمد حرمة بن أبي عيسى

محمد حرمة بن أبي عيسى بن سليمان سلام بن مزوار بن علي حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله

الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي بن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنجب أولاداً منهم) (علي)

علي بن محمد حرمة

علي بن محمد حرمة بن أبي عيسى أبو عيسى بن سليمان سلام بن مزوار بن علي حيدرة بن محمد بن احمد بن عبد الله محمد بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي بن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنجب أولاداً منهم) (أبو بكر) و (غيره) (قلت) وإلى علي بن محمد تنسب جميع الفرق الآتية الأعلون ومنهم: (فرقة أولاد سيدي محمد الخيش بكاف النسوره وفرقة بجبل التيطري وبنويونس وأولاد رحمون وأولاد موسى وبيت الغزواني ومنهم فرق بطوان وبشفشاون وتازروت والشرفه القمريون وأولاد الملهي بجرقط وبيت الطيار واهل منداس واهل مديونه واهل بقار واهل بطيوه وفجيج وتاسله وامسيريده وأولاد الكبير وأولاد احمد بن علي وأولاد بن ضيف الله وأولاد عبد الجليل وأولاد يخلف وأولاد اسعيد وأولاد بوبكر وأولاد عطيه وأولاد عبد الله وأولاد حمليش وبيت المجاوي وأولاد بالتقى وفرقة ازواوه واشراف ذراع البستان وفرقة بمنداس وأولاد سيدي رحمون وفرقة بالشلالة وبيت السنوسي والحموديون والشباريون والشنابل وبنو ميمون والعلاميون وبنو جرقط وأولاد يحيى بن عمران وبيت الكتاني وبيت الموهوب وبيت الدخيسي وبيت السملالي وأولاد عيسى بن عبد الله والسكراته وأولاد يعقوب وأولاد سالم وفدوته وأولاد بوسعديه والجراتنه وبيت الورتلاني وبيت الموهوب والودغريون وفرقة فجيج وأولاد رياش وأولاد بويعلی وأولاد مخلوف وأولاد بن عزه وأولاد بوعریش وأولاد احمد بن علي وأولاد مزيان وأولاد الشماس وأولاد عثمان وأولاد اللحيان وأولاد عبد القوي وأولاد جبور وأولاد افريح وأولاد جرار وأولاد بن زيان بن محرز وأولاد ميمون وأولاد بوبكر وأولاد شقرون وأولاد سليمان وأولاد ابراهيم وأولاد اعمر وأولاد رحمون وأولاد ابدير وأولاد سيدي زيان بن محمد وأولاد سيدي عيسى

بن عبد الملك واولاد سيدي علي حشلاف واولاد مالك واولاد محمد واولاد احمد وبيت الحميسي واولاد عنان واولاد عزوز وفرق بمازونه مثل القبائليه والزناثيه والحمائسيه وغيرهم واولاد يزو واولاد يونس واولاد عزو واولاد الاخضر والدراقويون والجمالون والسماسيون والخلفيون والحماميون واولاد محمد واولاد مخلوف بن خلف الله وفرقة في بني طلحه واولاد صالح في الارباع وبني رزيق واولاد الحساني واولاد سيدي عمر بن صالح واولاد بهلول واولاد علي بن سعيد واولاد عبد الله بن محمد

إختفاء الأنساب لفترة ما

بعد ان تسلط الظالم بن عقبة على آل البيت والادارة منهم خصوصاً كما سبق أن ذكرت تفرقوا وهجروا فاس موطن سلفهم وتغيرت انسابهم وبدلوا القابهم خوفاً على انفسهم وحریمهم فضاع نسبهم وصار الشخص ينسب نفسه للبلد الذي يسكن به وهذا هو السبب الاقوى في تغيير الانساب فترى الشخص ينسب للبلد دون نسبه الى اصله وقبيلته فاذا سكن المغرب او الجزائر او تونس او مصر قال انا مغربي او جزائري او تونسي او مصري الى اخره وكان يقلب عليه اسم تلك البلد ويتناسى نسبه وقبيلته واصله وبقي كثير من الاشراف لهذا السبب محتفين الى ان ظهرت الدولة الميرينية على ما قيل .

تجديد ابوبكر بن علي بن محمد حرمة للأنساب

لما ظهرت (الدولة الميرينية) على ما قيل كانت هي السبب في رجوع الاشراف لسالف مجدهم واصيل نسبهم ومن اشتهر منهم آنذاك سيدي (ابوبكر) بن علي بن محمد حرمة بن بو عيسى بن سليمان سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي بن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . وكان سيدي (أبوبكر بن علي) هذا قد أنجب سبعة اولاد وهم : (مشيش . وعلي . ويونس . واحمد . والمهبي . وميمون . وفتوح) وفروع هؤلاء سيأتي تفصيلها فرعاً فرعاً . (ويلاحظ) هنا

ان من لم يذكر من الاشراف في هذه الفروع قد يكون من عقب (الحسن السبط) وقد يكون مندجا في الاصول الاولى المذكورة أعلاه اذ الالقاب الحالية حديثة مستحدثة. وقد يكون من عقب (الحسين الشهيد) كالعباريز وغيرهم وهؤلاء لهم تراجم خاصة تراجع في مضانها من هذا الكتاب وغيره.

الكتاب التاسع عشر

ويتضمن الكتاب الفصول الآتية: الفصل الاول في ذكر النسب المشيشي. والفصل الثاني في ذكر الامام سيدي عبد السلام بن مشيش وذريته وأعتابهم.

الفصل الأول

في

النسب المشيشي

مشيش بن ابي بكر

سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمه بن بو عيسى بن سليمان سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي بن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم. أنجب اولادا منهم (عبد السلام) و (يملح) و (موسى) قالوا وقد ترك هؤلاء فروعا يسمون المشيشيين كما قد أشرنا إليه في مجوئ سابقة ولاحقة.

المشيشيون

المشيشيون هم فروع (عبد السلام. ويملح. وموسى) أبناء سيدي سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمه بن بو عيسى بن سليمان سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله ابن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع)

بن مولانا علي بن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . وفروعهم المذكورة في ناحيتنا هي كالتالي :

فروع يملح بن مشيش

يملح بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمة بن بو عيسى بن سليمان سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي بن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . ترك فروعاً منها (اولاد الريفى واولاد بن يعقوب واولاد عمرو واولاد بن سليمان واولاد اللحياني واولاد عيسى اليمليحي واولاد افيداح واولاد بن موسى اليمليحي واولاد حمدان واولاد الصغير وشرفاء القادسيه وشرفاء الزبانية ببشار وبنى اسناسن والملاحه واولاد حوه بغليزان واولاد بن ملح وشرفاء وزان) الخ.

فروع موسى بن مشيش

موسى بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمة بن بو عيسى بن سليمان سلام بن مزوار ابن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي بن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . ترك فروعاً منهم (اولاد شقرون واولاد كرمون واولاد الحوات واولاد عبد الله واولاد الحسين واهل المسيله واهل الوات الحراقيون والشفشاونيون واولاد الفلاق) الخ

الفصل الثاني

في

ذكر عبد السلام بن مشيش وأبنائه

ولي الله الصالح والخبر الناصح ذوالكرامات السنية والاشارات البهية والاوراد الصوفية ابو الاولاد الصلحاء والانتقاء النجباء منشئ الصلاة المشيشية وغيرها من التاليف النورانية أحد الاقطاب الصوفية الاربعة في المغرب ونلميذ الغوث أبي مدين ومعلم الامام الشاذلي . هو الشيخ سيدي عبد السلام (المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمة بن بو عيسى بن سليمان سالم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) ابن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي بن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . ولد في القرن السادس وتوفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة . وقيل بل توفي سنة خمس وعشرين وست مائة شهيدا بجبل العلم من جبال غمارة وقبره هناك مشهور من أعظم مزارات المغرب . وكان سبب شهادته أن محمدا بن أبي الطواجين الكلامي كان قد ثار بتلك البلاد واتحل صناعة الكيمياء ثم ادعى النبوة حسبما ذكر وتبعه على ضلالته طغاة غمارة والبربر فكان عدو الله يغص بمكان الشيخ رضي الله عنه لما أتاه الله من شرف التقوى والاستقامة المؤيد بشرف النسب الصميم والعنصر الكريم فسول له الشيطان أنه لا يتم أمر مخرقته في تلك الناحية إلا بقتل الشيخ فدرس له جماعة من أتباعه وأشياعه فرصدوا الشيخ حتى نزل من خلوته في سحر من الأسحار إلى عين هنالك قي الجبل المذكور فتوضأ منها وولى راجعا إلى محل عبادته وارتقاب فجره فعدوا عليه وقتلوه ومن الشائع أنه القي عليهم ضباب كثيف أضلهم عن الطريق ودفعهم إلى شواهد تردوا منها في مهاوي سحيقة تمزقت فيها أشلاؤهم ولم يرجع منهم خبر . وهذه من كراماته رضي الله عنه . وقد انجب سيدي عبد السلام أولادا منهم (سيدي محمد قحالة) و (سيدي علي) و (سيدي عبد الصمد)

و (سيدي أحمد المتوكل) ولكل هؤلاء أعقاب مذكورة في مدونات التراجم والسير والأنساب تراجع في مضانها وسيأتي منها بعض التفصيل في هذا الكتاب.

الصلاة المشيشية

من مؤلفات سيدي عبد السلام بن مشيش (الصلاة المعروفة) التي لقنها لي والدي ثم بعده لقنها لي شيخني محمد بلقايد وهي على النحو التالي (اللهم صل على من منه انشقت الاسرار. وانفلقت الانوار. وفيه ارتقت الحقائق. وتنزلت علوم آدم فاعجز الخلائق. وله تضاء لت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق. فرياض الملكوت بزهر جماله موقته. وحياض الجبروت بفيض انواره متدفقه. ولا شيء الا وهوبه منوط. اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل المتوسط. صلاة تليق بك منك اليه. كما هو اهله. اللهم انه شرك الجامع الدال عليك. وحجابك الاعظم القائم لك بين يديك. اللهم الحقني بنسبه. وحقتني بحسبه. وعرفني اياه معرفة اسلم بها من موارد الجهل. واكرع بها من مواهب الفضل. واحملي على سبيله الى حضرتك. حملا محفوا بنصرتك. واقذف بي على الباطل فادمغه. وزج بي في بحار الاحدية. وانشلي من احوال التوحيد. واغرقني في عين بحر الوحدة. حتى لا ارى. ولا اسمع. ولا اجد. ولا احس الالبها واجعل الحجاب الاعظم حيات روحي. وروحه سر حقيقي. وحقيقته جامع عوالمي. بتحقيق الحق الاول. يا اول. يا اخر. يا ظاهر. يا باطن. اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك سيدنا زكرياء عليه السلام. وانصرتني بك لك. وايدني بك لك واجمع بيني وبينك. وحل بيني وبين غيرك. الله - الله - الله ان الذي فرضك عليك القرآن لرادك الى معاد. ربنا اتنا من لدنك رحمة. وهيئ لنا من امرنا رشدا، ان الله وملائكته يصلون على النبي. يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم) (قلت) وعلى ذكر الصلاة المشيشية وذكر الشيخ سيدي محمد بلقايد ادرج هنا خمرية الامام ابن الفارض لكثرة ما سمعتها بمجالس الهبارة ونصها كما في الديوان هو:

خمرية ابن الفارض

شَرَبْنَا، على ذكر الحبيب، مُدَامَةً، سَكَرْنَا بِهَا، من قبل أن يُخْلَقَ الْكَرْمُ
لَهَا الْبَدْرُ كَأْسٌ، وهي شمسٌ، يُدِيرُهَا هَلَالٌ، وكم يبدو إذا مُزِجَتْ نَجْمٌ

وَلَوْلَا شَذَاهَا مَا اهْتَدَيْتُ لِحَانِهَا
وَلَمْ يُبْقِ مِنْهَا الدَّهْرُ غَيْرَ حُشَاشَةٍ
فَإِنْ ذَكَرْتُ فِي الْحَيِّ أَصْبَحَ أَهْلُهُ
وَمِنْ بَيْنِ أَحْشَائِي الدَّانِ تَصَاعَدْتُ
وَإِنْ خَطَرْتُ يَوْمًا عَلَى خَاطِرِ امْرِئٍ
وَلَوْ نَظَرَ التَّدْمَانُ خَتْمَ إِنَائِهَا
وَلَوْ نَضَحُوا مِنْهَا ثَرَى قَبْرِ مَيِّتٍ
وَلَوْ طَرَحُوا، فِي فِيءٍ حَائِطٍ كَرْمِهَا
وَلَوْ قَرَّبُوا، مِنْ حَانِهَا، مُقْعَدًا مَشَى
وَلَوْ عَبَقْتُ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسُ طَيْبِهَا
وَلَوْ خُضِبْتُ، مِنْ كَاسِهَا، كَفَّ لَامِسٍ
وَلَوْ جُلِّيتُ، سَرًّا، عَلَى أَكْمِهِ غَدًا
وَلَوْ أَنَّ رُكْبَاءَ يَمَمٍ تَرَبَّأَ أَرْضِهَا
وَلَوْ رَسَمَ الرَّاقِي حُرُوفَ اسْمِهَا، عَلَى
وَفَوْقَ لَوَاءِ الْجَيْشِ لَوُرِّقَ اسْمُهَا
تَهْذِبُ أَخْلَاقَ التَّدَامَى، فَيَهْتَدِي
وَيَكْرُمُ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْجُودَ كَفَّهُ
وَلَوْ نَالَ قَدَمُ الْقَوْمِ لَشِمَّ فِدَامِهَا
يَقُولُونَ لِي: صَفَهَا، فَأَنْتَ بَوَّصَفَهَا
صَفَاءً، وَلَا مَاءً، وَلُطْفً، وَلَا هَوَاً
تَقْدِمُ كُلَّ الْكَائِنَاتِ حَدِيثِهَا
وَقَامَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ، ثُمَّ، لِحِكْمَةٍ
وَهَامَتْ بِهَا رُوحِي، بِحَيْثُ تَمَازَجَاتُ

وَلَوْلَا سَنَاها مَا تَصَوَّرَهَا الْوَهْمُ
كَأَنَّ خَفَاها، فِي صُدُورِ التُّهَى كَتَمُ
نَشَاوِي، وَلَا عَارُ عَلَيْهِمْ وَلَا إِثْمُ
وَلَمْ يُبْقِ مِنْهَا، فِي الْحَقِيقَةِ، إِلَّا اسْمُ
أَقَامَتْ بِهِ الْأَفْرَاحُ، وَارْتَحَلَ الْهَمُ
لَأَسْكَرَهُمْ مِنْ دُونِهَا ذَلِكَ الْخَتْمُ
لَعَادَتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ، وَانْتَعَشَ الْجِسْمُ
عَلِيلًا، وَقَدْ أَشْفَى، لِفَارَقِهِ السَّيِّئُ
وَتَنَطَّقُ مِنْ ذِكْرِي مَذَاقِهَا الْبُكْمُ
وَفِي الْغَرْبِ مَزْكُومٌ، لَعَادَ لَهُ الشَّمُ
لَمَّا ضَلَّ فِي لَيْلٍ، وَفِي يَدِهِ النَّجْمُ
بَصِيرًا، وَمَنْ رَأَوْقَهَا تَسْمَعُ الصَّمَّ
وَفِي الرُّكْبِ مَلْسُوعٌ، لَمَّا ضَرَّهُ السَّمُ
جَبِينُ مُصَابِ جُنٍّ، أَبْرَأَهُ الرَّسْمُ
لَأَسْكُرَ مَنْ تَحْتَ اللِّوَا ذَلِكَ الرَّقْمُ
بِهَا لَطَرِيقُ الْعَزْمِ، مَنْ لَالَهُ عَزْمُ
وَيَحْلُمُ، عِنْدَ الْغَيْظِ، مَنْ لَالَهُ حِلْمُ
لَا كَسْبَهُ مَعْنَى شَمَائِلِهَا اللَّيْمُ
خَيْرٌ، أَجَلُ! عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمُ
وَنُورٌ، وَلَا نَارٌ، وَرُوحٌ، وَلَا جِسْمُ
قَدِيمًا، وَلَا شَكْلَ هُنَاكَ، وَلَا رَسْمُ
بِهَا احْتَجَبَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لَالَهُ فَهْمُ
حَادَا، وَلَا جَرِمُ تَخَلَّلَهُ جَرْمُ

فَجَمْرٌ، وَلَا كَرَمٌ وَأَدَمٌ لِي أَبٌ،
وَلَطْفٌ الْأَوَانِي، فِي الْحَقِيقَةِ، تَابِعٌ
وَقَدْ وَقَعَ التَّفْرِيقُ، وَالْكَلُّ وَاحِدٌ
وَلَا قَبْلَهَا قَبْلَ وَلَا بَعْدَ بَعْدَهَا
وَعَصْرُ الْمَدَى مِنْ قَبْلِهِ كَانَ عَصْرُهَا
مَحَاسِنٌ، تَهْدِي الْمَادِحِينَ لَوْصَفِهَا
وَيَطْرِبُ مَنْ لَمْ يَدْرِهَا، عِنْدَ ذِكْرِهَا
وَقَالُوا: شَرِبْتُ الْإِثْمَ! كَلًّا، وَإِنَّمَا
هَنِيئًا لِأَهْلِ الدَّيْرِ! كَمْ سَكَّرُوا بِهَا
وَعِنْدِي مِنْهَا نَشْوَةٌ، قَبْلَ نَشَاتِي
عَلَيْكَ بِهَا صَرْفًا، وَإِنْ شَتَّ مَرْجَهَا
فَدُونُكُمَا فِي الْحَانِ، وَاسْتَجْلَاهَا بِهِ
فَمَا سَكَبْتُ وَالْهَمَّ، يَوْمًا، بِمَوْضِعٍ
وَفِي سَكْرَةٍ مِنْهَا، وَلَوْ عُمُرَ سَاعَةٍ
فَلَا عَيْشَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ عَاشَ صَاحِبًا
عَلَى نَفْسِهِ، فَلْيَبْكْ مَنْ ضَاعَ عُمُرُهُ

وَكِرْمٌ وَلَا خَمْرٌ، وَلِي أُمُّهَا أُمٌ
لِلطَفِ الْمَعَانِي، وَالْمَعَانِي بِهَا تُثْمَوُ
فَارَوَاحُنَا خَمْرٌ، وَأَشْبَا حُنَا كِرْمٌ
وَقَبْلِيَةِ الْأَبْعَادِ، فَهِيَ لَهَا حَتْمٌ
وَعَهْدُ أَيْنَا بَعْدَهَا، وَلَهَا الْيَتَمُ
فِيحَسُنُ فِيهَا مِنْهُمْ التَّشَرُّو النَّظْمُ
كَمْ شَتَّاقُ نَعْمٍ، كَلَّمَا ذَكَرْتُ نَعْمٌ
شَرِبْتُ الَّتِي، فِي تَرْكِهَا، عِنْدِي الْإِثْمُ
وَمَا شَرَبُوا مِنْهَا، وَلَكِنَّهُمْ هَمُّوا
مَعِيَ أَبَدًا تَبْقَى وَإِنْ بَلَى الْعَظِيمُ
فَعَدْلِكَ عَنْ ظَلَمِ الْحَبِيبِ هُوَ الظُّلَمُ
عَلَى نَعْمِ الْأَلْحَانِ، فَهِيَ بِهَا غَنَمٌ
كَذَلِكَ لَمْ يَسْكُنْ، مَعَ النَّعْمِ، الْغَمُّ
تَرَى الدَّهْرَ عَبْدًا طَائِعًا، وَلَكَ الْحُكْمُ
وَمَنْ لَمْ يَمُتْ سُكْرًا بِهَا فَاتَهُ الْحَزْمُ
وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلَا سَهْمٌ

فروع أبناء عبد السلام بن مشيش

الشيخ الأوفياء والصلحاء الأتقياء مصاييح الدجى وملجأ النجا موئل الخائفين . ومطن القاصدين
(سيدي محمد فتح الله) و (سيدي علي) و (سيدي عبد الصمد) و (سيدي أحمد المتوكل) أبناء
القطب عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن أبي بكر بن علي بن
محمد حرمة بن بوعيسى بن سليمان سالم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد
(دفن فاس) بن إدريس الأصغر (دفن فاس) بن إدريس الأكبر (دفن زرهون 177 هـ) بن عبد

الله الكامل (دفن بغداد 144 هـ) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفن البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفن النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) لهم فروع كثيرة . وأنساب شهيرة . ومن بينها على الجملة (اولاد عبد الوهاب) و (اولاد بن احليمة) و (اولاد الحميلي) و (اولاد الخراز) و (اولاد مروان) و (اولاد الشريف) و (اولاد قاسم) و (اولاد الردام) و (اولاد سيدي عيسى الشريف) و (اولاد بن يعقوب) و (اولاد الحسين) و (اولاد الجدي) و (اولاد مولاي) و (الراشديون) و (التوغيون) و (اولاد مولاي) و (البوعبدليون) و (بيت سيدي بن واضح) و (بيت المقوفل) و (اهل المرجه) و (بيت بن منه) و (بيت افغون) و (بيت غلام الله) و (بيت عمار) و (بيت عطيه) و (بيت الخياطي) و (اولاد الأكرد) و (بيت سيدي العربي) و (بيت الكبير) و (بيت الشيخ بن عده) و (بيت الفكرون) و (بيت بن عتبه) و (بيت الجيلاني) و (اولاد الخرشفي) و (البوازيد) و (اولاد سيدي نائل) و (بيت الزهار) و (بيت الطيار) و (بيت تمار) و (الطواهرية) وغيرهم كثير . وليحرر المقام . قال نهيم بن أساف

رَأَيْتُ النَّاسَ نُسُبُتْهُمْ بِسَوَاءٍ إِذَا مَا يَذْكُرُ النَّسَبُ الْقَدِيمُ
وَلَكِنَّ الْمَعَاشَرَ فَضَّلَتْهُمْ فَذُو الْمَالِ الْقَرَبُ وَالْكَرِيمُ
بيوتات شريفة في عدة مناطق

هناك بيوتات شريفة ذكرها النسابون ومن تلك البيوتات : بيت العصنوني المعروفة في قبائل بني مسلم . وبيت طاع الله المعروفة في ندرومه وبيت أكثير المعروفة في طيوه . وبيت يوسف المعروفة في جبل بني مادون . وبين مسلات المعروفة . وبيت مصباح المعروفة . وبيت بسناس المعروفة . وبيت حمزة المعروفة في جبل العمور . وبيت الدسولي المعروفة . وبيت السعيد المعروفة في السرسو . وبيت عبد السلام المعروفة في مسراته . وبيت بهلول المعروفة في منداس . وبيت بواليث المعروفة في قبائل البرانس . وبيت زين العابدين المعروفة في الشلف . وبيت السيد علي بن زمرة المعروفة في بلدة تافنه . وبيت علي بن ايوب المعروفة في بلدة مكره . وبيت بوعمران المعروفة في وادي الشلف . وبيت سيدي اعرم المعروفة في مستغانم . وبيت اقناو المعروفة في ونوغه . وبيت غانم المعروفة . وبيت

الادغم المعروفة في وادي سر . وبيت والبوعنانين المعروفة في وادي سر . وبيت ابراهيم المعروفة في وادي
مكره . وبيت العنابره المعروفة في الساحل . وبيت عبدالرحمن المعروفة بالسكندريه . وبيت بوالليل
المعروفة في القبائل . وبيت سيدي خروف المعروفة في زموره وبني يعدل . وبيت بواجليل
المعروفة . وبيت بن رقيه المعروفة في قرية ويزران . وبيت سيدي احمد المعروفة في جبل اندات .
وبيت بن سالم المعروفة . وبيت بني يحيى المعروفة . وبيت الشريف المعروفة في اتراره . وبيت بن
عبدالرحمن المعروفة في مجانه . وبيت تمنقاش المعروفة بزواوه .

علي بن عبد السلام بن مشيش

علي بن عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن
محمد حرمة بن بو عيسى بن سليمان سالم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد
(دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد
الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي
ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينه البقيع) بنت (رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) . أنجب اولادا منهم (محمد)

محمد بن علي بن عبد السلام بن مشيش

(محمد بن علي بن عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن ابي بكر
بن علي بن محمد حرمة بن بو عيسى بن سليمان سالم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد
الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177
هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع)
بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينه البقيع)
بنت (رسول الله) (صلى الله عليه وآله وسلم) أنجب اولادا منهم (عمر)

عمر بن محمد بن علي بن عبد السلام

عمر بن محمد بن علي بن عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن ابي
بكر بن علي بن محمد حرمة بن بو عيسى بن سليمان سالم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن

عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم. أنجب اولادا منهم (عبد الكريم)

عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي بن عبد السلام

عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمة بن بو عيسى بن سليمان سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم. أنجب اولادا منهم (عبد الله)

عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي بن عبد السلام

عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمة بن بو عيسى بن سليمان سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم. أنجب اولادا منهم (عيسى)

عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم

عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي بن عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمة بن بو عيسى بن سليمان سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم. أنجب اولادا منهم (عيسى)

الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم. أنجب اولادا منهم (المسعود)

المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم

المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمة بن بو عيسى بن سليمان سالم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم. أنجب اولاداً منهم (أحمد).

أحمد بن المسعود بن عبد الله بن عبد الكريم

أحمد بن المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمة بن بو عيسى بن سليمان سالم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم. أنجب اولاداً منهم (محمد).

محمد بن أحمد بن المسعود بن عيسى

محمد بن أحمد بن المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمة بن بو عيسى بن سليمان سالم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس)

بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . أنجب اولاداً منهم (الشيخ سيدي عبد الله الخرشفي) (قلت) ولكل فرع من تلك الفروع فرق وعروش ومنهم ما يهمننا هنا وهو فرع (سيدي عبد الله الخرشفي) وهو على النحو التالي

ابناء عبد الله الخرشفي بن محمد بن أحمد بن المسعود

سيدي عبد الله الخرشفي بن محمد بن أحمد بن المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن ابي بكر ابن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . هو من اعيان القرن التاسع الهجري ولد بمنطقة الغرب ثم انتقل إلى منطقة الخرشف بالخلفة ثم انتقل إلى منطقة الحضنة وما جاورها . وانجب رحمه الله تعالى أولاداً أتقياء وسادة نبلاء منهم السبعة المعروفون وهم (الخليفة . وعبد الرحمن . والسكناوي وأحمد . ورايح . وسليمان . ومحمد نائل)

أولاد الخليفة بن عبد الله الخرشفي

الخليفة بن عبد الله الخرشفي بن محمد بن أحمد بن المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن ابي بكر ابن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين

البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . سار إلى بلد القبائل قبليل لسان أولاده وتعلموا الزناتيه هناك وفي أرض ازواوه .

أولاد عبد الرحمن بن عبد الله الخرشفي

عبد الرحمن بن عبد الله الخرشفي بن محمد بن أحمد بن المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن ابي بكر ابن علي بن محمد حرمه بن بو عيسى بن سليمان سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . سار إلى بلد القبائل قبليل لسان أولاده وتعلموا الزناتيه هناك ثم ذهب إلى جبل البابور نحو المشرق ونسبه متواجد بناحية جبال البابور وغيرها .

السكناوي بن عبد الله الخرشفي

السكناوي بن عبد الله الخرشفي بن محمد بن أحمد بن المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن ابي بكر ابن علي بن محمد حرمه بن بو عيسى بن سليمان سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . ذهب إلى سبته بالمغرب وأعقب هناك وجاء من ذريته عمار الأعرج بن كتمان بن السكناوي فنزل في جبل عمال على شاطئ الوادي ونسبه متواجد هناك بناحية وادي يسر وغيرها

أحمد بن عبد الله الخرشفي

أحمد بن عبد الله الخرشفي بن محمد بن أحمد بن المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن أبي بكر ابن علي بن محمد حرمه بن بو عيسى بن سليمان سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . ذهب إلى الغرب ومن نسبه اولاد الأعلام وفرقة منهم في زموره وفرقة منهم في يسر وفرقة منهم في جبل افليسه

رابح بن عبد الله الخرشفي

رابح بن عبد الله الخرشفي بن محمد بن أحمد بن المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن أبي بكر ابن علي بن محمد حرمه بن بو عيسى بن سليمان سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . عقبه موجود بالغرب الجزائري ونواحي تيارت ومن أولاد رابح سيدي (علي الجدارمي) وهو بطاquin .

سليمان بن عبد الله الخرشفي

سليمان بن عبد الله الخرشفي بن محمد بن أحمد بن المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن أبي بكر ابن علي بن محمد حرمه بن بو عيسى بن سليمان سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن

عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولانا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . عقبه موجود بالحضنة .
(قلت) وهناك من يقول إن راجح وسليمان من عمومة عبد الله الخرشفي وليسوا أبناء له وليحرر المقام لكن ينبغي التنبيه إلى أن هناك راجح آخر وهو من ذرية زكري بن نايل وليسوا يعنون به هذا .

محمد نايل

(قلت) وأما (محمد نايل) ومنطقته ونسبه فساد ذكرهم بعد في الفصول الآتية (أقول) وهؤلاء جميعاً وأعقابهم يطلق عليهم (أولاد عبد الله الخرشفي) وإلى الآن لازال هذا النسب معهوداً بارض الحضنة ويجب فقط المحافظة عليه وكما قال أبو تمام رحمه الله تعالى:

لا خير في قـربى بغير مودة ولرب منتفع بـودٍ أباعد
وإذا القـرابة أقبلت بمـودة فاشدد لها كف القبول بساعد

وكما قال معقل بن قيس :

وأعرض عما ساء قومي ثناؤه واستصلح الأدنى وإن كان ظالماً
وأصفح عن ذنب ابن عمي تكراً وأبدي له بشري إذا كان واجماً

وقال إلياس فرحات :

الحب يذهب بالفوارق كلها ويحبب الشقراء والسمراء
ويجمل الشـوهاء حتى لا ترى عين الحب حبيبة شـوهاء

وقال محمد مهدي الجواهري :

يُزَهِّدُ فِي الْحَامِدِ طَالِبِهَا
فَقَدْ تَأْتِي الْفُظْيَعُ وَلَا عِقَابُ
وَفِي التَّارِيخِ أَتَعَابُ كَثَارُ
وَأَعْمَالُ مَشْرِفَةِ ذَوِيهَا
وَأُخْرَى جَرَّ مَغْنَمَهَا دَنِيَّ
وَلِنْ أَشْرَمَ مَا يَلْقَى أَرِيْبُ
نَفْسُ هَدَّهَا شَرْفُ وَنَبْلُ
وَقَدْ عَاشَتْ إِلَى الْأَوْبَاشِ تُعْزَى
وَأُخْرَى فِي الْمَخَازِي رَاكِسَاتُ
مَشَتْ فِي النَّاسِ رَافِعَةً رُؤُوسًا
فَلَا الْأَرْضُونَ قَدْ خُسِفَتْ بِهِذِي

يَقْبِي أَنْ عُقْبَاهَا هَبَاءُ
وَقَدْ تَسْدِي الْجَمِيلَ وَلَا جَزَاءُ
مَضَتْ هَدْرًا وَطَارَ بِهَا الْهَوَاءُ
تَوَلَاهَا فَضِيعَهَا الْخَفَاءُ
فَسَرَتْهُ وَصَا بِهَا يُسَاءُ
وَأَوْجَعُ مَا يَحِيرُ بِهِ الدَّهَاءُ
وَأَرْهَقَهَا التَّمْنَعُ وَالْإِبَاءُ
وَمَاتَتْ وَهِيَ مَعْدَمَةٌ خَلَاءُ
كَأَصْدَقِ مَا يَكُونُ الْأَدْنَاءُ
تَنْصِبُهَا كَمَا رَفَعَ اللَّوَاءُ
وَلَا هَذِي أَغَاثُهَا السَّمَاءُ

فائدة في الحياء

قلت وأنا أكتب هذه الفصول المسترسلة خرجت علينا صحيفة دينامركية خبيثة تافهة وقد نشرت على إحدى صفحاتها البذيئة رسوما سيئة وهي في الحقيقة كناطح جبل لا تمس بشيء غير إحساس المسلمين أما الرسول عليه الصلاة والسلام فلا يضره شيء من كلام العقلاء فكيف بهذين الجانين والسكرارى وعليه فقد حضرني هنا كلمات في الحياء قرأتها في المستطرف أحب أن أدرجها للإفادة وهي: قالت السيدة عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها مكارم الأخلاق عشرة: صدق الحديث وصدق اللسان وأداء الأمانة وصلة الرحم والمكافأة بالصنيع وبذل المعروف وحفظ الذمام للبجار وحفظ الذمام للصاحب وقري الضيف ورأسهن الحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحياء شعبة من الإيمان) وقال عليه السلام (أنما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت) وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من كسا بالحياء ثوبه لم ير الناس عيبه وعن زيد بن علي عن آبائه يرفعونه من لم يستح فهو كافر قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه إني لأدخل البيت المظلم

أغتسل فيه من الجنابة فأحني فيه صلي حياء من ربي وقال بعضهم الوجه المصون بالحياء كالجواهر
المكنون في الوعاء وقال الخواص إن العباد عملوا على أربع منازل على الخوف والرجاء والتعظيم
والحياء فإرفعها منزلة الحياء لما أيقنوا إن الله يراهم على كل حال قالوا سواء علينا رأينا أم رأانا وكان
الحاجز لهم عن معاصية الحياء منه ويقال القناعة دليل الأمانة والأمانة دليل الشكر والشكر دليل
الزيادة والزيادة دليل بقاء النعمة والحياء دليل الخير كله .

قال محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا قل ماء الوجه قل حياءؤه فلا خير في وجه إذا قل ماءؤه
حياءك فاحفظه عليك فإنما يدل على وجه الكريم حياءؤه

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله عدد خلقك وزنة عرشك ومداد كلماتك يارب

✱

✱ انتهى بحمد الله الجزء الثاني ويليه بإذنه تعالى الجزء الثالث وأوله ذكر معالم أولاد نائل ✱



الفهرست

3	المقدمة
3	الكتاب الحادي عشر ويتضمن نشأة آدم وحواء وذكر عقبهما
4	الفصل الأول في ذكر عينات من الكون المشاهد
4	الكون المشاهد
4	تمهيد
4	الكون
6	كيفية منشأ وحجم الكون
6	أحداث مدار تاريخ الأرض
7	الفصل الثاني في ذكر آدم وحواء
7	آدم وحواء هما أصل البشر الحالي
9	رأي الدين في النظرية الدروينية
10	هل الأول آدم أم حواء
12	محاولة التشكيك في أول البشر
12	آدم وحواء
13	الاسماء التي عُلمها آدم
14	سجود الملائكة لآدم
14	الملائكة المأمورون بالسجود
14	امتناع إبليس عن السجود
15	جنس إبليس
15	اهباط إبليس
15	اسكان آدم وزوجه الجنة
15	متى خلقت حواء
16	ما خلقت منه حواء وزوجات ابنائها
16	الشجرة المنهي عن الأكل منها

17	 حول وسوسة إبليس لآدم
17	 مضمون وسوسة الشيطان
18	 البادئ بالأكل من الشجرة
18	 الاختلاف في الجنة التي أهبط منها آدم
19	 تكرير الإهباط
20	 مُدد آدم
20	 أين أهبط آدم وحواء ومن معهما
21	 تعليم آدم الصنائع
21	 خلقة آدم
22	 توبة آدم وحواء
23	 وفاة آدم
23	 موضع دفن آدم وحواء وعمرهما
24	 أبناء آدم
24	 التحقق من جيومرت
25	 سيدنا شيث بن آدم
25	 ذرية شيث ووصيته لأولاده
26	 سيدنا إدريس عليه السلام
26	 رفع إدريس مكانا عليا
27	 عصر إدريس وأولاده
28	 الفصل الثالث في ذكر عصر نوح وذريته
28	 سيدنا نوح عليه السلام
29	 مدة بقاء نوح ودعوته
29	 سجايا قوم نوح
30	 الأمر بصنع السفينة
31	 صنع السفينة

31	المراد بالتور
32	عدد المحمولين في السفينة
32	من الذين كانوا في السفينة
34	ماء الطوفان
35	أم الصبي
35	هلاك كل الكفرة وخرافة عوج بن عنق
36	غرق ابن نوح
36	هبوط نوح ومن معه من السفينة
37	الطوفان والعناية بالتوراة وصحتها لفظيا لاتأويليا
37	ذرية نوح
38	يافث وأولاده
38	حام وأولاده
38	الفصل الرابع في ذكر سام وأولاده
39	ذرية لاوذ بن سام
39	ذرية إرم بن سام
40	ذرية أرفحشد بن سام
41	المدد والأعوام
41	الكتاب الثاني عشر ويتضمن ذكر نسل سيدنا إبراهيم
41	الفصل الأول في ذكر سيدنا إبراهيم وذريته
41	سيدنا إبراهيم الخليل
42	ثقب الأذنين والخفاض
42	سنن الفطرة
44	أولاد إبراهيم
45	بناء البيت ومراحله
46	تجديد بناء البيت والمسجد الحرام

49		صفة البيت
50		مناسك الحج
50		قصيدة المناسك
52		رحلة الحج للحاج علي اخضري
55		المدينة المنورة
56		زيارة النبي صلى الله عليه وسلم
61		القدس
62		الفصل الثاني في ذكر سيدنا إسماعيل وذريته
62		إسماعيل هو الذبيح على قول
64		سيدنا إسماعيل وأولاده وأصهاره
65		فائدة
66		استراحة في الأوائل
66		الكتاب الثالث عشر في بيان النسب العدناني الوارد في الحديث النبوي الشريف
66		الفصل الأول في النسب العدناني الوارد
67		عدنان وفروعه
67		تربية عدنان ونسبه وتزوجه وعودته
67		رفع النسب إلى ما فوق عدنان
68		رفع نسب العرب لامشاحة فيه
68		عدنان وذريته
69		ذكر اسم عدنان
69		معد وذريته
69		نزار وذريته
70		العدنانية والمعدية والنزارية
70		مضر وذريته
71		إلياس وذريته

71	مدركة وذريته
72	خزيمة وذريته
72	كثانة وذريته
72	النضر بن كثانة وذريته
73	فهر بن مالك وذريته
73	غالب بن فهر وذريته
74	لؤي بن غالب وذريته
74	كعب بن لؤي وذريته
74	خطبة لكعب
75	مرة بن كعب وذريته
75	كلاب بن مرة وذريته
75	قصي بن كلاب وذريته
79	الإختلاف في تولي الوظائف والإنقسام
79	قصي وذريته
79	عبد مناف وذريته
80	حكمة هند بنت عتبة
	الخطبة الثانية في المصالحة . خطأ ! الإشارة المرجعية غير معروفة .
81	الكتاب الرابع عشر ويتضمن ذكر النسب الهاشمي
81	الفصل الأول في هاشم وذريته وأمهاتهم
83	بنو هاشم وبنو عبد شمس وأحلافهم
84	خطبة لهاشم
84	قصة عبد المطلب
85	الفصل الثاني في ذكر عبد المطلب وذريته
87	تجديد حفر زمزم
89	خطبة لعبد المطلب

90	نجاة عبد الله من الذبح
92	الفصل الثالث في ذكر عبد الله بن عبد المطلب وأمنة بنت وهب
92	كيفية زواج عبد الله بأمنة
93	وفاة عبد الله بن عبد المطلب
93	الفصل الرابع في ذكر مدح الهاشميين
94	قوم النبي
94	لسيدنا حسان ابن ثابت الانصاري رضي الله عنه :
95	حكم أهل الفترة
96	الفصل الخامس في حكم تكليف أهل الفترة بالإيمان
98	الفصل السادس في تحديد الفترة بين الرسل
99	فائدة في فعل المأمورات وترك المنهيات
101	خاتمة الفصل في علم آفات الغرور
102	قال الامام ابن المقرئ
103	الكتاب الخامس عشر في بيان الحقيقة المحمدية وفروعها
103	الفصل الأول في الحقيقة المحمدية
103	النور الإلهي المحمدي
104	الحقيقة المحمدية
105	الاصطفاء
105	النبوة
109	نسب رسول الله مسرودا
110	قصيدة الشيخ أبي العباس بن شرشير الفاشي
113	منظومة الشيخ الديسي
114	مولد النبي صلى الله عليه وسلم
114	عام الفيل
117	تفسير سورة الفيل

118	أهمية ليلة المولد النبوي الشريف
120	همزية شوقي
126	الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم
129	القصيدة المضربة
131	طفولته وصابه عليه السلام
131	حادث شق الصدر
132	موت أمّنة بنت وهب
132	حكمة نشأته صلى الله عليه وسلم يتيما
133	اشتغاله برعى الغنم
133	مشاركته في الحياة العامة
133	حلف الفضول
134	بناء الكعبة
134	رحلته الأولى إلى الشام
135	رحلته الثانية إلى الشام في تجارة خديجة
136	زواجه من خديجة
137	من الزواج إلى البعثة
137	الفصل الثاني في بعثة الرسول عليه السلام وما يتبعها
137	بدء الوحي
138	الوحي وأنواعه
139	بدء الوحي
141	كيفية آتيان الوحي إلى رسول الله
142	إعجاز القرآن الكريم
143	ذكر سور قصار
143	سورة الفاتحة
143	سورة العلق

144	سورة القدر
144	سورة البينة
144	سورة الزلزلة
144	سورة العاديات
144	سورة القارعة
145	سورة التكاثر
145	سورة العصر
145	سورة الهمزة
145	سورة الفيل
145	سورة قريش
145	سورة الماعون
145	سورة الكوثر
146	سورة الكافرون
146	سورة النصر
146	سورة المسد
146	سورة الإخلاص
146	سورة الفلق
146	سورة الناس
146	المؤمنون الأوائل
147	أعلام نبوة رسول الله
151	الدعوة السرية
152	الجهار بالدعوة وموقف قريش
152	الجهاد في العهد المكي
153	الهجرة إلى الحبشة
153	إسلام عمر بن الخطاب

154	أسلوب المقاطعة
155	عام الحزن
155	رحلته إلى الطائف
156	رحلة الإسراء والمعراج
156	تفاصيل رحلة الإسراء والمعراج
160	وقت معجزة الإسراء
160	هل كان الإسراء بالروح أم بالجسد
161	تحذير من الخرافات
161	أخوة الأنبياء
162	سلامة الفطرة
163	دلالة الإسراء إلى بيت المقدس
164	قصيدة سي احمد سبخاوي بن المسعود الموقفي
169	أبولهب يحذر القبائل من دعوة النبي
169	الهجرة إلى المدينة
169	بيعة العقبة الأولى
170	بيعة العقبة الثانية
170	المؤامرة الكبرى
171	على فئ فراش النبي صلى الله عليه وسلم
172	النبي في غار ثور
173	استئناف الرحلة
174	بناء الدولة الإسلامية
174	معاهدة المدينة
176	حكومة الرسول
176	حجة الوداع
177	حول خطبة حجة الوداع

181	وقائع من حياة الرسول
185	وفاة رسول الله عليه السلام
186	من صور حزن الصحابة على الرسول
187	رثاء حسان بن ثابت للرسول
189	اخلاقه وشمائله الطاهرة
194	الوردة الجنية في خصائص الرسول الفقيه
194	المقدمة
195	الواجبات عليه صلى الله عليه وسلم
195	الواجب علينا له صلى الله عليه وسلم
195	المباح له صلى الله عليه وسلم
196	الحرام عليه صلى الله عليه وسلم
196	الحرام علينا له صلى الله عليه وسلم
196	خاتمة المقصود
197	مديح رسول الله
197	البردة
205	تخميس البردة
205	نهج البردة
213	بانت سعاد
213	لكعب بن زهير بن أبي سلمى
216	قال سيدنا علي كرم الله وجهه
216	من أحاديث رسول الله
216	الأربعون النووية
217	الحديث الأول
217	الحديث 2
218	الحديث 3

218	الحديث 4
219	الحديث 5
219	الحديث 6
219	الحديث 7
220	الحديث 8
220	الحديث 9
220	الحديث 10
221	الحديث 11
221	الحديث 12
221	الحديث 13
221	الحديث 14
222	الحديث 15
222	الحديث 16
222	الحديث 17
223	الحديث 18
223	الحديث 19
224	الحديث 20
224	الحديث 21
224	الحديث 22
225	الحديث 23
226	الحديث 24
226	الحديث 25
227	الحديث 26
227	الحديث 27
227	الحديث 28

228	الحديث 29
228	الحديث 30
229	الحديث 31
229	الحديث 32
229	الحديث 33
230	الحديث 34
230	الحديث 35
231	الحديث 36
231	الحديث 37
232	الحديث 38
232	الحديث 39
233	الحديث 40
233	الحديث 41
233	الحديث 42
236	الكتاب السادس عشر ويتضمن ذكر فروع العترة النبوية
236	الفصل الأول في العترة الشريفة
237	اهل البيت
237	مَنْ هم الأشراف
237	علو منزلة أهل البيت
238	مدى أفضلية أهل البيت
240	الأهل والآل والفرق بينهما
240	هل يشترط للفضائل الإستقامة
241	الشرف والإقدام على الشر
241	نصيحة لأهل البيت
242	ما معنى نزول قوله تعالى إنما وليكم

242	هل زوجات النبي من بيت النبوة
242	هل يطلق على أهل البيت أنهم سادة
242	هل من وسيلة يعرف بها الشرف
242	آل البيت ومن هم
243	قصيدة السموأل
244	الفصل الثاني في أحكام آل البيت الفقهية
250	وجوب محبة آل البيت
250	بغض آل البيت
251	مدح الفرزدق للحسين وبيته
252	من مكارم أهل البيت
253	التشيع لآل البيت
255	انصراف بن أبي حرب
255	الفصل الثالث في ذكر فاطمة الزهراء ومناقبها
255	فاطمة الزهراء
256	زواج فاطمة
256	فضليات النساء
257	فاطمة بضعة منه عليه السلام
257	مسارة رسول الله لفاطمة
257	طلب علي وفاطمة المساعدة
258	شكوى فاطمة في علي
258	الفواطم
258	وفاة فاطمة
259	وصف فاطمة لابن الحرمة
263	الفصل الرابع في ذكر سيدنا علي ومناقبه
263	سيدنا علي

263	صفة سيدنا علي
264	بيعة علي بالخلافة
265	خطبة علي يوم البيعة
266	علي والقرارات الصعبة
268	بين علي ومعاوية
268	فتنة الجمل (36هـ)
269	وصول علي إلى البصرة
270	أتباع ابن سبأ يفسدون الصلح ويبدؤون المعركة
270	أسباب خروج عائشة ومن معها
271	التحكيم
272	موقف علي وأنصاره من التحكيم
272	ظهور الخوارج والشيعة
273	إدارة الدولة وتثبيت الفتوحات في عهده
274	استشهاد سيدنا علي
274	زوجات علي
275	أولاد سيدنا علي
276	كلام بليغ
276	من حكم سيدنا علي
276	يقول في فضل العلم
277	ويقول أيضاً في ذم الجهل
277	ويقول في آداب طالب العلم
277	ويقول في مدح العلم
277	ويقول في الأصدقاء والزمن
278	ويقول في اختيار الأصدقاء
278	ويقول في موقف الإنسان من تقلبات الزمن

279	ويقول في الثبات أمام تصرفات الدهر
279	ويقول في جمع المال
279	ويقول في فائدة كثرة المال
279	ويقول في علاج الإسراف
280	ويقول في الكرم
280	ويقول أيضاً في الكرم والإنفاق
	خطبة لسيدنا علي
282	ما صحة قوله عليه السلام أنا مدينة العلم
282	ما هو يوم الغدير
282	هل يقال لسيدنا علي .كرم الله وجهه
280	خطبة لسيدنا علي
283	الشجعان الذين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام
283	الكتاب السابع عشر ويتضمن ذكر فروع النسب الحسنِي
283	الفصل الأول في ذكر الحسن السبط
284	أجوبة الحسن على أسئلة أبيه سيدنا علي
285	خلافة سيدنا الحسن السبط
285	(40 – 41هـ)
286	تنازل الحسن عن الإمارة
288	وصية الحسن لأخيه الحسين رضي الله عنهما
288	من خطب جدنا الحسن
289	خطبة أخرى للحسن
290	دخول الحسن على معاوية
290	الفصل الثاني في ذكر أولاد الإمام الحسن السبط رضي الله عنه
290	الإمام زيد الناسك بن الحسن
290	الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن

290	القاسم بن الحسن المكرم بن زيد
291	محمد قنحا بن القاسم بن الحسن المكرم
291	إبراهيم بن محمد قنحا بن القاسم
291	عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن المكرم
291	علي بن الحسن المكرم
291	إسماعيل المهفوف بن الحسن المكرم
291	الحسن الكواكي بن الحسن المكرم
291	زيد الطاهر بن الحسن المكرم
292	عبد الله بن الحسن المكرم
292	إبراهيم بن الحسن المكرم
292	الحسن بن الحسن المكرم
292	الحسن المثنى بن الحسن السبط
292	إبراهيم بن الحسن المثنى
293	الحسن المثلث بن الحسن المثنى
293	داود بن الحسن المثنى بن الحسن
293	جعفر بن الحسن المثنى بن الحسن
293	عبد الله الكامل الحضر بن الحسن المثنى
293	محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل
294	موقعة يوم فنج
295	أولاد محمد النفس الزكية
295	الامام سليمان بن عبد الله الكامل
296	محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل
296	عبد الله المحدث واحمد والحسن الثاني
296	إدريس بن سليمان
296	أبناء إدريس بن سليمان وفروعهم

297	من الفروع السلیمانیة
297	من الفروع السلیمانیة أيضا
298	موسى الجون بن عبد الكامل المحض
298	إبراهيم السید بن موسى الجون
298	عبد الله الرضى بن موسى الجون
298	موسى الثاني بن عبد الله الرضى
299	سلیمان بن عبد الله الرضى
299	أحمد بن عبد الله الرضى
299	یحی السوفی بن عبد الرضى
299	صالح بن عبد الله الرضى
299	ابراهيم بن عبد الله الكامل المحض
300	عقب إبراهيم بن عبد الكامل
300	یحی بن عبد الله الكامل المحض
300	محمد الأنش بن یحی
300	احمد وعبد الله وعيسى أبناء محمد الأنش
300	عيسى بن عبد الله الكامل المحض
300	زينب بنت عبد الله الكامل
301	فائدة في العقل
302	الكتاب الثامن عشر ويتضمن النسب الإدريسي
302	الفصل الأول في ذكر النسب الإدريسي
	الأداسة خطأ ! الإشارة المرجعية غير معرفة .
305	الفصل الثاني في ذكر دخول إدريس الأكبر بن عبد الله أرض المغرب الأقصى
306	مسیر رحلة إدريس
307	بيعة الإمام إدريس الأكبر بن عبد الله
308	غزو إدريس الأكبر بن عبد الله بلاد المغرب الأقصى وفتحها

309	غزو إدريس الأكبر بن عبد الله أرض الجزائر وفتح مدينة تلمسان
309	وفاة إدريس الأكبر بن عبد الله والسبب في ذلك
311	أمر البربر بعد وفاة إدريس الأكبر بن عبد الله
311	الفصل الثالث في ذكر نشأة إدريس الأصغر
313	خطبة الإمام إدريس الأصغر
313	وفود العرب على إدريس الأصغر بن إدريس
314	بناء مدينة فاس
317	خطبة الإمام إدريس الأصغر
318	وفاة إدريس الأصغر بن إدريس
318	دولة محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر
319	حدوث الفتنة بين بني إدريس الأصغر
320	دولة علي حيدرة بن محمد بن إدريس الأصغر
321	بناء مسجد القرويين بفاس
327	ولاية يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس
328	استيلاء بن سهل على فاس
329	الفصل الرابع في ذكر أحداث أيام الأمراء الأدارسة
330	تولية يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس
330	الفصل الخامس في ذكر فروع وأعقاب إدريس الأصغر
331	أولاد إدريس الثالث وجعفر وعلي وداود وإبراهيم وحمزة وكثير
331	أولاد عيسى بن إدريس الأصغر
331	أولاد عمر بن إدريس الأصغر
332	أولاد أحمد بن إدريس الأصغر
332	أولاد عبد الله بن إدريس الأصغر
333	أولاد موسى بن إدريس الأصغر
333	أولاد يحيى بن إدريس الأصغر

334	أولاد القاسم بن ادريس الأصغر
334	أولاد عمران بن ادريس الأصغر بن ادريس الأكبر
334	أولاد محمد بن ادريس الأصغر بن إدريس الأكبر
336	أعقاب محمد حرمة بن أبي عيسى
337	أولاد علي بن محمد حرمة
338	إختفاء الأنساب لفترة ما
338	تجديد ابوبكر المانع بن علي بن محمد حرمة للأنساب
339	الكتاب التاسع عشر ويتضمن الفروع المشيشية
339	الفصل الأول في النسب المشيشي
339	مشيش بن ابي بكر المانع
339	المشيشيون
340	فروع يملح بن مشيش
340	فروع موسى بن مشيش
341	الفصل الثاني في ذكر عبد السلام بن مشيش وأبنائه
342	الصلاة المشيشية
342	خمزية ابن الفارض
344	فروع أبناء عبد السلام بن مشيش
345	بيوتات شريفة في عدة مناطق
346	علي العلاوي
349	ابناء عبد الله الخرشفي
352	وكما قال معقل بن قيس :
352	وقال إلياس فرحات :
353	فائدة في الحياء
354	قال محمد بن عبد الله البغدادي :
355	الفهرست

﴿ أعزائي القراء الأفاضل ﴾

هذا تعريف بالكتاب ومؤلفه

الكتاب بأجزائه الأربعة يسمى : (التحقيق المتكامل) ويتضمن جملة من المقدمات وعدة ملاحظات وثمانية وعشرين كتابا كل كتاب يتضمن عدة فصول كل فصل يتضمن عدة أبواب . تتبع ذلك خاتمة حسنة . وتقاريط مستحسنة وردت على المؤلف من مشايخ علماء وأساتذة حكماء وإطارات نبلاء . أفادوها بها تشجيعا له على البحث والمتابعة والاسترسال في الكتابات الهادفة . وتلك الموضوعات كلها (مقدمات . وكتبا وفصولا . وأبوابا وتقاريط) ترد بإذن الله تعالى مفصلة ومنظمة بأسلوب سلس عذب . وبطريقة بديعة سهلة . تحتوي معلومات نسبية . ونصوصا تراثية معتمدة . واقتباسات مروقة منقولة من مراجع موثوقة . ومن ذكريات حافظة لا تنسى والكمال المطلق لله الواحد الأحد . هذا وللإفادة والاستفادة بإمكان القارئ الكريم أن تعرف على صور بعض الشخصيات الواردة أثناء نصوص هذا الكتاب في المؤلف المسمى (بغية الوصال في معرفة صور بعض الرجال) والكتابان من تأليف الفقير إلى الله تعالى : الميلود قويسم بن الهدار العبيدي الرقادي السعداوي النابلي الجلفاوي إمام عين الإبل ومعتمدا وعضوا المجلس العلمي بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف حاليا .

وبعد : إخواني القراء النبلاء :

هذه صورتي وهذا خيالي	هذه حالتي وهذا شعاري
أذكروني بها لأحظي بعفو	يا صحابي يارفتي يادياري
إني عبد ضعيف والعمر فانٍ	وعساه الكريم يرضى اعتذاري



